إعراب القرآن الكريم

وبيانه

لدار الإرشاد
حمص - سورية

الطبعة الرابعة
١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

دار ابن كثير
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - شارع مسلم البارودي - بناء خولي وصلاحي - ص.ب ٣١١ - هاتف ٢٢٥٨٧٧
بيروت - ص.ب ٦٣١٨/١١٣

اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - برامكة - جانب الهجرة والجوازات
ص.ب ٣٧٧ - هاتف ٢٤٣٢٤٥ - بيروت - ص.ب ٥٤٨٨/١١٣

إعراب القرآن الكريم وبيانه

تأليف الأستاذ

محيي الدين الدرويش

المجلد الثاني

الجزء الرابع — الجزء الخامس — الجزء السادس

اليمامة
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - بيروت

دار ابن كثير
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - بيروت

دار الإرشاد للشؤون الجامعية
حمص - سورية

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾

اللغــة :

(العوج) بكسر العين وفتحها ، معروف ، ولكن العرب فرقوا بينهما جرياً على سلائقهم في التصرف بهـذه اللغة الشريفة ، فخصوا المكسور بالمعاني ، والمفتوح بالأعيان . تقول : في كلامه عوج بالكسر، وفي الجـدار عوج بالفتح .

الاعراب :

(قل : يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) كلام مستأنف مسوق للإنكار على الذين يكفرون بآيات اللـه . وقل فعل أمر وفاعله أنت ويا حرف نداء للمتوسط وأهل الكتاب منادى مضاف ولم اللام حرف جر وما اسم استفهام إنكاري في محـل جر باللام وحذفت ألف ما الاستفهامية لدخول حرف الجر عليها والجار والمجرور متعلقان بتكفرون وبآيات اللـه جار ومجرور متعلقان بتكفرون أيضاً وجملة النداء استئنافية (والله شهيد على ما تعملون) الواو حالية والله مبتدأ وشهيد خبر والجار والمجرور متعلقان بشهيد وجملة تعملون صلة وجملة والله شهيد حالية (قل يا أهل الكتاب لم تصدون عـن سـبيل الله) كلام

مستأنف لتأكيد الانكار والتوبيخ وقد تقدم إعراب مثيلها . (مَن آمن) من اسم موصول مفعول به لتصدون وجملة آمن لا محل لهـا لأنهـا صلة « من » (تبغونها عوجاً) الجملة حالية ، وتبغونها فعـل مضارع وفاعل ومفعول به وعوجاً حال وقع فيها المصدر موضع الاسم المشتق أي معوجة وفي هذا الإعراب من المبالغة أنهم يطلبون أن تكون الطريقة المستقيمة نفس العوج على طريق المبالغة في مثل رجل صوم ، ويكون ذلك أبلغ في ذمهم وتوبيخهم . وقيل : الهاء في تبغونها ضمير منصوب بنزع الخافض . وعبارة ابن جرير الطبري : « ومعنى قوله « تبغونها عوجاً » تبغون لها عوجاً » ، وعليه قول سحيم عبد بني الحسحاس :

بغاك وما تبغيه حتى وجدتـه   كأنك قـد واعدته أمس موعداً

يعني طلبك وما تطلبه يقال : ابغني كذا ، يراد ابتغه لي ، فإذا أرادوا : أعنّي على طلبه وابتغه معي ، قالوا : أبغني بفتح الهمزة ، وهو قول سليم . (وأنتم شهداء) الواو حالية وأنتم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ وشهداء خبر والجملة الاسمية حالية (وما الله بغافل عما تعملون) الواو للحال أيضاً وما نافية حجازية والله اسمها المرفوع والباء حرف جر زائد وغافل مجرور لفظاً منصوب محلاً لأنه خبر « ما » وعما جار ومجرور متعلقان نغافل وجملة تعملون صلة ما الموصولية .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ

مستقيم ﴿١٠١﴾

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب) كلام مستأنف مسوق لإيراد خلة من خلال اليهود مستوحاة من العنصرية التي يتميزون بها ، ويا حرف نداء للمنادى المتوسط وأي منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب والهاء للتنبيه والذين بدل وجملة آمنوا صلة الموصول وإن شرطية وتطيعوا فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو فاعل وفريقاً مفعول به ومن الذين جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لقوله فريقاً وجملة أوتوا الكتاب صلة والكتاب مفعول به ثان لأوتوا المبني للمجهول (يردوكم بعد إيمانكم كافرين) يردوكم جواب الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو فاعل والكاف مفعول به أول ليردوكم وبعد ايمانكم ظرف متعلق بكافرين وكافرين مفعول به ثان (وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله) كلام مستأنف مسوق لتوجيه الإنكار والاستبعاد إلى كيفية الكفر عن طريق المبالغة ، وكيف اسم استفهام إنكاري مبني على الفتح في محل نصب على الحال وتكفرون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل وأنتم الواو حالية وأنتم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ وتتلى فعل مضارع مبنى للمجهول والجملة خبر وعليكم جار ومجرور متعلقان بتتلى وآيات الله نائب فاعل (وفيكم رسوله) الواو حالية أو عاطفة وفيكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ورسوله مبتدأ مؤخر (ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويعتصم فعل الشرط وفاعله

ضمير مستتر تقديره هو وبالله جار ومجرور متعلقان بيعتصم فقد : الفاء رابطة للجواب وقد حرف تحقيق وهدي فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل هو والى صراط جار ومجرور متعلقان بهدي ومستقيم صفة وجملة فقد هدي في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من .

الفوائد :

لمحة تاريخية :

لليهود أصالة راسخة في إحداث التفرقة بين الأمم والشعوب ليضمنوا لأنفسهم السيادة والاستعلاء المزعومين ، وهي خلة من خلال اليهود مستوحاة من العنصرية التي يتميزون بها ، ويشتدون في الدعاية لها . وفي معرض نزول هذه الآية يروي التاريخ أن شاساً بن قيس اليهودي ، وكان شيخاً طاعنا في السن ، ممعنا في اللجاجة واللدد ، يكره المسلمين ويتربص بهم الدوائر للإيقاع بهم وتفريق شملهم الملتئم ، مر شاس هذا بنفر من الأوس والخزرج وهم في مجلس يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم في الإسلام ، بعد الذي كان بينهم من العداوة والبغضاء في الجاهلية . فقال : والله ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار . فأمر شاباً من اليهود وكان معه فقال له : اعمد إليهم واجلس معهم وذكرهم يوم بعاث وما كان فيه ، وأنشدهم بعض ماكانوا يتناشدونه من أشعار تستهدف إثارة الحفائظ (وبعاث بضم الباء وهو يوم مشهور اقتتل فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس) ففعل الشاب اليهودي ما أمره به شاس ، فتنازع عند ذلك القوم ، وانبعثت أسباب الخصام من جديد ، وتفاخروا وتغاضبوا وتبادلوا الشتائم ، وتنادوا : السلاح السلاح ، وكادوا يمتشقون السيوف : فبلغ ذلك

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين والأنصار ، فقال : يا معشر المسلمين ! أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالإسلام ، وقطع عنكم إصر الجاهلية ، وألف بين قلوبكم ، ترجعون الى ما كنتم عليه كفاراً ؟ فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان ، وكيد من عدوهم ، فألقوا السلاح من أيديهم ، وبكوا وعانق بعضهم بعضاً ثم انصرفوا مع رسول الله سامعين مطيعين . فما كان يوم أقبح أولاً وأحسن آخراً من ذلك اليوم .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾

اللغة :

(واعتصموا) الاعتصام : الالتجاء والتمسك ، وأنا معتصم بفلان ومستعصم به ومعتصم بحبله ، ونحن في عصمة الله ، وكل ما عصم به الشيء ــ أي : حفظ وصين ــ فهو عصام . وللعين والصاد ــ إذا كانتا فاءً وعيناً للكلمة ــ خصائص لغوية رائعة ، فهما تدلان على الشدة

والمنعة وما هو بمعناهما من الحفظ والتأبي ، فيقال : فلان لا تعصب سلماته ، أي : لا يقهر ، قال الكميت بن زيد :

ولا سمراتي يبتغيهن عاضد ولا سلماتي في بجيلة تعصب

وفلان معصوب الخلق : مطويه مكتنز اللحم . وكانوا إذا سودوا إنساناً عصبوه . وهذا يوم عصيب وعصبصب أي : شديد . وفلان يتعصب لقومه . وعصر معروف ، ولا بد من استعمال شدة في العصر ، وهذا أمر قد تعصرت الشبيبة به وبلغت الأشد عليه . والمعصرات : السحب التي تمطر الماء . وعصفت الريح فهي عاصف ومعصفة ، وهي أشد ، وعصف بهم الدهر : أودى بهم وأبادهم ، قال عدي بن زيد :

ثم أضحوا عصف الدهر بهم وكذاك الدهر حالاً بعد حال

وجعلهم كعصف مأكول معروف ، ويقال للجائع : صاحت عصافير بطنه ، وهو تعبير عامي فصيح ، أي : صوتت بشدة . وسمي العصفور لأنه لا ينفك عن الزقزقة . ووهب النعمان للنابغة مائة من عصافيره ، وهي نجائب كانت له ، انتهت في يوم دارة مأسل ، قال ذو الرمة :

نجائب من ضرب العصافير ضربها أخذنا أباها يوم دارة مأسل

ولو شئنا الاستقصاء لأسمعناك العجب العجاب فحسبنا ما تقدم .

(شفا) الشفا : طرف الحفرة ، بالتذكير والتأنيث . وسيأتي المزيد من الكلام عنها في باب الفوائد .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) كلام مستأنف مسوق

لما فيه تكميل المؤمنين لأنفسهم ، وقد تقدم إعراب النداء فجدد به عهداً . واتقوا فعل أمر والواو فاعل والله مفعول به وحق تقاته مفعول مطلق ، والإضافة هنا من باب إضافة الصفة إلى موصوفها ، والأصل التقاة الحق ، والتقاة مصدر تقدم تحقيقها (ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون) الواو حرف عطف ولا ناهية وتموتن فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين ضمير متصل في محل رفع فاعل والنون المشددة للتوكيد ولا محل لها وإلا أداة حصر والواو حالية وأنتم مبتدأ ومسلمون خبر والجملة الاسمية نصب على الحال (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) الواو عاطفة واعتصموا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وبحبل الله جار ومجرور متعلقان باعتصموا وجميعاً حال ولا ناهية وتفرقوا فعل مضارع حذفت إحدى تاءيه جوازاً ، وأصله تتفرقوا مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون (واذكروا نعمة الله عليكم) الواو حرف عطف واذكروا فعل أمر معطوف على اعتصموا ونعمة الله مفعول به وعليكم جار ومجرور متعلقان بنعمة (إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق باذكروا وجملة كنتم في محل جر بالإضافة إليها وكنتم فعل ماض ناقص واسمها ، وأعداء خبرها والفاء عاطفة وألف فعل ماض وفاعله ضمير مستتر يعود على الله وبين ظرف متعلق بألف وقلوبكم مضاف إليه (فأصبحتم بنعمته إخواناً) الفاء عاطفة وأصبحتم فعل ماض ناقص والتاء اسمها وبنعمته جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وإخوانا خبر أصبحتم (وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) عطف على ما تقدم وكان واسمها وعلى شفا حفرة جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها ومن النار جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لحفرة فأنقذكم عطف على كنتم ومنها

جار ومجرور متعلقان بأنقذكم (كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف مفعول مطلق أو حال ، وقد تقدم كثيراً ، ويبين الله فعل مضارع وفاعل وآياته مفعول به والجملة مستأنفة ولعل واسمها ، وجملة تهتدون خبرها وجملة الرجاء حالية .

البلاغة :

١ ــ الاستعارة التمثيلية في الاعتصام بحبل الله ، فقد شبه الوثوق بالله والاعتماد على حمايته بحال من يمسك بحبل وثيق ، وقد تدلى من مكان عال، فهو آمن من انقطاعه وانبتاته. وقد أراد بالحبل هنا القرآن الكريم ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « القرآن حبل الله المتين ، لا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة الرد . من قال به صدق ، ومن عمل به رشد ، ومن اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم » .

٢ ــ الطباق بين أعداء وإخوان .

الفوائد :

١ ــ الشفا في الأصل مذكر ، وقد عاد الضمير عليه في الآية مؤنثاً لأنه اكتسب التأنيث بإضافته الى الحفرة . والقاعدة المطردة هي أن المضاف المذكر قد يكتسب من المضاف إليه المؤنث تأنيثه وبالعكس ، وشرط ذلك في الصورتين صلاحية المضاف للاستغناء عنه بالمضاف إليه مع صحة المعنى . فمن الأول قول الأغلب :

طول الليالي أسرعت في نقضي   نقضن كلي ونقضن بعضي

فأنث « أسرعت » مع أنه خبر عن مذكر إلا أنه اكتسب التأنيث من « الليالي » . وعليه يفسر قول مجنون ليلى :

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

ومن التصوير الثاني قول الآخر :

إنارة العقل مكسوف بطوع هوى

وعقل عاصي الهوى يزداد تنويرا

فذكر « مكسوف » مع أنه خبر عن مؤنث وهو « إنارة » لأنها اكتسبت التذكير من إضافتها إلى العقل وهذا باب هام فتأمل .

٢ ـ (أصبح) تستعمل لاتصاف الموصوف بصفة وقت الصباح ، وتستعمل بمعنى صار فلا يلحظ فيها وقت الصباح بل مطلق الانتقال والصيرورة من حال إلى حال ، قال الربيع بن ضبع :

أصبحت لا أحمل السلاح ولا أملك رأس البعير إن نفرا

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) ﴾

الاعراب :

(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير) كلام معطوف على ما قبله من عطف الخاص على العام مسوق لبيان رأس الخيرات . والواو حرف

عطف ولك أن تجعلها استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لبيان ما تقدم واللام لام الأمر وهي تسكن بعد الواو والفاء وثم ، وتكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلام الأمر ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم لتكن وأمة اسمها المؤخر وجملة يدعون الى الخير في محل رفع صفة لأمة ويجوز أن تكون جملة يدعون هي الخبر ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة تقدمت على الموصوف فأعربت حالاً وإلى الخير جار ومجرور متعلقان بيدعون (ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) الجملتان معطوفتان على جملة يدعون إلى الخير (وأولئك هم المفلحون) تقدم إعرابها كثيراً (ولا تكونوا كالذين تفرقوا) الواو عاطفة ولا ناهية وتكونوا فعل مضارع ناقص مجزوم بلا والواو اسمها وكالذين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها ولك أن تجعل الكاف اسماً بمعنى مثل فتكون هي الخبر والذين اسم موصول في محل جر بالإضافة وجملة تفرقوا صلة الموصول (واختلفوا من بعد جاءهم البينات) الواو عاطفة واختلفوا عطف على تفرقوا ومن بعد جار ومجرور متعلقان باختلفوا وما مصدرية مؤولة مع جاءهم البينات بمصدر مضاف لبعد والهاء مفعول به مقدم والبينات فاعل مؤخر (وأولئك لهم عذاب عظيم) الواو استئنافية أو عاطفة واسم الإشارة مبتدأ ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وعظيم صفة والجملة الاسمية في محل رفع خبر اسم الإشارة .

البلاغـة :

١ ــ في الآية عطف الخاص وهو باب دقيق المسلك يبدو كأخذة السحر فهو يؤذن بمزيد العناية بالخاص ، وتفصيل ذلك أن الدعوة

إلى الخير عامة وإردافها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مؤذن باختصاصهما بمزيد من العناية وإظهار فضلهما على سواهما من الخيرات .

٢ ــ المقابلة : فقد طابق بين الأمر والنهي وبين المعروف والمنكر .

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧)﴾

الاعراب :

(يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) الظرف متعلق بمحذوف تقديره : اذكر ، فتكون الجملة مستأنفة مسوقة لبيان حال الفريقين . وجملة تبيض وجوه في محل جر باضافة الظرف اليها . ووجوه فاعل ، وتسود وجوه عطف على تبيض وجوه (فأما الذين اسودت وجوههم) الفاء للتفريع وفيها معنى الاستئناف فتكون الجملة مستأنفة وأما حرف شرط وتفصيل والذين اسم موصول في محل رفع مبتدأ وجملة اسودت وجوههم صلة (أكفرتم بعد إيمانكم) الجملة مقول قول محذوف مع الفاء الرابطة لجواب أما ، أي : فيقال لهم : أكفرتم ، وجملة « فيقال » خبر الذين وهي جواب « أما » وشرط «أما» لا يذكر صريحاً بل التزموا حذفه : ويظهر عند حل المعنى والتعبير بما

ثابت عنه « أما » وهو مهما ، والتقدير : مهما يكن من شيء فأما الذين اسودت يقال لهم كذا ، فاحفظه وقس عليه ، والهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي وكفرتم فعل وفاعل وبعد ظرف متعلق بكفرتم وإيمانكم مضاف إليه (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) الفاء الفصيحة لأنها أفصحت عما هو مقدر أي اذا عرفتم ذلك فذوقوا العذاب ، وبما جار ومجرور متعلقان بذوقوا وما مصدرية وهي مع مدخولها في محل جر بالباء أي بسبب كفركم وجملة تكفرون في محل نصب خبر كنتم (وأما الذين ابيضت وجوههم) تقدم إعرابها (ففي رحمة الله هم فيها خالدون) الفاء رابطة لجواب أما والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر الذين وهم مبتدأ وفيها جار ومجرور متعلقـان بخالدون وخالدون خبرهم وجملة هم فيها خالدون حالية •

البلاغـة :

١ ــ في هذه الآية فن التدبيج وهو فن دقيق المسلك،حلو المأخذ ، رشيق الدلالة ، وحده أن يذكر الشاعر أو الناثر لونين أو أكثر ، يقصد بذلك الكناية أو التورية عما يريد من أغراض ، وقد لا يقصد غـير الوصف • فالبياض والسواد لونان متضادان ، والتضاد يعني التطابق ، ولكنه كنى بهما عن فريقين من الناس ، فمن كان من أهل الحق وسم ببياض اللون ونصاعته ، ومن كان من أهل الباطل وسم بسواد الليل وحلكته ، ولا يخفى ما في ذلك من التهويل ، وتباين المصير المحتوم لكل من الفريقين • ومن طريف التدبيج في الشعر وما ينطوي عليه من كناية قول أبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي شهيد الجهاد :

تردى ثياب الموت حمراً فما دجا لها الليل الا وهي من سندس خضر

والتدبيج تفعيل من الدبج وهو النقش والتزيين ، وأصل الديباج فارسي معرب . ومن طريفه قول صفي الدين الحلي :

بيض صنائعنا سود وقائعنا خضر مرابعنا حمر مواضينا

٢ ـ الاستعارة في « ذوق العذاب » فقد شبهه بالمر مما يؤكل ، ثم حذف المشبه به وأبقى شيئاً من لوازمه وهو الذوق . ولا يخفى ما فيه من الشعور بالمرارة ، وذلك على طريق الاستعارة التبعية المكنية .

٣ ـ المجاز المرسل في « رحمة الله » والعلاقة فيه الحالية لأن الرحمة لا يحل فيها الإنسان وإنما يحل في مكانها ، وهو الجنة .

﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ ﴾

الاعراب :

(تلك آيات الله تتلوها عليك بالحق) كلام مستأنف مسوق لبيان ما اشتمل على نعيم الأبرار وعذاب الكفار . واسم الإشارة مبتدأ وآيات الله خبره وجملة تتلوها عليك حالية أي متلبسة بالحق ، فالجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال أيضاً (وما الله يريد ظلماً للعالمين) الواو استئنافية وما نافية حجازية والله اسمها وجملة يريد في محل نصب

خبرها وظلماً مفعول به وللعالمين جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لـ « ظلماً » والعالمين مجرور بالياء نيابة عن الكسرة لأنه ملحق بجمع المذكر السالم (ولله ما في السموات وما في الأرض) الواو استئنافية ولله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وما اسم موصول مبتدأ مؤخر وفي السموات جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة للموصول لا محل له من الإعراب وما في الأرض عطف على « ما في السموات » (وإلى الله ترجع الأمور) الواو حرف عطف وإلى الله جار ومجرور متعلقان بترجع وترجع فعل مضارع مبني للمجهول والأمور نائب فاعل .

البلاغـة :

(التكرير) في هذه الآية فن التكرير . وقد اختلف أهل العربية في وجه تكرير الله تعالى ذكره اسمه مع قوله « وإلى الله ترجع الأمور » ظاهراً وقد تقدم اسمه ظاهراً في قوله « ولله ما في السموات وما في الأرض » فقال بعض البصريين : ذلك نظير قول العرب : وأما زيد فذهب زيـد وكما قال الشاعر :

ألا لاأرى الموت يسبق الموت شيء نغص الموت ذا الغنى والفقـيرا

فأظهر في موضع الإضمار . وقال بعض نحويي الكوفة ليس ذلك نظير هذا البيت لأن موضع الموت في البيت موضع كناية ، أي ضمير ، وليس ذلك كذلك في الآية ، لأن قوله : « ولله ما في السموات وما في الأرض » خبر ، ليس من قوله « وإلى الله ترجع الأمور » في شيء ، وذلك أن كل واحدة من القصتين مفارق معناها معنى الأخرى ، مكتفية كل واحدة منهما بنفسها ، غير محتاجة الى الأخرى ، وما قال الشاعر

لا أرى الموت ، محتاج إلى تمام الخبر عنه . وهذا القول الثاني عندنا أولى بالأرجحية ، لأن كتاب الله عز وجل لا توجه معانيه ، وما فيه من البيان ، إلى الشواذ من الكلام والمعاني ، وله في الفصيح من المنطق والظاهر من المعاني وجه صحيح موجود .

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾

الاعراب :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس) كلام مستأنف مسوق لبيان حال هذه الأمة في الفضل على غيرها من الأمم ولتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الجنوح إلى الخير والصدوف عن المنكر ، وكان واسمها وخير أمة خبرها وقيل : كان تامة ، أي وجدتم وخلقتم خير أمة ، والأول أرجح وأخرجت فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هي ، وللناس جار ومجرور متعلقان بأخرجت والجملة في محل نصب خبر ثان لكنتم وقيل نصب على الحال وقيل نعت لأمة والأوجه متساوية الرجحان(تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)الجملةخبر ثالث لكنتم أو نصب على الحال،واختار الزمخشري أن تكون مستأنفة مبينة كونهم خير أمة، كما تقول:زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم وأرى انها مفسرة لامحل لها،وتأمرون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون

والواو فاعل وبالمعروف جار ومجرور متعلقان بتأمرون ومثلها وتنهون عن المنكر (وتؤمنون بالله) الجملة معطوفة (ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتكون جواباً عن سؤال فحواه : كيف قال ذلك مع أن غير الإيمان لا خير فيه حتى يقال : إن الإيمان خير منه ؟ ولو شرطية وآمن فعل ماض مبني على الفتح وأهل الكتاب فاعل واللام واقعة في جواب لو، وكان فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر تقديره هو يعود على المصدر وهو الإيمان المدلول عليه بفعله وخيراً خبر كان ولهم جار ومجرور متعلقان بـ « خيراً » والجملة واقعة في جواب الشرط (منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) الجملة مستأنفة مسوقة لتكون جواباً عما ينشأ من لو الشرطية الدالة على انتفاء الإيمان ، ومنهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم والمؤمنون مبتدأ مؤخر وأكثرهم مبتدأ والفاسقون خبره .

البلاغة :

(المقابلة) في الآية فن المقابلة ، فقد تعدد الطباق بين تأمرون وتنهون وبين المعروف والمنكر وبين « المؤمنون » و « الفاسقون » ، وقد تقدم الكلام عن المقابلة .

﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ

بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ
بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾

اللغــة :

(ثقفوا) تقــدم معناها فيما سبق وهي هنا بمعنى أدركوا وغلبوا وذلوا . ومن أقوالهم :طلبناه فثقفناه في مكان كذا ، أي ادركناه . وثقفت العــلم في أوحى مدة إذا أسرعت في أخذه . وكان أبو تمــام ثقفــاً لقفــاً (باءوا) : رجعوا .

الاعراب :

(لن يضروكم إلا أذى) كلام مستأنف مسوق لبيان أن ضررهم منقطع يقع في فترات لا يؤبه لها . ولن حرف نفي ونصب واستقبال ويضروكم فعل مضارع منصوب بحذف النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو فاعل والكاف مفعول به وإلا أداة حصر وأذى مفعول مطلق أي ضرراً مقتصراً على أذى مؤقت لا يلبث أن يزول فالاستثناء مفرغ ، وقيل : الاستثناء هنا منقطع ، وعليه اقتصر ابن جرير الطبري ، قال : وهذا من الاستثناء المنقطع الذي هو مخالف معنى ماقبله كما قيل: ماشتكى شيئاً إلا خيراً ، وهذه كلمة محكية عن العرب سماعاً (وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار) الواو عاطفة وإن شرطية ويقاتلوكم فعل الشرط مجزوم بحذف النون والواو فاعل والكاف مفعول به أول والأدبار مفعول ثان (ثم لا يُنصرون) ثم حرف عطف وتراخ وقد أتت هنا لمجرد الاستئناف ولا

نافية وينصرون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو نائب فاعل ، وسيأتي في باب البلاغة سر العدول عن العطف على الفعل المجزوم كما يقتضيه سياق الكلام ، كأنه قال : ثم أخبركم أنهم لا ينصرون (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا) الجملة مستأنفة مسوقة لتقرير ضرب الذلة على اليهود وضربت فعل ماض مبني للمجهول والتاء للتأنيث وعليهم جار ومجرور متعلقان بضربت والذلة نائب فاعل وأينما اسم شرط جازم منصوب على الظرفية المكانية متعلق بضربت وثقفوا فعل ماض مبني للمجهول في محل جزم فعل الشرط والواو نائب فاعل والجواب محذوف دل عليه ما قبله أي فقد ضربت عليهم (إلا بحبل من اللـه) إلا أداة استثناء والجار والمجرور في محل نصب على الاستثناء من أعم الاحوال فيكون مستثنى بمعنى الحال أي ضربت عليهم الذلة في أعم أحوالهم إلا في هذه الحالة وهي اعتصامهم بحبل من الله ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ، وعلى هذا فهو استثناء متصل ، وقال آخرون : هو منقطع . وسيأتي مزيد بيان لهذا الإعراب في باب الفوائد (وحبل من الناس) عطف على قوله بحبل من الله (وباءوا بغضب من الله) الواو حرف عطف وباءوا فعل ماض معطوف والواو فاعل والجملة عطف على جملة ضربت وبغضب جار ومجرور متعلقان بباءوا ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لغضب (وضربت عليهم المسكنة) عطف على ما تقدم وعليهم جار ومجرور متعلقان بضربت والمسكنة نائب فاعل ضربت وكرر الجملة تأكيداً للذلة المضروبة على اليهود (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله) جملة مستأنفة مسوقة لبيان سبب ضرب الذلة والمسكنة على اليهود واسم الاشارة مبتـدأ والاشارة الى ما ذكـر من ضرب الذلة والمسكنة وغضب الله ، وبأنهم الباء حرف جر ، وأن واسمها والمصدر المؤول من أن وما في حيزها في محل جر بالباء والجار والمجرور متعلقان

بمحذوف خبر اسم الإشارة ، وكان واسمها ، والجملة خبر « أنهم » ، وجملة يكفرون في محل نصب خبر كانوا وبآيات الله جار ومجرور متعلقان بيكفرون (ويقتلون الأنبياء بغير حق) عطف على ما تقدم والأنبياء مفعول به وبغير حق جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) كلام مستأنف سيق لبيان تعليل العلة ، فعصيانهم سبب لكفرهم وقتلهم الأنبياء ، وهما سبب الذلة والمسكنة والغضب ، واسم الإشارة مبتدأ والباء حرف جر وما مصدرية أي : بسبب عصيانهم ، فالجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر « ذلك » ، وكان واسمها ، وجملة يعتدون خبرها .

البلاغة :

اشتملت هاتان الآيتان على ضروب من البلاغة بلغت أسمى حدود الإعجاز ولئن أسهب علماء البلاغة ، عليهم رضوان الله ، في إظهار أسرارها ، وسبر أغوارها واكتناه مخبآتها ، فقد أتيح لنا أن نشهد بأم أعيننا مصير فلسطين بسبب اليهود ، وبسبب ما نالوه من نجاح خالب مؤقت ، وسنوجز القول فيما قاله علماء البلاغة أولاً ، ثم نعقب عليه بما استنتجناه بأنفسنا وحدسنا به من مآل اليهود الذي لا بد منه .

١ ـ في الآية الأولى فن يقال له : « فن الإيضاح » ، وهو أن يذكر المتكلم كلاماً في ظاهره لبس ثم يوضحه في بقية كلامه ، والإشكال الذي يحله الايضاح يكون في معاني البديع من الألفاظ وفي إعرابها ، فإن في ظاهر هذه الآية إشكالين أحدهما من جهة الإعراب والآخر من جهة المعنى . فأما الذي من جهة الإعراب فعطف ما ليس بمجزوم على

المجزوم ، والذي من جهة المعنى أن صدر الآية يغني عن فاصلتها ، لأن توليهم عند المقاتلة دليل على الخذلان ، والخذلان والنصر لا يجتمعان والجواب أن الله سبحانه أخبر المؤمنين بأن عدوهم هذا إن قاتلهم انهزم ثم أراد تكميل العدة بإخبارهم أنه مع توليه الآن لا ينصر أبداً في الاستقبال فهو مخذول أبداً ما قاتلهم .

ولو وقع الاقتصار على دون الفاصلة لم يوف الكلام بهذا المعنى المراد ، لأنه لا يعطي قوله : « وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار » أنهم متى قاتلوهم كان الأمر كذلك فإن قولك : « إذا جاء زيد أكرمته » لا يلزم منه متى جاء على الدوام والاستمرار كان عليك الإكرام ، وإنما يعطي أنه إن جاءك أكرمته لتلك الجيئة ، ولعلمه سبحانه أن الاقتصار على ما هو دون الفاصلة لا يفهم منه دوام هذه البشارة إلى آخر الأبد ، والمقصود ديمومتها ، قال : « ثم لا ينصرون » ومنع الفعل الجزم وإن عطف على مجزوم ليبقى على المعنى الذي وضعت له صيغة المضارع من الدلالة على الحال والاستقبال ، ونوى في الفعل الاستئناف لا العطف على ما تقدم ، والله سبحانه يريد إدخال الطمأنينة في روع المؤمنين الذين تعاهدوا على الموت ، لأن الاستشهاد في معمعان الوغى وصحصحان الجهاد هو مستهل حياة قشيبة جديدة هي حياة المجد والخلود على حد قول الشاعر :

إن تسل أين قبور العظما   فعلى الأفواه أو في الأنفس

نقول : أراد الله سبحانه أن يؤكد للمؤمنين المجاهدين أن النصر سيكون حليفهم فأعقب الكلام الذي تم بجملة توضح اليقين وهي قوله : « ثم لا ينصرون » ليفيد الديمومة والاستمرار في الجهاد ، وعدم

الاستسلام للعدو ، ويبشرهم بأن عدوهم مخذول أبداً وأن عليهم أن يباشروا قتاله في كل وقت ، وأن لا يهنوا إذا خيل اليهم أن عدوهم قد ظهر عليهم ، فلا بد له أن يخذل في مستقبل الأيام ، فإن تاريخ الأمة لا يحسب بحساب الزمن ، ولا يعد بالسنين القليلة وإن حياة الأمم والشعوب ليست كحياة الافراد •

والإشــكال الثاني أنه عطف الفعل المضارع المرفوع على المضارع المجزوم ، وهو يبدو للوهلة الأولى أو لأصحاب النظر السطحي المجرد أنه خلاف الأولى ، ولكنه عدل عن الجزم إلى الرفع ليعلم أن عدم النصر لهم هو عهد قطعه الله على نفسه ، ومن أصدق من الله حديثاً أو عهداً وإن انتفاء النصر عنهم مستمر إلى الأبد ، ولا عبرة في الحالات الطارئة ، والظروف الاستثنائية المؤقتة التي تسنح لهم في الفترات الطويلة المتعاقبة التي ينتصرون فيها فعدل عن الجزم الذي يقتضيه سياق الكلام ، كأنه قال ثم أخبركم مبشراً بأنهم لا ينصرون في المستقبل أبداً • كما أشرنا إلى ذلك في باب الإعراب •

٢ ــ والفن الثاني في هذه الآية هو : « فن التعليق » • وهو أن يتعلق الكلام إلى حين ، ولذلك اختير لفظ « ثم » دون حروف العطف ، لأنه يدل على المهلة الملائمة لدلالة الفعل المضارع على الاستقبال ، كأنه قال : ثم ها هنا ما هو أعلى في الامتنان ، وأسمى في مراتب الإحسان ، وهو أن هؤلاء اليهود قوم لا ينصرون البتة مهما واتتهم الامكانيات ، ومهما أغدقت عليهم المساعدات •

٣ ــ والفن الثالث في هذه الآية هو فن المطابقة المعنوية بــين نصر المؤمنين وخذلان الكافرين •

٤ ـ والفن الرابع في هذه الآية هو : « فن الاحتراس » . لأن الكلام لو عطف بالواو مثلاً لظن قصار النظر أنهم إنما وعدوا بالنصر في تلك الحالة ليس غير ، فدفع هذا الظن بكلمة « ثم » التي تقطع قطعاً لا يرين عليه الشك ، بأن النتيجة الحتمية هي النصر المؤزر للمؤمنين ، خشية أن يظن بعض الذين لا يحبون المسارعة الى الموت بأن الوعد بالنصر في تلك الحالة فقط ، وأن الحرب قد تكون سجالاً ، وأنه قد يأتي دورهم بالنصر ، فنفى سبحانه هذا الاحتمال ، وقطع على هؤلاء الظانين الطريق لالتماس المعاذير للتخلف عن الجهاد .

٥ ـ والفن الخامس : هو الإيغال أي عدم الوقوف عند تولية الأدبار مع تمام الكلام ، فأتم بما يوافق بقية الفواصل مع ما يكمل به المعنى التام .

٦ ـ ثم جاءت الآية الثانية مكملة للفنون التي تضمنتها الآيتان وذلك على الوجه التالي :

آ ـ الكناية التي هي هنا عبارة عن نسبة ، وقد تقدم ذكرها ، وهي في ضرب الذلة والمسكنة عليهم كما يضرب البيت أو القبة على أهلهما على حد قول أبي الطيب المتنبي :

إن في ثوبك الذي المجد فيه لضياء يزري بكل ضياء

ب ـ الاستعارة التمثيلية في تشبيه التمسك بأسباب السلامة بالتمسك بالحبل الوثيق وقد تدلى من مكان عال ، فهو آمن من مغبة السقوط والخذلان والارتطام .

فإذا أضفنا إلى ما تقدم من فنون ما تميزت به الآيتان من « حسن الافتنان » و « جمال النسق » و « روعة العبارة » و « نصاعة البيان » تبين لك الى أي مدى وصلتا اليه من إعجاز وسمو تميز بهما كتاب الله العظيم •

الفوائـد :

اختلف أهل العربية في المعنى الذي جلب الباء في قوله تعالى : « إلا بحبل من الله وحبل من الناس » فقال بعض نحويي الكوفة وعلى رأسهم الفراء في كتابه « معاني القرآن » : الذي جلب الباء في قوله : بحبل ، فعل مضمر قد ترك ذكره • ومعنى الكلام : ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا أن يعتصموا بحبل من الله ، فأضمر في ذلك • واستشهد الفراء بقول حميد بن ثور الهلالي :

رأتني بحبليها فصدت مخافة وفي الحبل روعاء الفؤاد فروق

وقال : أراد أقبلت بحبليها • ويقول أبي الطمحان القيني :

حنتني حانيـات الـدهر حتى كأني خاتل أدنو لصيـد

قريب الخطو يحسب من رآني ولست مقيـداً أني بقيد

يريد مقيداً بقيد فأوجب إعمال فعل محذوف وإظهار صلته وهو متروك ، وذلك في مذاهب العربية ضعيف ، ومن كلام العرب بعيد • إلى أن يقول : وقال بعض نحويي البصرة : قوله : « إلا بحبل من الله » استثناء خارج من أول الكلام ، قال الفراء : وليس ذلك بأشد

من قوله : « لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً » ، وقال آخرون من نحويي الكوفة : هو استثناء متصل ، والمعنى ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا أي بكل مكان إلا بموضع حبل من الله ، كما تقول ضربت عليهم الذلة في الأمكنة إلا في هذا المكان . وهــذا أيضاً طلب الحق فأخطأ المفصل ، وذلك أنه زعم أنه استثناء متصل ، ولو كان متصلاً كما زعم لوجب أن يكون إذا ثقفوا بحبل من الله وحبل من الناس غير مضروبة عليهم المسكنة ، وليس ذلك صفة اليهود لأنهم أينما ثقفوا بحبل من الله وحبل من الناس أو بغير حبل من الله عز وجل وغير حبل من الناس فالذلة مضروبة عليهم ، على ما ذكرنا عن أهل التأويل قبل فلو كان قوله : الا بحبل من الله وحبل من الناس ، استثناء متصلاً لوجب أن يكون القوم إذا ثقفوا بعهد وذمة أن لا تكون الذلة مضروبة عليهم ، وذلك خلاف ما وصفهم الله به من صفتهم ، وخلاف ما هم به من الصفة ، فقد تبين بذلك فساد قول هذا القائل أيضا .

تعليق ابن جرير :

وقال أبو جعفر الطبري : ولكن القول عندنا أن الباء في قوله : إلا بحبل من الله ، أدخلت لأن الكلام الذي قبل الاستثناء يقتضي في المعنى الباء ، وذلك أن معنى قوله : ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا : ضربت عليهم الذلة بكل مكان ثقفوا فيه ، ثم قال : إلا بحبل من الله وحبل من الناس ، على غير وجه الاتصال بالأول ، ولكنه على الانقطاع عنه ، ومعناه : ولكن يثقفون بحبل من الله وحبل من الناس ، كما قيل في : « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ » فـ « خطأ » وإن كان منصوباً بما عمل فيما قبل الاستثناء فليس قوله باستثناء متصل بالأول ، بمعنى

إلا خطــأ فإن له قتله كــذلك ، ولكن قد يقتله خطــأ ، فكذلك قوله : أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وإن كان الذي جلب الباء التي بعد إلا الفعل الذي يقتضيها قبل إلا فليس الاستثناء بالاستثناء المتصل بالذي قبله ، بمعنى أن القوم إذا لقوا فالذلة زائلة عنهم بل الذلة ثابتة بكل حال ، ولكن معناه ما بيناه آنفا .

وقد آن أن ننتهي من هذا البحث الذي طال بعض الطول ونحمد الله على أنه ألهمنا ما لم يلهم أحداً من قبل . ولعلهم لو امتد بهم العمر إلى أيامنا لأدركوه كما أدركناه ، وسبروا غوره كما سبرناه . ولعل من خير حسن الختام أن ننبه إلى خطأ وقع فيه بعض الأئمة من المتقدمين وجل من تنزه عن الخطأ ، فقد زعم بعض من لا تحصيل له أن المعطوف على جواب الشرط بـ « ثم » لا يجوز جزمه البتة قال : لأن المعطوف عــلى الجواب جواب ، وجواب الشرط يقع بعده وعقبه ، و « ثم » تقتضي التراخي فكيف يتصور وقوعه عقب الشرط ؟ فلذلك لم يجزم مع «ثم» . وهذا فاسد واضح البطلان ، وليس لنا أن نستشهد على بطلانه إلا بقوله تعالى : « وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » فـ « لا يكونوا » مضارع مجزوم نسقاً على « يستبدل » الواقع جواباً للشرط والعاطف ثم . وبهذا يكتمل عقد هذا البحث الذي نزفه إلى العالمين العربي والإسلامي ليستبشروا فالنصر آت ، وزوال هذه الدويلة المسخ وعد تنزلت به الآيات . ونقتبس هذه العبارة للزمخشري فهي خير ما يقال : « وحين رفع كان نفي النصر وعداً مطلقاً كأنه قال : ثم شأنهم وقصتهم التي أخبركم عنها ، وأبشركم بها بعد التولية أنهم مخذولون ، منتفٍ عنهم النصرّ والقوة لا ينهضون بعدها بنجاح ولا يستقيم لهم

أمر ، وكان كما أخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر » ، والله الموفق للصواب .

﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾

اللغــة :

(الآناء) الساعات ، واحدها أنى بفتح الهمزة والنون ، بوزن عصا ، أو إنى بكسر الهمزة وفتح النون بوزن معى ، أو أني بفتح الهمزة وسكون النون بوزن ظبي ، أو إني بكسر الهمــزة وسكون النون بوزن حمل .

الاعراب :

(ليسوا سواء) كلام مستأنف مسوق لبيان التفاوت بين أهل الكتاب ، وليس واسمها وخبرها ، والوقف تام على سواء (من أهل الكتاب أمة قائمة) الجملة مستأنفة أيضاً مسوقة لبيان ما أجمله ، ولتعداد محاسن مؤمنى أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيد وأسيد بن عبيد

وأمثالهم من اليهود الذين أسلموا ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وأمة مبتدأ مؤخر وقائمة صفة ، واختار الفراء أن تكون أمة مرفوعة على أنها فاعل سواء ، ولا أدري كيف استقام له ذلك مع ما فيه من توهين نظام الجملة (يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) جملة يتلون صفة ثانية لأمـــة والواو فاعل يتلون وآيات الله مفعوله وآناء الليل ظرف زمان متعلق بيتلون وهم الواو للحال وهم مبتدأ وجملة يسجدون في محل رفع خبر (يؤمنون بالله واليوم الآخر) الجملة صفة ثالثة لأمة والجار والمجرور متعلقان بيؤمنون واليوم عطف على الله والآخر صفة لليوم (ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات) جمل ثلاث معطوفة على جملة يؤمنون بالله (وأولئك من الصالحين) الواو استئنافية واسم الإشارة مبتدأ والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر اسم الإشارة (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) الواو استئنافية وما شرطية في محل نصب مفعول به مقدم ليفعلوا ويفعلوا فعل الشرط مجزوم والواو فاعل والجار والمجرور في محل نصب على الحال والفاء رابطة ولن حرف نصب ويكفروه فعل مضارع منصوب بلن والواو نائب فاعل والهاء مفعول به ثان وقد نصب فعل كفر مفعولين لأنه تضمن معنى الحرمان والمنع وجملة فلن يكفروه في محـــل جزم جواب الشرط (والله عليم بالمتقين) الواو استئنافية والله مبتدأ وعليم خبره والجار والمجرور متعلقان بعليم •

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ
ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ

فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾

اللغة :

(الصر) بكسر الصاد : الريح الباردة ، كالصّرصر . قال حاتم الطائي :

أوقد فإن الليل ليل قَرّ والريح يا غلام ريح صِر

وسيأتي المزيد عنها في باب البلاغة .

الاعراب :

(إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً) كلام مستأنف مسوق لذكر خلة من خلال اليهود ، وهي حبهم للمال وشراهتهم إليه ، ومعاداتهم من أجله ، على أن خصوص الحديث يفيد عمومه ، فليس الحديث عن بني قريظة والنضير بمانع من شموله لكل من يجعل ديدنه حب المال والتطويح بكل خلق جميل في سبيله ، وإن واسمها ، وجملة كفروا صلة ولن حرف نصب وتغني فعل مضارع منصوب بلن وعنهم جار ومجرور متعلقان بتغني وأموالهم فاعل ولا أولادهم عطف على «أموالهم» ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، لأنه كان في الأصل نعت لقوله شيئاً وتقدم عليه ، وشيئاً مفعول مطلق أو مفعول به وجملة لن تغني في محل رفع خبر إن (وأولئك

أصحاب النار) الواو عاطفة وأولئك اسم إشــارة مبتدأ وأصحاب النار خبره والجملة معطوفة على جملة لن تغني (هم فيها خالدون) هم مبتدأ وفيها جار ومجرور متعلقان بقوله خالدون وخالدون خبر « هم » والجملة خبر ثان لأولئك . (مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا) جملة مستأنفة مسوقة لضرب المثل في بيان كيفية عدم إغناء أموالهم التي كانوا يعولون عليها في دفع المضار النازلة بهم ، ومثل مبتدأ وما اسم موصول فيمحل جر بالإضافة وجملة ينفقون صلة وفي هذه جار ومجرور متعلقان بينفقون والحياة بدل من إسم الإشارة والدنيا صفة للحياة (كمثل ريح فيها صر) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر مثل وريح مضاف اليه وفيها جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقــدم مبتدأ مؤخر والجملة صفة ريــح (أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته) جملة أصابت صفة ثانية لريح ، وحرث قوم مفعول به لأصابت وجملة ظلموا في محل جر صفة لقوم وأنفسهم مفعول به لظلموا فأهلكته عطف عــلى أصابت (وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون) الواو استئنافية وما نافية وظلمهم الله فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر ولكن مخففة من الثقيلة مهملة لمجرد الاستدراك وأنفسهم مفعول به مقدم ليظلمون ويظلمون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعــل .

البلاغــة :

١ ــ التشبيه التمثيلي فقد شبه سبحانه ما أنفقوه في عدم جدواه وقلة غنائه بالحرث الذي عصفت به الريح الصر ، وأصل الكلام : مثل

ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل حرث قوم ظلموا أنفسهم فأصابته ريح فيها صر ، ولكن خولف النظم في المثل المذكور لفائدة جليلة وهي تقديم ما هو أهم لأن الريح التي هي مثل العذاب ذكرها في سياق الوعيد والتهديد أهم من ذكر الحرث ، فقدمت عناية بذكرها ، واعتماداً على أن الأذواق والفطر المستقيمة تستطيع رد الكلام إلى أصله على أيسر وجه . وقد استدل الفقهاء بهذه الآية على أن صدقة الكفار لا تنفع أصحابها ؛ لأن العقيدة هي الأصل ، وعليها الاعتماد ؛ وهذا أسمى ما يصل إليه البيان .

٢ ــ التتميم : وقد تقدم ذكره ، وهو أن يأتي المتكلم بكلمة إذا طرحت من الكلام نقص معناه في ذاته أو صفاته ، والتتميم هنا في كلمة « فيها صر » فإنها أفادت المبالغة كما أفادت التجسيد والتشخيص ، كما تقول : برد بارد وليلة ليلاء ويوم أيوم ، ثم قيد الصر بالظرفية ، لأن الريح مطلقة ثم قيدها بالظرفية ، وكل مقيد ظرف لمطلقه ، لأن المطلق بعض المقيد ، فحصل التجسيد والتشخيص . وهذه من عيون النكت البلاغية ، فاحرص عليها والله يعصمك .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾

اللغــة :

(بطانة) بطانة الرجل بكسر الباء ووليجته من يطلعه على أسراره ثقة به وارتكاناً على مودته . وهو مشبه ببطانة الثوب ، وهي خلاف ظهارته . وفي مختار الصحاح : « وليجة الرجل خاصته وبطانته » ومنه قول الشاعر :

وهم خلصائي كلهم وبطانتي وهم عيبتي من دون كل قريب

(يألونكم) من ألا في الأمر أي قصر فيه . ويتعدى إلى مفعولين ، لأنه يتضمن معنى المنع ، يقال : لا آلوك نصحاً ، أي : لا أمنعك نصحاً . وقيل : هو لازم لا ينصب مفعولاً . وسيأتي ذلك مفصلاً في باب الإعــراب .

(خبالاً) الخبال بفتح الخاء : الفساد ، وأصله ما يلحق الحيوان من مرض وفتور فيورثه فساداً واضطراباً ، يقال : خبله بالتخفيف ، وخبّله بالتشديد ، فهو خابل ومخبّل ، وذاك مجنون ومخبّل .

(عنتم) العنت بفتح العين والنون : شدة الضرر والمشقة .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم) كلام مستأنف مسوق لتحذير المؤمنين من موالاة اليهود ، لما بينهم من أواصر قرابة وصداقة ، والمراد إطلاقه ، فموالاة المستعمر الأثيم لا تجوز مطلقاً .

وقد تقدم إعراب النداء ولا ناهية وتتخذوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل وبطانة مفعول بـه ومن دونـكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لبطانة أي كائنة من غيركم أو من غير أبناء جنسكم ، ويجوز تعليقها بتتخذوا فيكون الجار والمجرور في موضع المفعول به الثاني لتتخذوا ، وعلى الأول مفعول تتخذوا الثاني محذوف إيجازاً ، وتقديره أصفياء أو أولياء (لا يألونكم خبالاً) الجملة مستأنفة كأنها بمثابة البيان لحال البطانة الكافرة العدوة ، وقيل هي صفة ثانية لبطانة ؛ لا نافية ويألونكم فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والكاف مفعول به أول وخبالا مفعول به ثان ، وإذا قلنا الفعل لازم فتكون الكاف في محل نصب بنزع الخافض أي: لا يألون لكم، وخبالاً منصوب أيضاً بنزع الخافض أي : في الخبال ، ولك أن تنصبه على التمييز أو على أنه مصدر في موضع الحال (ودّوا ما عنتّم) الجملة مستأنفة كسابقتها ، وقيل : هي صفة ثالثة لبطانة ، وكلاهما صحيح، وودوا فعل وفاعل وما مصدرية مؤولة مع ما في حيزها بمصدر هو المفعول به أي ودوا عنتكم وضرركم وسوء ثقتكم (قد بدت البغضاء من أفواههم) الجملة مستأنفة أيضاً أو هي صفة رابعة لبطانة ، وقد حرف تحقيق وبدت فعل ماض مبني على الفتح المقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين والبغضاء فاعل ومن أفواههم جار ومجرور متعلقان ببدت وعلقهما أبو البقاء بمحذوف منصوب على الحال ، ومعنى ظهور البغضاء من أفواههم أنهم ينسبون بما ينم على البغضاء المركوزة في سلائقهم وخلالهم (وما تخفي صدورهم أكبر) الواو للحال أو للاستئناف ، فالجملة حالية او مستأنفة وما اسم موصول مبتدأ وجملة تخفي صلة وصدورهم فاعل تخفي وأكبر خبر « ما » (قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون) الجملة مستأنفة تفيد

التعليل مسوقة لتقرير أن الآيات المترادفة جديرة بحملكم على موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه ، وقد حرف تحقيق وبينا فعل ماض وفاعل ولكم جار ومجرور متعلقان ببينا والآيات مفعول به وإن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسم كنتم وجملة تعقلون خبر كنتم ، والجواب محذوف تقديره فلا توادوهم أبداً .

البلاغـة :

١ ــ الاستعارة التصريحية في قوله بطانة إذ هي في الأصل بطانة الثوب المعروفة ثم استعيرت لخصيص الرجل وصفيه الذي يفضي إليه بذات نفسه وخلجات صدره .

٢ ــ الانفصال : وهو أن يقول المتكلم ما يوهم أنه معلوم ظاهر ، ولكنه ينطوي على أمر وراء ذلك ، وهو أبعد غاية وأسمى متناولاً ، وذلك في قوله « من أفواههم » فإن المعلوم أن المرء يعبر عما يكنه بفمه ، والانفصال في ذلك التسجيل عليهم بأنهم لا يتمالكون أن تند عن ألسنتهم ألفاظ تنم على الشعور بالبغضاء والموجدة .

٣ ــ الطباق بين بدت وتخفي .

الفوائـد :

اختلف علماء النحو والبيان في إعراب الجمل الواقعة بعد بطانة ، وقد أجزنا أن تكون مستأنفات على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة من دون جنسكم وأبناء قومكم . وعليه جرى الزمخشري فقال :

« الأحسن والأبلغ أن تكون مستأنفات ، ويجوز أن تكون صفات متعاقبة » . وقد منع الواحدي هذا الوجه لعدم وجود حرف العطف ، وزعم أنه لا يقال : لا تتخذ صاحباً يؤذيك أحب مفارقتكم . على أنه يظهر لي أن الصفة تتعدد بغير عاطف كما يتعدد الخبر نحو « الرحمن ، علم القرآن ، خلق الانسان ، علمه البيان » .

بين ابن هشام والرازي :

تعقب ابن هشام الإمام فخر الدين الرازي بصدد هذه الآية فقال مانصه: « وحصل للإمام فخر الدين في تفسير هذه الآية سهو، فإنه سأل: ما الحكمة في تقديم « من دونكم » على « بطانة » ؟ وأجاب بأنّ محط النهي هو « من دونكم » لا « بطانة » فلذلك قدم الأهم وليست التلاوة كما ذكر .

وأبو حيان وهم وتبعه الصفاقسيّ والحلبيّ :

ومضى ابن هشام في تعقيبه قائلاً : ونظير هذا أن أبا حيان فسر في سورة الأنبياء كلمة « زبراً » بعد قوله تعالى : « وتقطعوا أمرهم بينهم » وإنما هي في سورة المؤمنون ، وترك تفسيرها هناك ، وتبعه على هذا السهو رجلان لخصا من تفسيره إعراباً .

قلت : أراد ابن هشام بالرجلين اللذين شاركا ابا حيان في سهوه هما الصفاقسي وشهاب الدين الحلبي المعروف بالسمين .

﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ ﴾

اللغــة :

(العض) : تحامل الأسنان بعضها على بعض ، وعضه بأسنانه : تناوله، يقال: عضضت بكسر الضاد أعض عضاً وعضيضاً ، والعض كله بالضاد إلا مع الزمان أو نحوه في قولهم : عظ الزمان أي اشتد ، وعظت الحرب أي اشتدت، فإنهما يتبادلانه وللعين والضاد إذا كانتا فاء وعيناً للكلمة خاصة غريبة خاصة ، فهما تفيدان معنى الشدة والإيذاء وما يدخل في معناهما ، قال الأخطل :

ضجوا من الحرب إذ عضت غواربهم وقيس عيلان من أخلاقها الضجر

والعضب الشتم والقطع ، ولا يخفى ما فيهما من شــدة ومن إيذاء وسيف عضب أي : قاطع ، وشاة عضباء : مكسورة القرن ، وعضده شد أزره وساعده ، والمؤمن معضود بتوفيق الله ، قال تعالى : « سنشد عضدك بأخيك » ، وداء معضل : صعب لا يحل ، وبه مرض عضال ، وقد أعيا الأطباء وأعضلهم ، وأعضل الأمر ، وتزوج ذو الإصبع فأتى حيه يسألهم مهرها فمنعوه فقــال :

واحـدة أعضـلكم أمرهـا فكيف لو درت عـلى أربـع

وفلان عضلة من العضل أي داهية من الدواهي . وهذا من أعجب ما يسمع عن هذه اللغـة الشريفة .

(الأنامل) : جمع أنمـلة وهي رأس الاصبع .

الاعراب :

(ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم) جملة مستأنفة مسوقـة لتنبيه المؤمنين عـلى خطئهم بموالاة اليهود ، وها للتنبيه وقرع العصا وأنتم مبتدأ وأولاء خبره ، وقد تقدم أن اسم الإشارة لا بد من ذكره لوجود « ها » التي هي للتنبيه وجملة تحبونهم حالية أو مسـتأنفة كأنها بمثابة البيان لخطئهم وسوء اختيارهم لأصفيائهـم وجملة ولا يحبونكم معطوفة على جملة تحبونهم وأعرب الجلال وغيره أولاء منـادى أي يا هؤلاء فتكون جملة تحبونهم هي الخبر (وتؤمنون بالكتاب كله) يصح أن تكون الواو عاطفة فالجملة معطوفة على جملة تحبونهم، ويصح أن تكون الواو حالية فتكون الجملة نصباً على الحال، وبالكتاب جار ومجرور متعلقان بتؤمنون وكله تأكيد للكتاب ، وفي هذا منتهى التنديد بهم ، لأن مصافاة من لا يحبك أمر يستوجب اللوم والتنديد . هذا وقد منع أبو حيان أن تكون الواو حالية ، لأن المضارع المثبت إذا وقع حالاً لا تدخل عليه واو الحال ، تقول : جاء زيد يضحك ، ولا يجوز : ويضحك ، وانتهى إلى القول : لكن الأولى ما ذكرناه من كونها للعطف (وإذا لقوكم قالوا آمنا) الواو استئنافية وإذا ظرف

لما يستقبل من الزمن متضمن معنى الشرط وجملة لقوكم في محل جر بالإضافة وجملة قالوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وجملة آمنا في محل نصب مقول القول (وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) الواو عاطفة وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن وجملة خلوا في محل جر بالإضافة وخلا فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل وجملة عضوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وعليكم جار ومجرور متعلقان بعضوا والأنامل مفعول به ومن الغيظ جار ومجرور في محل نصب تمييز أي غيظاً ويجوز أن تكون بمعنى اللام فتفيد العلة فيكون الجار والمجرور في محل نصب مفعول لأجله أي من أجل الغيظ (قل موتوا بغيظكم) الجملة مستأنفة وجملة موتوا في محل نصب مقول القول وبغيظكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف نصب على الحال أي متلبسين بغيظكم (إن الله عليم بذات الصدور) الجملة مستأنفة تفيد التعليل للأمر بالموت ، والأسهل أن تكون من جملة المقول فتكون في محل نصب بالقول ، وإن واسمها وخبرها ، وبذات الصدور : جار ومجرور متعلقان بعليم • ومعنى ذات الصدور : المضمرات وخلجات النفوس ، فذات تأنيث ذي ، بمعنى صاحبة الصدور ، وجعلت صاحبة الصدور لأنها لا تنفك عنها •

البلاغة :

١ ـ في هذه الآية فن الكناية ، وعض الأنامل كناية عن صفة • وقد جرت عادة العرب على التعبير عن المغتاظ النادم على مافعل بعض الأنامل والبنان ، وقد طفحت أشعارهم بهذا التعبير ، قال أبو طالب :

وقد صالحوا قوماً علينا أشحة ٭ يعضون عضاً خلفنا بالأباهم

٢ ــ وفي الآية خروج الأمر عن معنــاه الحقيقي الى معنى الدعاء عليهم بديمومة غيظهم ٠

الفوائــد :

ذهب الكوفيون إلى أن أسماء الإشارة إذا أريد بها التقريب كانت من أخوات كان في احتياجها إلى اسم مرفوع وخبر منصوب ، نحو : كيف أخاف الظلم وهذا الخليفة قادماً؟ وكيف أخاف البرد وهذه الشمس طالعة؟، وكذلك كل ماكان فيه الاسم الواقع بعد أسماء الإشارة لا ثاني له في الوجود نحو هذا ابن صياذ أسقى الناس ، فيعربون هذا للتقريب اسماً ناقصاً والمرفوع اسم التقريب والمنصوب خبر التقريب ٠ وهو كلام منطقي ، ولذلك أوردناه للاطلاع عليه ٠

﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾

الاعراب :

(إن تمسسكم حسنة تسؤهم) كلام مستأنف سيق لبيان تناهي عداوتهم وافتنانهم في أصناف العداوات ، وإن شرطية وتمسسكم فعل الشرط مجزوم والكاف مفعول به مقدم وحسنة فاعل مؤخر وتسؤهم

جواب الشرط المجزوم والهاء مفعول به (وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها) جملة معطوفة على الجملة السابقة مماثلة لها في الإعراب (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً) الجملة معطوفة أيضاً وإن شرطية وتصبروا فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل وتتقوا عطف على تصبروا ولا نافية ويضركم جواب الشرط ، وحرك بالضم لاتباع ضمة الضاد . كما هي القاعدة في الفعل المضعف ، وقد تقدمت . ويجوز تحريكها بالفتح لخفتها كما في قراءة ثانية ، وهناك قراءة ثالثة ، وهي : يضركم بكسر الضاد وسكون الراء ، من ضاره يضيره ، أي : ضرّه ، والكاف مفعول به وكيدهم فاعل وشيئاً مفعول مطلق أي شيئاً من الضرر (إن الله بما يعملون محيط) جملة مستأنفة تفيد التعليل وإن واسمها ، ومحيط خبرها وبما جار ومجرور متعلقان بمحيط وجملة يعملون لا محل لها لأنها صلة الموصول .

البلاغــة :

في الآية استعارة مكنية جميلة ، فقد استعير المس للحسنة ، وهي لا تمس الإنسان للدلالة على أنها أقل تمكناً من الإصابة ، إشارة إلى أن الكافرين يستاءون مما يصيب المؤمنين من خير ، وإن سنح لهم سنوحاً أو مر بهم مروراً عارضاً . أما إذا تمكنت السيئة منكم واجتاحتكم فلا تسل عن مدى فرحهم وسرورهم وهذا من بديع الكلام الذي تتقطع دونــه الأعناق .

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى

ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾

اللغــة :

(غدوت) الغدو : الخروج أول النهار يقال : غدا يغدو أي خرج غدوة ويستعمل غدا بمعنى صار فيكون ناقصاً يرفع الاسم وينصب الخبر ومثلها راح وعاد ورجع وآض وارتد وقعد وتحول واســتحال وكلها بمعنى صار وملحقة بها في العمل . قال لبيد :

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه   يحور رماداً بعد إذ هو ساطع

فيحور هنا ناقصة بمعنى صار واسمها ضمير مستتر تقديره هو يعود على المرء ورماداً خبرها وفي الحديث الشريف : « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً » أي تذهب في الصباح جائعة وترجع في المساء وقد شبعت وامتلأت بطونها أما في الآية فهي محتملة للمعنيين كما سيأتي (تبوىء) تنزل .

الاعراب :

(وإذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنــين مقاعــد للقتال) الواو استئنافية أو عاطفة على مقدم وعلى كل حال فالجملة مسوقة ليذكر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بيوم أحد ليتذكروا ما وقع في هذا اليوم في هذه الحالات الشاذة من عدم الصبر وكيف غدا النبي إلى أحد من

حجرة عائشة كما سيأتي في باب الفوائد والظرف متعلق بمحذوف أي اذكر وجملة غدوت في محل جر بإضافة الظرف إليها والتاء إما فاعل غدوت وإما اسمها في رأي من أعملها عمل صار والجار والمجرور متعلقان بغدوت على الأول وبمحذوف حال على الثاني وجملة تبوىء حالية على الأول من فاعل غدوت أو خبر غدوت والمؤمنين مفعول به لتبوىء ومقاعد مفعول به ثان لتبوىء وللقتال جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمقاعد أي مقاعد مهيأة للقتال (والله سميع عليم) الواو استئنافية والله مبتدأ وسميع عليم خبراه (إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا) إذ ظرف لما مضى من الزمن بدل من إذ الأولى أي اذكر ذلك الوقت وهو يوم أحد وجملة همت في محل جر بالإضافة وطائفتان فاعل همت ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لقوله طائفتان وأن حرف مصدري ونصب وتفشلا فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة وألف الاثنين فاعل وأن وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بهمت لأنه يتعدى بالباء والتقدير بأن تفشلا ولك في محلها وجهان النصب على نزع الخافض والجر ، (والله وليهما) لك في الواو أن تجعلها حالية فتكون الجملة في محل نصب على الحال ولك أن تجعلها مستأنفة والله مبتدأ ووليهما خبر (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) الواو عاطفة وعلى الله جار ومجرور متعلقان بيتوكل والفاء هي الفصيحة لأنها دخلت لمعنى الشرط والمعنى إذا حزب الأمر وصعب فتوكلوا والمؤمنون فاعل .

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾

اللغــة :

(بدر) اسم ماء بين مكة والمدينة ، وقد كان هذا الماء لرجل اسمه بدر ، فسمي به . وعنده جرت الوقعة الموسومة بهذا الاسم ، في السابع عشر من شهر رمضان ، في السنة الثانية للهجرة .

(فورهم) : الفور : العجلة والسرعة ، وهو مصدر من فارت القدر إذا غلت فاستعير للسرعة ، ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ولا إبطاء ولا تعريج على شيء .

(مسومين) معلمين بعلامة واضحة . وقد قرئت بصيغة اسم الفاعل وبصيغة اسم المفعول .

الاعراب :

(ولقد نصركم الله ببدر) الواو استئنافية واللام واقعة في جواب قسم محذوف وقد حرف تحقيق ونصركم الله فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر وببدر جار ومجرور متعلقان بنصركم . والجملة مستأنفة

مسوقة لتسلية المؤمنين عما لحق بهم من ضرر في غزوة أحد ، وتذكيرهم بنعمة الله ، وللإشارة بأن هزيمتهم في أحد كانت بسبب مخالفة النبي في الصمود والثبات وأن الحلاوة قد تعتريها مرارة وأن الجنات حفت بالمكاره (وأنتم أذلة) الواو للحال وأنتم مبتدأ وأذلة خبر والجملة في محل نصب على الحال (فاتقوا الله لعلكم تشكرون) الفاء الفصيحة واتقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والله مفعول به ولعل واسمها ، وجملة تشكرون خبرها وجملة الرجاء في محل نصب حال (إذ تقول للمؤمنين) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بنصركم أو بدله من « إذ » الأولى ، لأن الكلام هنا في صدد غزوة أحد . وجملة تقول في محل جر بالإضافة وللمؤمنين جار ومجرور متعلقان بتقول (ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم) الجملة الاستفهامية في محل نصب مقول قوله صلى الله عليه وسلم والهمزة للاستفهام الإنكاري كأنهم كانوا كالآيسين من النصر ، ولن حرف ناصب ويكفيكم فعل مضارع منصوب بلن والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به وأن حرف مصدرية ونصب ويمدكم فعل مضارع منصوب بها وأن وما في حيزها في تأويل مصدر فاعل يكفيكم وربكم فاعل يمدكم (بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) بثلاثة الجار والمجرور متعلقان بيمدكم ، وآلاف مضاف إليه ، ومن الملائكة جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لثلاثة آلاف ومنزلين صفة ثانية (بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا) بلى حرف جواب لإيجاب النفي في قوله : ألن يكفيكم ، والمعنى يكفيكم الإمداد بالملائكة . ولكن ذلك مرهون بشروط لا بد من تأديتها وهي الصبر والتقوى . وإن شرطية وتصبروا فعل الشرط مجزوم بحذف النون والواو فاعل وتتقوا عطف على تصبروا ويأتوكم عطف أيضاً ومن فورهم جار ومجرور متعلقان بيأتوكم وهذا اسم إشارة في محل

جر صفة لفوركم أو بدل منه والجملة كلها مستأنفة مسوقة لتعيين شروط الإمداد (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) يمددكم جواب الشرط والكاف مفعول به وربكم فاعل ومن الملائكة جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لخمسة آلاف ومسومين صفة ثانية .

البلاغة :

الكناية في قوله تعالى : « وأنتم أذلة » عن ضعف حالتهم وضآلة عددهم وعددهم : ذكر التاريخ أنهم خرجوا يعتقب النفر منهم على البعير الواحد ، وما كان معهم إلا فرس واحد يوم بدر .

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾

اللغة :

(طرفاً) : أراد به الجانب أو الطائفة منهم .

(يكبتهم) : يخزيهم ويغيظهم من الكبت وهو الإصابة بالمكروه ، وقيل : هو الصرع للوجه واليدين . وعلى هذين المعنيين تكون التاء أصلية ، وليست بدلاً من شيء بل هي مادة مستقلة بذاتها . وقيل التاء بدل من الدال ، وأصله كبده إذا أصابه بمكروه أثر في كبده وجعاً ، كقولك رأسته إذا ضربت رأسه . ويدل على ذلك قراءة بعضهم : أو

يكبدهم ، بالدال . والعرب قد تبدل التاء من الدال ، ولعل أبا الطيب المتنبي قد رمق هذا الإبدال فلاءم بين لفظين ملاءمة غريبة عندما قال :

لأكبت حاسداً وأري عـدواً كأنهمـا وداعك والرحيـل

فقد لاحظ أبو الطيب إبدال التاء من الدال فتوهمها لأكبد ، وناسب أن يأتي بأري من الوري ، وهو إصابة الرئة يقال : وراه الحب ريا وتوريـة ، وهو فساد الجوف من حزن أو صبابة ، قـال عبـد بني الحسحاس :

وراهن ربي مثلما قد ورنيني وأحمي عـلى أكبادهن المكاويا

ومنه الحديث الشريف « لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً حتى يريه » . وهـذا من أوابد أبي الطيب التي لا تلحق .

الاعراب :

(وما جعله الله إلا بشرى لكم) كلام مستأنف مسوق لشرح كيفية النصر والواو استئنافية وما نافية وجعله الله فعل ماض ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر وإلا أداة حصر وبشرى مفعول به ثان إذا كان الجعـل هنا بمعنى التصيير ، ولك أن تعتبر الجعل هنا بمعنى الخلق فتكون متعدية لواحد ، وبشرى منصوب على أنه استثناء من أعم العلل فهو مفعول لأجله وقد استوفى شروط النصب ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لبشرى (ولتطمئن قلوبكم به) الواو عاطفة واللام للتعليـل وتطمئن فعـل مضارع منصوب بأن المضمـرة بعـد لام التعليـل والجـار والمجـرور في محـل نصب عطف عـلى

بشرى وجر باللام لاختلال شرط من شروط النصب وهو عدم اتحاد الفاعل فإن فاعل الجعل هو الله تعالى وفاعل الاطمئنان القلوب ، ولك أن تعلق الجار والمجرور بفعل محذوف تقديره : فعل هذا لتطمئن قلوبكم ، وقلوبكم فاعل تطمئن وبه جار ومجرور متعلقان بتطمئن (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) الواو استئنافية وما نافية والنصر مبتدأ وإلا أداة حصر ومن عند الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر والعزيز الحكيم صفتان لله تعالى (ليقطع طرفاً من الذين كفروا) اللام للتعليل ويقطع فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والجار والمجرور متعلقان بنصركم في قوله « ولقد نصركم الله ببدر » ، وقيل بمحذوف تقديره أمدكم ونصركم ، ورجح أبو حيان أن يكونا متعلقين بأقرب مذكور وهو العامل في قوله : « من عند الله » كأن التقدير : وما النصر إلا كائن من عند الله لا من عند غيره ، لأحد أمرين : إما قطع جانب من الكفار بقتل وأسر ، وإما بخزي وانقلاب بخيبة . وطرفاً مفعول به ومن الذين جار و مجرور متعلقان بمحذوف صفة وجملة كفروا لا محل لها لأنها صلة الموصول (أو يكبتهم فينقلبوا خائبين) أو حرف عطف ويكبتهم فعل مضارع معطوف على يقطع والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به والفاء حرف عطف وينقلبوا عطف على يكبتهم وخائبين حال وعلامة نصبه الياء لأنه جمع مذكر سالم .

البلاغة :

الاستعارة التصريحية التبعية في قوله : « ليقطع طرفاً » فقد شبه من قتل منهم وتفرق بالشيء المقتطع الذي تفرقت أجزاؤه واختل نظامه .

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾

الاعراب :

(ليس لك من الأمر شيء) كلام مستأنف مسوق لتهوين الأمر على النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما أصيب به في غزوة أحد وليس فعل ماض ناقص ولك جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ليس المقدم ومن الأمر جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وشيء اسم ليس المؤخر (أو يتوب عليهم) أو حرف عطف ويتوب فعل مضارع معطوف على اسم خالص من التقدير بالفعل فهو منصوب بأن مضمرة بعد العاطف وهو أو ، وسيأتي في باب الفوائد ، وعليهم جار ومجرور متعلقان بيتوب (أو يعذبهم) عطف على يتوب (فإنهم ظالمون) الفاء للتعليل وإن واسمها وخبرها والجملة التعليلية لا محل لها لأنهابمثابة الاستئنافية (ولله ما في السموات وما في الأرض) الواو استئنافية ولله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وما اسم موصول في محل رفع مبتدأ مؤخر وفي السموات جار ومجرور متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة وما في الأرض عطف على ما في السموات (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) الجملة الفعلية في محل نصب حال لوقوعها بعد المعرفة ولمن جار ومجرور متعلقان بيغفر ويشاء فعل مضارع مرفوع وفاعله هو والجملة صلة الموصول وجملة يعذب من يشاء عطف عليها ومن اسم موصول في محل

نصب مفعول به (والله غفور رحيم) الواو استئنافية والله مبتدأ وغفور خبره الأول ورحيم خبره الثاني •

الفوائد :

ينصب الفعل المضارع بأن مضمرة جوازاً بعد عاطف مسبوق باسم خالص من التقدير بالفعل ، وأحرف العطف المختصة بذلك أربعة وهي: الواو والفاء وأو وثم • ومن ذلك قول ميسون بنت بحدل :

ولبس عباءة وتقر عيني أحب إلي من لبس الشفوف

هذا ويجوز أن تكون « أو » بمعنى « إلى » فيكون الفعل منصوباً بأن مضمرة وجوباً بعد أو •

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة) كلام مستأنف مسوق للنهي عن الربا والإمعان في تخويف المؤمنين ، قال أبو حنيفة رحمه

الله : هذه الآيات أخوف آيات القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين • ولا ناهية وتأكلوا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والواو فاعل والربا مفعول به وأضعافاً حال ومضاعفة صفة وجاءت الصفة لتنفي القلة التي يعبر عنها جمع القلة وهو وزن : أفعال ، وقيل : الصفة إشارة إلى تكرير التضعيف عاماً بعد عام • والمبالغة في هذه العبارة تفيد التوبيخ (واتقوا الله لعلكم تفلحون) الواو عاطفة واتقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والله مفعوله ولعل واسمها، وجملة تفلحون خبرها وجملة الرجاء حالية (واتقوا النار التي أعدت للكافرين) واتقوا عطف على ما تقدم والنار مفعول بـه والتي اسم موصول في محل نصب صفة وجملة أعدت صلة الموصول وللكافرين جار ومجرور متعلقان بأعدت (وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) الواو عاطفة وأطيعوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والله مفعول به والرسول عطف على الله ولعل واسمها ، وترحمون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل والجملة خبر لعل ، وجملة الرجاء حالية •

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ
وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ
وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ
﴿١٣٤﴾ ﴾

اللغــة :

(الكاظمين) اسم فاعل من كظم الغيظ وهو أن ينطوي على نفسه ويسك على ما فيها معتصماً بالصبر ، وأصله من كظم القربة إذا ملأها وسد فاها لئلا يندلق ما فيها .

الاعراب :

(وسارعوا إلى مغفرة من ربكم) الواو عاطفة وسارعوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وإلى مغفرة جار ومجرور متعلقان بسارعوا ومن ربكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمغفرة (وجنة عرضها السموات والأرض) وجنة عطف على مغفرة وعرضها مبتدأ والسموات خبر والأرض عطف على السموات والجملة الاسمية صفة لجنة (أعدت للمتقين) الجملة الفعلية صفة لجنة أيضاً وأعدت فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل هي وللمتقين : جار ومجرور متعلقان بأعدت (الذين ينفقون في السراء والضراء) اسم الموصول نعت للمتقين وجملة ينفقون صلة الموصول وفي السراء جار ومجرور متعلقان بينفقون والضراء عطف على السراء (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس) عطف على المتقين والغيظ مفعول لاسم الفاعل الكاظمين ، والعافين عطف أيضاً وعن الناس جار ومجرور متعلقان بالعافين (والله يحب المحسنين) الواو استئنافية والله مبتدأ ويحب فعل مضارع والمحسنين مفعول به والجملة خبر .

البلاغــة :

اشتملت هذه الآية على فن جليل القدر وهو التنكيت في التشبيه ،

وحده أن يقصد المتكلم إلى شيء بالذكر دون غيره مما يسد مسده لأجل نكتة ، وإذا وقع في التشبيه فقد بلغ الغاية ، وهو هنا في قوله تعالى : « عرضها السموات والأرض » ، فقد أراد وصفها بالسعة فخص عرضها بالذكر دون الطول ، وإنما عدل عن ذكر الطول لأن المستقر في البداءة والأذهان أن الطول أدل على السعة فإذا كان عرضها مما يسع السموات والأرض فما بالك بطولها !

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾

الاعراب :

(والذين إذا فعلوا فاحشة) الواو عاطفة أو استئنافية والذين عطف على المتقين أي أعدت للمتقين والمنفقين وللتائبين . ويجوز أن يكون « الذين » مبتدأ خبره « أولئك » كما سيأتي ، وإذا ظرف مستقبل وجملة فعلوا في محل جر بالإضافة وفاحشة مفعول به (أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله) أو حرف عطف وظلموا عطف على فعلوا وأنفسهم مفعول به وجملة ذكروا الله لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (فاستغفروا لذنوبهم) الفاء عاطفة واستغفروا عطف على ذكروا أي تابوا عنها ،

ولذنوبهم جار ومجرور متعلقان باستغفروا (ومن يغفر الذنوب إلا الله) الواو استئنافية ومن استفهامية ومعنى الاستفهام هنا النفي وهي في محل رفع مبتدأ وجملة يغفر خبر والذنوب مفعول به وإلا أداة حصر والله بدل من الضمير في يغفر أي من الفاعل المستتر (ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) عطف على استغفروا ، ولم حرف جازم ، ويصروا فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف النون ، على ما فعلوا جار ومجرور متعلقان بيصروا ، وجملة فعلوا صلة ، وهم : الواو حالية وهم مبتدأ وجملة يعلمون خبر ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من ضمير يصروا . (أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم) أولئك اسم إشارة في محل رفع مبتدأ وجزاؤهم مبتدأ ثان ومغفرة خبر جزاؤهم والمبتدأ الثاني وخبره خبر اسم الإشارة . وإذا أعربنا الذين مبتدأ كانت الجملة خبراً للموصول . ومن ربهم صفة لمغفرة (وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) وجنات عطف على مغفرة وجملة تجري من تحتها الأنهار صفة لجنات وخالدين حال وفيها جار ومجرور متعلقان بخالدين (ونعم أجر العاملين) الواو استئنافية ونعم فعل ماض جامد لإنشاء المدح وأجر العاملين فاعل نعم مضاف لمقترن بأل والمخصوص بالمدح محذوف تقديره نعم أجر العاملين ذلك ، يعني المغفرة في الجنات .

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾

اللغـــة :

(سنن) طرائق جمع سنة ، وهي الطريقة والعادة . ومعنى خلوها

مضيها وأصل الخلو في اللغة الانفراد ، والمكان الخالي هو المنفرد عمن فيه ، ويستعمل أيضا في الزمان بمعنى المضي ، لأن ما مضى انفرد عن الوجود وخلا عنه ، وكذلك الأمم الخالية أي الماضية •

الاعراب :

(قد خلت من قبلكم سنن) كلام مستأنف مسوق لتسلية المؤمنين عما أصابهم من الحزن والكآبة ، وتتمة لتفصيل بقية قصة أحد ، فإنه لا ينال أحد الخير حتى يمهره بالتضحية والصبر والجهاد • وقد حرف تحقيق وخلت فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين ومن قبلكم جار ومجرور متعلقان بخلت وسنن فاعل (فسيروا في الأرض) الفاء الفصيحة وهي التي تقع جواباً لشرط مقدر لأن المعنى مترتب عليه ، أي إذا شككتم فسيروا في الأرض لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم ، وسيروا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بسيروا والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط مقدر غير جازم (فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) الفاء حرف عطف وانظروا معطوف على سيروا وكيف اسم استفهام في محل نصب خبر كان المقدم وكان عاقبة كان واسمها ، والمكذبين مضاف إليه والجملة الاستفهامية في محل نصب مفعول انظروا (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) كلام مستأنف والبيان هنا الدلالة التي تفيد إماطة الشبهة الحاصلة ، وهذا مبتدأ وبيان خبره وللناس جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لبيان وهدى معطوف على بيان وكذلك موعظة وهو من عطف الخاص على العام ، وللمتقين جار ومجرور متعلقان بموعظة أو بمحذوف صفة لها •

البلاغـة :

المجاز في قوله : « فسيروا في الأرض » والعلاقة في هذا المجاز ما تؤول اليه أمر السير في الأرض ، وتملّي الآثار المعروضة ، واستجلاء ما تركه الأولون من مخلفات ينبغي الاستبصار بها . وقد رمق أبو الطيب سماء هذا المجاز الرفيع بقوله :

تتخلف الآثار عن أصحابها حيناً ويدركها الفناء فتتبع

ثم تساءل :

أين الذي الهرمان من بنيانه ؟ ما قومه ؟ ما يومه ؟ ما المصرع

﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾

اللغـة :

(تهنوا) تضعفوا ، وأصله توهنوا ، فحذفت الواو لوقوعها بين

ياء وكسرة في الأصل . لأن الفعل وهن بالفتح في الماضي وبالكسر في المضـــارع •

(القرح) : بفتح القاف وتضم أيضاً ، وقيل : هو بالفتح الجراح وبالضم ألمها ، وقد قرىء بهما •

(نداولها) نصرفها بين الناس نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء ، ودالت له الدول ، ودالت الأيام ، وأدال الله بني فلان من عدوهم جعل الكرة لهم عليه •

قال أبو البقاء الرندي يرثي الأندلس :

هي الأمور كما شاهدتها دول ... من سره زمن ساءته أزمان

(التمحيص) التصفية والتطهير •   (يمحق) يهلك •

الاعراب :

(ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون) الواو عاطفة والكلام معطوف على المفهوم من قوله : فسيروا ، ولا ناهية وتهنوا فعل مضارع مجزوم بلا ولا تحزنوا عطف أيضاً وأنتم الواو حالية وأنتم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ والأعلون خبره مرفوع بالواو لأنه جمع مذكر سالم والجملة نصب على الحال (إن كنتم مؤمنين) إن شرطية وكان فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها ومؤمنين خبرها وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي فلا تهنوا وجملة الشرط استئنافية (إن يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله) كلام مستأنف مسوق لتسلية المؤمنين أيضاً ،وإن شرطية ويمسسكم فعل الشرط والكاف مفعول به وقرح فاعل يمسسكم وجواب الشرط محذوف أي

فتأسوا وتسلوا . ومن أعرب فقد مس القوم هو الجواب غلط لأن الماضي معنىً لا يكون جواباً ، والتعليق لا يكون إلا في المستقبل . فقد الفاء عاطفة وقد حرف تحقيق ومس القوم عطف على الجواب المحذوف ومس فعل ماض والقوم مفعول به مقدم وقرح فاعل مؤخر ومثله نعت لقرح (وتلك الأيام نداولها بين الناس) الواو استئنافية واسم الإشارة مبتدأ والأيام بدل منه وجملة نداولها خبر والهاء مفعول به وبين الناس ظرف مكان متعلق بنداولها . ويجوز إعراب الأيام خبراً لاسم الإشارة وجملة نداولها حالية والعامل فيها معنى اسم الإشارة أي يشير إليها حالة كونها مداولة (وليعلم الله الذين آمنوا) الواو عاطفة على المعلل المحذوف ، والتقدير فعلنا ذلك ليتعظوا ، وليعلم اللام للتعليل ويعلم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة والله فاعل والذين اسم موصول مفعول به وآمنوا فعل ماض مبني على الضم والجملة صلة (ويتخذ منكم شهداء) الواو عاطفة ويتخذ فعل مضارع معطوف على يعلم ومنكم جار ومجرور متعلقان بيتخذ أو بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لشهداء وشهداء مفعول به (والله لا يحب الظالمين) الواو اعتراضية والجملة معترضة بين هذه العلل المتعاقبة والله مبتدأ وجملة لا يحب الظالمين خبر (وليمحص الله الذين آمنوا) الجملة معطوفة على العلل المتقدمة والله فاعل والذين اسم موصول مفعول به وجملة آمنوا صلة (ويمحق الكافرين) عطف على ما سبق من العلل .

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾

الاعراب :

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) أم عاطفة منقطعة بمعنى بل ، وقد تقدم بحثها ، والكلام معطوف على ما تقدم على طريق الإضراب عن التسلية الى طريق التوبيخ ، والهمزة التي في ضمنها للإنكار ، وحسب فعل ماض بمعنى ظن والتاء فاعل وأن وما بعدها سدت مسد مفعوليها ، والمعنى : لا تحسبوا أو لا يدر بخلد أحد منكم أنكم تدخلون الجنة من دون جهاد وصبر ، والجنة مفعول به على السعة أو منصوب بنزع الخافض (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) الواو حالية ولما جازمة ويعلم فعل مضارع مجزوم والله فاعل والذين اسم موصول مفعول به وجملة جاهدوا صلة لا محل لها ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال والجملة نصب على الحال (ويعلم الصابرين) قرأ السبعة بفتح الميم ، فالواو للمعية ويعلم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد واو المعية والفاعل هو والصابرين مفعول به وقد تقدم النفي عليها ونفي العلم بالنسبة الى الله كناية عن نفي المعلوم وهما الجهاد والصبر . ومن العجيب أن يتنطع بعض المعربين القدامى فيقول : إن الفتحة فتحة التقاء الساكنين والفعل مجزوم عطفاً على « يعلم » الأولى ، فلما وقع بعده ساكن آخر احتيج إلى تحريك آخره فكانت الفتحة أولى لأنها أخف ، إذ لا يجوز حمل القرآن على الوجوه المرجوحة (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه) الواو استئنافية واللام جواب لقسم محذوف وقد حرف تحقيق وكنتم كان الناقصة واسمها ، وجملة تمنون خبرها وأصل تمنون تتمنون فحذفت إحدى التاءين والموت مفعول به من قبل جار ومجرور متعلقان بتمنون وأن تلقوه أن حرف مصدري ونصب وتلقوه فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون

والواو فاعل والهاء مفعول به والمصدر المؤول مضاف إليه (فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) الفاء عاطفة وقد حرف تحقيق وأيتموه فعل وفاعل ومفعول به والواو لإشباع الضمة وأنتم الواو حالية وأنتم مبتدأ وجملة تنظرون خبر ولا بد من تقدير مضاف أي : سبب الموت •

الفوائـد :

كان المسلمون في الصدر الأول يتمنون الموت لا ليخلو الجو لعدوهم ولكن لنيل كرامة الاستشهاد مع ضمان التفوق والغلبة ، وهذا تنبيه لا بد منه لئلا يتساءل متنطع : كيف يجوز تمني الشهادة في تمنيها غلبة للكافر على المسلم ، فقد كان ديدن الصحابة رضوان الله عليهم الاستشهاد في سبيل الله ولا ننسى بكاء خالد بن الوليد عندما حضره الموت ، لأنه مات على فراشه ؟ وقال عبد الله بن رواحة حين نهـد إلى حرب مؤتـة :

لكنني أسأل الرحمن مغفـرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
أو طعنة بيـدي حران مجهزة بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقولوا إذا مروا على جدثي أرشدك الله من غاز وقد رشدا

ومعنى قوله : ذات فرغ أي : ذات سعة ، والفرغ الدلو ، أي : تحدث في جسمي ما يشبه الدلو الممتلئة بالماء • والحران : العطشان الظامىء إلى دمي •

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ

ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾

اللغـة :

(الأعقاب) جمع عقب وهو مؤخر القدم ، والانقلاب على الاعقاب : الإدبار والفرار .

الاعراب :

(وما محمد إلا رسول) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق لبيان أن موت محمد صلى الله عليه وسلم أو قتله لا يوجب ضعفاً أو تراخياً في دينه . وما نافية ومحمد مبتدأ وإلا أداة حصر ورسول خبر (قد خلت من قبله الرسل) الجملة صفة لرسول وقد حرف تحقيق وخلت فعل ماض مبني على الفتحة المقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين ومن قبله جار ومجرور متعلقان بخلت والرسل فاعل (أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) الهمزة للاستفهام الإنكاري والفاء للعطف وقد أتت متأخرة ورتبتها التقديم لأن الهمزة لها الصدارة ، وقد ذكرنا سابقاً أن الزمخشري ومن نحا نحوه يقدرون بينهما فعلاً محذوفاً تعطف عليه الفاء ما بعدها ، والتقدير : أتؤمنون به في غضون حياته فإن مات ارتددتم ، وكلاهما صحيح . وفائدة العطف تعلق الجملة الشرطية بما قبلها على معنى التسبب ، وإن شرطية ومات فعل ماض في محل جزم فعل الشرط أو قتل عطف على مات وانقلبتم فعل ماض في محل جزم جواب الشرط وعلى أعقابكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف

حال ، وسيأتي المزيد من البحث في باب البلاغة عن هذا القصر (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً) الواو استئنافية ومن شرطية مبتدأ وينقلب فعل الشرط وعلى عقبيه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال والفاء رابطة لجواب الشرط ويضر فعل مضارع منصوب بلن والله مفعول به وشيئاً مفعول مطلق وجملة فلن يضر في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر « من » (وسيجزي الله الشاكرين) الواو استئنافية ويجزي فعل مضارع مرفوع والله فاعل والشاكرين مفعول به .

البلاغة :

في قوله : « وما محمد إلا رسول » فن القصر وهو في اللغة الحبس ، وفي الاصطلاح تخصيص أحد الأمرين على الآخر ونفيه عما عداه وهو يقع للموصوف على الصفة وبالعكس ، والآية من النوع الأول أي أن محمداً صلى الله عليه وسلم مقصور على الرسالة لا يتعداها الى البعد عن الهلاك بناء على استعظام الصحابة أن لا يبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم فكأنهم أثبتوا له وصفين : الرسالة وعدم الهلاك ، فخصص بقصره على الرسالة ، فهو من إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر ، وهو قصر إفراد ، رداً على من يدعي أمرين أو أحدهما بلا ترجيح ، وهو على كل حال من باب القصر القلبي ، لأنهم لما انقلبوا على أعقابهم فكأنهم اعتقدوا أنه رسول لا كسائر الرسل في أنه يموت كما ماتوا وأنه يجب عليهم التمسك بدينه بعده كما يجب التمسك بأديانهم بعدهم .

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾

اللغـة :

(مؤجلاً) مؤقتاً لا يتقدم ولا يتأخر ، من أجل الشيء أو أجله بالتشديد والتخفيف ، أي ضرب له أجلاً لا محيد عنه .

الاعراب :

(وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله) كلام مستأنف مسوق لتحقيق ما تقدم وهو أن كل نفس لن تموت إلا بمشيئة الله وأن أحداً لا يموت قبل بلوغ أجله وإن طوح بنفسه وخاض المعارك . والواو استئنافية وما نافية وكان فعل ماض ناقص ولنفس جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كان المقدم وأن تموت المصدر المنسبك من أن وما في حيزها اسمها المؤخر وإلا أداة حصر وبإذن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وهو استثناء مفرغ من أعم الاحوال والتقدير : وما كان لها أن تموت إلا مأذوناً لها (كتاباً مؤجلاً) كتاباً مصدر منصوب على المفعولية المطلقة المفيدة لتأكيد مضمون الجملة التي قبله لأن المعنى كتب الموت كتاباً ومؤجلاً صفة واختار ابن عطية أن يكون منصوباً على التمييز ، وقيل : هو منصوب على الإغراء ولا داعي لهذا التكلف

البعيد (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة للحديث عن الذين تركوا مراكزهم وطلبوا الغنائم ومن شرطية في محل رفع مبتدأ ويرد فعل الشرط وثواب الدنيا مفعول به ونؤته جواب الشرط وعلامة جزمه حذف حرف العلة والهاء مفعول به وجملة فعل الشرط وجوابه خبر من وقد تقدم تقرير ذلك وفيها جار ومجرور متعلقان بنؤته (ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) تقدم إعراب هذه الآية (وسنجزي الشاكرين) الواو استئنافية وسنجزي فعل مضارع مرفوع وفاعله نحن والشاكرين مفعول به والجملة استئنافية لامحل لها.

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾

اللغة :

(ربيون) ربانيون نسبة الى الرب ، وقد تقدم بحثها ووردت في اللغة بتثليث الراء والفتح هو القياس والضم والكسر من تغييرات النسب .

(استكانوا) : ضعفوا وذلوا والاستكانة الانكسار والوهن وأصل هذا الفعل استكن من السكون لأن السكون الذل وأصله : (استكون) فنقلت الفتحة الى الكاف ثم قلبت الواو ألفاً .

الاعراب :

(وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير) كأين خبرية بمعنى كم

الخبرية وهي في محل رفع مبتدأ ومن نبي تمييز كأين وتنوينه للتكثير أي كثير من الأنبياء وجملة قاتل خبر كأين ومعه ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم وربيون مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية نصب على الحال (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله) الفاء عاطفة وما نافية ووهنوا فعل ماض مبني على الضم والواو فاعل ولما اللام حرف جر وما اسم موصول في محل جر باللام والجار والمجرور متعلقان بوهنوا وجملة أصابهم صلة وفي سبيل الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ولك أن تجعل ما مصدرية والمصدر المنسبك من ما وما في حيزها مجرور باللام (وما ضعفوا وما استكانوا) عطف على « ما وهنوا » . (والله يحب الصابرين)الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة يحب الصابرين خبر .

الفوائـد :

(كأين) بمعنى كم في الاستفهام والخبر . وهي مركبة من كاف التشبيه ومن أي الاستفهامية وقد حدث فيها بعد التركيب معنى التكثير المفهوم من كم الخبرية ، ولا تتعلقان بشيء لأنهما صارتا بمنزلة كلمة واحدة ولذلك رأى أبو حيان أن تكون « كأين » كلمة بسيطة غير مركبة ، ولم أجد من يؤيده وإن كان رأيه جميلاً سهلاً وهي توافق كم الخبرية في خمسة أمور : ١ ــ الإبهام ٢ ــ الافتقار إلى التمييز ٣ــ البناء ٤ــ لزوم التصدير ٥ــ إفادةالتكثير أو التكثير تارةوالاستفهام تارة أخرى. قال أبي لابن مسعود كأين تقرأ سورة الأحزاب آية؟ قال : ثلاثاً وسبعين . وتخالف كم في خمسة أمور ١ ــ أنها مركبة وكم بسيطة ٢ ــ أن مميزها مجرور بمن غالباً حتى زعم بعضهم لزومه وهو مردود بما رواه سيبويه ويونس أنهما سمعا من يقول كأي رجلاً ٣ ــ أنها لا

تقع استفهامية عند الجمهور ٤ ـ أنها لا تقع مجرورة فلا تقول بكأين تبيع هذا ؟ وأجازه بعضهم ٥ ـ أن خبرها لا يقع مفرداً ، قال زهير :

وكائن ترى من صامت لك معجب   زيادته أو نقصه في التكلم

وقال الخليل وسيبويه : هي « أي » دخلت عليها كاف التشبيه وثبتت معها فصارت بعد التركيب بمعنى كم وصورت في المصحف نوناً لأنها كلمة نقلت عن أصلها فغير لفظها لتغير معناها ، فتصرفت فيها العرب بالقلب والحذف فصار فيها أربع لغات قرىء بها : احداها « كائن » كقول زهير ، والثانية كأي مثل كَعَـيِّن وهو الأصل ، والثالثة كأين مثل كعين ، والرابعة كيئن بياء ساكنة بعدها همزة مكسورة .

﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾

الاعراب :

(وما كان قولهم إلا أن قالوا) الواو عاطفة والكلام معطوف على ما تقدم لبيان محاسنهم القولية بعد أن أثبتوا محاسنهم الفعلية ، وما نافية وكان فعل ماض ناقص وقولهم خبرها المقدم واسمها أن المصدرية وما في حيزها ، وقرأ ابن كثير وعاصم برفع « قولهم » على أنه اسم كان

والخبر أن وما في حيزها ، وإلا أداة حصر والاستثناء مفرغ من أعم الأشياء (ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا) ربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء وجملة اغفر في محل نصب مقول القول ولنا جار ومجرور متعلقان باغفر وذنوبنا مفعول به وإسرافنا عطف عليه ، في أمرنا جار ومجرور متعلقان باسرافنا وإنما نسبوا الإسراف الى أنفسهم هضماً لها وقدموا طلب الغفران باعتباره أهم لديهم من كل شيء (وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) الواو حرف عطف وثبت فعل دعاء وأقدامنا مفعول به وانصرنا عطف أيضاً وعلى القوم جار ومجرور متعلقان بانصرنا والكافرين صفة (فآتاهم الله ثواب الدنيا) الفاء عاطفة أو استئنافية وآتاهم الله فعل ومفعول به وفاعل وثواب الدنيا مفعول به ثان (وحسن ثواب الآخرة) الواو حرف عطف وحسن عطف على ثواب، وإنما خص ثواب الآخرة بالحسن تنويهاً بفضله وأنه أولى ما يعتد به المرء وينشده (والله يحب المحسنين) الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة يحب المحسنين خبر •

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ
فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى
قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ۖ
وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾

اللغــة :

(الرعب) بضم الراء وسكون العين وضمها وقد قرىء بهما : الخوف ، يقال : رعبته فهو مرعوب ، وأصله الامتلاء ، يقال : رعبت الحوض أي ملأته ، وسيل راعب أي : ملأ الوادي ، ويتعدى بنفسه وبالهمــزة .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعرابها (إن تطيعوا الذين كفروا) إن شرطية وتطيعوا فعــل الشرط والواو فاعل والذين اسم موصول مفعول به وجملة كفروا صلة والجملة كلها مستأنفة مسوقــة لتحذير المؤمنين من الاغترار بأقوال المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة : ارجعوا الى دينكم وإخوانكم ، ولو كان محمــد نبياً لما قتــل . وقيل : إن تستكينوا لأبي سفيان وجماعته يردوكم الى دينهم (يردوكم على أعقابكم) يردوكم جواب الشرط مجزوم والواو فاعل والكاف مفعول به وعلى أعقابكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (فتنقلبوا خاسرين) الفاء عاطفة وتنقلبوا فعل مضارع معطوف على يردوكم وخاسرين حال (بل الله مولاكم) بل حرف اضراب وعطف والله مبتدأ ومولاكم خبر . والكلام معطوف على ما هو من مضمون الشرط ، كأنه قيل : فليسوا أنصاراً لكم حتى تطيعوهم بل الله ، وقرىء اللهَ بالنصب على أنه مفعول به لفعل محذوف تقديره: بل أطيعوا الله ، ومولاكم بدل منه (وهو خير الناصرين) الواو عاطفة وهو مبتدأ وخير الناصرين خبره (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب) كلام مستأنف مسوق على طريق الالتفات

التنبيه على هول ما سيلقيه تعالى في قلوبهم ، والسين حرف استقبال ونلقي فعل مضارع مرفوع وفاعله نحن وفي قلوب جار ومجرور متعلقان بنلقي والذين اسم موصول في محل جر بالاضافة وجملة كفروا صلة لا محل لها والرعب مفعول به لنلقي (بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً) بما الباء حرف جر وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مجرور بالباء والجار والمجرور متعلقان بنلقي أي : بسبب اشراكهم أو ما اسم موصول والجملة صلة ، وبالله جار ومجرور متعلقان بأشركوا وما اسم موصول مفعول أشركوا وجملة لم ينزل به سلطاناً صلة الموصول وبه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الاصل صفة لـ « سلطاناً » وسلطاناً مفعول ينزل (ومأواهم النار) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق لبيان أحوالهم في الآخرة بعد بيان أحوالهم في الدنيا من الخذلان المبين ، ومأواهم مبتدأ والنار خبره ويجوز العكس ولعله أولى (وبئس مثوى الظالمين) الواو استئنافية وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم ومثوى فاعل مضاف لمقترن بـ « ال » والظالمين مضاف اليه والمخصوص بالذم محذوف تقديره : النار •

البلاغـة :

١ ـ الالتفات في قوله تعالى : « سنلقي » فقد التفت من الغيبة الى التكلم للاهتمام بما يلقيه تعالى في قلوبهم •

٢ ـ الاستعارة في قوله تعالى : « سنلقي » لأن الإلقاء لا يكون إلا في الإجرام فاستعير هنا للرعب تجسيداً وتشخيصاً بتنزيل المعنوي منزلة المادي •

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾

اللغة :

(تحسونهم) تقتلونهم قتلا ذريعاً وتستأصلونهم ، من حسّه يحسّه ، من باب نصر ، إذا أبطل حسّه . قال جرير :

تحسهم السيوف كما تسامى عريق النار في الأجم الحصيد

(تصعدون) بضم التاء من أصعد أي ذهب بعيداً في الجبل وفي الأرض ، ويقال : صعد في الجبل وأصعد في الأرض .

(تلوون) تصرفون وجوهكم ولا تعرجون على أحد .

الاعراب :

(ولقد صدقكم الله وعده) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق لتفصيل موقعة أحد كما ذكرتها المطولات واللام جواب القسم محذوف وقد حرف تحقيق وصدقكم الله فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر ووعده منصوب بنزع الخافض لأن صدق يتعدى لاثنين أحدهما بنفسه والآخر بحرف الجر أي بوعده (إذ تحسونهم بإذنه) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بصدقكم وجملة تحسونهم في محل جر بإضافة الظرف اليها وبإذنه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من فاعل تحسونهم أي مأذوناً لكم (حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر) يجوز في حتى هنا أن تكون حرف غاية وجر بمعنى الى ، وتكون مع مدخولها متعلقة بتحسونهم أي : تقتلونهم الى هذا الوقت ، وعلقها الزمخشري بصدقكم ، أي : صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم . وكلاهما صحيح ويجوز أن تكون ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية إذا ظرف لما يستقبل من الزمن متعلق بجوابه وجملة فشلتم في محل جر بالاضافة وجواب اذا محذوف على الصحيح والتقدير منعكم نصره أو انهزمتم أو بانت لكم الحقيقة جلية واضحة وتنازعتم الواو عاطفة وجملة تنازعتم عطف على جملة فشلتم وفي الأمر جار ومجرور متعلقان بتنازعتم (وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون) عطف على ما تقدم ومن بعد جار ومجرور متعلقان بعصيتم وما مصدرية مؤولة مع الفعل بعدها بمصدر مضاف لـ « بعد » وأراكم فعل ماض والفاعل هو والكاف مفعول به أول وما اسم موصول مفعول به ثان وجملة تحبون صلة لا محل لها (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) الجملة مفسرة لا محل لها والمعنى : حتى إذا كان ذلك كله وانقسمتم الى قسمين ، ثم فسر القسمين . ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف

خبر مقدم ومن اسم موصول مبتدأ مؤخر وجملة يريد صلة الموصول والدنيا مفعول به ومنكم من يريد الآخرة عطف على الجملة الأولى وفيها تفسير للقسم الثاني (ثم صرفكم عنهم ليبتليكم) ثم حرف عطف وتراخ وجملة وصرفكم عطف على جواب اذا المحذوف أي منعكم نصره ثم صرفكم عنهم أي ردكم عنهم ليمتحن صبركم وثباتكم ، وعنهم جار ومجرور متعلقان بصرف ليبتليكم اللام للتعليل ويبتلي فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بصرف أيضاً (ولقد عفا عنكم) الواو استئنافية واللام جواب لقسم محذوف وقد حرف تحقيق وعفا فعل ماض وعنكم جار ومجرور متعلقان بعفا (والله ذو فضل على المؤمنين) الواو استئنافية والله مبتدأ وذو فضل خبر وعلى المؤمنين جار ومجررو متعلقان بفضل أو بمحذوف صفة له (إذ تُصعدون ولا تلوون على أحد) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بمحذوف تقديره : اذكر أو بصرفكم أ وبعفا عنكم كأنه من باب التنازع ، وجملة تصعدون في محل جر بالاضافة ولا تلوون عطف على تصعدون ولك أن تجعل الواو حالية فتكون الجملة منصوبة على الحال وعلى أحد جار ومجرور متعلقان بتلوون (والرسول يدعوكم في أخراكم) الواو حالية والرسول مبتدأ وجملة يدعوكم خبر وفي أخراكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أي : كائناً في ساقتكم أو في جماعتكم ، وهو تصوير جميل لموقف القائد وثباته وهو يقول : إليَّ إليَّ عباد الله ، أنا رسول الله من يكرّ فله الجنة (فأثابكم غماً بغم) الفاء عاطفة وأثابكم فعل ماض ومفعول به وغماً يجوز أن يكون مفعولا ثانياً بتضمين أثابكم معنى المجازاة والاعطاء ، ويجوز أن يعرب تمييزاً . وبغم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة أي غماً متصلا بغم (لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم) اللام حرف جر وكي حرف تعليل ونصب واستقبال ولا زائدة وتحزنوا فعل مضارع منصوب

بكي والجار والمجرور متعلقان بأثابكم وعلى ما فاتكم جار ومجرور متعلقان بتحزنوا وجملة فاتكم صلة الموصول ولا ما أصابكم عطف على « ما فاتكم » (والله خبير بما تعملون) الواو استئنافية والله مبتدأ وخبير خبر وبما جار ومجرور متعلقان بخبير وجملة تعملون صلة الموصول .

الفوائد :

(كي) : للعرب فيها مذهبان :

١ ـ أحدهما أن تكون الفعل بنفسها بمنزلة « أن » وتكون مع ما بعدها بمنزلة اسم كما كانت « أن » كذلك .

٢ ـ وثانيهما أن تكون حرف جر بمنزلة اللام فينصب الفعل بعدها باضمار « أن » كما ينتصب بعد اللام فاذا كانت بمنزلة « أن » جاز دخول اللام عليها كالآية الآنفة الذكر واذا كانت حرف جر جاز دخولها على الاسماء كدخول حرف الجر ، من ذلك قول العرب كيمه ؟ فأدخل كي على « ما » في الاستفهام كما يدخل عليها حروف الجر نحو : لِمَ وبِمَ وعمَّ ، فحذف الألف كما يحذفها مع حروف الجر وأدخل عليها هاء السكت في الوقف فقال : كيمه .

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم

مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٥٤) ﴾

اللغـة :

(النعاس) : بضم النون مقاربة النوم أو أوله ، وفترة في الحواس.

الاعراب :

(ثم أنزل عليكم من بعـد الغم أمنة نعاساً) ثم : حرف عطف للترتيب مـع التراخي وأنزل فعل ماض والجملة عطف عـلى فأثابكم وأثابكم عطف على صرفكم ، وعليكم جار ومجرور متعلقان بأنزل ومن بعد الغم جار ومجرور متعلقان بأنزل أيضاً وأمنة مفعول به ونعاساً بدل من أمنة ، ويجوز أن يكون بدلا مطابقاً بالنظر لمصدوقهما ، وأن يكون بدل اشتمال لأن كلاً منهما مشتمل على الآخر والعائد محذوف للعلم به أي فيهما ولأن الكلام يرشد اليه كما سترى في باب الفوائد . (يغشى طائفة منكم) الجملة صفة لقوله « نعاساً » وطائفة مفعول به ليغشى ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لطائفة ، وهم الذين صدقوا ربهم وثبت يقينهم (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) الواو استئنافية

وطائفة مبتدأ ، وساغ الابتداء به لوصفه بمحذوف دل عليه السياق أي من غيركم بدليل يغشى طائفة منكم وجملة قد أهمتهم أنفسهم هي الخبر والجملة مستأنفة مسوقة لبيان حال المنافقين (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) جملة يظنون حالية من الهاء في اهمتهم ، ويجوز جعل « قد أهمتهم أنفسهم » صفة وجملة يظنون هي الخبر ، وبالله جار ومجرور متعلقان بيظنون وغير الحق صفة لمفعول مطلق محذوف والمعنى يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب أن يساور النفوس ، وظن الجاهلية بدل من « غير الحق » أو منصوب على المصدرية التشبيهية ، أي ظناً مثل ظن الجاهلية أو منصوب بنزع الخافض ، وعلى هذا لم يذكر ليظنون مفعولين وتكون الباء ظرفية كما تقول : ظننت بزيد ، واذا كان ذلك كذلك لم تتعد « ظننت » الى مفعولين ، وقد نص النحاة على ذلك وعليه قول الشاعر :

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج سراتهم في السابري المسرّد

(يقولون هل لنا من الأمر من شيء) جملة يقولون بدل من جملة يظنون وهل حرف استفهام إنكاري معناه النفي أي : ليس لنا ، ولنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومن الأمر جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الاصل صفة لشيء ثم تقدمت الصفة على الموصوف فأعربت حالا ، ومن حرف جر زائد وشيء مجرور بمن لفظاً في محل رفع مبتدأ مؤخر والجملة مقول القول (قل : إن الأمر كله لله) الجملة معترضة وان واسمها ، وكله تأكيد لـ « الأمر » لأنه يتجزأ ولله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر إن والجملة في محل نصب مقول القول (يخفون في أنفسهم مالا يبدون لك) جملة يخفون حال من ضمير يقولون ، أي : يقولون فيما بينهم متسارّين ، وفي

أنفسهم جار ومجرور متعلقان بيخفون وما اسم موصول مفعول به ولا نافية وجملة يبدون لا محل لها لأنها صلة ما ولك جار ومجرور متعلقان بيبدون (يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا ها هنا) جملة يقولون مستأنفة مسوقة لبيان ما قبله ، ولتكون بمثابة شروع في الحديث عنهم مجدداً تطريـة لنشاط السامع واسترعاء لانتباهه . ولو شرطية وكان فعل ماض ناقص ولنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كان المقدم ومن الأمر جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وشيء اسم كان المؤخر وما نافية وقتلنا فعل ماض مبني للمجهول ونا نائب فاعل وجملة ما قتلنا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وها هنا الهاء للتنبيه وهنا اسم اشارة في محل نصب ظرف مكان متعلق بقتلنا (قل لو كنتم في بيوتكم) الجملة مستأنفة مسوقـة لبيان أن الآجال مكتوبة وأنهم لو أقاموا في المدينة لحدثت لهم أسباب يخرجون فيها لملاقاة حتوفهم وأنهم إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولايستقدمون. ولو شرطية وكنتم كان واسمها ، وفي بيوتكم جار ومجرور متعلقـان بمحذوف خبر والجملة في محل نصب مقول القول (لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) اللام واقعة في الجواب وبرز الذين فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وجملة كتب عليهم القتل صلة الذين والى مضاجعهم جار ومجرور متعلقان ببرز أي الى مصارعهم (وليبتلي الله مافي صدوركم) الواو عاطفة على محذوف تقديره : وفعل ما فعله في أحد لمصالح جمـة وليبتلي ، اللام للتعليل ويبتلي فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والجار والمجرور متعلقان بالفعل المحذوف أي فعل ذلك لمصالح تجهلونها وليبتلي مافي الصدور ، وما اسم موصول مفعول به وفي صدوركم جار ومجرور متعلقان بمحذوف لا محـل له لأنه صلة الموصول (وليمحّص مافي

قلوبكم) عطف على ليبتلي مافي صدوركم (والله عليم بذات الصدور) الواو استئنافية والجملة مستأنفة لتأكيد علمه تعالى بالسرائر والكوامن، والله مبتدأ وعليم خبر وبذات الصدور جار ومجرور متعلقان بعليم •

البلاغــة :

لو شئنا الاسهاب في إظهار مواطن البلاغة المنطوية فيها لضاق بنا المجال ، وحسبنا أن نلم بها إلماماً سريعاً يأتي على ما تطول فيه العبارة وتمتد ، فمنها :

١ ــ الايجاز: ويبدو في كثير من المواطن فيها على الشكل التالي:

آ ــ في كلمة ثم الواقعة في مستهلها للدلالة على أن تراخيا من الزمن قد امتد بعد أن حل بهم ما حل في وقعة أحــد في تلك الحادثة العجيبة ، فبعــد تصعيدهم في الجبــل ، وإشاحة وجوههم عن رؤية ما حدث لفرط ما نابهم من الدهشة واستولى عليهم من الفزع والهلع أتبعهم الله غماً بعد غم أو على غم ، أو بسببه حدث نزول الأمن فرَنّق النعاس في الأجفان ، وهوّمت الرؤوس ، واسترخت المفاصل فكانوا يميدون تحت الحَجَف ، وكانت السيوف تسقط من أيديهــم • والحجف بفتحتين جمع حجفة اسم الترس أو الدرقة •

ب ــ في كلمة « أمنة » وإبدال النعاس منها إيجاز كثير يدل على أن الأمن والهدوء استوليا عليهــم فور ترنيق النعاس وأَخذِ دبيب الكرى بمعاقــد أجفانهــم ، وإنما ينعس من أمِنَ وزايله الخوف ، والخائف لا ينام ، بل يرى أعداءه في كل مكان • وقد رمق المتنبي هذه السماء العالية فقال :

وضاقت الأرض حتى كـاد خائفهـم
إذا رأى غـير شيء ظنه رجـلا

ج ـ في كلمة « شيء » من قوله : « هل لنا من الأمر من شيء » التي احتوت على ما تضيق عنه الصحف كالنصر والظهور على العدو بعد أن اشتدت وطأته وضراوته .

د ـ في حذف خبر « طائفة » تنزيهاً لهم عن نسبة من اهتموا بأنفسهم ولم تبق لهم رغبة إلا في نجاتها دون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فانهم لم يناموا ، أما تقدير الخبر فيمكن أن يقدر : « تعرفهم بسيماهم » .

٢ ـ الكناية فقد كنى بالمضاجع عن المصارع حيث لاقوا حتفهم وصافحوا مناياهم .

٣ ـ المخالفة في جواب لو ، فقد جاء مرة بغير لام وجاء مرة مقترناً بها وفي هذا سر عجيب فقـد قال : « لو كان لنا من الأمر من شيء ما قتلنا ها هنا » ثم قال : « لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل » والقاعدة المعروفة هي أن جواب لو إذا كان منفياً بما فالأكثر عدم اللام وفي الإيجاب بالعكس لأن الايجـاب أحوج الى التثبيت والترسيخ وهذا من الأسرار التي تميز كتاب الله بها ليكون المعجزة أبد الدهر .

الفوائـد :

١ ـ هذه الآية تجمع حروف المعجم ليس في القرآن غيرها وغير

آية الفتح وهي قوله تعالى : « محمد رسول الله » الى قوله : « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً » .

٣ ـ لا بد في بدل الاشتمال من عائد يربطه بالأول فأما في قوله: « نعاساً » فالمراد : نعاساً فيها ، لأن المخاطب يعلم ذلك بسهولة كما تقدم . لأن كلاً من الأمنة والنعاس مشتمل على الآخر .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴾

اللغة :

(استزلهم) طلب منهم الزلل واستدرجهم اليه . والزلل هو الانحراف عن الحق والوقوع في المناكر .

الاعراب :

(إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان) كلام مستأنف مسوق لبيان سبب هزيمة المنهزمين واستزلال الشيطان إياهم ، فحرموا قوة القلب وثبات الجنان ، وهما عدة النصر . وإن واسمها ، وجملة تولوا صلة الموصول ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ويوم ظرف زمان متعلق بتولوا وجملة التقى في محل جر بالاضافة

(إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا) الجملة خبر إن وانما كافة ومكفوفة واستزلهم الشيطان فعل ومفعول به وفاعل وأعاد إن بطريق الحصر تنبيهاً علـى مصدر الغي وسببه ، وهو ركونهم الى الشيطان وإنصاتهم لداعيه . وببعض جار ومجرور متعلقان باستزلهم وما اسم موصول في محل جر بالاضافة وجملة كسبوا صلة الموصول والعائد محذوف أي بتركهم المركز الذي أمرهم الرسول بالثبات فيه فجرهم ذلك الى الهزيمة (ولقد عفا الله عنهم) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لاعلان العفو عنهم بعد ما تابوا واعتذروا واللام جواب قسم محذوف وقد حرف تحقيق وعفا الله فعل وفاعل وعنهم جار ومجرور متعلقان بعفا (إن الله غفور حليم) ان واسمها ، وغفور حليم خبران لإن والجملة تعليلية لقوله : عفا عنهم .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ ﴾

اللغـة :

(ضربوا في الأرض) : سافروا فيها وأبعدوا في سفرهم للتجارة أو للغزو أو لغير ذلك من المقاصد .

(غزّى) جمع غازٍ ، والقياس غزاة كرامٍ ورماة وساع وسعاة ، ولكنهم حملوا المعتل على الصحيح •

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدم اعرابها (لا تكونوا كالذين كفروا) لا ناهية وتكونوا فعل مضارع ناقص مجزوم بلا والواو اسمها وكالذين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ولك أن تجعل الكاف اسماً بمعنى مثل فتكون هي الخبر والذين اسم موصول مضاف اليه وجملة كفروا صلة ، وجملة النهي متسأنفة مسوقة لتحذير المؤمنين من الاحتذاء بالمنافقين والنطق بمثل ما قالوه (وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض) عطف على الصلة والمراد بالاخوة اتفاق الجنس أو النسب • وإذا لمجرد الظرفية يراد بها حكاية الحال الماضية تجسيداً للصورة والظرف متعلق بقالوا وجملة ضربوا في الارض في محل جر بالاضافة لوقوعها بعد الظرف (أو كانوا غزّى) عطف على جملة ضربوا في الارض وغزّى خبر كانوا والواو اسمها (لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا) الجملة في محل نصب مقول القول ولو شرطية وكان واسمها ، وعندنا ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر كانوا أي مقيمين عندنا وجملة ما ماتوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وجملة وما قتلوا عطف على جملة ما ماتوا (ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم) اللام لام العاقبة أو الصيرورة أي قالوا ذلك ليصيروا الى هذه العاقبة ، ويجعل فعل مضارع بأن مضمرة جوازاً بعد لام العاقبة وهي والمصدر المجرور بها متعلقان بفعل محذوف يفهم من السياق أي : قالوا ذلك واعتقدوه ، والله فاعل وذلك مفعول به أول وحسرة مفعول به ثان وفي قلوبهم

جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة للحسرة . والمشار اليه هو الجهر بالقول والاعتقاد ، وجعله الزجاج ظنهم بأنهم لو لم يحضروا لم يقتلوا (والله يحيي ويميت) الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة يحيي خبر وجملة يميت عطف على جملة يحيي (والله بما تعملون بصير) الواو استئنافية والله مبتدأ بما جار ومجرور متعلقان ببصير وجملة تعملون لا محل لها لأنها صلة الموصول وبصير خبر « الله » .

البلاغـة :

١ - في هذه الآية فن رائع من فنون البلاغة وهو حكاية الحال الماضية استحضاراً للصورة في الذهن وتجسيداً للمعنى المراد وتشخيصاً لما يريد المتكلم عرضه ، فإذا ظرف للمستقبل وقد جاء متعلقاً بقالوا ، وهي فعل ماض ، وكان ظاهر الكلام يقضي باستعمال « إذ » المفيدة للمضيّ ، ولكنه عـدل عنها الى « إذا » لحكايـة الحال الماضية ، واستحضارها في الذهن ، وفائدتها استمرار الزمان المنتظم للحال الذي يدور عليه الحديث الى وقت التكلم ، وقد فصل الزجّاج هذا المعنى تفصيلا بارعاً بقوله : « إذا هنا تنوب عما مضى من الزمان وما يستقبل يعني أنها لمجرد الوقت أو يقصد بها الاستمرار » .

٢ - الطباق بين يحيي ويميت ، وهو من أوجز الحديث وأصدقه وأبعده في الدلالة على المعنى المراد ، فانه سبحانه قد يحيي المسافر والغازي مع اقتحامهما موارد الهلكة ، ثم يميت المقيم والقاعد مع أخذهما بأسباب الحيطة والحذر . وقد رمق أبو الطيب المتنبي هذه السماء العالية من البلاغة بقوله :

يقتـل العاجز الجبان وقد يعـجز عن قطـع بخنق المولود
ويوقّى الفتى المخشّ وقد خوّ ض في مـاء لبـة الصنديد

يقول : لا تجبن ، ولا تحرص على الحياة ، فالعجز والجبن ليسا من أسباب البقـاء وليسا بسنجيين من الموت ، ويرحم الله خالـد بن الوليد أنه قال عند موتـه : « ما فيّ موضع شبر إلا وفيه ضربـة أو طعنـة ، وها أنـذا أموت كما يموت العَـيْرُ فلا نامت أعـين الجبنـاء » .

الفوائـد :

(لام العاقبة) أو الصيرورة هي التي تدل على مآل الشيء وعقباه وحكمها في العمـل حكم لام التعليـل في اضمار أن بعدها جوازا وستأتي أمثلة منها .

﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾

الاعراب :

(ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم) كلام مستأنف مسوق لتقرير أن ما تحذرون وقوعه ليس مما ينبغي أن يحذر منه بل يجب أن يكون حافزاً لكم على القتال ومواصلة الجهـاد . والواو استئنافية واللام

موطئة للقسم المقدر وإن شرطية وقتلتم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وهو مبني للمجهول والتاء نائب فاعل وفي سبيل الله جار ومجرور متعلقان بقتلتم أو متم عطف على قتلتم ومتم فعل ماض من مات يموت كقال يقول فهي بضم الميـم ويجوز كسرها إذا كانت من مات يمات كخاف يخاف وقد قرىء بهما (لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون) اللام لام الابتداء ومغفرة مبتدأ ساغ الابتداء به مع انه نكرة لوصفه بالجار والمجرور ورحمة عطف على مغفرة وخير خبر ومما جار ومجرور متعلقان بخير وجملة يجمعون صلة ما ، ولام الابتداء ومدخولها جملة لا محل لها لأنهـا جواب للقسم حسب القاعدة المقررة وهي أنه إذا اجتمع قسم وشرط فالجواب يعطى للمتقدم منهما (ولئن متم أو قتلتم) تقدم اعرابها (لإلى الله تحشرون) اللام ومدخولها جواب القسم ، والى الله جار ومجرور متعلقـان بتحشرون وتحشرون فعـل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل .

البلاغـة :

في هذه الآية والتي قبلها فن منتظم في باب التقديم والتأخير ، فقد ورد الموت والقتل فيهما ثلاث مرات ، وتقدم الموت على القتل في الأول والأخير منها ، وتقدم القتل على الموت في المتوسط ، تبعاً لتقديم الأهم والأشرف .

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ

فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾

اللغـة :

(فظّاً) : جافياً والفظاظة : الجفوة في المعاشرة قولاً وفعلا . قال الراغب : « الفظّ : كريه الخلق ، وذلك مستعار من الفظّ ، وهو ماء الكرش ، وذلك مكروه شربه إلا في ضرورة . والغلظة : ضد الرقة . ويقـال : غلِظ وغلُظ بالكسر والضم ، وعن الغلظـة تنشأ الفظاظة وقدمت الفظاظة لسرّ وهو تقديم ما هو ظاهر للحسّ على ما هو خافٍ في القلب .

الاعراب :

(فبما رحمـة من الله لنت لهم) كـلام مستأنف مسوق لتقرير ما يجب سلوكه لتأليف الناس وترغيبهم في الخير . والفاء استئنافية وبما رحمة جار ومجرور متعلقان بلنت وما زائدة للتوكيد ومن الله : جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لرحمة ولنت فعل ماض مبني على السكون والتاء فاعل ولهم : جار ومجرور متعلقان بلنت (ولو كنت فظـاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) الواو عاطفـة عـلى محذوف مقدر ، أي : لنت ولو لم تكن ليناً . ولو شرطية وكنت كان الناقصة واسمها . وفظاً خبرها ولانفضوا : اللام واقعة في جواب لو وانفضّوا فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنهـا جواب شرط غير جـازم ومن حولك : جار ومجرور متعلقان بانفضوا (فاعف عنهم واستغفر لهم) الفاء هي الفصيحة أي : اذا شئت سلوك الطريق المثلى فاعف عنهم فيما

يختص بك ، واعف فعل أمر مبني على حذف حرف العلة وفاعله أنت وعنهم : جار ومجرور متعلقان باعف واستغفر عطف على اعف ، اي : فيما يختص بغيرك ، ولهم : جار ومجرور متعلقان باستغفر (وشاورهم في الأمر) عطف أيضاً وفي الأمر جار ومجرور متعلقان بشاورهم (فاذا عزمت فتوكل على الله) الفاء عاطفة ولك أن تجعلها استئنافية فتكون الجملة مستأنفة مسوقة لتقرير ما يجب عمله بعد المشاورة ، وقدم المشاورة للإشارة الى أن التوكل ليس يعني اهمال التدبير ، وبيان أن الشورى من أفضل الأمور ، وإلا لكان الأمر بالمشاورة منافياً للأمر بالتوكل وتفويض الأمور لله تعالى . وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن وجملة عزمت في محل جر بالاضافة وفتوكل : الفاء رابطة لجواب إذا وتوكل فعل أمر والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وعلى الله جار ومجرور متعلقان بتوكل (إن الله يحب المتوكلين) الجملة تعليلية لا محل لها وإنْ واسمها ، وجملة يحب المتوكلين خبرها .

الفوائـد :

زيادة (ما) بين الباء وعن ومن والكاف ومجروراتها أمر معروف في اللسان العربي مقرر في علم العربية . وذهب بعض المعربين الى أن « ما » ليست زائدة بل هي نكرة تامة بمعنى شيء ورحمة بدل منها . وكأن قائلي هذا يفرّون من أنها زائدة . وقيل : « ما » هنا استفهامية، قال الفخر الرازي ما نصه : « قال المحققون : دخول اللفظ المهمل الوضع في كلام أحكم الحاكمين غير جائز ، وهنا يجوز أن تكون «ما» استفهاماً للتعجب تقديره : فبأي رحمة من الله لنت لهم ! وذلك بأن جنايتهم لمّا كانت عظيمة ، ثم إنه ما أظهر البتة تغليظاً في القول

ولاخشونة في الكلام علموا أن هذا لايتأتى إلا بتأييد رباني قبل ذلك» .
وما قاله هؤلاء المحققون صحيح ولكن زيادة « ما » للتوكيد لا ينكره في مواطنه المقررة من له أدنى مسكة في الذوق والتعلق بالعربية ، فضلا عمن يتعاطى تفسير كلام الله . وليس « ما » في هذا المكان مما يتوهمه أحد مهملاً فلا يحتاج ذلك الى تأويلها بأن تكون استفهاماً للتعجب ، ثم إن تقديره ذلك : « فبأي رحمة » دليل على أنه جعل «ما» مضافة للرحمة ، وما ذهب اليه خطأ من وجهين ، أحدهما : أنه لا تضاف ما الاستفهامية ولا أسماء الاستفهام غير « أيّ » بلا خلاف ، و « كم » على خلاف . والثاني أنه اذا لم تصح الاضافة فيكون اعرابه بدلا ، واذا كان بدلا من اسم الاستفهام فلا بد من اعادة همزة الاستفهام في البدل كما هو مقرر ، وكان يغنيه عن هذا الارتباك والتسور عليه قول الزجاج في « ما » هذه : إنها صلة فيها معنى التوكيد باجماع النحويين والبيانيين .

مناقشة طريفة بين الغزالي وابن الأثير :

وقد جرت مناقشة طريفة بين الغزالي وابن الأثير فقال الغزالي في حديثه عن أقسام المجاز : القسم الثاني عشر الزيادة في الكلام لغير فائدة كقوله تعالى : « فبما رحمة من الله لنت لهم » فـ « ما » هنا زائدة لا معنى لها ، أي فبرحمة من الله لنت لهم . ورد عليه ابن الأثير فقال وهذا القول لا أراه صواباً وفيه نظر من وجهين : أحدهما : أن هذا القسم ليس من المجاز ، لأن المجاز هو دلالة اللفظ على غير ما وضع له في أصل اللغة ، وهذا غير موجود في الآية ، وانما هي دالة على الوضع اللغوي المنطوق به في أصل اللغة . والوجه الآخر : إني لو

سلمت أن ذلك من المجاز لأنكرت أن لفظة « ما » زائدة لا معنى لها ، ولكنها وردت تضخيماً لأمر النعمة التي لان بها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم لهم ، وهي محض الفصاحة ، ولو عري الكلام منها لم تكن له تلك الفخامة الى أن يقول : « وأما الغزالي رحمه الله فانه عندي معذور في أن لا يعرف ذلك لأنه ليس فنه ومن ذهب الى أن في القرآن لفظاً زائداً لا معنى فإما أن يكون جاهلا بهذا القول وإما أن يكون متسمحاً في دينه واعتقاده ، وقول النحاة : إن « ما » في هذه الآية زائدة ، إنما يعنون به أنها لا تمنع ما قبلها عن العمل ، كما يسمونها في موضع آخر كافة ، أي أنها تكف الحرف العامل عن عمله كقولك : إنما زيد قائم فـ « ما » قد كفت « إن » عن العمل في « زيد » ، وفي الآية لم تمنع عن العمل ، ألا ترى أنها لم تمنع الباء عن العمل في خفض الرحمة » ! فتأمل هذه المناقشة فانها من الحسن بمكان ؟ .

﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾

الاعراب :

(إن ينصركم الله فلا غالب لكم) كلام مستأنف لإيجاب التوكل على الله تعالى والاعتماد عليه . وإن شرطية وينصركم فعل الشرط والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به والله فاعل، فلا الفاء رابطة لجواب الشرط ولا نافية للجنس تعمل عمل إن وغالب اسمها المبني على الفتح وجملة فلا غالب لكم في محل جزم جواب الشرط ولكم جار ومجرور

متعلقان بمحذوف خبرها (وان يخذلكم فمنذا الذي ينصركم من بعده) الواو عاطفة وإن شرطية ويخذلكم فعل الشرط فمن الفاء رابطة لجواب الشرط ومن اسم استفهام إنكاري في محل رفع مبتدأ وذا اسم اشارة في محل رفع خبر « من » والذي اسم موصول في محل رفع بدل من اسم الاشارة ومن بعده جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وجملة فمن الاسمية في محل جزم جواب الشرط وجملة ينصركم صلة لا محل لها (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) الواو عاطفة وعلى الله جار ومجرور متعلقان بيتوكل والفاء لتأكيد الاستئناف واللام لام الأمر ويتوكل فعل مضارع مجزوم باللام والمؤمنون فاعل وفي تأكيد الاستئناف بعد الانكار والنفي حث مبالغ فيه على الاتكال بعد الاخذ بأسباب الحيطة والحذر .

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾

اللغـة :

(غـلَّ) : أخذ خفية واستغلالاً وخيانة . والغلول صفة تتنافى مع النبوة . ومن طريف الجناس قولهم : « يد المؤمن لا تغُلّ وقلب المؤمن لا يغِلّ » الأولى بضم الغين من الغلول والثانية بكسرها من الغل أي الحقد .

الاعراب :

(وما كان لنبي أن يَغُلَّ) كلام مستأنف مسوق لنفي الغلول عن النبي صلى الله عليه وسلم . وفي قراءة بالبناء للمجهول أي ينسب الى الغلول ، وكلتا القراءتين تنفي هذه الصفة عن النبي لعصمته ولتحريم الغلول . والواو استئنافية وما نافية وكان فعل ماض ناقص مبني على الفتح ولنبي جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وأن يغل مصدر مؤول اسمها المؤخر (ومن يغلل يأت بما غلّ يوم القيامة) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق للردّع عن الغلول. ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويغلل فعل الشرط ويأت جوابه وبما جار ومجرور متعلقان بيأت وجملة غل صلة الموصول ويوم القيامة ظرف زمان متعلق بيأت أيضاً وجملة فعل الشرط وجوابه خبر من (ثم توفى كل نفس ما كسبت) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وتوفى فعل مضارع مبني للمجهول معطوف على الجملة الشرطية وكل نفس نائب فاعل وما اسم موصول في محل نصب مفعول به ثان وجملة كسبت صلة الموصول (وهم لا يظلمون) الواو استئنافية أو حالية وهم مبتدأ وجملة لا يظلمون خبر « هم » والجملة استئنافية أو حالية ، ونرى الاستئناف أرجح لأنها بمثابة ايضاح لتوفى كل نفس ما كسبت على طريق العدل فينال كل انسان جزاءه من غير حيف أو نقصان (أفمن اتبع رضوان الله) الهمزة للاستفهام الإنكاري والفاء عاطفة على محذوف والنية التقدم على الهمزة وقد تقدم البحث في هذا التركيب وإن تقدير المحذوف : أجعل لك ما تميز به بين الضال والمهتدي فمن اتبع رضوان الله واهتدى ليس كمن باء بسخطه ، والاستفهام الانكاري معناه النفي، ومن اسم موصول مبتدأ وجملة اتبع صلة ورضوان الله مفعول به لاتبع

والجملة معطوفة على المحذوف الذي هو مستأنف (كمن باء بسخط من الله) كمن الكاف حرف جر ومن اسم موصول في محل جر بالكاف والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر « من » أو الكاف اسم بمعنى مثل خبر ومَن مضاف إليه وجملة بـاء صلة الموصول وبسخط جار ومجرور متعلقان بباء ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة (ومأواه جهنم وبئس المصير) الواو حرف عطف ومأواه مبتدأ وجهنم خبره والجملة عطف على الصلة ، أي : وكمن مأواه جهنم . ولك أن تجعل الواو استئنافية ، وعلى كلا الوجهين لا محل لها من الاعراب وبئس الواو عاطفة أيضاً وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم والمصير فاعل والمخصوص بالذم محذوف ، أي جهنم (هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون) كلام مستأنف مسوق لبيان التفاوت ما بين الفريقين كما سيأتي في باب البلاغة وهم مبتدأ ودرجات خبر وعند الله ظرف متعلق بمحذوف صفة لدرجات والله الواو استئنافية والله مبتدأ وبصير خبر وبما جار ومجرور متعلقان ببصير وجملة يعملون صلة .

البلاغـة :

في هذه الآيات فنون شتى يضيق عنها العـدّ ويمكن إيجازها على الوجه التالي :

١ ــ المبالغة في النهي ، وقد وردت المبالغة عـلى هـذه الصيغة كثيراً في القرآن ، كقوله تعالى : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى » ، « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » .

٢ ــ والغلول أولى بأن يبالغ فيه ، لأن تصور المبالغة على وجه

يبعث الخوف ويحجب الخاطر عن التفكير فيه ، وتصويره ، بله ارتكابه والخوض في مناحيه . ويحسن بنا أن نورد حديثاً فيه تجسيد فني لصورة الغلول أو الاستغلال ، أو اجتلاب المنافع الخاصة على حساب المجاهدين والضاربين في سبيل الله ، حتى على حساب الحيوانات التي لا تعقل ، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ، حتى قال : « لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبة فرس له حمحمة فيقول : يا رسول الله أغثني ! فأقول لا أملك لك من الله شيئاً فقد أبلغتك » والحديث طويل اجتزأنا منه بما تقدم .

٣ ــ التشبيه البليغ في قوله « هم درجات » فقد جعلهم الدرجات نفسها ، للمبالغة في إظهار التفاوت ، لما بينهم في الثواب والعقاب .

٤ ــ الالتفات وهو هنا العدول عن ذكر الخاص ، وهو النبي ، الى ذكر العام ، وهو كل نفس ، ليشمل كل كاسب بغير حق ، وليتلطف ويتعطف في تقرير الغلول ونتائجه بالنسبة للنبي . ألا ترى الى قوله تعالى : « عفا الله عنك لمَ أذنت لهم » فقد بدأ المصطفى بالعفو ، ولو لم يبدأ به لتفطر قلبه .

٥ ــ الطباق بين الرضوان والسخط .

﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾

الاعراب :

(لقد منّ الله على المؤمنين) اللام جواب لقسم محذوف وقد حرف تحقيق ومنّ الله فعل وفاعل وعلى المؤمنين جار ومجرور متعلقان بمنّ والكلام مستأنف مسوق لتأكيد نزاهة النبي صلى الله عليه وسلم وبيان خطأ الذين نسبوا إليه الغلول (إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بمنّ وجملة بعث في محل جر بالإضافة وفيهم جار ومجرور متعلقان ببعث ورسولا مفعول به ومن أنفسهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لـ « رسولاً » (يتلو عليهم آياته) الجملة صفة ثانية لـ « رسولاً » وعليهم جار ومجرور متعلقان بيتلو (ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) الجملتان معطوفتان على يتلو ، والكتاب مفعول به ثان ليعلمهم والحكمة عطف على الكتاب (وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) الواو حالية وإن مخففة من الثقيلة مهملة لا عمل لها وكان واسمها ، ومن قبل جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وقبل ظرف مبني على الضم في محل جر بمن ولفي اللام هي الفارقة وفي ضلال جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كانوا ومبين نعت .

البلاغــة :

في الآية فن رفيع من فنون البلاغة يعرف بفن التجريد : وهو أن ينتزع المتكلم من أمر ذي صفة أمراً آخر بمثاله فيها مبالغة لكمالها فيه ، كأنه أبلغ من الاتصاف بتلك الصفة . وهو أقسام كثيرة يمكن الرجوع اليها في كتب البلاغة ، ولكننا نشير الى أهمها :

١ ـ أن يكون بـ « من » الجارّة ، ومن أوابده في النثر خطبة أبي طالب في تزويج خديجة بالنبي صلى الله عليه وسلم ومنها : « الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضئ معد » .

٢ ـ ويكون بالباء الجارة التجريدية كقول أبي تمام :

هتك الظلام أبو الوليد بعزة فتحت لنا باب الرجـاء المقفل

بأتمّ من قمر السماء إذا بدا بدراً وأحسن في العيون وأجمل

بأجلّ من قيس إذا استنطقته رأياً وألطف في الأمور وأجزل

٣ ـ ويكون بفي الجارّة التجريدية ، قال تعالى : « لهم فيها دار الخلد » أي في جهنم فانتزع منها داراً أخرى مبالغة . وقد رمقها أبو الطيب فقال :

تمضي المواكـب والأبصـار شاخصة

منهـا الى الملك الميمـون طائـره

قد حزن في بشر في تاجـه قمـر

في درعـه أسد تدمى أظافـره

فإن الأسد هو الممدوح نفسه لكنه انتزع منه أسداً آخرَ تهويلاً لأمره ومبالغة في اتصافه بالشجاعة والإقدام .

٤ ـ ومن أقسام التجريد أن ينتزع الانسان من نفسه شخصاً آخر مثله في الصفة التي سيق لها الكلام ، ثم يخاطبه كقول المتنبي :

لا خيـل عنـدك تهديهـا ولا مـال
فليسعد النطق إن لم تسعد الحـال

واجز الأميـر الذي نعمـاه فاجئـة
بغـيـر قول ونعمى القـوم أقوال

وجميل قول أبي نواس :

يا كثيـر النّوح في الـدمن لا عليهـا بل عـلى السكن
سنـة العشاق واحـدة فإذا أحببـت فاستـن

ومراده الخطاب مع نفسه ، ولذلك قال بعدهما :

ظنّ بي من قـد كلفت بـه فهـو يجفوني عـلى الظّنن
بات لا يعنيـه ما لقيـت عـين ممنوع مـن الوسن
رشـأ" لـولا ملاحتـه خلت الـدنيا مـن الفتن

وقال شوقي في العصر الحديث :

قم ناج ِ جلّق وانشد رسم من بانوا
مشت عـلى الرسم أحـداث وأزمان

فقد انتزع من نفسه شخصاً آخر يمثّله في الشاعرية والقدرة على مناجاة دمشق الخالدة التي صمدت للاستعمار دائماً • ويكثر هـذا القسم في مطالع القصائد ولكن سبيله صعبة محفوفة بالخطر لأنه قد

يخاطب ممدوحه أو معشوقه أو أي مخاطب كان بما يكره ويتطيّر به كما فعل جرير عندما استهل قصيدة مدح بها عبد الملك بن مروان :

أتصحو أم فؤادك غير صاح عشيّة هم صحبك بالرّواح

فقال له عبد الملك : ويلك ! ما لك ولهذا السؤال يا ابن الفاعله !
وكما تورط أبو الطيب المتنبي نفسه متعمداً في مديح كافور :

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً
وحسب المنايا أن يكنّ أمانيا

ومن القصائد البديعة التي تغلغل التجريد الى أبياتها قصيدة الصمة بن عبد الله في صاحبته ريا ، ونوردها كاملة ففيها لعشاق الأدب سلوى وتأساء :

حننت إلى ريا ونفسك باعدت
مزارك من ريا وشعباكما معا

فما حسنٌ أن تأتي الأمر طائعاً
وتجزع أن داعي الصبابة أسمعا

قفا ودّعا نجداً ومن حلّ بالحمى
وقلّ لنجد عندنا أن يودّعا

بنفسي تلك الأرض ما أطيب الربا
وما أحسن المصطاف والمتربّعا

وليست عشيّات الحمى برواجـــع
إليك ولكن خـــلّ عينيك تدمعـا

ولمـــا رأيت البشـــر أعـــرض دوننا
وحالت بنـــات الشوق يحنن نزّعـا

بكـــت عيني اليسرى فلما زجرتهـــا
عن الجهـــل بعـــد الحلـــم أسبلتا معا

تلفّـــتّ نحـــو الحي حتى حسبتـــني
وجعـــت من الاصغـــاء ليتاً وأخـــدعا

وأذكـــر أيـــام الحمى ثـــم أنثـــني
عـــلى كبـــدي من خشية أن تصدّعا

الفوائـــد :

تخفف « إنّ » المكسورة الهمزة المشبهة بالفعل فتهمل لزوال اختصاصها ، وتدخل على الخبر لام تسمى اللام الفارقة ، مثل : إنْ خالد لمسافر ، فرقاً بينها وبين إن النافية ، وإذا وليها فعل كانت مهملة حتماً ، ويكون هـــذا الفعل من النواسخ أي كان وظن وأخواتهما ، ولا بد من دخول هذه اللام على هذه الأفعال . وقد أعملها بعض العرب في القسم الأول على قلة فقالوا يجوز أن نقول : إنْ خالداً لمسافر ، ولهذا أخطأ الزمخشري وخالف كتابه المفصل عندما أعملها في قولها

تعالى : « وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » عندما قدر اسمها اسماً ظاهراً أي إن الشأن والحديث . وقد تبع الزمخشري في الخطأ الجلال وأبو السعود ، وجلّ من لا يسهو .

﴿ أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾

الاعراب :

(أولما أصابتكم مصيبة) الهمزة للاستفهام الانكاري والتقريع والواو عاطفة على ما تقدم من قصة أحد والمعنى لا ينبغي لكم أن تتعجبوا من فشلكم فإنكم تعلمون السبب واذا عرف السبب بطل العجب،ولما ظرفية حينية متعلقة بقلتم أو رابطة فهي حرف،وسيأتي حكمها في باب الفوائد . وأصابتكم فعل ماض ومفعول به ومصيبة فاعل (قد أصبتم مثليها) الجملة صفة لمصيبة وقد حرف تحقيق وأصبتم فعل وفاعل ومثليها مفعول به (قلتم أنى هذا) جملة قلتم لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وأنى اسم استفهام خبر مقدّم وهذا مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول والمعنى : من أين أصابنا هذا الانهزام والقتل ونحن نقاتل في سبيل الله ومعنا رسول الله وقد وعدنا الله بالنصر عليهم ؟ (قل هو من عند أنفسكم) جملة القول مقول للقول وهو مبتدأ ومن عند أنفسكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (إن الله على كل شيء قدير) ان واسمها وخبرها وعلى كل شيء جار ومجرور متعلقان بقدير والجملة تعليلية لا محل لها .

الفوائـد :

١ ــ أورد ابن هشام في المغني هذه الآية شاهداً على أن الهمزة تدخل على النفي كما تدخل على الاثبات وهذا وهم منه لم نكن نتوقع صدوره عن رجل ذكي مثله لأن لما هنا حينية لا نافية فلا يصلح هـذا مثالا لدخولها على النفي ولا يقال : إن الهمزة للانكار وهو بمثابة النفي فالكلام الذي دخلت عليه منفيّ أيضاً فصح التمثيل لأنّا نقول: الانكار هنا توبيخي فمدخوله ثابت كقولك لضارب أبيه : أتضربه وهو أبوك فالأولى الاعتراف بأن ابن هشام اشتبه عليه لفظ لما لعلّ المراد أنه أراد لما النافية وقد انتبه السيوطي لهذه الغلطـة وقال : والاولى التمثيل بقول الشاعر : فقلت : الما اصح والشيب وازع ، وهذه من هنات ابن هشام اليسيرة التي سجلناها عليه وجلّ من لا يسهو، وقال الدماميني في شرحه للمغني: «والأولى أن يجعل مدخولها محذوفاً هو المعطوف عليه أي ألم تجزعوا أو قلتم لمّا أصابتكم مصيبة ويكون المصنف مثـل للنفي المذكور والمحذوف قال : فإن قلت هذا لا يراه المصنف كما يأتي وانما يرى الهمزة الداخلة على مدخول الواو قدمت تنبيهاً على اصالتها في التصدير كما يأتي فكيف يحمـل كلامه عـلى ما ذكرت ؟ قلت : المصنف لم يذكر هذا في الهمزة التي للانكار نحو :«أفأمن أهل القرى» «أفلم يسيروا»أو مثل على قول الزمخشري ومن تبعه •

٢ ــ (لما) على ثلاثة أوجه :

آ ــ تختص بالمضارع فتجزمــه وتقلبه ماضياً كلم ولكن نفيها مستمر الى الحال بعكس لم •

ب ــ أن تختص بالماضي وقد اختلف فيها علمــاء النحو فقال

جماعة هي ظرف بمعنى حين وقال جماعة هي حرف لربط جملتين لا بد منهما نحو لما جاءني أكرمته .

ج ــ أن تكون حرف استثناء فتدخل على الجملة الاسمية نحو « إن كل نفس لما عليها حافظ » وسيأتي الكلام عنها في مكانها .

٣ ــ قد : حرف توقع لاقترانه بالافعال المتوقعة والمسئول عنها ولذلك يقال : إذا دخلت على الماضي حرف تحقيق واذا دخلت على المضارع حرف تقليل ومعنى تقليلها تقريبها من الحال ومنه قوله تعالى : « قد يعلم الله المعوقين منكم » وقد تخرج عن موقعها وتجيء من قبيل الاسماء بمعنى حسب ، تقول : قدك أي حسبك . قال أبو تمام :

قدك اتئب أربيت في الغلواء كم تعذلون وأنتم سجرائي

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ﴾

الاعراب :

(وما أصابكم يوم التقى الجمعان) الكلام مستأنف

مسوق لتتمة قصة أحد والواو استئنافية وما اسم موصول مبتدأ وجملة أصابكم صلة ويوم ظرف متعلق بأصابكم وجملة التقى الجمعان في محل جر بالإضافة (فبإذن الله وليعلم المؤمنين) الفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط وبإذن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف تقديره فهو باذن الله والجملة الاسمية في محل رفع خبر اسم الموصول وليعلم الواو عاطفة واللام للتعليل ويعلم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة والجار والمجرور متعلقان بما تعلق به باذن والعطف هو من باب عطف السبب على السبب ولك أن تعلقهما بفعل محذوف تقديره فعل ذلك ليعلم والمؤمنين مفعول به (وليعلم الذين نافقوا) عطف على ليعلم والذين اسم موصول مفعول به وجملة نافقوا صلة الموصول (وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا) كلام مستأنف مسوق للاخبار بأنهم مأمورون إما بالقتال وإما بالدفع ولك أن تجعله معطوفاً على نافقوا داخلا في حيّز الموصول أي وليعلم الذين حصل منهم النفاق والقول المذكور وقيل فعل ماض مبني للمجهول ولهم جار ومجرور متعلقان بقيل وجملة تعالوا مقول القول وكذلك جملة قاتلوا وكلتا الجملتين نائب فاعل قيل ولم يأت بحرف العطف بينهما لأن كلا من الجملتين مقصودة بالذكر لذاتها وفي سبيل الله جار ومجرور متعلقان بقاتلوا أو حرف عطف وادفعوا معطوف على قاتلوا وحذف مفعول ادفعوا للعلم به لأنه العدو ودفعه انما يكون بتكثير سواد المسلمين وسواد المسلمين جماعتهم (قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم) الجملة لا محل لها لأنها مستأنفة مسوقة لتعبر عن تمحلهم وامعانهم في اللجاج وركوب متن الغي والضلال ولو شرطية وسماها سيبويه حرفاً لما كان سيقع لوقوع غيره جملة لو نعلم قتالا مقول قولهم لأن رأي عبد الله بن أبي كان في الاقامة بالمدينة . واللام واقعة

في جواب لو واتبعناكم فعل ماض وفاعل ومفعول به والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان) الجملة مستأنفة مسوقة للقطع بأمرهم وهم مبتدأ وللكفر جار ومجرور متعلقان بأقرب ويوم ظرف زمان مضاف لظرف آخر وهو متعلق بمحذوف حال وأقرب خبرهم ومنهم جار ومجرور متعلقان بأقرب وللايمان جار ومجرور متعلقان بأقرب أيضاً وهذا من خصائص اسم التفضيل يتعلق به حرفا جر متحدان لفظاً ومعنى وحرف آخر غير متحد بعامل واحد لأنه في قوة عاملين فهو يدل على أمرين وهما أصل الفعل والزيادة فيه فيعمل كل منهما بواحد (يقولون بأفواههم ما ليس بقلوبهم) الجملة مستأنفة لا محل لها أو حالية من الضمير في أقرب فيكون المعنى قربوا للكفر في حالة كونهم قائلين هذه المقالة وبأفواههم جار ومجرور متعلقان بيقولون وانما صرح بالجار والمجرور والقول لا يكون إلا بالافواه لأن القول يطلق على اللساني والجسماني فتقييده بأفواههم تقييد لأحد محتمليه وقيل لمجرد التأكيد وما اسم موصول مفعول به وجملة ليس في قلوبهم صلة ما وفي قلوبهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ليس (والله أعلم بما يكتمون) كلام مستأنف مسوق لتقرير انه تعالى عليم بما يكتمونه من نفاق أو بما كانوا يبيتونه في الخفاء ولك أن تجعلها حالية والله مبتدأ وأعلم خبر وبما جار ومجرور متعلقان بأعلم وجملة يكتمون صلة ما .

﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٦٨ ﴾

الاعراب :

(الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا) الذين اسم موصول لك في إعرابه وجوه متساوية منها أن تعربه بدلا من اسم الموصول في الآية المتقدمة أي الذين نافقوا أو من الواو في نافقوا أو تنصبه على الذّمّ بفعل محذوف تقديره أذمّ وهو شائع في كلامهم ويدل على تجسيد وتصوير ولك أن ترفعه على أنه خبر لمبتدأ محذوف فتكون الجملة مستأنفة وجملة قالوا صلة ولاخوانهم جار ومجرور متعلقان بقالوا والواو يجوز فيها أن تكون حالية أ وعاطفة والجملة اما حالية من الواو في قالوا وقد مقدرة واما معطوفة على جملة قالوا (لو أطاعونا ما قتلوا) لو شرطية وأطاعونا فعل ماض وفاعل ومفعول به وما نافية وقتلوا فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل وجملة ما قتلوا لا محل لها لانها جواب شرط غير جازم وجملة لو أطاعونا في محل نصب مقول القول (قل فادرءوا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين) الجملة مستأنفة وقل فعل أمر والفاء هي الفصيحة أي إذا صحّت دعواكم فادرءوا عن أنفسكم أي ادفعوا وعن أنفسكم جار ومجرور متعلقان بادرءوا والموت مفعول به وإن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها وصادقين خبر كنتم وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي فادرءوا الموت إن كنتم صادقين في دعواكم ان القعود ينجي صاحبه ولا يقال إن الانسان يدفع عن نفسه العارض قبل حلول الاجل إذا أخذ بأسباب التوقي فذلك إرجاف لا يتفق مع قوله تعالى « فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » .

الفوائــد :

(لو) في الكلام ضربان : مصدرية وشرطية .

آ ــ المصدرية هي التي يحسن في موضعها ان المصدرية وأكثر ما تقــع بعد ودّ أو ما في معناه كقوله تعالى « يود أحــدهم لو يعمر ألف سنة » .

ب ــ الشرطية هي للتعليق في الماضي كما أن إن في المستقبل ومن ضرورة كون التعليق في الماضي أن يكون شرطها منفيّ الوقوع لأنه لو كان ثابتاً لكان الجواب كذلك واما جوابها فان كان مساوياً للشرط في العموم كما في قولك : لو كانت الشمس طالعة كان النهار موجوداً فلا بد من انتفائه أيضاً وإن كان أعم من الشرط كما في قولك : لو كانت الشمس طالعة لكان الضوء موجوداً فلا بد من انتفاء القدر المادي منه للشرط ولــذلك تسمع النحــاة يقولون : لو حرف امتناع لامتناع أي يدل عــلى امتناع الجواب لامتنــاع الشرط ولا يرون انهــا تدل عــلى امتناع الجواب مطلقاً لتخلفــه في نحو : لو ترك العبــد سؤال ربه لأعطــاه . وإنما يريدون انهــا تدل عــلى انتفــاء المساوي من جوابها للشرط والأولى أن يقال : لو حرف شرط يقتضي نفي ما يلزم من ثبوته ثبوت غيره فينبه على انها تقتضي لزوم شيء لشيء وكون الملزوم منفياً ولا يتعرض لنفي اللازم مطلقا ولا لثبوته لأنه غير لازم من معناها وسيرد بحث ممتع عند قوله تعالى : « ولو ان مافي الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله » فانتظر واقرأ العجيب من هذه اللغة الشريفة .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ

رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ
بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
﴿١٧٠﴾

الاعراب :

(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً) كلام مستأنف مسوق لاخبار النبي صلى الله عليه وسلم وأمته بمصائر الشهداء ولئن كان الكلام خاصاً بشهداء أحد فلا ينتفي عنه العموم وقد سبق القول في شهداء بدر وما نزل فيهم وهو قوله تعالى « ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله » الآية والواو استئنافية ولا ناهية وتحسبنّ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة وهو في محل جزم بلا الناهية وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت والذين اسم موصول مفعول به أول وأمواتاً مفعول به ثان (بل أحياء عند ربهم يرزقون) بل حرف عطف يعطف جملة على جملة وأحياء خبر لمبتدأ محذوف أي هم أحياء وليست بل التي تعطف مفرداً على مفرد لأن المعنى يختل إذ يصير لا تحسبنهم أحياء بل الغرض الإعلام بحياتهم ترغيباً في الجهاد وحثاً عليه وعند ربهم ظرف متعلق بيرزقون ويجوز أن تعلقه بمحذوف خبر ثان ويجوز أن تعلقه بمحذوف صفة وهذه الوجوه متساوية الرجحان وجملة يرزقون في محل رفع خبر ثالث أو ثان (فرحين بما آتاهم الله من فضله) فرحين حال من الضمير في يرزقون وبما جار ومجرور

متعلقان بفرحين وجملة آتاهم الله صلة ما الموصولية ومن فضله جار ومجرور متعلقان بآتاهم ولك أن تعتبر من تبضيعية فتعلقها مع مجرورها بمحذوف حال (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) الجملة معطوفة على فرحين من جهة المعنى فهي حال لأن الصفة المشبهة تشبه المضارع وبالذين جار ومجرور متعلقان بيستبشرون وجملة لم يلحقوا بهم صلة الذين ومن خلفهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الواو في لم يلحقوا (أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أن هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المحذوف والمصدر المؤول من ان وما في حيزها منصوب بنزع الخافض أي بأن لا خوف عليهم والجار والمجرور متعلقان بمحذوف بدل اشتمال من الذين أي ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوهم خلفهم أحياء في الدنيا من المؤمنين ولا يخفى مافي هذا الاستبشار من إلهاب للرغبة في الجهاد ولا نافية للجنس مهملة وخوف مبتدأ وعليهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ولا هـم يحزنون عطف عليه وقد تقـدم اعراب نظائره فلذلك اجتزأنا بما تقدم .

البلاغـة :

١ ـ الطباق بين أموات وأحياء وهي مطابقة بلغت الغاية في تصوير شهداء معركة أحد والشهداء الذين يستشهدون في معمعان الجهاد وقد خولف الاعراب بين المتعاطفين في الظاهر للدلالة عـلى أن الموت أمر طارىء يعقبه الهمود والاندثار وعدم تجدد الذكر أما الرفع وجعله جملة اسمية فهو أبلغ في الدلالة على الديمومة وطروء الذكر وتجدده كل يوم وقد وردت أحاديث تجسد الموقف البديع .

٢ ـ مراعاة النظير وهو فن بديع جميل تفنن علماء البلاغة في تسميته فسماه بعضهم التناسب والتوفيق وسماه آخرون الائتلاف والمؤاخاة وحده أن يجمع الناظم والناثر بين أمر وما يناسبه سواء أكانت المناسبة لفظاً أم معنى فقد ناسب سبحانه بين فرحين ويستبشرون وبين عدم الخوف وعدم الحزن وبين النعمة والفضل .

﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ﴾

الاعراب :

(يستبشرون بنعمة من الله وفضل) كرر الفعل للتأكيد والجملة استئنافية مسوقة للتأكيد ولك أن تجعلها تأكيداً لسابقتها أو بدلا منها وبنعمة جار ومجرور متعلقان بيستبشرون ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لنعمة وفضل عطف على نعمة (وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) الواو عاطفة وان واسمها وجملة لا يضيع خبرها (الذين استجابوا لله والرسول) اسم الموصول مبتدأ ولك أن تنصبه بفعل محذوف على المدح أو تجره على انه صفة للمؤمنين وجملة استجابوا صلة الموصول ولله جار ومجرور متعلقان باستجابوا والرسول عطف على الله (من بعد ما أصابهم القرح) من بعد جار ومجرور متعلقان

بمحذوف حال وما مصدرية وأصابهم القرح فعل ومفعول به وفاعل وما المصدرية وما في حيزها في تأويل مصدر مضاف لبعد (للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) للذين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وجملة أحسنوا صلة ومنهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال واتقوا عطف على أحسنوا وأجر مبتدأ مؤخر وعظيم صفة وجملة للذين خبر الذين في قوله : الذين استجابوا ، اذا أعربت الذين مبتدأ ، أو حالية .

غزوة حمراء الأسد :

الذين استجابوا لله والرسول هم الذين خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهم المؤمنون الذين ساهموا في الحرب بمعركة أحد ويقول التاريخ : حمراء الأسد هي على ثمانية أميال من المدينة على يسار الطريق اذا أردت ذا الحليفة وكانت هذه الغزوة صبيحة يوم الأحد لست عشرة مضت أو ثمان خلون من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة لطلب عدوهم بالامس ونادى مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يخرج معنا أحد إلا من حضر يومنا بالامس أي من شهد معركة أحد فخرج معه جميع من شهدها من المؤمنين الخلّص ، وكانوا ستمائة وثلاثين وأقام بها صلى الله عليه وسلم الاثنين والثلاثاء والاربعاء وكان قد أصابهم القرح بسبب ما نالهم في أحد فتسارعوا يحفزهم حبّ الثأر فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الاجر ويحققوا الهدف المرجوّ وساور المشركين الرعب فلم ينهدوا لقتال ولم يبرزوا الى ميدان بل قبعوا في مكة لائذين بأذيال الخوف والنجاة ثم رجع النبي وصحابته الى المدينة يوم الجمعة ولم يستغرق نهوده للمشركين إلا خمساً .

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ
إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ
يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا
ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾

الاعراب :

(الذين قال لهم الناس) الذين بدل أو صفة ثانية ل : الذين استجابوا ولكن يشكل على هذا الاعراب أن الذين استجابوا لله والرسول هم الذين حضروا معركة أحد وهؤلاء الذين وقع لهم هذا القول المذكور هم مطلق المؤمنين فتتعذر البدلية أو الوصفية وتفادياً لهذا الاشكال نرى من الأولى أن نعرب الموصول منصوباً بفعل محذوف على المدح والتقدير امدح وجملة قال صلة الموصول ولهم جار ومجرور متعلقان بقال والناس فاعل (إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) الجملة مقول القول وإن واسمها وقد حرف تحقيق وجملة جمعوا خبر إنّ ولكم جار ومجرور متعلقان بجمعوا والفاء الفصيحة واخشوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والهاء مفعول به (فزادهم إيماناً) الفاء عاطفة وزاد عطف على قال والفاعل ضمير مستتر مفهوم من قال لهم أي زادهم القول وايماناً مفعول به ثان ويجوز اعرابه تمييزاً (وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل) وقالوا عطف على زادهم وحسبنا خبر مقدم ونا مضاف اليه والله مبتدأ مؤخر ونعم الواو

حالية ولك أن تجعلها استئنافية ونعم فعل ماض جامد لإنشاء المدح والوكيل فاعل والمخصوص بالمدح هو الله تعالى (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل) الفاء عاطفة وجملة انقلبوا معطوفة على مقدر مفهوم من سياق الكلام أي وخرجوا مع النبي فانقلبوا وبنعمة جار ومجرور متعلقان بانقلبوا أو بمحذوف حال ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة وفضل عطف على نعمة (لم يمسسهم سوء) الجملة حالية ويمسسهم فعل مضارع مجزوم بلم والهاء مفعول به وسوء فاعل (واتبعوا رضوان الله) الجملة عطف على جملة انقلبوا (والله ذو فضل عظيم) الواو استئنافية والله مبتدأ وذو فضل خبر وعظيم صفة (انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه) كلام مستأنف مسوق لبيان القائل وانما كافة ومكفوفة وذلكم مبتدأ والشيطان مبتدأ ثان وجملة يخوف خبر الشيطان والمبتدأ الثاني وخبره خبر اسم الاشارة ويجوز أن نعرب ذلكم مبتدأ والشيطان بدلا من ذلكم وجملة يخوف خبر ذلكم ويجوز أيضاً أن نعرب ذلكم مبتدأ والشيطان خبره وجملة يخوف أولياءه مستأنفة أو حالاً • (فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) الفاء هي الفصيحة أي اذا وثقتم بهذا فلا تخافوهم وخافون عطف على لا تخافوهم والواو فاعل والنون للوقاية وحذفت ياء المتكلم جوازاً باتفاق القراء السبعة في الرسم ، وإن شرطية ، كنتم كان واسمها وفعل الشرط في محل جزم بإن ، والجواب محذوف دل عليه ما قبله ، ومؤمنين خبر كنتم •

البلاغة :

١ ــ العموم والخصوص في ذكر الناس عامة بعد ذكر الخاصة وهم الذين استهموا في غزوة أحد من اطلاق العام وإرادة الخاص •

٢ ـ اللف والنشر المرتب في قوله : بنعمة من الله وفضل مع طي ذكر الملفوف والمنشور وهما السلامة بالاجسام التي تعود الى النعمة والربح بالتجارة الذي يعود الى الفضل •

﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي ٱلْـَٔاخِرَةِۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾

اللغــة :

(يحزنك) بفتح الياء وضم الزاي لغة في أحزنه وبهما قرىء ومثله فتنه وافتنه فهما لغتان فاشيتان لثبوتهما بطريق التواتر •

الاعراب :

(ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) كلام مستأنف مسوق للمبالغة في تسليته صلى الله عليــه وسلم والواو استئنافية ولا ناهية ويحزنك فعل مضارع مجزوم بلا والكاف مفعول به والذين فاعــل وجملة يسارعون صلة الموصول وفي الكفر جار ومجرور متعلقــان بيسارعون لتضمينها معنى يقعون (انهم لن يضروا الله شيئاً) الجملة تعليلية لا محل لها للايذان بأن مضارتهم للنبي صلى الله عليه وسلم بمثابة مضارّته سبحانه وفي ذلك مسلاة له ومدعاة له الى اطراح الحزن جملة . ومن حق الرسول أن يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتد وهذه عظة بالغة للاعتداد بالنفس والثقة والاحتفاظ بالشخصية ورباطة الجأش عنــد نزول المصيبة وان واسمها وجملة لن يضروا الله خبرها

وشيئاً مفعول مطلق أي شيئاً من الضرر (يريد الله أن لا يجعل لهم حظاً في الآخرة) الجملة مستأنفة ويريد الله فعل وفاعل وان وما في حيزها مصدر مؤول مفعول به ليريد وحظاً مفعول يجعل الاول ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف مفعول به ثان وفي الآخرة جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة (ولهم عذاب عظيم) الجملة مستأنفة أيضاً للمبالغة في امتهانهم ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وعظيم صفة لعذاب .

البلاغـة :

التنكـير في قولـه شيئاً فإن التنوين يزيـد النكـرة شياعا وتنكيراً وقلة وحقارة وذلك لتأكيد ما هـم عليه من القلة والحقارة وضآلة الشأن .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾

اللغـة :

(نملي لهم) نتركهم وشأنهم وأمليت له في الأمر أخّرت وأمليت للبعير في القيد : أرخيت له ووسعت .

الاعراب :

(إن الذين اشتروا الكفر بالايمان) كلام مستأنف لتعميم الحكم على الكفار والمرتدين بعد أن كان خاصاً بالمنافقين وإن واسمها وجملة اشتروا صلة الموصول والكفر مفعول به وبالايمان جار ومجرور متعلقان باشتروا (لن يضروا الله شيئاً) تقدم اعرابها بحروفها والجملة خبر إن (ولهم عذاب أليم) تقدم اعرابها (ولا يحسبن الذين كفروا) الواو عاطفة على قوله ولا يحزنك أو استئنافية ولعلها أولى لتعميم الحكم ولا ناهية ويحسبن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم بلا والذين فاعل وجملة كفروا صلة (أنما نملي لهم خير لأنفسهم) ان حرف مشبه بالفعل وما مصدرية مؤولة مع الفعل بعدها بمصدر هو اسم ان أي ان املاءنا ويجوز أن تكون موصولة فتكون اسمها وكان من حقها أن تكتب مفصولة من ان ولكن طريقة المصحف كتابتها موصولة بها ولهم جار ومجرور متعلقان بنملي وخير خبر ان ولأنفسهم جار ومجرور متعلقان بخير وان وما بعدها سدت مسد مفعولي يحسبن (إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً) الجملة مستأنفة بمثابة التعليل للجملة التي قبلها فهي علة الاملاء ونملي فعل مضارع ولهم جار ومجرور متعلقان بنملي واللام لام التعليل ويزدادوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والواو فاعل واثماً تمييز والجار والمجرور « لام التعليل والمصدر المؤول » متعلقان بنملي (ولهم عذاب مهين) تقدم اعرابها .

البلاغـة :

١ ــ الاستعارة المكنية في اشتراء الكفر بالايمان وقد تقدم القول في هـذا .

٢ ـ الاستعارة التصريحية في الاملاء فقد شبه امهالهم وترك الحبل لهم على غواربهم بالفرس الذي يملى له الحبل ليجري على سجيته ويرتقي كيف يشاء فحذف المشبه وهو الامهال والترك وأبقى المشبه به وهو الاملاء •

﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ ﴾

اللغـة :

(يذر) و (يدع) فعلان مضارعان أمات العرب ماضيهما فلم يأت منهما إلا المضارع والأمر ومعناهما الترك وقال علماء العربية : أن كلمتي ذر ودع في معنى الترك إلا أن دع أمر للمخاطب بترك الشيء قبل العلم به وذر أمر له بتركـه بعد ما علمه ، روي أن بعض الأئمة سأل الامام الرازي عن قوله تعالى : « أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين » لمَ لمْ يقـل وتدعون أحسن الخالقـين وهو أقرب من الفصاحة للمجانسة بينهما فقال الامام : لأنهم اتخذوا الاصنام آلهـة وتركوا الله بعد ما علموا أن الله ربهم وربّ آبائهم الأولين ، استكباراً فلذلك قيل لهم : وتذرون ولم يقل وتدعون ، هذا وقد ورد في الحديث الشريف مصدر يدع قال : « لتنتهين أقوام من ودعهم الجمعات » أي عن تركها •

(يميز) مضارع ماز أي عزل هذا عن ذاك .

(يجتبي) يختار ويصطفي .

الاعراب :

(ما كان الله ليذر المؤمنين) كلام مستأنف لبيان أن الله سبحانه عالم بكل شيء وهو لا يترك عباده على ما هم عليه من اختلاط في الأمر والتباس فيما يعانونه من شئون ، وما نافية وكان فعل ماض ناقص والله اسمها وليذر اللام لام الجحود وهي المسبوقة بكون منفي وقد تقدّم ذكرها ويذر فعل مضارع منصوب بأن مقدرة وجوباً بعد لام الجحود الجارة والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر كان والتقدير لم يكن الله مريداً تركهم على حالة من الاختلاط والالتباس ، والمؤمنين مفعول به (على ما أنتم عليه) والجار والمجرور متعلقان بيذر وأنتم مبتدأ وعليه خبره وجملة أنتم عليه صلة ما الموصولية (حتى يميز الخبيث من الطيب) حتى حرف غاية وجر ويميز فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والجار والمجرور متعلقان بالخبر المحذوف أي مريداً تركهم والخبيث مفعول به ومن الطيب جار ومجرور متعلقان بيميز (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) تقدم اعرابها (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) الواو عاطفة ولكن حرف مشبه بالفعل بمعنى الاستدراك والله اسمها وجملة يجتبي خبرها ومن رسله جار ومجرور متعلقان بيجتبي ومن اسم موصول مفعول به وجملة يشاء صلة الموصول (فآمنوا بالله ورسله) الفاء الفصيحة وآمنوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وبالله جار ومجرور متعلقان بآمنوا ورسله معطوف على الله والجملة لا محل لها لانها جواب شرط غير جازم وهو الذي

وقعت الفاء في جوابه (وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم) الواو استئنافية وإن شرطية وتؤمنوا فعل الشرط وتتقوا عطف على تؤمنوا ، فلكم الفاء رابطة لجواب الشرط ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وأجر مبتدأ مؤخر وعظيم صفة والجملة في محل جزم جواب الشرط .

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾

الاعراب :

(ولا يحسبن الذين يبخلون) كلام مستأنف مسوق للشروع في ذم البخل وتقرير جزاء الباخلين ولك أن تجعل الواو عاطفة فيكون الكلام منسوقاً على ما تقدم ولا ناهية ويحسبن فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بلا والذين اسم موصول فاعل وجملة يبخلون صلة الموصول (بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم) بما جار ومجرور متعلقان بيبخلون وجملة آتاهم الله صلة ما الموصولية ومن فضله جار ومجرور متعلقان بآتاهم والمفعول الاول ليحسبن محذوف دلّ عليه سياق الكلام أي البخل وهو ضمير متصل لا محل له وخيراً مفعول يحسبن الثاني ولهم جار ومجرور متعلقان بخير وسيرد بحث شيق عن قراءة تحسبن في باب الفوائد (بل هو شر لهم) بل حرف اضراب وعطف وهو مبتدأ وشر خبر ولهم جار ومجرور متعلقان بشر (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) الجملة تفسيرية لقوله هو شر

لهم ولك أن تجعلها مستأنفة بمثابة التعليل والسين حرف استقبال يفيد التوكيد ويطوقون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وما اسم موصول منصوب بنزع الخافض أي بما بخلوا به . وبه جار ومجرور متعلقان ببخلوا ويوم القيامة ظرف زمان متعلق بيطوقون ولك أن تعلقه بمحذوف حال (ولله ميراث السموات والارض) الواو استئنافية ولله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وميراث السموات مبتدأ مؤخر والارض عطف على السموات (والله بما تعملون خبير) الواو استئنافية والله مبتدأ وبما جار ومجرور متعلقان بخبير وجملة تعملون صلة الموصول وخبير خبر .

البلاغة :

في هذه الآية :

١ ــ الطباق بين خير وشر وبين السموات والارض فالكلام مقابلة.

٢ ــ الالتفات : فقد انتقل من الغيبة الى الخطاب بقوله تعملون زيادة في النكال وتأكيداً للوعيد والانذار .

الفوائد :

١ ــ قرىء ولا تحسبن بالتاء فلا حذف في الكلام لأن الذين هو المفعول الاول وخيراً هو المفعول الثاني ويرد على هذا اشكال وهو أن أصل مفعولي حسب وأخواتها المبتدأ والخبر ولا يظهر ذلك في الآية لعدم صحة الحمل ، والجواب عن هذا الاشكال أن في الاية إيجازاً

والتقدير ولا تحسبن بخل الذين يبخلون باظهار ما آتاهم الله هو خيراً لهم فيتم تقدير الكلام .

٢ ــ حذف أحد مفعولي القلوب يكون للاختصار اذا كان هناك دليل عليه وقد أجازه الجمهور واستدلوا عليه بالآية وبقول عنترة العبسي :

ولقد نزلت فلا تظنّي غيره مني بمنزلة المحب المكرم

والتقدير : فلا تظني غيره مني واقعاً فحذف المفعول الثاني ومنعه بعضهم وقالوا : ان المفعول به الثاني هو قوله مني تنازعه نزلت وتظنّي وفي الباب الخامس من مغني اللبيب بحث ممتع فلخصه بما يلي : جرت عادة النحويين أن يقولوا : يحذف المفعول به اختصاراً واقتصاراً ويريدون بالاختصار الحذف لدليل وبالاقتصار الحذف لغير دليل ويمثلونه بنحو كلوا واشربوا أي اوقعوا هذين الفعلين وقول العرب : « من يسمع يخل » أي تكن منه خيلة والتحقيق أن يقال : انه تارة يتعلق الغرض بالاعلام بمجرد وقوع الفعل من غير تعيين من أوقعه أو من أوقع عليه فيجاء بمصدره مسنداً الى فعل كون عام فيقال : حصل حريق أو نهب وتارة يتعلق بالاعلام بمجرد ايقاع الفاعل للفعل فيقتصر عليهما ولا يذكر المفعول ولا ينوى إذ المنويّ كالثابت ولا يسمى محذوفاً لأن الفعل ينزل لهذا القصد منزلة مالا مفعول له ومنه « ربي الذي يحيي ويميت» «وهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون» و « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » الى آخر هذا البحث فارجع اليه .

﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ

سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ
ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾

الاعراب :

(لقد سمع الله قول الذين قالوا) كلام مستأنف مسوق لبيان نماذج من أراجيف اليهود وكذبهم وافتئاتهم على الله واللام جواب لقسم محذوف وقد حرف تحقيق وسمع فعل ماض والله فاعله وقول مفعوله والذين اسم موصول مضاف اليه وجملة قالوا صلة الموصول (إن الله فقير ونحن أغنياء) الجملة مقول القول وان واسمها وخبرها ونحن الواو عاطفة ونحن مبتدأ وأغنياء خبر والجملة معطوفة على ما قبلها (سنكتب ما قالوا) الكلام مستأنف والسين حرف استقبال وما اسم موصول مفعول به لنكتب وجملة قالوا صلة لا محل لها ويجوز أن تكون مصدرية أي قولهم ولعله أولى والجملة صلة للموصول الحرفي (وقتلهم الأنبياء بغير حق) الواو عاطفة وقتل معطوف على ما أو على المصدر المؤول والهاء ضمير في محل جر بالاضافة والانبياء مفعول به للمصدر الذي هو القتل وبغير حق جار ومجرور متعلقان بمحذوف في موضع نصب على الحال (ونقول ذوقوا عذاب الحريق) الواو عاطفة وجملة ذوقوا في محل نصب مقول القول وعذاب الحريق مفعول ذوقوا (ذلك بما قدمت أيديكم) الجملة مستأنفة لا محل لها واسم الاشارة مبتدأ وبما جار ومجرور متعلقان

بمحذوف خبر وجملة قدمت صلة الموصول وأيديكم فاعل قدمت (وأن الله ليس بظلام للعبيد) الواو حرف عطف وان ما في حيزها في محل رفع عطفاً على الخبر وان واسمها وجملة ليس في محل رفع خبر أن واسم ليس ضمير مستتر وبظلام الباء حرف جر زائد وظلام مجرور لفظاً في محل نصب خبر ليس ولك أن تجعل الواو استئنافية وجملة أن وما بعدها في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف أي والأمر أن الله الخ وهو جيد .

البلاغة :

١ ـ الاستعارة المكنية في قوله ذوقوا عذاب الحريق وقد تقدمت الاشارة اليها بحروفها .

٢ ـ الطباق بين فقير وأغنياء .

٣ ـ المجاز المرسل في أيديكم إذ المراد سيئاتكم والعلاقة هي السببية لأن اليد هي السبب فيما يقترفه الانسان من أعمال .

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾﴾

الاعراب :

(الذين قالوا : إن الله عهد الينا) الذين بدل من الموصول السابق

في قوله : لقد سمع الله قول الذين أو نعت له أو خبر لمبتدأ محذوف فتكون الجملة مستأنفة وجملة قالوا صلة الموصول وجملة إن الله الخ في محل نصب مقول القول وان واسمها وجملة عهد خبرها والينا جار ومجرور متعلقان بعهد (أن لا نؤمن لرسول) أن المصدرية وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض أي أمرنا في التوراة بأن لا نؤمن لرسول والرسول جار ومجرور متعلقان بنؤمن (حتى يأتينا بقربان تأكله النار) حتى حرف غاية وجر ويأتينا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول به وبقربان جار ومجرور متعلقان بيأتينا وجملة تأكله النار صفة لقربان وال في النار للعهد أي المعهودة لديهم بأنها تنزل من السماء والتفاصيل يرجع اليها في المطولات (قل : قد جاءكم رسل من قبلي) الكلام مستأنف مسوق لتوبيخهم على الكذب والافتئات وقل فعل أمر وفاعله أنت وجملة قد جاءكم في محل نصب مقول القول ورسل فاعل ومن قبلي جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لرسل(بالبينات وبالذي قلتم) الجار والمجرور متعلقان بجاءكم وبالذي عطف على قوله بالبينات وجملة قلتم صلة الموصول(فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين)الفاء عاطفة واللام حرف جر وما الاستفهامية المحذوفة الألف في محل جر باللام والجار والمجرور متعلقان بقتلتموهم وقتلتموهم فعل وفاعل ومفعول به والواو لاشباع حركة الميم وإن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسم كان وصادقين خبرها وجواب الشرط محذوف تقديره فلم قتلتموهم .

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا

تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾

اللغــة :

(متاع الغرور) المتاع : كل ما استمتع به الانسان من مال وغيره والغرور : مصدر غرّ أي خدع ، والغرور الباطل .

الاعراب :

(فإن كذبوك فقد كُذّب رسل من قبلك) كلام مستأنف مسوق لتسليته صلى الله عليه وسلم ، والفاء استئنافية وإن شرطية وكذبوك فعل وفاعل ومفعول به وهو في محل جزم فعل الشرط ، فقد : الفاء رابطة للجواب وقد حرف تحقيق وكذب فعل ماض مبني للمجهول ورسل نائب فاعل ومن قبلك جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لرسل (جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير) الجملة صفة لرسل وبالبينات جار ومجرور متعلقان بجاءوا وما بعده عطف عليه والمنير صفة للكتاب (كل نفس ذائقة الموت) كلام مستأنف مسوق ليكون تتمة لتسليته صلى الله عليه وسلم ، وكل نفس مبتدأ وذائقة الموت خبره (وإنما توفون أجوركم يوم القيامة) الواو حالية أو استئنافية وإنما كافة ومكفوفة وتوفون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل

وأجوركم مفعول به ثان ويوم القيامة ظرف زمان متعلق يتوفون (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) الفاء استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ وزحزح فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وهو مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر تقديره هو وعن النار جار ومجرور متعلقان بزحزح وأدخل عطف على زحزح ونائب الفاعل مستتر والجنة منصوب بنزع الخافض والفاء رابطة لجواب الشرط وقد حرف تحقيق وفاز فعل ماض والجملة في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر « من » (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) الواو استئنافية وما نافية والحياة مبتدأ والدنيا صفة وإلا أداة حصر ومتاع الغرور خبر .

البلاغة :

في الآية تشبيه بليغ ، فقد شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به بائعه على طالبه حتى ينخدع ويشتريه . وقد أخرج سبحانه الكلام بهذا التشبيه مخرج الإنكار على من جعل ديدنه الاغترار بالدنيا وتلمّظ أفاويقها ، وهي في الواقع لا نفع فيها ولا طائل تحتها ، وأية فائدة ترجى من الشيء الذي يعتوره الفناء ؟ !

﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾

اللغــة :

(عزم الأمور): أي معزوماتها فجعل المصدر بمعنى اسم المفعول

الاعراب :

(لتبلونّ في أموالكم وأنفسكم) اللام موطئة للقسم وتبلوُنّ فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النّون المحذوفة لتوالي الأمثال وواو الجماعة المحذوفة لالتقاء الساكنين ضمير متصل في محل رفع فاعل والنون المشددة نون التوكيد الثقيلة وفي أموالكم جار ومجرور متعلقان بتبلون وأنفسكم عطف على أموالكم والجملة لامحل لها من الاعراب لأنها جواب قسم مقدر وجملة القسم مستأنفة مسوقة للشروع في تسليةّ النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين عما سيستهدفون له من المكاره ، وفائدة التسلية توطين النفس على احتمال المكاره عنــد وقوعها والاستعداد للنتائج مهما تكن (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) الواو عاطفة واللام جواب قسم مقدر أيضاً وتسمعن تعرب مثل تبلون ومن الذين جــار ومجرور متعلقان بتسمعُنّ وجملة أوتوا صلة الموصول والواو في أوتوا نائب فاعــل والكتاب مفعول به ثان ومن قبلكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (ومن الذين أشركوا أذى كثــيراً) ومن الذين جار ومجرور معطوفان على « من الذين أوتوا الكتاب » وهما متعلقان بتسمعن وأذى مفعول به لتسمعن وكثيراً صفــة (وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) الواو عاطفة وإن شرطية وتصبروا فعل الشرط وتتقوا عطف عــلى تصبروا فإن الفاء رابطة لجواب الشرط وإن حرف مشبه

بالفعل وذلك اسمها ومن عزم الأمور جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها والجملة المقترنة بالفاء لا محل لها من الاعراب لأنهـا بمثابة تعليل لجواب الشرط المحذوف واقع موقعه والتقدير : وإن تصبروا وتتقوا فهو خير لكم أو فقد أحسنتم أو أصبتم شاكلة الصواب ، ولك أن تجعلها هي الجواب وتكون الإشارة الى صبر المخاطبين •

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾

اللغـة :

(النّبذ) الطّرح وراء الظهر • مثل في ترك الاعتداد بالشيء والإعراض عنه بالكلية • وقد تقدم مستوفى في سورة البقرة ، كما تقدم القول في أن بعض العلماء جعله من أفعال التحويل كما سيأتي •

الاعراب :

(واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب) كلام مستأنف مسوق لبيان كتمانهم شواهد نبوّته ومخايل صدقه • والواو استئنافية وإذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بمحذوف أي : اذكر وقت أخـذ الله الميثاق • وأخذ فعل ماض والله فاعل وميثاق الذين مفعول به والجملة في محل جر بالاضافة وجملة : أوتوا الكتاب صلة الموصول والواو

نائب فاعل والكتاب مفعول به ثان (لتبيننّه للناس ولا تكتمونه) اللام جواب للقسم الذي يدل عليه أخذ الميثاق ، كأنه قال لهم : بالله لتبيننه .وقرىء بالياء . وتبيننه فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال ، وقد تقدمت له نظائر وما بالعهد من قدم . وللناس جار ومجرور متعلقان بـ « تبيننّه » ولا تكتمونه الواو عاطفة وتكتمونه جملة معطوفة على تبيننه ، ولك أن تجعل الواو حالية فتكون الجملة نصباً على الحال (فنبذوه وراء ظهورهم) الفاء عاطفة ونبذوه فعل وفاعل ومفعول به ووراء ظهورهم نصب على المفعولية الثانية كما تقدم في سورة البقرة ، وأعربه الكثيرون ظرفاً ، ولم يشترطوا كون الفاعل مستقراً مع الظرف (واشتروا به ثمناً قليلاً) الواو عاطفة واشتروا عطف على نبذوه وبه جار ومجرور متعلقان باشتروا وثمناً مفعول به وقليلاً صفة (فبئس ما يشترون) الفاء استئنافية وبئس فعل ماض جامد لانشاء الذم وما نكرة تامة منصوبة على التمييز وقد ميزت فاعل بئس . ويجوز أن تكون مصدرية مؤولة مع الفعل بمصدر هو الفاعل أي : شراؤهم ، وقد تقدمت . والمخصوص بالذم محذوف أي : هذا .

البلاغة :

١ ــ الالتفات ، فقد انتقل من الغيبة في قوله « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب » الى الخطاب في قوله : « لتبيننه » ثم عاد الى الغيبة ، والفائدة من ذلك زيادة التسجيل المباشر عليهم .

٢ ــ الاستعارة المكنية في اشتروا به ، وقد تقدمت .

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ ﴾

اللغــة :

(المفازة) مكان الفوز والنجــاة ، ويجوز أن تكون مصدراً ميميا • وسميت الصحراء مفازة تفاؤلاً بالسلامة والفوز •

الاعراب :

(لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا) كلام مستأنف مسوق لبيان غفلتهم وانسياقهم مع أوهامهم • ولا ناهية وتحسبن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم بلا والفاعل مستتر تقديره أنت والذين مفعول به وجملة يفرحون صلة الموصول وبما جار ومجرور متعلقان بيفرحون وجملة أتوا لا محل لها لأنها صلة الموصول (ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) ويحبون معطوف على يفرحون وأن وما في حيزها مصدر مؤول في محل نصب مفعول به وبما جار ومجرور متعلقان بيحمــدوا ولم حرف نفي وقلــب وجزم ويفعلوا فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف النون والجملة صلة الموصول (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) الفاء زائدة لتحسين اللفظ وقد أنشدوا على زيادة الفاء في مثل هذا التركيب قول الشاعر :

وحتى تركت العائدات يعدنه ... يقلن فلا تبعد وقلت له ابعــد

أي : لا تبعد ، هكـذا أعربها المعربون ، وتبعهم المفسرون .
وأرى أنها الفصيحة ، وهي تسبق عادة جملة التطرية لنشاط القارىء
بعد حذف المفعول الثاني لتحسبن الأولى ، أي لا تحسبنهم ناجين .
واذا شئت أن تتأكـد مصيرهم تماماً فلا تحسبنهم . وبمفـازة جار
ومجرور في موضع المفعول الثاني لتحسبنهم ومن العذاب جار ومجرور
متعلقان بمحـذوف صفة لمفازة إن اعتبرت اسم مكان وبمفازة إن
اعتبرت مصدراً ميمياً (ولهم عذاب أليم) الواو استئنافية ولهم جار
ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وأليم نعت.

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ
١٨٩ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ
لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ
وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا
سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١ ﴾

الاعراب :

(ولله ملك السموات والارض) الواو عاطفـة ولله جار ومجـرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ملك مبتدأ مؤخـر والسموات مضاف إليه والأرض عطف على السموات (والله على كل شيء قدير) الواو عاطفة والله مبتدأ وعلى كل شيء جار ومجرور متعلقان بقدير وقدير خبر (إن في خلق السموات والأرض) كـلام مستأنف مسوق لبيان

قدرته سبحانه ووجوده وعلمه . وإن حرف مشبه بالفعل وفي خلق السموات والأرض جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر إن المقدم (واختلاف الليل والنهار) عطف على خلق (لآيات لأولي الألباب) اللام المزحلقة وآيات اسم إن المؤخر ولأولي الألباب جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لآيات (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم) الذين صفة لأولي الألباب وجملة يذكرون الله صلة وقياماً وقعوداً حالان وعلى جنوبهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أي : مضطجعين ، والمعنى يذكرونه في جميع الاحوال قياماً وقعوداً ومضطجعين . وللفقهاء استدلالات وإيماءات بارعة ، ومن طريف حجج الشافعي أنه استدل بها على اضجاع المريض على جنبه في الصلاة (ويتفكرون في خلق السموات والارض) لك أن تجعل الواو عاطفة فتكون الجملة معطوفة على سابقتها فتكون داخلة في حيز الصلة ، ولك أن تجعل الواو حالية فتكون الجملة نصباً على الحال (ربنا ما خلقت هذا باطلاً) ربنا منادى مضاف ولا بد من تقدير قول . أي : يقولون ربنا ، فالجملة نصب على الحال وما نافية وخلقت فعل وفاعل وهذا مفعول به وباطلاً منصوب بنزع الخافض أي بالباطل أو نعت لمصدر محذوف أي خلقاً باطلاً ، أو حالاً من هذا ، ورجح أبو حيان هذا الوجه على غيره . وعندنا أنها متساوية الرجحان (سبحانك فقنا عذاب النار) سبحانك مفعول مطلق وهو مع فعله المحذوف جملة معترضة لا محل لها . فقنا الفاء عاطفة للترتيب أي : نزهناك فقنا . ولك أن تجعلها الفصيحة لمعنى الجزاء المقدر أي : إذا شئت جزاءنا فقنا . وقِ فعل أمر ونا مفعول به أول وعذاب النار مفعول به ثان .

البلاغـة :

١ ــ الطباق : الذي جمع حالات الانسان الثلاث في الصلاة ، وهي القيام والقعود والاضطجاع على الجنب ، كما يقول الشافعي ، أو الاستلقاء ، لأنه أخف ، كما يقول أبو حنيفة .

٢ ــ المجاز المرسل بعلاقته المحلية ، فقد ذكر السموات والارض، ومراده ما فيهما من أجرام عظيمة بديعة الصنع صالحة للاستغلال في سبيل النفع الانساني الشامل .

٣ ــ الإيجاز في قوله : ويتفكرون في خلق السموات والارض ، حيث انطوى تحت هذا الايجاز كل ما تمخض عنه العلم من روائع المكتشفات وبدائع المستنبطات . وفي الحديث : لا عبادة كالتفكر .

١ ــ فلسفة الافكار لديكارت :

ولا مندوحة لنا هنا عن الاشارة الى أن فلسفة ديكارت الفرنسي عرفت في العصر الحديث بأنها فلسفة الافكار الواضحة المتميزة ، كما كانوا يسمونها في القرن السابع عشر . فقد أرادت تلك الفلسفة أن تخلص الفكر من وطأة السلطات أياً كانت ، فلم تقبل دليلاً على الحق إلا البداهة العقلية ، أي بداهة العقل الذي يراه الفيلسوف أعـدل الاشياء قسمة بين الناس ، وحظوظ الناس منه متساوية ، فلا فرق بين شعب وشعب ، ولا تفاضل بين جنس وجنس . وقد كان لديكارت فضل في بناء صرح المذهب العقلي الحديث حين وضع قاعدته المشهورة: يجب أن لا أقبـل شيئاً أبداً على أنه حق ما لم يتبين لي ببداهة العقل أنه كذلك ، ويجب أن لا أحكم على الأشياء إلا بما يتمثله ذهني بوضوح وتمييز ينتفي معهما كل سبيل الى الشك .

بين ديكارت ومحمد عبده :

وقد تجلى أثر هذه الفلسفة عند الاستاذ الامام محمد عبده في السنوات الاولى من هذا القرن العشرين إذ لا يخفى أن الدعوة التي نهض بها الامام محمد عبده لإصلاح المجتمع الاسلامي عموماً إنما تقوم على اصطناع منهج ديكارت في « الافكار الواضحة المتميزة » وفي تغليبه حكم العقل على أحكام الهوى والعاطفة وفي اصطناعه اليقين والبداهة معياراً لصحة الروايات أو تلفيقها .

تأملات ديكارت :

ومن المفيد أن نلخص تأملات ديكارت الستة وهي :

١ ـ بداهة العقل عند الفيلسوف معيار اليقين ، أي العلامة المميزة للمعرفة الصحيحة .

٢ ـ فناء الجسم الانساني أمر ممكن ميسور ، أما الذهن فباق بطبيعته . .

٣ ـ فكرة موجود كامل فينا تشمل قدراً من الحقيقة الموضوعية أي تشارك بالتصور في قدر من درجات الوجود والكمال بحيث يلزم أن تصدر عن علة كاملة على الإطلاق .

٤ ـ جميع الاشياء التي تتصوّرها تصوراً واضحاً جداً ومتميزاً جداً هي كلها صحيحة ، وتتصل بالحقائق العقلية التي يمكن معرفتها بمعونة النور الطبيعي وحده .

٥ ــ وفي التأمل الخامس يتحدث عن ماهية الاشياء المادية ، ثم يعود الى الحديث عن الله ووجوده ، وهو يستند الى معيار البداهة . ولما كان ديكارت عالماً رياضياً ، وكان المثل الاول للبداهة عنده هو مثل البداهة الرياضية ، فهو ينظر الى الفكرة الواضحة التي تكون في أذهاننا عن الله فيجد أن شأنها كشأن المثلث ، وينتهي الى القول : إن القضيتين مجموع زوايا المثلث يساوي قائمتين ، والله موجود هما قضيتان متعادلتان في اليقين .

٦ ــ وانتهى ديكارت في التأمل السادس بتمييز فعل الفهم من فعل المخيلة فقال : وأصف علامات التمييز ، وفيه أبيّن أن نفس الانسان متميزة عن الجسم حقاً ، وأنها مع ذلك ملتئمة معه التئاماً ومتحدة به اتحاداً يجعلها وإياه شيئاً واحداً ، وفيه أبسط جميع ضروب الخطأ الناشئة من الحواس ، مبيناً الوسائل لاجتنابها . وأورد أخيراً جميع الأدلة التي يمكن أن يستنتج منها وجود المادية ، لا لأنني أرى لها فائدة كبيرة في إثبات ما تثبته ــ أعني أن العالم موجود وأن للناس أجساماً وما شابه ذلك من أشياء لم يشك فيها قط انسان ذو عقل سليم ــ بل لأن إنعام النظر فيها يطلعنا على أنها لم تبلغ من المتانة والبداهة مرتبة الأدلة التي توصلنا الى معرفة الله ومعرفة النفس ، وبهذا الاعتبار تكون الأدلة الأخيرة أوثق وأبين ما يمكن أن يقع للذهن الانساني من معرفة .

٤ ــ المطابقة المتعددة حتى تسمى مقابلة فقد طابق بين السموات والارض ، وبين الليل والنهار ، والقيام والقعود .

﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ

أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾

الاعراب :

(ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته) كلام مستأنف مسوق لتتمة الابتهالات الرقيقة الرائعة التي شرع فيها في خاتمة سورة آل عمران • وربنا منادى مضاف وإنك : إن واسمها ، ومن اسم شرط جازم في محل نصب مفعول به مقدم وتدخل فعل الشرط والنار منصوب بنزع الخافض أو مفعول به ثان على السعة ، فقد الفاء رابطة لجواب الشرط لاقتران الجواب بقد وأخزيته فعل وفاعل ومفعول به والجملة المقرونة بالفاء في محل جزم جواب الشرط والجملة في محل رفع خبر إن (وما للظالمين من أنصار) الواو استئنافية أو حالية وما نافية وللظالمين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومن حرف جر زائد وأنصار مجرور لفظاً بمن مرفوع بالابتداء محلاً ، ولك أن تجعل ما حجازية عاملة عمل ليس لأنهم أجازوا تقديم الخبر إذا كان ظرفاً أو جاراً ومجروراً (ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للايمان) ربنا منادى مضاف وإن واسمها ، وجملة سمعنا خبرها ومنادياً مفعول سمعنا وجملة ينادي صفة وللإيمان جار ومجرور متعلقان بينادي • [ويلاحظ أن ضمير المتكلم وهو « نا » استعمل في حالاته الثلاث الجر بالاضافة لـ « ربّ » والنصب لأنه اسم إن والرفع على الفاعلية] والجملة كلها مستأنفة مسوقة لتتمة الابتهالات (أن آمنوا بربكم فآمنا) أن

مصدرية وآمنوا فعل أمر وأن وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض ويكون الجار والمجرور متعلقين بينادي ، ويجوز أن تكون أن هي المفسرة ، وهي الواقعة بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه ، فتكون الجملة لا محل لها • وبربكم جار ومجرور متعلقان بآمنوا فآمنا الفاء حرف عطف للترتيب والتعقيب ، مؤذن بتعجيل الانصياع للنداء والايمان من غير مهلة ، لأن المنادي هو محمد أو القرآن ، وكلاهما حافز الى الامتثال والايمان (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا) أعاد النداء استعذاباً للترتيب وزيادة في الاستعطاف والابتهال ، والفاء في قوله « فاغفر » عاطفة مؤذنة بالإشعار بترتب المغفرة على الايمان به تعالى والإقرار بربوبيته ، وليس هناك أدعى الى المغفرة من ذلك • ولنا جار ومجرور متعلقان باغفر ، وذنوبنا مفعول به وكفّر عطف على اغفر ، وعنا جار ومجرور متعلقان بكفر ، وسيئاتنا مفعول به (وتوفنا مع الابرار) عطف على ما تقدم وتوف فعل أمر مبني على حذف حرف العلة ونا مفعوله ومع ظرف مكان متعلق بمحذوف حال والابرار مضاف اليه •

البلاغة :

في الآية الإطناب ، وهو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة بأمور منها:

آ ــ ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضل الخاص ، ومن أمثلته في القرآن قوله تعالى « إنا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها » فذكر الجبال بعد الارض وهي جزء منها ، إطناب يراد به التفخيم والتهويل ، باعتبار أن الجبال تروعنا بشموخها ورسوخها ، ومع ذلك جبنت عن حمل الامانة •

ب ــ ذكر العام بعد الخاص ومن أمثلته قوله تعالى : « رب اغفر لي ولوالديّ ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات » وهما لفظان عامّان يدخل في عمومهما من ذكر قبل ذلك . والغرض من ذلك إفادة الشمول مع العناية بالخاص الذي ذكــره مرتين ، مرة وحــده ومرة مندرجاً تحت العام .

جـ ــ الايضاح بعد الإيهام ، ومن أمثلته قوله تعالى : « وقضينا إليه ذلك الأمــر : أنّ دابر هؤلاء مقطوع » فقولــه : « أن دابر هؤلاء مقطوع » إيضاح للابهام الذي تضمنه لفظ الأمر .

د ــ التكرير وقد سبقت الاشارة اليه كقول الحسين بن مطير يرثي معن بن زائدة :

فيا قبر معـــن أنــت أول حفـــرة
من الأرض خطّت للسماحــة موضعا
ويا قبر معــن كيف واريــت جوده
وقد كان منــه البرّ والبحــر مترعا

والغاية منه تقرير المعنى في النفس ، وهو الأصل . وقد يكون للإنذار كما يرد في خطب الخطباء ، أو التحسر كما يصنع الراثون ، أو الاستلذاذ كما يفعل الغزلون .

هـ ــ الاعتراض : وهو أن يؤتى خلال الكلام أو بين كلامين متصلين في المعنى بجملة لا محل لها من الاعراب لفائدة ثانوية كالجملة الدعائية في قول عوف بن محلم الخزاعي :

إن الثمانين ، وبلغتها قد أحوجت سمعي الى ترجمان

فقوله : وبلغتها ، جملة دعائية تعطف قلب الممدوح وتتلطف في ذكر المراد ، وهو أنه أصمّ لا يسمع كلامه ليرفع صوته . وقد مرت الاشارة اليه .

و ـ الاحتراس وهو كل زيادة تجيء لدفع ما يوهمه الكلام مما ليس مقصوداً كقول أبي الطيب المتنبي :

إني أصاحب حلمي وهو بي كرم

ولا أصاحب حلمي وهو بي جبن

ففي البيت إطناب بالاحتراس في موضعين : أولهما في الشطر الاول بذكر « وهو بي كرم » ، وثانيهما في الشطر الثاني بذكر « وهو بي جبن » لدفع ما قد يوهمه الحلم مجرداً . وهناك أغراض أخرى ترد الاشارة اليها في مضامين هذا الكتاب . وفي الآية إطناب بالتكرار، وهو الجمع بين « منادياً » و « ينادي » وذلك أنه ذكر النداء في الاول مطلقاً ثم ذكره في الثاني مقيداً بالايمان ، تفخيماً لشأن المنادى ، لأنه لا منادي أعظم من مناد يدعو الى الايمان ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم أو القرآن الذي أنزل عليه . ورجح ابن جرير الطبري أن يكون المنادي هو القرآن ، واحتج لذلك بأن كثيرين ممن وصفهم الله بهذه الصفة في هذه الآيات ليسوا ممن رأى النبي صلى الله عليه وسلم فسمعوا دعاءه الى الله تبارك وتعالى ونداءه ، ولكنه القرآن .

٢ ـ وفي الآية فنّ وضع الظاهر موضع المضمر . فقد كان

مقتضى الظاهر أن يقال: ومالهم من أنصار أو وماله من أنصار، مراعاة لمعنى « مَنْ » أو لفظها ، ولكنه أظهر إشعاراً بتخصيص الخزي بهم .

الفوائد :

قال أبو حيان : « سمع » إن دخل على مسموع تعدّى لواحد نحو : سمعت كلام زيد ، كغيره من أفعال . وإن دخل على ذات وجاء بعده فعل أو اسم في معناه ، نحو : سمعت زيداً يتكلم ، وسمعت زيداً يقول كذا ، ففي هذه المسألة خلاف ، منهم من ذهب الى أن ذلك الفعل أو الاسم إن كان قبله نكرة كان صفة لها ، أو معرفة كان حالا منها . ومنهم من ذهب الى أن ذلك الفعل أو الاسم هو في موضع المفعول الثاني لـ « سمع » وجعل « سمع » مما يتعدى الى واحد إن دخل على مسموع والى اثنين إن دخل على ذات » .

﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾

الاعراب :

(ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك) كلام معطوف على ما تقدم من ابتهالات وربنا منادى مضاف وآتنا عطف على أفعال الدعاء المتقدمة ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول وما اسم موصول مفعول به ثان وجملة وعدتنا صلة الموصول وعلى رسلك جار ومجرور متعلقان بوعدتنا ، ولا بد من حذف مضاف أي : على ألسنة رسلك ، أو على تصديق رسلك ، ولك أن تعلقهما بمحذوف حال أي : منزلاً على رسلك أو محمولاً على رسلك ، لأن الرسل محملون ذلك (ولا تخزنا يوم القيامة) الواو عاطفة ولا ناهية وتخزنا فعل مضارع مجزوم بلا ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول به ويوم القيامة ظرف زمان متعلق بتخزنا (إنك لا تخلف الميعاد) الجملة تعليلية لامحل لها لتعليل السؤال منهم ، وهو باب من أبواب اللجوء الى الله ، وإلا فإن الله لا يخلف الميعاد . وإن واسمها ، وجملة « لا يخلف الميعاد » خبر إنّ (فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم) الفاء استئنافية واستجاب فعل ماض ولهم جار ومجرور متعلقان باستجاب وربهم فاعل وأني : ان واسمها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان باستجاب لتبيان السبب كأنه قال : فاستجاب لهم ربهم بسبب أني لا أضيع ، وجملة لا أضيع خبر أنّ وعمل عامل مفعول به ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لعامل (من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من عامل بعد وصفه أي استقر منكم حالة كونه من ذكر أو أنثى، أو صفة ثانية لعامل . وأعربه أبو البقاء بدلا مطابقاً من منكم ، وهو سائغ أيضاً ، وبعضكم مبتدأ ومن بعض جار ومجرور متعلقان

بمحذوف خبر ، والجملة مستأنفة مسوقة لتبيين شركة النساء مع الرجال في الثواب ، وجعلها بعضهم معترضة ، وما أحسبها بعيدة ، لأنها وقعت بين قوله « عمل عامل » وبين ما فصل به عمل العاملين فصح كونها واقعة بين كلامين متصلين ورجحها الزمخشري (فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم) الفاء استئنافية للتفريع وذلك للدلالة على أن الجزاء لا يكون إلا لمن جمع هذه الصفات متعددة ، فالجملة مستأنفة لا محل لها والذين مبتدأ وجملة هاجروا صلة الموصول وأخرجوا عطف على هاجروا ومن ديارهم جار ومجرور متعلقان بأخرجوا (وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا) الجملة كلها معطوفة داخلة في حيز الصلة (لأكفرن عنهم سيئاتهم) اللام جواب قسم محذوف وأكفرن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والجملة القسمية خبر الذين ، وهنا لا بد من دفع اعتراض معترض يقول : إن الجملة الواقعة جواباً للقسم لا محل لها فكيف ساغ أن تكون هنا خبراً ويتلخص الدفع بأن المقصود مجموع القسم وجوابه. وعنهم جار ومجرور متعلقان بأكفرن وسيئاتهم مفعول به (ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار) الواو عاطفة ولأدخلنهم عطف على لأكفرن والهاء مفعول به وجنات منصوب بنزع الخافض أو مفعول به ثان على السعة وجملة تجري من تحتها الانهار صفة لجنات (ثواباً من عند الله) ثواباً مفعول مطلق لفعل محذوف يفيد التأكيد ، وأجازوا إعرابها حالا من جنات أي : مثاباً بها ، أو من الضمير الواقع مفعولاً به أي حال كونهم مثابين ، وهو جائز . ومن عند الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لثوابا (والله عنده حسن الثواب) الواو استئنافية والله مبتدأ وعنده ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم وحسن الثواب مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر « الله » .

البلاغـة :

١ ـ في هذه الآية فن منقطع النظير يمكن تسميته « الاسجال » وحدّه أن يقصد المتكلم غرضاً من الأغراض فيأتي بألفاظ تقرر ذلك الغرض : فقد سجل المولى سبحانه على ألسنة عباده تحقيق موعوده على لسان رسوله ، وتأمل كلمة « ما وعدتنا » تجد أن هذا الوعد قد أصبح مبرماً لا انفكاك لإبرامه . ومن طريف ما ورد منه شعراً قول ابن نباتة السعديّ :

جـاء الشتاء وما عنـدي له عـدد
إلا ارتعـادي وتصفيقي بأسنـاني

فإن هلكـت فمـولانا يكفنـني
هبني هلكـت فهبني بعض أكفـاني

والاسجال واضح في تقريره هبني هلكت ، وما أجمل الجناس بين هبني بمعنى احسبني وهبني بمعنى أعطني هبة .

٢ ـ الالتفات في قوله « فاستجاب لهم ربهم » فقد التفت من الغيبة الى التكلم لاظهار كمال الاعتناء بصدد الاستجابـة وتشريف الداعين وتسوية الرجال والنساء وشركة النساء مع الرجال في العمل والجزاء عليه بعـد أن كانت المـرأة مغموطـة الحق في الجاهلية .

روي أن أم سلمة قالت : يا رسول الله ، إني أسمع الله تعالى يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النسـاء فنزلت .

﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ
مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧) لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ
تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ
خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ (١٩٨) وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا
أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ
ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ
(١٩٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ (٢٠٠) ﴾

اللغــة :

(النزل) بضمتين وبضمّ فسكون : ما يقام للنازل أو طعام الضيف ، قال أبو الشعواء الضبيّ :

وكنّا إذا الجبـــار بالجيش ضافنا

جعلنا القنـا والمرهفـات لـه نزلا

(رابطوا) أقاموا في الثغر ، والأصل أن يربط هؤلاء وهؤلاء خيلهم مترصدين مستعدين للغزو .

ورباط الخيل حبسها . قال :

فينا رباط جياد الخيل معلمه
وفي كليب رباط الذّل والعار

الاعراب :

(لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد) جملة مستأنفة مسوقة لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الاغترار ، وهو في الحقيقة نهي لأصحابه وأتباعه عن الاغترار بما يرونه من تبسّط الكافرين والظالمين العتاة في الارض ، واستبحارهم في القوة والعمران ، على نحو ما هو مشاهد اليوم . ولا الناهية ويغرنك فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بلا والكاف مفعول به وتقلب فاعل والذين اسم موصول مضاف اليه وجملة كفروا صلة وفي البلاد جار ومجرور متعلقان بتقلب لأنه مصدر (متاع قليل ثم مأواهم جهنم) متاع خبر لمبتدأ محذوف وقليل صفة أي : هو متاع ضئيل لا يؤبه له ، وهو مهما تطاول آيل الى الزوال والجملة مستأنفة . ثم حرف عطف للتراخي ومأواهم مبتدأ وجهنم خبر (وبئس المهاد) الواو حالية وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم والمهاد فاعل بئس والمخصوص بالذم محذوف أي : جهنم ، والجملة نصب على الحال . (لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات) لكن مخففة مهملة لمجرد الاستدراك والذين مبتدأ وجملة اتقوا ربهم صلة الموصول ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وجنات مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر الذين وجملة لكن مستأنفة (تجري

من تحتها الانهار خالدين فيها) الجملة صفة لجنات ومن تحتها جار ومجرور متعلقان بتجري والانهار فاعل وخالدين حال وفيها جار ومجرور متعلقان بخالدين (نزلاً من عند الله) نزلاً حال من جنات ، وإن جعلته مصدراً فهو مفعول مطلق لفعل محذوف ، ومن عند الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة « نزلاً » (وما عند الله خير للابرار) الواو استئنافية أو حالية وما اسم موصول مبتدأ وعند الله ظرف متعلق بمحذوف صلة ما وخير خبر وللابرار جار ومجرور متعلقان بخير والجملة مستأنفة أو حالية (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) الواو استئنافية وإن حرف مشبه بالفعل ومن أهل الكتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر إن المقدم ولمن اللام المزحلقة ومن اسم موصول اسم إن المؤخر وجملة يؤمن بالله صلة الموصول وبالله جار ومجرور متعلقان بيؤمن (وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله) الواو حرف عطف وما اسم موصول معطوف على الله وجملة أنزل إليكم صلة وما أنزل إليهم عطف أيضاً وخاشعين حال من الضمير في يؤمن ولله جار ومجرور متعلقان بخاشعين (لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً) جملة لا يشترون حالية وبآيات الله جار ومجرور متعلقان بيشترون وثمناً مفعول به وقليلا صفة (أولئك لهم أجرهم عند ربهم) الجملة مستأنفة واسم الاشارة مبتدأ ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وأجرهم مبتدأ مؤخر وعند ربهم ظرف متعلق بمحذوف حال أي مستقراً عند ربهم والجملة خبر « أولئك » (إن الله سريع الحساب) جملة مستأنفة وإن واسمها وخبرها (يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعرابها كثيراً (اصبروا وصابروا ورابطوا) أفعال دعاء (واتقوا الله) عطف أيضاً (لعلكم تفلحون) لعل واسمها ، والجملة خبرها وجملة الرجاء حالية .

البلاغـة :

جاء ختام سورة آل عمران حسناً جداً ، وكما جاء ختام سورة البقرة مشتملا على الدعاء جاء ختام سورة آل عمران مشتملا على عدد من الوصايا النافعة، وهذا هو حسن الختام، ليبقى راسخاً في الاسماع، وهذا هو حسن البيان .

سورة النساء
مدنية وآياتها ست وسبعون ومائة

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا (١) ﴾

اللغة :

(تساءلون) فعل مضارع ، وأصله تتساءلون ، فحذفت احدى التاءين ، أي يسأل بعضكم بعضاً .

(الأرحام) جمع رحم وهي القرابة .

الاعراب :

(يا أيها الناس اتقوا ربكم) يا أيها : تقدم اعرابها كثيراً ، والناس بدل من « أي » واتقوا ربكم فعل وفاعل ومفعول به (الذي خلقكم من نفس واحدة) الذي صفة لـ « ربكم » وجملة خلقكم صلة

الموصول ومن نفس جار ومجرور متعلقان بخلقكم وواحدة صفة والجملة مستأنفة مسوقة لبحث بدء الخلق والتكوين (وخلق منها زوجها) الواو حرف عطف وخلق فعل ماض ومنها جار ومجرور متعلقان بخلق وزوجها مفعول به (وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء) الواو عاطفة وبث فعل ماض ومنهما جار ومجرور متعلقان ببث ورجالاً مفعول به وكثيراً صفة ونساء عطف على « رجالاً » (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) الواو عاطفة واتقوا الله فعل أمر والذي صفة وجملة تساءلون صلة وبه جار ومجرور متعلقان بتساءلون والارحام عطف على الله وفي هذا العطف تنويه بمنزلة القرابة ووجوب البرّ بها ومراعاتها (إن الله كان عليكم رقيباً) الجملة تعليلية لا محل لها وإن واسمها ، وجملة كان وما في حيزها خبر ان وكان فعل ماض ناقص وعليكم جار ومجرور متعلقان بـ « رقيباً » واسم كان مستتر ورقيباً خبرها .

البلاغة :

في الآية الآنفة فن براعة الاستهلال فقد استهل السورة بالاشارة الى بدء الخلق والتكوين ، وألمع الى دور المرأة المهم ، وأوصى بصلة الرحم . وقد حفل الشعر العربي بذكر صلة الرحم ومنزلتها عند الله ، وحسبنا أن نشير الى قصيدة معن بن أوس التي مطلعها :

وذي رحم قلمت أظفار ضغنه ... بحلمي وهو ليس له حلم

وهي قصيدة رائعة يكاد لا يخلو منها كتاب أدبي فليرجع اليها من يشاء .

﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ ﴾

اللغـة :

(اليتامى) الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم ، واليتم الانفراد • ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة،وقيل:اليتيم في الأناسي من قبل الآباء، وفي البهائم من قبل الأمهات• واليتامى جمع الجمع، فقد جمع اليتيم على يتمى كأسرى ، ثم جمع يتمى على يتامى كأسرى على أسارى • ويجوز أن يجمع على فعائل لجري اليتيم مجرى الاسماء نحو صاحب وفارس فيقال : يتائم ثم يتامى على القلب •

(الحوب) بضم الحاء وفتحها : الذنب العظيم ، وهو مصدر حاب حوباً وحاباً •

الاعراب :

(وآتوا اليتامى أموالهـم) الواو يصح أن تكون استئنافية ، فتكون الجملة مستأنفة مسوقة للشروع في كيفية الاتقاء وطرقه ، وقدم اليتامى لكمال العناية بأمرهم • ويصح أن تكون عاطفة على ما تقدم ، فيكون السرد متلاحقاً • وآتوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل واليتامى مفعول به أول وأموالهم مفعول به ثان (ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) عطف على ما تقدم ولا ناهية وتتبدلوا فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل والخبيث مفعول به والباء حرف جر والطيب وهو المتروك مجرور بها وهما متعلقان

يتبدلوا (ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم) الواو عاطفة ولا ناهية وتأكلوا فعل مضارع مجـزوم بلا وأموالهم مفعول به والى أموالكم جـار ومجرور متعلقان بمحذوف حـال أي مضمومة الى أموالكم (إنه كان حوباً كبيراً) ان واسمها ، وجملة كان واسمها وخبرها خبر إن وجملة إن وما في حيزها تعليلية لا محل لها ولهذا كسرت همزة إن .

البلاغـة :

في هـذه الآية مواطن من البلاغة بالغة حدّ الإعجـاز نلخصها فيما يلي :

١ ـ المجاز المرسل في قوله تعالى : « وآتوا اليتامى أموالهم » لأن الله سبحانه لا يأمر بإعطاء اليتامى الصغار أموالهم ، فهذا غـير معقول بـل الواقـع أن الله يأمر بإعطـاء الاموال مَن بلغوا سن الرشد ، بعد أن كانوا يتامى : فكلمة اليتامى هنا مجاز مرسل ، لأنها استعملت في الراشدين . والعلاقة اعتبار ما كانوا عليه .

٢ ـ الاستعارة المكنية بأكل أموال اليتامى . فقد شبه أموالهم بطعام يؤكل ، ثم استعار لها ما هو من أبرز خصائص الطعام وهو الأكل ، وفي هذه الاستعارة سرّان من أدق الأسرار :

آ ـ إن طريق البلاغة النهي عن الأدنى تنبيهاً على الأعلى إذا كان المنهي عنه درجات ، فكان مقتضى القانون المذكور أن ينهى عن أكل مال اليتيم من هو فقير اليه حتى يلزم نهي الغني عنه عن طريق الأولى ، فلا بد من سر يوضح فائدة تخصيص الاعلى بالنهي ، في هذه الآية ،

وذلك ما يفهم من كلمة « الى أموالكم » ، والسر في ذلك أن أكل مال اليتيم مع الغنى عنه أقبح صور الأكل فخصص بالنهي تشنيعاً على من يقــع فيه •

ب ــ والسر الثاني في تخصيص الأكل لأن العرب كانت تتذمم بالإكثار من الأكل ، وتعدّ من البطنة المساوية للبهيمية ، فكأن آكل مال اليتيم ــ في حال استغنائه عنه وكثرة المال لديه ــ شر من أكله وهو مملق شديد الحاجة اليه ، وإن اشتركا في أكل ما هو محرم ، وكانا منتظمين في قرن واحد ، ومعلوم أن المنهي عنه كلما كان أوغل في القبح وأفرط في الدمامة كانت النفس بطبيعة الحال أنفر عنه •

٣ ــ الطباق بين الخبيث وهو الحرام من المــال والطيب وهو الحلال المستســاغ •

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ ﴾

اللغــة :

(تقسطوا) مضارع أقسط الرباعي ، ومعناه عدل ، والثلاثي معناه جار •

(تعولوا) من قولهم : عال الميزان إذا مال ، وميزان فلان عائل ، وعال الحاكم في حكمه اذا جار . وذكر أبو بكر بن العربي أن عال تأتي لسبعة معان :

الأول : عال أي مال .

والثاني : زاد ، والثالث : جار ، والرابع : افتقر . والخامس : أثقل ، والسادس : قام بمئونة العيال ، ومنه قوله : وابدأ بمن تعول . والسابع : عال : أي غلب ، ومنه عيل صبري . وقد وردت عال لمعان غير السبعة غير التي ذكرها ابن العربي منها : عال : اشتد وتفاقم ، حكاه الجوهري ، وعال الرجل في الأرض إذا ضرب فيها ، حكاه الهروي . وعال إذا أعجز ، حكاه الأحمر . فهذه ثلاثة معان غير السبعة . والرابعة عال : أي كثر عياله . فجملة معاني عال أحد عشر معنى ، وسيأتي مزيد من بحث هذه المادة في باب الفوائد .

(الصدقات) المهور ، مفردها صدقة : بفتح الصاد وضم الدال . والمهر له أسماء كثيرة أيضاً ، منها صدقة بفتحتين ، وبفتح فسكون ، وصداق : بكسر الصاد وفتحها .

(نحلة) مصدر نحله كذا أي أعطاه إياه هبة له عن طيب نفس .

(هنيئاً مريئاً) صفتان من هَنُؤ الطعام أو الشراب إذا كان سائغاً لا تنغيص فيه . وقيل : الهنيء ما يلذه الآكل ، والمريء : ما يحمد عاقبته . وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم الى فم المعدة : المريء لمروء الطعام فيه ، أي انسياغه .

الاعراب :

(وإن خفتـم أن لا تقسطوا في اليتامى) الواو استئنافية وإن شرطية وخفتم فعـل ماض في محل جزم فعـل الشرط وأنْ حرف مصدري ونصب ولا نافيـة وتقسطوا فعـل مضارع منصوب بأن والمصدر المؤول من أن وما في حيزها مفعول بـه وفي اليتامى جـار ومجرور متعلقان بتقسطوا وسيأتي في باب الفوائـد المـراد بذلك (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) الفاء رابطة للجواب وأنكحوا فعل أمر والواو فاعل والجملة في محل جزم فعل الشرط وما اسم موصول في محل نصب مفعول به وجملة طاب لا محل لها لأنها صلة ولكم جار ومجرور متعلقان بطاب ومن النساء جـار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من ضمير الفاعل ومثنى وثلاث ورباع أحوال . وأعربها أبو علي الفارسي بدلا من « ما » وسيأتي مزيد من القول فيها في باب الفوائد (فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة) الفاء استئنافية وإن شرطية وخفتم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وأن لا تعدلوا : المصدر المؤول مفعول به ، فواحدة الفاء رابطة لجواب الشرط وواحدة مفعول به لفعل محذوف أي : فالزموا واحدة ، والجملة في محل جزم جواب الشرط (أو ما ملكت أيمانكم) أو حرف عطف وهي للتخيير أي من الإماء اللواتي في حوزتكم ، لما في ذلك من اليسر والسهولة . وما اسم موصول معطوف على « واحدة » وجملة ملكت أيمانكم لا محل لها (ذلك أدنى أن لا تعولوا) اسم الاشارة مبتدأ وأدنى خبره والجمـلة استئنافية وأن لا تعولـوا : المصدر المؤول منصوب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بأدنى ، أي : أقرب من العدل وعدم الجور . وللفقهاء تعليلات طريفة في الجمع بين الإماء

والحرائر في السهولة واليسر ، تجد منها شيئاً في باب الفوائد (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) الواو عاطفة وآتوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والنساء مفعول به وصدقاتهن مفعول به ثان ونحلة نصب على المصدر ، لأن النحلة والإيتاء مترادفان بمعنى الإعطاء ، فكأنه قيل : وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة ، أي أعطوهن مهورهن عن طيبة نفس . ويجوز نصبها على الحال من المخاطبين بعد تأويلها بالمشتق ، أي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالإعطاء ، أو على الحال من « صدقاتهن » أي : منحولة معطاة عن طيبة نفس . وقيل : نحلة من الله أي عطية من عنده وتفضلا منه عليهن . وقيل النحلة : الملة والدين . والمعنى : آتوهن مهورهن ديانة ، فتعرب عندئذ مفعولا لأجله . وإنما أوردنا هذه الاوجه لأنها متعادلة الرجحان (فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً) الفاء استئنافية وإن شرطية وطبن فعل ماض مبني على السكون ونون النسوة فاعل وهو في محل جزم فعل الشرط ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وعن شيء جار ومجرور متعلقان بطبن ومنه جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لشيء ونفساً تمييز (فكلوه هنيئاً مريئاً) الفاء رابطة لجواب الشرط وكلوه فعل أمر ومفعول به وهنيئاً مريئاً صفتان لمصدر محذوف أي : أكلاً هنيئاً مريئاً ، أو حال من الضمير أي : كلوه وهو هنيء ومريء .

البلاغة :

في هذه الآية فن التغليب ، فقد قال : فانكحوا ما طاب لكم ، ولم يقل « من » كما هو المتبادر في استعمال « من » للعاقل و « ما »

لغير العاقل تغليباً ، لأن « ما » تأتي لصفات من يعقل ، وقد وصفهن بالطيب ، فصح استعمال « ما » ، وهذا سر بديع تقيس عليه ما يرد منه ، فتدبره والله يعصمك .

الفوائـد :

١ ــ يحدث التاريخ في تعليل نزول هذه الآية أنه كان الرجل يجد اليتيمة الموسومة بالجمال والمال ويكون وليها فيتزوجها ضناً بها عن غيره ، فربما اجتمعت عنده عشر منهن ، فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن أن يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن ، فقيل لهم : إن خفتم أن لا تقسطوا ــ أي تعدلوا ــ في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم . فجاءت الآية محذرة من التورط ، وأمراً بالاحتياط ، وفي غيرهن مندوحة الى الاربع .

٢ ــ (مثنى وثلاث ورباع) صفات معدولة عن أعداد مكررة ، ولذلك منعت من الصرف ، أي : اثنتين اثنتين ، وثلاثاً ثلاثاً ، وأربعاً أربعاً . ومن طريف ما تمسك به بعض الذين ضلت عنهم أسرار العربية الشريفة من جواز التزوّج بتسعة : أنهم قالوا لأن اثنتين وثلاثة وأربعة جملتها تسعة ، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم مات عن تسعة . وهذا كما ترى ناشيء عن جهل بأسرار العربية المبينة ، لأنك اذا قلت : جاء القوم مثنى وثلاث ورباع ، معناه أنهم جاءوا اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ، فتنصب ذلك كله على الحال . والحال هي التي تبيّن هيئة الفاعل أو المفعول به . فأنت تريد أن تبين كيف كان مجيئهم ، أي : لم يجيئوا جماعة ولا فرادى فالله سبحانه أبان ما أباحه من

النكاح وأما النبي صلى الله عليــه وسلم فإن ذلك من خواصه التي تفرد بها .

هذا وقد كثر كلام أهل العربية حول العدد المعدول هل هو من الواحد الى العشرة ؟ أو هو ما نطق به القرآن الكريم فقط ! قال قوم : إنه ينتهي الى رباع ، وقال آخرون : الى سداس ، وقيل : الى عشار . وقد جاء لأبي الطيب المتنبي قوله :

أحــادٌ أم سداس في أحــاد لُيَيْلَتُنَا المنوطةُ بالتَّنَادِ ؟

قالوا : إن أبا الطيب لحن في هذا البيت عدة لحنات ، فقال : أحــاد وسداس ، ولم يسمــع في الفصيح إلا مثنى وثلاث ورباع ، والخلاف في خماس وسداس الى عشار . ومنها أنه صغّر ليلة على «لُييلة»، وإنما تصغر على « لييلية » . ومنها أنه صغرها ، والتصغير دليل القلة ، فكأنها قصيرة ، ثم قال : « المنوطة بالتناد » ولا شيء يكون أطول منها حينئذ ، فناقض آخر كلامه أوله . ولنا أن ندافع عن أبي الطيب في زعمهم عليه التناقض ، لأن التصغير يأتي في كلامهم أحياناً للتعظيم كقول لبيد :

وكل أناس سوف تدخل بينهم دويهــة تصغّر منها الأنامــل

فأبو الطيب قد صغّر الليل هنا للتعظيم ، لأنه استطالها حتى جعلها منوطة بالتّناد . ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة : يا « حميراء » ويحتمل أنها صغّرت لدقتها وخفائها . ومستعظم الأمور من مستصغر الشرر . وأما قوله : أحاد وسداس ، فإنه استعمل الجزء وهو واحد وست مفردين أي أنه لم يردها « أحاد » مكررة ولا ستاً

مكررة كما هو مدلول العدد المعدول ، بل أراد الإفراد واستعمل فيه المعدول الدال على التكثير تجوّزاً من اسم إطلاق الكل وهو أحاد وسداس في الجزء وهو واحدة واحدة وست ست . وهذا الاستعمال مجاز ؛ والتجوّز ليس بلحن . هذا وقد ورد عشار في شعر الكميت ابن زيد وهو حجة :

فلـــم يستريثوك حتى رميــــــت فوق الرجال خصالاً عشارا

لماذا منعت من الصرف ؟

أما المذاهب المنقولة في علة منع الصرف فهي أربعة :

١ ـ قول سيبويه والخليل وأبي عمرو ، وهو العدل والوصف .

٢ ـ قول الفراء وهو أنها منعت للعدل والتعريف بنية الألف واللام ، ومنع ظهور الألف واللام كونها في نية الاضافة .

٣ ـ قول الزجاج وهو أنها معدولة عن اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ، وأنه عدل عن التأنيث .

٤ ـ ما نقـله أبو الحسن عن بعض النحويين ، وهو أن العلة المانعة من الصرف هي تكرار العدل فيه ، لأنه عدل عن لفظ اثنين ، وعدل عن معناه ، وذلك أنه لا يستعمل في موضع تستعمل فيه الأعداد غير المعدولة ، تقول : جاءني اثنان وثلاثة ، ولا يجوز : جاءني مثنى وثلاث ، حتى يتقدم قبله جمع، لأن هذا الباب جعل بياناً لترتيب الفعل. فاذا قال : جاءني القوم مثنى أفاد أن ترتيب مجيئهم وقع اثنين اثنين .

فأما الاعداد غير المعدولة فإنما الغرض منها الإخبار عن مقدار المعدود دون غيره . ولابن هشام فصل رائع في مغني اللبيب كتبه حول هذه الآية في الباب السادس من كتابه : « في التحذير من أمور اشتهرت بين المعربين والصواب خلافها » فارجع اليه إن شئت .

(هنيئاً مريئاً) يعربان وصفاً للمصدر وحال .

فأما قول أبي الطيب المتنبي :

هنيئاً لك العيد الذي أنت عيده وعيد لمن سمى وضحى وعيدا

فيتحتم إعرابهما حالا ، لأنه ليس هناك ما يدل على المصدر الذي يصح أن يوصف بهما . والعيد فاعل هنيئاً لأنها صفة مشبهة .

﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ
فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا
بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا
تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن
كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟
عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ ﴾

اللغــة :

(السفهاء) المبذّرون الذين ينفقون أموالهــم فيما لا ينبغي إنفاقه ، أو فيما لا طائل تحته •

(قياماً) مصدر قــام ، أي تقومون بهــا وتنتعشون • ولو ضيّعتموها لضعتم ، فكأنها قيامكم وانتعاشكم •

(آنستم) أبصرتم واستوضحتم •

الاعراب :

(ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً) كلام مستأنف مسوق لبيان بقية الأحكام المتعلقة بأموال اليتامى • ولا ناهية وتؤتوا فعــل مضارع مجزوم بلا والواو فاعــل والسفهاء مفعول به وأموالكم مفعول به ثان والتي اسم موصول في محــل نصب صفة لأموالكم وجملة جعل الله لكم صلة الموصول وقياماً مفعول به ثان لجعل التي بمعنى صــيّر والمفعول الاول محذوف والتقــدير التي صيّرها لكم قياماً ، ولكم جار ومجرور متعلقان بـ « قياماً » ، وإن كانت جعل بمعنى خلق فقياماً حال من العائد المحذوف أي : جعلها في حال كونهــا قياماً (وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفاً) وارزقوهم الواو حرف عطف وارزقوهم فعل أمر وفاعل ومفعول به وفيها جار ومجرور متعلقان بارزقوهم واكسوهم عطف على ارزقوهم وقولوا عطف على وارزقوهم أيضاً ولهم جار ومجرور متعلقان بقولوا وقولاً مفعول مطلق ومعروفاً صفة (وابتلوا اليتامى

حتى اذا بلغوا النكاح) الواو عاطفة والكلام معطوف وفيه تعيين وقت تسليم أموال اليتامى اليهم واليتامى مفعول به للفعل ابتلوا وحتى حرف غاية وجر ، جعل البلوغ وإيناس الرشد غاية للايتاء . وقيل : حتى ابتدائية ، ولكنها تفيد الغاية ، وهي حتى التي تقع بعدها الجمل كقوله :

فما زالت القتلى تمجّ دماءها بدجلة حتى ماءُ دجلةَ أشكلُ

وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة بلغوا النكاح في محل جر بالإضافة (فإن آنستم منهم رشداً) الفاء رابطة لجواب الشرط وإن شرطية وآنستم فعل ماض في محل جزم فعل الشك‌ط وجملة فإن آنستم لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ومنهم جار ومجرور متعلقان بآنستم ورشداً مفعول به (فادفعوا اليهمأموالهم) الفاء رابطة وادفعوا فعل أمر والواو فاعل واليهم جار ومجرور متعلقان بادفعوا وأموالهم مفعول به ، والجملة في محل جزم جواب الشرط (ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا) الواو استئنافية ولا ناهية وتأكلوها فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل والهاء مفعول وإسرافاً وبداراً مصدران في موضع الحال أي مسرفين ومبادرين أو هما في موضع المفعول لأجله أي لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم ، وأن يكبروا مصدر مؤول مفعول به للمصدر أو مفعول لأجله والمفعول به محذوف، ولا بد من تقدير مضاف عندئذ أي : مخافة أن يكبروا ، والجملة مستأنفة . وإنما جعلنا الواو استئنافية وظاهر الكلام يوحي أنها معطوفة لأن المعنى يصبح ادفعوا ولا تأكلوها ؛ وهذا فاسد لأن الشرط وجوابه مترتبان على بلوغ النكاح فيلزم منه ترتبه على ماترتب عليه وذلك ممتنع (ومن كان غنياً فليستعفف) الواو استئنافية ومن اسم

شرط جازم مبتدأ وكان فعل ماض ناقص واسمها مستتر تقديره هو وغنياً خبرها وجملة فعل الشرط وجوابه خبر للمبتدأ من فليستعفف الفاء رابطة لجواب الشرط واللام لام الأمر ، ويستعفف مجزوم بها (ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف) عطف علـى ما تقدم وقد سبق إعرابهـا وبالمعروف جار ومجرور متعلقان بيأكل والآية تقسيم لحال الوصي بين أن يكون غنياً وبين أن يكون فقيراً ، فالغني يقتنع بما أفاء الله عليه والفقير يأكل بالمعروف محتاطاً جهده حرصاً على مال اليتيم وجملة فليأكل في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر من (فإذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم) الفـاء استئنافية وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن وجملة دفعتم إليهم أموالهم في محل جر بالإضافة والفاء رابطة لجواب الشرط وأشهدوا فعل أمر وفاعل والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وعليهم جار ومجرور متعلقان بأشهدوا (وكفى بالله حسيباً) الواو استئنافية وكفى فعل ماض وبالله الباء حرف جر زائد والله فاعل كفى مجرور لفظاً بالباء وحسيباً تمييز .

البلاغـة :

في هـذه الآية نوع طريف من أنواع البيان يطلق عليـه اسم « قوة اللفظ لقوة المعنى » ، وذلك في قولـه « فليستعفف » فإن « استعفّ » أبلغ من « عف » كأنه يطلب زيادة العفة من نفسه هضماً لها وحملاً على النزاهة التي يجب أن تكون رائد أبناء المجتمع . ومن المعلوم أن اللفظ اذا كان على وزن من الاوزان ، ثم نقل الى وزن آخر أكثر منه ، فلا بد من أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولا ،

لأن الألفاظ دالة على المعاني ، فاذا زيد في الالفاظ أوجبت الزيادة زيادة في المعاني ، وهذا النوع لا يستعمل إلا في المبالغة • فمن ذلك قولهم : أعشب المكان ، فاذا رأوا كثرة العشب قالوا : اعشوشب • ومنه : قدر واقتدر ، فمعنى اقتدر أقوى من معنى قدر ، فلذلك قال تعالى : « فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر » • وقد تطلّع أبو نواس الى هذه النكتة فقال :

فعفوت عني عفو مقتدر   حلت له نقم فألغاها

أي : عفوت عني عفو متمكّن من القدرة لا يرده شيء عن إمضاء قدرته •

الفوائد :

(كفى) فعل ماض على الأصح تزاد الباء في فاعله ، كما في هذه الآية • وقد تزاد في المفعول به كقول أبي الطيب المتنبي :

كفى بجسمي نحولاً أنني رجل
لولا مخاطبتي إياك لم ترني

وقلّ أن يجيء فاعل كفى مجرداً من الباء كقول سحيم :

عميرة ودّع ان تجهّزت غاديا   كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

ولا تزاد الباء في فاعل كفى أو مفعولها إذا كانت بمعنى أجزأ أو أغنى كقوله :

قليــل" منك يكفيني ولكــن   قليلك لا يقــال له قليـــل

ولا كفى التي بمعنى وقى من الوقاية ، كقوله تعالى : « وكفى الله المؤمنـين القتال » . هذا وقد انتقــدوا على أبي الطيب زيادتها في فاعل كفى بمعنى أجزأ أو أغنى إذ قال :

كفى ثعــلا فخراً بأنك منهــم   ودهر لأن أمسيت من أهله أهل

وقد أفاض النقاد في شرح هذا البيت ، فارجع إليه في ديوانه .

التشدد في أمر اليتيم :

وقد تشددت الشريعة الاسلامية في أمر اليتيم ومعاملته بما هو معروف ، على أنها جعلت للوصي حقاً لقيامه على أمواله ، فعن النبي صلى الله عليه وسلم : أن رجلاً قال له : إن في حجري يتيماً أفآكل من ماله ؟ قال : بالمعروف ، غير متأثّل مالاً ولا واق مالك بماله . فقال : أفأضربه ؟ قال : مما كنت ضارباً منه ولدك .

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ ﴾

الاعراب :

(للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) كلام مستأنف

مسوق لتفنيد ما كانت عليه الجاهلية من عدم توريث النساء والصغار. وللرجال جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ونصيب مبتدأ مؤخر ومما جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لنصيب وجملة ترك الوالدان صلة الموصول والأقربون عطف على الوالدان (وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) عطف على ما تقدم (مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً) الجار والمجرور بدل من « مما » السابقة والجملة صلة الموصول ومنه جار ومجرور متعلقان بقل ، أو كثر عطف على قلّ ونصيباً مفروضاً يجوز أن يعرب مفعولا مطلقاً لأنه واقع موقعه إذ التقدير عطاء ، ويجوز أن يعرب حالا من فاعل « قلّ » أي : مما تركه قليلاً أو كثيراً . واختار الزمخشري نصبه على الاختصاص بفعل محذوف بمعنى أعني نصيباً ، ولا داعي لذلك .

﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾

الاعراب :

(وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين) الواو استئنافية واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة حضر القسمة في محل جر بالاضافة والقسمة مفعول به وأولو القربى فاعل

مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه ملحق بجمع المذكر السالم واليتامى والمساكين عطف على أولو القربى (فارزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً) الفاء رابطة لجواب إذا وارزقوهم فعل أمر وفاعل ومفعول به والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ومنه جار ومجرور متعلقـان يقولوا وقولوا عطف عـلى ارزقوهم ولهم جار ومجرور متعلقان بقولوا وقولاً مفعول مطلق ومعروفاً صفة (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً) الواو حرف عطف واللام لام الأمر ويخش فعل مضارع مجزوم باللام والذين اسم موصول فاعل ولو شرطية وتركوا فعل وفاعل ومن خلفهم جار ومجرور متعلقان بتركوا وذرية مفعول به وضعافاً صفة (خافوا عليهم) الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وعليهم جار ومجرور متعلقان بخافوا ومفعول خافوا محذوف تقديره الضياع والهيام ، وسيأتي مزيد منه في باب البلاغة (فليتقوا الله) الفاء تعليلية لأن التقوى مسببة عن الخوف الذي هو الخشية واللام لام الأمر ويتقوا فعل مضارع مجزوم باللام والواو فاعل والله مفعول به (وليقولوا قولاً سديداً) الجملة عطف على فليتقوا وقولاً مفعول مطلق وسديداً صفة .

البلاغــة :

في الآية فن الايجاز بالحذف ، وهو هنا في حذف مفعول خافوا ، لتذهب النفس في تقديره كل مذهب ، ولتفتنّ في تصوير الخوف من المصير المحتوم الذي يئول اليه أمر الضعاف في هذه الحياة . وذلك أن تقدره بمثل الضياع والهيام والتشرد في مسارب الحياة ومسالكها المتشعبة ، من دون كافل يكفلهم ، أو مدبّر يدبر شئونهم . وقــد رمق الشاعر سماء هذا المعنى بقوله الممتع في الاعتذار عن الخوف والتخلف متعللا ببناته :

لقــد زاد الحيــاة إليّ حباً بناتي إنهــنّ من الضعــاف
أحاذر أن يرين البؤس بعدي وأن يشربن رنقاً غــير صاف
وأن يعرين إن كسي الجواري فتنبو العــين عن كرم عجاف
ولولاهن قد سوّيت مهري وفي الرحمــن للضعفاء كاف

هذا ولحذف المفعول به من الكلام لطائف وتعاجيب ، كقولنا : فلان يحلّ ويعقد ، ويبرم وينقض ، ويضر وينفع . والأصل في ذلك على إثبات المعنى المقصود في النفس للشيء على الاطلاق .

الفوائــد :

قول صاحب المغني ومناقشته :

اختلف في « لو » هذه اختلافاً كثيراً . وسنورد قول صاحب المغني في إعراب هــذه الآية ، ثم نناقشه . ولا يخلو ذلك من متعــة وفائدة . قال : « القسم الثاني من أقسام « لو » أن تكون حرف شرط في المستقبل إلا أنها لا تجزم ، كقوله توبة بن الحمير في ليلى الأخيلية :

ولو أن ليلى الأخيلية سلّمت عليّ ودوني جندلٌ وصفائحُ
لسلّمت تسليــم البشاشة أو زقــا
إليها صدىً من جانب الأرض صائحُ

وقوله تعالى : « وليخش الذين ... » الآية . أي : وليخش الذين إن شارفوا وقاربوا أن يتركوا . وإنما أولنا الترك بمشارفة

الترك ، لأن الخطاب للأوصياء ، وإنما يتوجه اليهم قبل الترك ، لأنهم بعده أموات » هذا ما قاله في المغني . والتأويـل المذكور لا يتقيد بكون الخطّاب للأوصباء بل هو جـار ، ولو قلنا : إنـه للورثة أو للجالسين عند المريض أيضاً ، وحينئذ فذكر الأوصياء ليس للاحتراز بل هو اقتصار على أحد المعاني . وقد أشار صاحب الكشاف الى أنه لا بد من حمل « تركوا » على المشارفة لا لما ذكره صاحب المغني ولكن ليصحّ وقوع خافوا جزاء ، وذلك لكون الخوف منتفياً بعد الموت ، فلا يتأتى خوف بعد الترك . فإن قلت : ما معنى وقوع « لو تركوا » وجوابه صلة للذين ؟ قلت : معناه : وليخش الذين صفتهم وحالهم أنهم لو شارفوا أن يتركوا خلفهم ذريـة ، وذلك عند احتضارهم ، خافوا عليهم الضياع بعدهم ، لذهاب كافلهم وكاسبهم .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾

الاعراب :

(إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً) كلام مستأنف مسوق للنهي عن ظلم اليتامى من الأولياء والأوصياء . وإن واسمها ، وجملة يأكلون صلة الموصول وأموال اليتامى مفعول به وظلماً حال مؤوّلة أي ظالمين . ولك أن تعربها مفعولاً لأجله وشروط النصب متوفرة . ولك أن تعربها مفعولاً مطلقاً لبيان نوع الأكل أي : أكل ظلم (إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً) إنما كافة ومكفوفة لا عمل لها ويأكلون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو

فاعــل والجملة خبر إن الأولى وفي بطونهــم جار ومجرور متعلقان بيأكلون أو بمحذوف حال ، لأنه كان في الأصل صفة لـ « ناراً » ثم تقدمت • وناراً مفعول به وسيصلون عطف عــلى يأكلون وسعــيراً مفعول به •

البلاغــة :

انطوت هــذه الآية عــلى تجسيد بديــع يتجلى في فنــين من فنون البيان :

١ ــ الاسهاب في قولهم « في بطونهم » فقد ذكر البطون ، لأن الاكل لا يستقر إلا فيها ، تجسيداً لبشاعة الجرم المقترف بأكل مال اليتيم ، ومثله « قد بدت البغضاء من أفواههم » أي تشدقوا بها ، وقالوها بملء أفواههم •

٢ ــ المجاز المرسل في أكل النار ، والعلاقة هي المسببية : فالنار لا تؤكل ، وإنما يؤكل مسببها ، والآيل إليها ، وهو مال اليتيم •

٣ ــ جاء « يأكلون » بالمضارع دون سين الاستقبال، وسيصلون بالسين ، لأنه لما كان لفظ « ناراً » مطلقاً قيّد في قوله « سعــيراً » إذ هو الجمر المتقد •

٤ ــ التعريض : فقد عرض بذكر البطون لخستهم واتّضاع أمرهم ، وهو أن أنفسهم والعرب تتذمم من ذلك ، ألا ترى الحطيئة كيف اكتفى من هجائه بهذا القدر يلمع اليه ، وذلك بقوله :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

أي : المطعوم والمكسو .

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ﴾

الاعراب :

(يوصيكم الله في أولادكم) كلام مستأنف مسوق للشروع في تفصيل أحكام المواريث المجملة في قوله : للرجال نصيب . ويوصيكم فعل مضارع والكاف مفعوله المقدم والله فاعله المؤخر وفي أولادكم جار ومجرور متعلقان بيوصيكم (للذكر مثل حظ الانثيين) جملة مستأنفة مسوقة لتبيين الوصية . وللذكر جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومثل صفة لمبتدأ محذوف مؤخر ، أي : حظ مثل

.. فالجملة كالموضحة للأولى فهي في محل نصب مقول يوصيكم لأنه بمعنى القول وإيثار الذكر بهذه المزية لأنه القائم على الإعالة ، ولأن الأنثى ستنصرف بحكم المهمـة الموكولة اليها الى تدبير شئون البيت ورعاية الأبناء وكفالتهم فاستلزم ذلك توفير حظّه من الميراث (فإن كنّ نساء فوق اثنتين فلهـن ثلثا ما ترك) الفاء تفريعية والجملة بعـدها لا محل لها لأنها بمثابة الاستئنافية والتعليلية وإن شرطية وكنّ فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والنون اسمها والنساء خبرها وفوق ظرف مكان متعلق بمحذوف صفة لنساء أي زائدات على اثنتين ، ويجوز أن يكون خبراً ثانياً لكان ، فلهن الفاء رابطة لجواب الشرط ولهن جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وثلثا مبتدأ مؤخر وعلامة رفعه الألف لأنه مثنى وما اسم موصول في محل جر بالإضافة وجملة ترك صلة الموصول وجملة فلهن ثلثا : في محل جزم جواب الشرط (وإن كانت واحدة فلها النصف) الواو عاطفة وإن شرطية وكانت فعل ماض ناقص والتاء تاء التأنيث الساكنة وهو في محل جزم فعل الشرط واسمها مستتر تقديره هي أي المولودة وواحدة خبر كانت والفاء رابطة للجواب ولها جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم والنصف مبتدأ مؤخر والجملة في محل جزم جواب الشرط (ولأبويه لكلّ واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد) الواو عاطفـة منسوقة على ما تقدم للشروع في إرث الأصول ، ولأبويه جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ولكل واحد جار ومجرور ، يوحي ظاهر الكلام أنهما بدل بإعادة الجار ، وهذا ما نص عليه أكثر المعربين وعلى رأسهم الزمخشري ، ودعم هذه البدلية بقوله : « إنه لو قيل ولأبويه السـدس لكان الظاهر اشتراكهما فيه ، ولو قيل : ولأبويه السدسان ، لأوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها . فإن قلت :

فهلا قيل : ولكل واحد من أبويه السدس ؟ وأي فائدة في ذكر الأبوين أولاً ثم في الإبدال منهما ؟ قلت : لأن في الإبدال والتفصيل بعد الإجمال تأكيد وتقوية كالذي تراه في الجمع بين المفسر والتفسير »
هذا ما قاله الزمخشري ونقله بحروفه جميع المعربين والمفسرين ، ولكن هناك نقداً لهذا الاعراب تراه في باب الفوائد . ومنهما جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لواحد والسدس مبتدأ مؤخر ومما جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وجملة ترك صلة الموصول وإن شرطية وكان له ولد : كان وخبرها المقدم واسمها المؤخر ، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي فلكل واحد وجملة الشرط مستأنفة (فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه) الفاء استئنافية وإن شرطية ولم حرف نفي وقلب وجزم ولكن فعل مضارع ناقص مجزوم وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وولد اسمها المؤخر وورثه عطف على لم يكن والهاء مفعول به وأبواه فاعل (فلأمه الثلث) الفاء رابطة لجواب الشرط ولأمه جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم والثلث مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط (فإن كان له إخوة فلأمه السدس) عطف على ما تقدم (من بعد وصية يوصي بها أو دين) اضطرب كلام المعربين والمفسرين في تعليق هذا الجار والمجرور ، فقد علقهما الزمخشري بما تقدم من قسمة المواريث لا بما يليه وحده ، يريد الزمخشري أن يقول : إنهما متعلقان بقوله : يوصيكم الله ، وما بعده . وفي هذا التعليق ارتباك ملحوظ ، ولهذا عدل أبو حيان عنه الى تعليقهما بفعل محذوف ، أي يستحقون ذلك من بعد وصية . وفيه تسامح عاجز وهروب من التعليق ، نريد أن نتفاداهما في القرآن الكريم وعلقهما أبو البقاء بمحذوف حال من السدس ، تقديره : مستحقاً من بعد وصية ؛ وهو أشد من الأولين

ارتباكاً ، فالأولى أن نعلقهمـا ــ كما أرى ــ بمحـذوف خبر لمبتدأ محذوف ، أي قسمة هذه الأنصباء كائنة من بعـد وصية . وجملة يوصي ــ بالبناء للمعلوم والمجهول ــ وقرىء بهما ــ صفة لوصية ، وأو حرف عطف لإباحة الشيئين ودين عطف على وصية (آباؤكـم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً) الجملة معترضة بين قوله : من بعد وصية ، وقوله : فريضة من الله . وآباؤكم مبتدأ وأبناؤكم عطف على « آباؤكم » . وجملة لا تدرون خبر ، أيهم : اسم استفهام مبتدأ وأقرب خبره والجملة في محل نصب سدت مسد مفعولي تدرون لأنها علقت بالاستفهام ، ولكـم جار ومجرور متعلقان بأقرب ونفعاً تمييز . ويجوز أن تعرب أي ــ كما يقول سيبويه ــ موصولة مبنية على الضم وهي مفعول تدرون وأقرب خبر لمبتدأ محذوف تقديره : هم أقرب ، أما مفعول تدرون الثاني فهو محذوف ، وكلا الوجهـين سائغ ومقبول (فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً) فريضة مفعول مطلق لفعل محذوف يفهم من الجملة السابقة من الوصية ، هكـذا أعربوه . وفيه أن الفريضة ليست مصدراً ولكنها فعيلة بمعنى مفعولة ، فالأولى جعلها حالا مؤكدة ، ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لفريضة ، وان واسمها ، وجملة كان عليماً حكيماً خبرها ، وجملة إن وما في حيزها تعليلية لا محل لها .

الفوائـد :

قلنا : إن المعربين جميعاً تضافروا على إعراب « لكل واحد » بدلاً بإعادة الجار ويرد على هذا الإعراب نظر لا بد من مراعاته ، وذلك أنه يكون على هذا التقدير من بدل الشيء من الشيء ، وهما كعين واحدة ،

ويكون أصل الكلام : والسدس لأبويه لكل واحد منهما . ومقتضى الاقتصار على المبدل منه التشريك بينهما في السدس ، كما قال : « فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك » فاقتضى اشتراكهما فيه فيقتضي البدل لو قدر إهدار الأول افراد كل واحد منهما بالسدس وعـــدم التشريك ، وهذا يناقض حقيقة هذا النوع من البدل لأنه يلزم في هذا النوع أن يكون مؤدى المبدل والبدل واحداً ، وإنما فائدته التأكيد بمجموع الاسمين لا غـير بلا زيادة معنى ، فاذا تحقق ما بينهما من التباين تعـذرت البدلية المـذكورة ، ولا يصح أن يكون من بدل التقسيم أيضاً على هذا الاعراب ، وإلا لزم زيادة معنى في البدل فالوجه إذن أن يقدر مبتدأ محذوف ، كأنه قيل : ولأبويه الثلث ، ثم لما ذكر نصيبهما مجملاً فصله بقوله : ولكل واحد منهما السدس ، وساغ حذف المبتدأ لدلالة التفصيل عليه ضرورة ، إذ يلزم من استحقاق كل واحد منهما للسدس استحقاقهما معاً للثلث ، والله أعلم . ولا يستقيم أيضاً على هذا الوجه جعله من بدل التقسيم ألا تراك لو قلت : الدار كلها لثلاثة : لزيد ولعمر ولخالد ، كان هذا بدلاً وتقسيماً صحيحاً ، لأنك لو حذفت المبدل منه فقلت : الدار لزيد ولعمر ولخالد ، ولم تزد في البدل زيادة استقام ، فلو قلت : الدار لثلاثة : لزيد ثلثها ولعمرو ثلثها ولخالد ثلثها ، لم يستقم بدل تقسيم ، إذ لو حذفت المبدل منه لصار الكلام : الدار لزيد ثلثها ولعمر ثلثها ولخالد ثلثها ، فهذا كلام مستأنف لأنك زدت فيه معنى تمييز ما لكـل واحـد منهم ، وذلك لا يعطيه المبدل ، ولا سبيل في بدل الشيء من الشيء الى زيادة معنى. ولهذا كان لا بد من إعراب لكل واحد خبراً لمبتدأ محذوف ، كأنه قيل : ولأبويه الثلث ، أي لكل منهما السدس . وهـذا من الدقة بمكـــان .

﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (١٢) ﴾

اللغــة :

(كلالة) : مصدر كَلَّ فلان إذا لم يكن ولداً أو والداً . أي : كَلَّ عن بلوغ القرابة المماسة . قال الطِّرِمّاح يصف الثور :

يهــزّ سلاحاً لم يرثه كلالــة يشكّ به منها غموض المغابن

وقد تكلم علماء الفقه والتفسير كثيراً عن الكلالة ، وسيأتي مزيد من القول في هذه السورة عن هذه اللفظة .

الاعراب :

(ولكم نصف ما ترك أزواجكم) الواو حرف عطف ولكم جار

ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ونصف مبتدأ مؤخر وما اسم موصول مضاف إليه وجملة ترك صلة الموصول وأزواجكم فاعل (إن لم يكن لهن ولد) إن شرطية ولم حرف نفي وقلب وجزم ويكن فعل مضارع مجزوم بلم وهو فعل الشرط أيضاً ولهن خبر يكن المقدم وولد اسمها المؤخر وجملة الشرط في محل نصب على الحال وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله (فإن كان لهن ولد) الفاء عاطفة وإن شرطية ، وكان وخبرها المقدم واسمها المؤخر والجملة معطوفة (فلكم الربع مما تركن) الفاء رابطة ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم والربع مبتدأ مؤخر ومما جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وجملة تركن صلة الموصول والجملة المقترنة بالفاء جواب الشرط (من بعد وصية يوصين بها أو دين) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ووصية مضاف اليه وجملة يوصين صفة لوصية وبها جار ومجرور متعلقان بيوصين وأو حرف عطف ودين عطف على وصية (ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين) تقدم إعراب ذلك كله فعرّج عليه (وإن كان رجل يورث كلالة) الواو عاطفة وإن شرطية وكان يجوز فيها النقصان والتمام فاذا كانت ناقصة فرجل اسمها وجملة يورث بالبناء للمجهول خبرها وكلالة حال ، وإن كانت تامة فرجل فاعل وجملة يورث صفة وكلالة حال ، ويجوز اعراب كلالة مفعولاً لأجله ، ويكون معناها القرابة ، أو نعت لمصدر محذوف إذا كان معناها الورثة ، أي : يورث وراثة كلالة . وأجاز بعضهم أن تكون مفعولا به ثانياً ، ولا أراه مستساغاً (أو امرأة وله أخ أو أخت) أو حرف عطف وامرأة عطف على رجل وله الواو حالية وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وأخ مبتدأ مؤخر وأو حرف عطف وأخت عطف على أخ (فلكل

واحـد منهما السدس) الفاء رابطـة ولكل جار ومجرور متعلقان بمحذو فخبر مقدم وواحد مضاف اليه ومنهما جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لواحد والسدس مبتدأ مؤخر والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط (فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث) الفاء استئنافية وان شرطية وكانوا فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والواو اسم كان وأكثر خبرها ومن ذلك جار ومجرور متعلقان بأكثر والفاء رابطة وهم مبتدأ وشركاء خبر وفي الثلث جار ومجرور متعلقان بشركاء (من بعد وصية يوصى بها أو دين) تقدم اعرابه فجدد به عهداً (غير مضار وصية من الله) غير مضار حال من ضـمير يوصى ووصية مفعول مطلق موكد ليوصيكم ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحـذوف صفة لوصية (والله عليم حليم) الواو استئنافية والله مبتدأ وعليم حليم خبراه .

الفوائـد :

١ ـ مناقشة طريفة :

قال الشلوبين حكي لي أن نحوياً سئل عن اعراب « كلالة » من قوله تعـالى : (وإن كان رجل يورث كلالـة) فقال : أخبروني : ما الكلالة ؟ فقالوا له : الورثة إذا لم يكن فيهم أب فما علا ولا ابن فما سفل . فقال : فهي إذن تمييز . وتوجيه قوله أن يكون الأصل : وإن كان رجل يرثه كلالة ، ثم حذف الفاعل وبني الفعل للمفعول ، فارتفع الضمير واستتر ، ثم جيء بكلالة تمييزاً .

ردّ ابن هشام :

وقد رد ابن هشام على هذا النحوي بقوله : « ولقد أصاب هذا النحوي في سؤاله وأخطأ في جوابه ، فان التمييز بالفاعل بعد حذفه نقض للغرض الذي حذف لأجله وتراجع عما بنيت الجملة عليه من طيّ ذكر الفاعل فيها ، ولهذا لا يوجد في كلامهم مثل : ضرب أخوك رجلاً ، واستطرد ابن هشام كعادتــه الى أن قـــال . والصواب في الآية أن « كلالة » بتقدير مضاف ، أي ذا كلالة ، وهو إما حال من ضمـــير يورث فـ « كان » ناقصة ويورث خبر أو تامة فيورث صفة • وإما خبر فيورث صفة • ومن فسر « كلالة » بالميت الذي لم يترك ولداً ولا والداً فهي أيضاً حال أو خبر ، ولكن لا تحتاج الى تقدير حذف مضاف • ومن فسرها بالقرابة فهي مفعول لأجله •

٢ ـ عادة العرب إذا ردّدت بين اسمين بأو أن تعيد الضمير اليهما جميعـــاً ، تقول : من كان له أخ أو أخت فليصلهما ، أو الى أحدهما أيهما شئت تقول : من كان له أخ أو أخت فليصله وإن شئت فليصلها •

﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾

الاعراب :

(تلك حدود الله) كلام مستأنف مسوق لبيان أن ما تقدم من تشريع هو من حدود الله لعباده ليعملوا بها ولا يتعدوها . وتلك مبتدأ وحدود الله خبر (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويطع الله ورسوله فعل الشرط ويدخله جواب الشرط والهاء مفعول به وجنات منصوب بنزع الخافض أو مفعول به ثان على السعة وجملة الشرط والجواب في محل رفع خبر. (تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) جملة تجري صفة لجنات ومن تحتها جار ومجرور متعلقان بتجري والانهار فاعل وخالدين حال وفيها جار ومجرور متعلقان بخالدين (وذلك الفوز العظيم) الواو حالية أو استئنافية وذلك مبتدأ والفوز خبر والعظيم صفة (ومن يعص الله ورسوله ويتعدّ حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) تقدم اعرابها فعرج عليه .

البلاغة :

١ ــ في هذه الآية فنّ غريب يطلق عليه اسم (جمع المختلفة والمؤتلفة » . وحده بأنه عبارة عن أن يريد المتكلم التسوية بين ممدوحين أو مذمومين أو اثنين أحدهما ممدوح والآخر مذموم ، ثم يروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بما لا ينقص من الآخر ، فيأتي لأجل ذلك الترجيح بمعان تخالف معاني التسوية ، فقد جمع ضمير الخالدين في الجنة لأن كل من دخل الجنة كان خالداً فيها أبداً أو لتفاوت درجات الخالدين . أما أهل النار فبينهم الخالدون وغير

الخالدين من عصاة المؤمنين ، فساغ الجمع هناك ولم يسغ هنا . لأن الخالدين في النار فرقة واحدة أما الخالدون في الجنان فهم طبقات بحسب تفاوت درجاتهم . وهذا من أسمى مراتب البيان . ومن أمثلته البديعة في الشعر قول الخنساء وقد أرادت مساواة أخيها صخر في الفضل بأبيها مع مراعاة حق الوالد ، فقالت :

جارى أباه فأقبلا وهما يتعاوران ملاءة الحُضْر
وهما وقد برزا كأنهما صقران قد حطا على وكر
حتى إذا نزت القلوب وقد لزت هناك العُذر بالعذر
وعلا هتاف الناس أيهما قال المجيب هناك : لا أدري
برقت صحيفة وجه والده ومضى على غلوائه يجري
أولى فأولى أن يساويه لولا جلال السنّ والكبر

فقد ساوت بينهما في الجرأة وخوض غمار الحرب والإسراع في العدو والسباق في البيت الأول والحضر بضم الحاء السباق والعدو ، والملاءة بضم الميم : الرّيطة وهي كل ثوب رقيق .

ثم ساوت في البيت الثاني بينهما في جعلهما بمثابة صقرين سريعين، وفي البيت الثالث أرادت أن تصف الحرب وكيف لز بعض عذر اللحم على بعضها الآخر ، مما يدل على المساواة في العدو ، وتساءل الناس في البيت الرابع أيهما الوالد وأيهما الولد لشدة تشابههما ، ثم انتهت في البيت الخامس الى ترجيح الوالد ببريق صفحة وجهه ، أي أنه خرج وجهه من الغبار دون وجه رسيله سبقاً ، وفي البيت السادس قالت إن الولد كان قادراً على مساواة الوالد لولا ما التزمه من الادب مع برّ أبيه ومعرفته بحقه ، فغض من عنانه ، وخفض من جناح فضله ليؤثر

أباه بالفضل على نفسه . ومثله لنصر الله بن أحمد البصري المعروف بالخبزأرزي ، وكان أمياً يخبز خبز الأرز بالبصرة ، وينشد أشعار الغزل . فمن ذلك قوله :

رأيت الهلال ووجه الحبيب فكانا هلالين عند النظر
فلم أدر من حيْرتي فيهما هلال السما من هلال البشر
ولولا التورّد في الوجنتين وما لاح لي من خلال الشعر
لكنت أظن الهلال الحبيب وكنت أظن الحبيب القمر

فقد سوّى بينهما أولاً ثم رجع ففضّل الحبيب على الهلال

٢ ــ بين الإفراد والجمع :

ووثب أبو السعود العمادي مفتي القسطنطينية في تفسيره الى أوج الذكاء عندما قرر بإلهام موفق أن نكتة الافراد في قوله « خالداً » فيها الإيذان بأن الدخول في دار العقاب بصفة الانفراد أشد في استجلاب الوحشة ، أما مجالس الجنة فهي بين الأخلاء والأحباء والاجتماع أدعى الى تبديد الوحشة .

﴿ وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا

وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾

الاعراب :

(واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم) كلام مستأنف مسوق للشروع في أحكام الزانية . والواو استئنافية واللاتي اسم موصول وجملة يأتين الفاحشة صلة الموصول ومن نسائكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) الفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط ، ولذلك جاز أن يخبر بالأمر عن المبتدأ بقوله : استشهدوا ، ولك أن تجعل الخبر محذوفاً أي : فيما يتلى عليكم حكم اللاتي . وعليهن جار ومجرور متعلقان باستشهدوا وأربعة مفعول به ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة (فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت) الفاء استئنافية وإن شرطية وشهدوا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة وأمسكوهن فعل أمر والواو فاعل والهاء مفعول به وفي البيوت جار ومجرور متعلقان بأمسكوهن والجملة في محل جزم جواب الشرط (حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً) حتى حرف غاية وجر ويتوفاهن فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والهاء مفعول به والموت فاعل وأن المضمرة وما في حيزها مصدر مؤول في محل جر بحتى والجار والمجرور متعلقان بأمسكوهن وأو حرف عطف ويجعل فعل مضارع معطوف على « يتوفاهن » والله فاعل ولهن جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لـ « سبيلاً » وتقدمت ، وسبيلاً مفعول به (واللذان يأتيانها منكم فآذوهما) الواو حرف عطف

واللذان مبتدأ وأراد بهما الزاني والزانية ، وجملة يأتيانها صلة والضمير يعود على الفاحشة ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال والفاء رابطة وآذوهما فعل أمر وفاعل ومفعول به والجملة خبر وقد تقدم نظيره • ومعنى الإيذاء السب والتوبيخ والضرب (فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما) فإن الفاء استئنافية وإن شرطية وتابا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وأصلحا عطف على « تابا » والفاء رابطة وجملة أعرضوا عنهما في محل جزم جواب الشرط (إن الله كان تواباً رحيماً) إن واسمها وجملة كان واسمها المستتر وخبرها في محل جزم جواب الشرط ، ورحيماً خبر كان الثاني •

﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾

اللغة :

(أعتدنا) أحضرنا وهيأنا ، وهو عتيد أي حاضر مهيأ ، وأصلها أعددنا ، أبدلت الدال الأولى تاء •

الاعراب :

(إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة) كلام مستأنف للشروع في بحث التوبة وشروطها ، وإنما كافة ومكفوفة والتوبة مبتدأ وعلى الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وللذين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر وجملة يعملون صلة الموصول والسوء مفعول به وبجهالة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أي حالة كونهم جاهلين سفهاء (ثم يتوبون من قريب) ثم حرف عطف للاشعار بأن التوبة جاءت متأخرة ولكنها قبلت على كل حال قبل وقت الاحتضار ومعاينة الموت ، ويتوبون عطف على يعملون ومن قريب جار ومجرور متعلقان بيتوبون (فأولئك يتوب الله عليهم) الفاء استئنافية وأولئك اسم اشارة مبتدأ وجملة يتوب الله عليهم خبر (وكان الله عليماً حكيماً) الواو استئنافية وكان واسمها وخبرها ، وحكيماً خبر ثان (وليست التوبة للذين يعملون السيئات) الواو عاطفة وليس واسمها ، وللذين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها وجملة يعملون السيئات صلة (حتى اذا حضر أحدهم الموت) حتى حرف غاية وجر واذا ظرف مستقبل وجملة حضر أحدهم الموت في محل جر بالاضافة وأحدهم مفعول به مقدم والموت فاعل مؤخر ولم تجرّ « حتى » « إذا » لأن أدوات الشرط لا يعمل فيها ما قبلها ولكن الجملة الشرطية كلها في محل جر بحتى والجار والمجرور متعلقان بيعملون (قال إني تبت الآن) الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وإن واسمها ، وجملة تبت خبرها والآن ظرف متعلق بتبت والجملة في محل نصب مقول القول (ولا الذين يموتون وهم كفار) الواو عاطفة ولا نافية والذين عطف على الذين يعملون وجملة يموتون صلة والواو حالية وهم مبتدأ

وكفار خبر والجملة نصب على الحال (أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً) الجملة مستأنفة ولك أن تجعلها مفسرة وعلى كل حال لا محل لها واسم الاشارة مبتدأ وجملة أعتدنا خبر ولهم جار ومجرور متعلقان بأعتدنا وعذاباً مفعول به وأليماً صفة .

الفوائـد :

١ ـ شغلت هذه الآية العلماء والمعربين والمفسرين وسنلخص لك بعض آرائهم في قوله « بجهالة » :

أ ـ إنها كل معصية يفعلها العبد بجهالة وإن كانت على سبيل العمد لأنه يدعو اليها الجهل ، ويزينها للعبد .

ب ـ إن معنى « بجهالة » أنهم لا يعلمون كنه ما فيه من العقوبة كما يعلم الشيء ضرورة .

حـ ـ إن معنى « بجهالة » أنهـم يجهلون أنهـا ذنوب ومعاص فيفعلونها إما بتأويل خاطيء وإما بأن يفرطوا في الاستدلال على قبحها

وضعف الرّماني هذا القول بأنه خلاف ما أجمع عليه المفسرون ، ولأنه يوجب أن لا يكون لمن علم أنها ذنوب توبة .

٢ ـ هذا ولا مندوحة لنا عن الإشارة الى الخلاف الذي شجر بين أهل السنة والاعتزال حول قوله : «على الله» فقد قال الزمخشري: « يعني إنما القبول والغفران واجب على الله لهؤلاء » وهو يجري في ذلك على سنن المعتزلة . وقد فنّد أهل السنة هذا القول بأنه قياس الخالق على الحق ، وأنه ّلإطلاق يتقيد عنه لسان العاقل ، الى آخر تلك المناظرة الفريدة .

٣ ـ وقال أبو حيّان : « وارتفاع التوبة على الابتداء والخبر هو « على الله » و « للذين » متعلق بما تعلق به « على الله » والتقدير : إنما التوبة مستقرة على فضل الله وإحسانه للذين ..

٤ ـ وقال أبو البقاء : في هذا الوجه يكون « للذين يعملون السوء » حالاً من الضمير في قوله « على الله » والعامل فيها الظرف والاستقرار ، أي : ثابتة للذين ، وأجاز أبو البقاء أن يكون الخبر « للذين » ويتعلق « على الله » بمحذوف ويكون حالاً من محذوف أيضاً والتقدير: إنما التوبة إذا كانت أو إذ كانت على الله للذين،وكان تامة وصاحب الحال ضمير الفاعل لكان . وإنما أوردنا هذه الاقوال للتدريب على ما راض علماؤنا أنفسهم على فهم كتاب الله تعالى ، وما أوردناه كاف .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾

اللغـة :

(تعضلوهنّ) مضارع عَضَل على فلان أي ضيّق عليه أمره وحال بينه وبين ما يريد . والعَضْل الحبس والتضييق ، وعضّلت المرأة بولدها إذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه ، فيكون استعمال ذلك مجازاً . ومن رائع الشعر قول أوس :

ترى الارض منـــا بالفضاء مريضـــة
معضّـــلة منـــا بجمـــع عـــرمـــرم

وردّد النابغة هذا المعنى فقال يصف جيشاً :

لجبٌ يُظـــلّ بـــه الفضاء معضّلاً
يـــدع الإكـــام كأنهن صحـــاري

والمراد به هنا في الآية : لا تمنعوا أزواجكم عن نكاح غيركم بإمساكهنّ حتى ترثوا منهن وهنّ غير راضيات . وكان الرجل اذا تزوج امرأة ، ولم تكن من حاجته ، حبسها مع سوء العشرة والقهر ، لتفتدي منه بمالها وتختلع ، فقال تعالى : « ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن » . هذا وقد تقدم الكلام عن وقوع العين والضاد فاء وعيناً للكلمة ، وما ترمز اليه حينئذ من معاني القوة والشدة .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعرابها كثيراً (لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً) كلام مستأنف مسوق لإنصاف المرأة مما كانت تسام به من ظلم وافتئات ، ولا نافية ويحل فعل مضارع مرفوع ولكم جار ومجرور متعلقان بيحل وأن ترثوا النساء المصدر المؤوّل فاعل يحل والنساء مفعول به وكرهاً بضم الكاف وفتحها ، وهما قراءتان ، حال أي : كارهات (ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) الواو عاطفة ولا نافية وتعضلوهن عطف على ترثوا أي : ولا أن تعضلوهن ولتذهبوا اللام للتعليل وتذهبوا فعل مضارع منصوب بأن

مضمرة بعد لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بتعضلوهن وببعض جار ومجرور متعلقان بتذهبوا وما اسم موصول مضاف إليه وجملة آتيتموهن صلة الموصول (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) إن كان الاستثناء منقطعاً كان المصدر المؤول واجب النصب على الاستثناء ، وإن كان متصلاً بما قبله كان الاستثناء من أعم الأحوال ، فيعرب حالاً . وأعربه أبو حيان مستثنى من أعم الظروف أو العلل ، فهو منصوب عنده على الظرفية الزمانية ، أو على أنه مفعول لأجله ، كأنه قيل : ولا تعضلوهن في وقت من الأوقات إلا وقت أن يأتين ، أو لا تعضلوهن لعلة من العلل إلا أن يأتين ، وهما سائغان . ويأتين فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة في محل نصب بأن وبفاحشة جار ومجرور متعلقان بيأتين ومبينة بفتح الياء وكسرها قراءتان (وعاشروهن بالمعروف) الواو عاطفة وعاشروهن فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والهاء مفعول به وبالمعروف جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، أي : محسنين ومجملين في القول والعمل (فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) الفاء استئنافية وإن شرطية وكرهتموهن فعل ماض في محل جزم فعل الشرط فعسى الفاء رابطة وعسى هنا تامة وهي فعل جامد وأن وما بعدها فاعل ، ويجعل فعل مضارع معطوف بالواو على تكرهوا منصوب مثله والواو فاعله وفيه جار ومجرور متعلقان بيجعل ، فهو بمثابة المفعول الثاني ليجعل ، وخيراً مفعولها الأول وكثيراً صفة .

﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ

وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾

اللغــة :

(القنطار) تقدم القول فيه ، والمراد به هنا المال العظيم ، من قنطرت الشيء إذا رفعته ، ومنه القنطرة : لأنها بناء مشيد ، قال :

كقنطرة الرومي أقسم ربّهــا لتكتنفن حتى تشاد بقرمــد

(البهتان) أن تستقبل الرجل بأمر قبيح تقذفه به وهو بريء منه، لأنه يبهت عند ذلك ، أي : يتحير . ومن الابيات التي استعمل فيها لفظ بهت ، وعبرت تعبيراً نفسياً قوله :

وما هي إلا أن أ ُراها فُجاءة فأ ُبهتَ حتى ما أكــاد أ ُجيــبُ

وجميع الأفعال التي فاؤها باء وعينها هاء تتعلق بشعور نفساني ، وقد أحصينا الكثير منها فلم يشذ واحد منها على هذا التحديد العجيب، فمن ذلك بهج به وابتهج أي سره ذلك ، وهو أمر يتعلق بصميم النفس قال النابغة :

كمضيئة صدفيّة غوّاصهــا بَهِجٌ متى يرها يُهِلُّ ويسجدِ

وبهره غلبه ، وبهراً دعاء عليه بالغلبة . قال عمر بن أبي ربيعة :

ثم قالوا : تحبها ؟ قلت : بهراً عدد الرّمل والحصى والتراب

وبهرج في كلامــه أي خالطــه بما يسوء النفس . والكلام في هذا يطول .

الاعراب :

(وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج) الواو استئنافية وإن شرطية وأردتم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والتاء فاعل واستبدال زوج مفعول به ومكان زوج ظرف مكان متعلق باستبدال (وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً) الواو حالية وآتيتم فعل وفاعل والجملة تصب على الحال وإحداهن مفعول به أول وقنطاراً مفعول به ثان فلا الفاء رابطة ولا ناهية وتأخذوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل ومنه جار ومجرور متعلقان بتأخذوا وشيئاً مفعول به والجملة في محل جزم جواب الشرط (أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً) الهمزة للاستفهام والتوبيخ والإنكار والجملة استئنافية وتأخذونه فعل مضارع وفاعل ومفعول به وبهتاناً حال أو مفعول لأجله وإثماً عطف على بهتاناً ومبيناً صفة (وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً) الواو حرف عطف وكيف اسم استفهام في محل نصب حال وتأخذونه فعل مضارع وفاعل ومفعول به والواو حالية وقد حرف تحقيق وأفضى بعضكم فعل وفاعل والى بعض جار ومجرور متعلقان بأفضى وأخذن عطف على أفضى والنون فاعل وميثاقاً مفعول به وغليظاً صفة .

البلاغـة :

الكنايـة في الإفضاء الى الشيء لأنه عبـارة عن المباشـرة له والذي عنى الافضاء في هذا الموضع هو الجماع عند الشافعي ، وهو قول ابن عباس أو الخلوة وإن لم يجامع كما هو اختيار أبي حنيفة والفراء .

﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ

كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

اللغة :

(الربائب) جمع ربيبة وهي بنت الزوجة من غيره •

(الحجور) جمع حجر بفتح الحاء وكسرها مقدم الثوب ، والمراد به هنا لازم الكون في الحجور وهو الكون في تربيتهم •

(الحلائل) جمع حليلة وهي الزوجة ، قال الفرزدق :

وذات حليل أنكحتها رماحنا حلال لمن يبني بها لم تطلّق

الاعراب :

(ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) كلام مستأنف مسوق للشروع في بيان من يحرم نكاحها من النساء ومن لا يحرم • والواو

استئنافية ولا ناهية وتنكحوا فعل مضارع مجزوم بلا وما اسم موصول مفعول به ، وهي واقعة على النوع كالتي في قوله : « ما طاب لكم من النساء » أي : ولا تنكحوا النوع الذي نكح آباؤكم ، وقال قوم : ما مصدرية والتقدير لا تنكحوا نكاح آبائكم ، أي : مثل نكاح آبائكم الفاسد فهي مع مدخولها مفعول مطلق ، ولا بأس بذلك ونكح آباؤكم فعل وفاعل ومن النساء جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً) إلا أداة استثناء وما مستثنى منقطع لأن الماضي لا يستثنى من المستقبل ، ويجوز أن يكون متصلاً . وسيرد مزيد عنه في باب البلاغة . وجملة قد سلف صلة وإن واسمها ، وجملة كان فاحشة خبر إن وجملة إنه تعليلية لا محل لها ، ومقتاً عطف على فاحشة وساء فعل ماض لإنشاء الذم والفاعل مبهم مستتر يفسره التمييز وهو « سبيلاً » والجملة إما مستأنفة وإما عطف على خبر كان محكية بقول مضمر (حرمت عليكم أمهاتكم) حرم فعل ماض مبني للمجهول والتاء تاء التأنيث الساكنة وعليكم جار ومجرور متعلقان بحرمت وأمهاتكم نائب فاعل (وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت) عطف على أمهاتكم ، فهي داخلة في نطاق التحريم (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم) عطف أيضاً (وأخواتكم من الرضاعة) عطف أيضاً والجار والمجرور نصب على الحال من أخواتكم (وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم) عطف أيضاً وفي حجوركم متعلقان بمحذوف صلة ومن نسائكم متعلقان بمحذوف حال من ربائبكم (اللاتي دخلتم بهن) اسم الموصول صفة لنسائكم وجملة دخلتم بهن صلة والباء للتعدية أي : دخلتم الخلوة بهن (فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) الفاء استئنافية ولم تكونوا فعل الشرط وجملة دخلتم بهن خبر كان

والفاء رابطة ولا نافية للجنس وجنــاح اسمها وعليكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها (وحلائــل أبنائكم الذين من أصلابكم) عطف على ما تقدم والذين صفة أبنائكم ومن أصلابكم الجار والمجرور صلة الموصول (وأ نتجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف) المصدر الاول عطف أيضاً ، وبين ظرف متعلق بتجمعوا والأختين مضاف اليه وإلا أداة استثناء وما مستثنى منقطع أو متصل ، وقد تقدم إعرابها (إن الله كان غفوراً رحيماً) إن واسمها ، وكان واسمها ، وخبراها والجملة خبر إن ، وجملة إن الله استئنافية .

البلاغــة :

١ ـ في هذه الآية فن المبالغة بقوله : « إلا ما قد سلف » وذلك أن المنهيّ عنه وهو نكاح ما نكح الآباء من النساء أمر مستنكر عند أكثر الخلق ، وقد بلغ حداً من البشاعة والاستهجان أنه كان ممقوتاً قبل ورود الشرع به ، جدير بأن يمتثل النهي عنه .

٢ ـ الكناية في قوله : « دخلتم بهن » فهي كناية عن الجماع كما تقدم أو الخلوة .

٣ ـ حسن النسق في ترتيب العطف ، وهو ظاهر .

الفوائــد :

١ ـ (الأمهات) جمع أم فالهاء زائدة في الجمع فرقاً بين العقلاء وغيرهم . يقال في العقلاء أمهات وفي غيرهم أمات . وقد يتقارضان .

٢ ـ أخت وبنــت أصلهما أخو وبنو حــذفت واوهما وعوض عنها التاء .

﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٢٤) ﴾

اللغة :

(المحصنات) اللواتي أحصن فروجهن بالتزويج • وهي بفتح الصاد كما في قراءة الجمهور ، ما عدا الكسائي الذي قرأها بالكسر . فهي اسم مفعول على قراءة الجمهور . واسم فاعل في قراءة الكسائي في جميع القرآن ، أما في هذه الآية فقد تبع فيها الكسائي الجمهور •

(مسافحين) : جمع مسافح وهو الزّاني . من السفح أي صب المني . وكان الفاجر يقول للفاجرة : سافحيني وماذيني . من المذي •

الاعراب :

(والمُحْصَنات من النساء إلا ما ملكت أيمانُكم) عطف على ما تقدم من المحرمات ، ومن النساء : جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وإلا : أداة استثناء وما مستثنى متصل ، وقيل : منقطع باعتبار أن المستثنى منه نكاح الزوجات ، والمستثنى وطء المتزوجات ، ففيه رائحة الانقطاع، ولا داعي لهـذا التكلف • وجملة ملكت أيمانكم صلة الموصول أي :

اللواتي سبين ولهن أزواج في دار الكفر فهن حلال للغزاة ، وإن كنَّ محصنات . وعن أبي سعيد الخدري بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشه يوم حنين الى أوطاس ، فأصابوا سبايا لهن أزواج من المشركين ، فكرهوا غشيانهنَّ ، فأنزل الله هذه الآية . وقد افتن شعراؤنا بهذا المعنى فقال الفرزدق :

وذات حليـــل أنكحتها رماحنا حـــلالٌ لمن يبني بها لم تطلّق

(كتاب الله عليكم) كتاب مصدر مؤكد أي : كتب الله ذلك عليكم كتاباً وفرضه فرضاً . وعليكم جار ومجرور متعلقان بالمصدر ، وسيأتي مزيد بسط لذلك في باب الفوائد (وأُحِلَّ لكم ما وراء ذلِكم) الواو عاطفة وأحلّ فعل ماض مبني للمجهول وقرىء بالبناء للمعلوم وهو معطوف على الفعل الذي نصب المصدر ولكـم جار ومجرور متعلقان بأحل وما اسم موصول نائب فاعل أو مفعول به ووراء ظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول واسم الاشارة مضاف إليه (أن تبتغوا بأَموالكم محْصِنين غير مسافِحِين) المصدر المؤول من أن وما في حيزها في محل نصب مفعول لأجله أي إرادة أن تبتغوا النساء والمفعول به محـذوف للعلم به ، ومحصنين حال أولى وغير مسافحين حال ثانية (فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة) الفاء استئنافية وما اسم موصول أو اسم شرط جازم وهي مبتدأ على كل حال واستمتعتم صلة إن كانت ما موصول وفعل الشرط إن كانت شرطية وبه جار ومجرور متعلقان باستمتعتم ومنهن جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال فآتوهن : الفاء رابطة على كل حال ، وآتوهنَ : الجملة خبر ما الموصولية أو في محل جزم جواب الشرط ويكون فعـل الشرط وجوابـه خبر ما الشرطية وأجورهن مفعول به ثان والمفعول الاول هو الهاء في آتوهن وفريضة

حال من أجورهن أو اسم مصدر مؤكد كما قال بعضهم ولا داعي لذلك (ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) الواو عاطفة أو استئنافية ولا نافية للجنس وجناح اسمها المبني على الفتح وعليكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لا • وفيما جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وجملة تراضيتم لا محل لها صلة وبه جار ومجرور متعلقان بتراضيتم ومن بعدالفريضة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (إن الله كان عليماً حكيماً) الجملة تعليل لما ورد من أحكام وبقية الاعراب تقدمت نظائره •

البلاغة :

١ ــ في قوله : « مسافحين » استعارة تصريحية لكثرة الزنا ، تشبيهاً بصبّ الماء في الأنهار والعيون بتدفق وسرعة •

٢ ــ وفي قوله : « فآتوهن أجورهن » استعارة تصريحية أيضاً فقد استعار لفظ الأجور للمهر ، والاجور جمع أجر ، وهو ما يتقاضاه المرء على عمل •

الفوائد :

أعرب الكسائي : « كتابَ الله عليكم » نصباً على الإغراء كأنه قال : عليكم كتاب الله ، فقدم المفعول به على اسم الفعل وهو عليكم • ثم قال : وذلك جائز ، وقد ورد به السماع والقياس • فالسماع قول الراجز :

أيها المائح دلوي دونكا ... إني رأيت الناس يحمدونكا

والمـراد دونك دلوي أي خـذه ، وأما القياس فإن الظرف أي عليكم : ناب عن الفعل تقديره : الزموا كتاب الله ، ولو ظهر الفعـل جاز تقديم معموله ، فكذلك معموله . والصواب ما ذهبنا إليه ، ولكننا أشرنا إليه لقبس الذكاء المشرق منه ، وتفنيده يضيق عنه المجال .

﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾

اللغـة :

(الطول) بفتح الطاء : الفضل والزيادة والاستطاعة والنيل ، يقال : طُلته أي نلته ، قال الفرزدق :

إن الفرزدق صخـرة عاديـة طالت فليس تنالهـا الأوعـالا

أي طالت الأوعالا فـ « الأوعالا » مفعول طالت . وأمر طائل أي يعتدّ به قال :

لقـــد زادني حباً لنفسي أنني بغيض" إلى كل امرىء متطاول

ومنه الطُّول في الجسم بضم الطاء ، لأنه زيادة فيه والطول بكسر الطاء وفتح الواو هو حبل تشدّ به قوائم الدابة ، قال طَرَفة :

لعمــرك إن المــوت ما أخطــأ الفتى
لَكَالطِّوَل المُرخى وثنياه في اليـــد

(الأخدان) الأخلاّء في السرّ ، جمع خدن بكسر الخاء ، وقال أبو زيد : الأخدان : الأصدقاء على الفاحشة ، والواحد خدن وخدين .

(العنت) : المشقة في الأصل ، وأصله الاول انكسار العظم بعد الجبر ، فاستعير لكل مشقة . والمراد به هنا الزنا .

الاعراب :

(ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات) كلام مستأنف مسوق لتتمة هذه الاحكــام المشروعة ، وقــد كثرت الأعاريب وأحكام المفسرين والمعربين في هذه الآية ، وسنختار ما هو أقرب الى المنطق منها . فمن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ولم يستطع في محل جزم فعل الشرط ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وطولاً مفعول يستطع والمصدر المؤول من أن وينكح مفعول طولاً لأنه مصدر والمعنى ومن لم يستطع زيادة في المال يبلغ بها نكاح الحرّة فلينكح أَمَةً . ويجوز إعراب المصدر المؤول نصباً على نزع الخافض ، أي : طولاً الى أن ينكح المحصنات . وهذا أقرب ما نراه مستساغاً

من الأعاريب التي تخبط بها النحاة والمعربون (فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) الفاء رابطة لجواب الشرط ومما جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول به محذوف لفعل محذوف ، أي : فلينكح أَمَةً مما ملكت أيمانكم وجملة ملكت أيمانكم لا محل لها لأنها صلة الموصول ومن فتياتكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المقدر في « ما ملكت » والعائد على ما وفعل الشرط وجوابه خبر من الموصولية ، والمؤمنات صفة لفتيات (والله أعلم بإيمانكم) الواو اعتراضية والله مبتدأ وأعلم خبر وبإيمانكم جار ومجرور متعلقان بأعلم والجملة لا محل لها لأنها معترضة (بعضكم من بعض) بعضكم مبتدأ والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر والجملة مستأنفة مسوقة للتسوية بينكم وبينهن في الدين ، وهذا من أروع التعابير عن المساواة (فانكحوهن بإذن أهلهن) الفاء الفصيحة لأنها أفصحت عن شرط مقدر أي : إذا علمتم الوجهة المستقيمة الجديرة بالاتباع فانكحوهن والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وبإذن أهلهن جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (وآتوهن أجورهن بالمعروف) عطف على فانكحوهن وبالمعروف جار ومجرور متعلقان بآتوهن أجورهن ومعناه وبغير مطل وضرار • وآتى ينصب مفعولين وهما الهاء وأجورهن (محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان) محصنات حال من المفعول به في قوله : « فانكحوهن » و « غير مسافحات » حال ثانية ولا متخذات أخدان عطف على مسافحات (فإذا أحصنّ فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) الفاء استئنافية وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وأحصن فعل ماض مبني للمجهول والنون نائب فاعل والجملة في محل جر بالإضافة فإن الفاء رابطة لجواب إذا ، وإن شرطية وأتين فعل ماض مبني على السكون في

محل جزم فعل الشرط والنون فاعل وبفاحشة جار ومجرور متعلقان بأتين ، فعليهن الفاء رابطة لجواب الشرط وعليهن جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ونصف مبتدأ مؤخر وما اسم موصول في محل جر بالإضافة وعلى المحصنات جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول ومن العذاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وجملة : فإن أتين لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وجملة فعليهن نصف في محل جزم جواب الشرط الجازم وهو إن (ذلك لمن خشي العنت منكم) ذلك اسم اشارة مبتدأ ولمن جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر وجملة خشي لا محل لها لأنها صلة الموصول والعنت مفعول به ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال والجملة مستأنفة لا محل لها (وأن تصبروا خير لكم) الواو استئنافية وأن وما في حيزها مصدر مؤول مبتدأ وخير خبر للمصدر المؤول ، ولكم جار ومجرور متعلقان بخير (والله غفور رحيم) الواو استئنافية والله مبتدأ وغفور خبر أول ورحيم خبر ثان .

الفوائد :

اخترنا في الاعراب ما رأيناه أدنى الى المنطق وأقرب الى الصواب ، ولكننا لزيادة الفائدة نورد ما قاله بعض العلماء في اعراب هذه الآية ، فقد أجازوا جعل « أن ينكح » بدلاً من « طولاً » بدل الشيء من الشيء ، وهما لشيء واحد ، لأن الطّول هو القدرة ، والنّكاح قدرة ، وأجازوا أن يكون المصدر المؤول مفعول يستطع ، وقالوا في نصب « طولاً » إنه يجوز أن يكون مفعولا لأجله على حذف مضاف أي : ومن لم يستطع منكم نكاح المحصنات لعدم الطول وأن يكون نصباً

على المصدرية ، والعامل فيه الاستطاعة ، والتقدير : ومن لم يستطع منكم استطاعة أن ينكح . فتدبّر والعصمة لله وحده .

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾

الاعراب :

(يريد الله ليبين لكم ويهديكم سُنَنَ الذين من قبلكم) كلام مستأنف مسوق لتتمة بيان ما سبق من أحكام . ويريد الله فعل مضارع وفاعل وليبين : اللام زائدة ولكنها أعطيت حكم لام التعليل وقد أفادت زيادة اللام تأكيداً لإرادة التبيين ، والمعنى : يريد الله أن يبين لكم ما هو خفيّ عنكم من مصالحكم ، وأن يهديكم مناهج من كانوا قبلكم للاقتداء بما هو صالح منها لكم ومنسجم مع واقعكم . ويهديكم عطف على يبين والكاف مفعول به أول وسنن مفعول به ثان والذين مضاف اليه ومن قبلكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول ، ويجوز في « سنن » أن تكون منصوبة بنزع الخافض ، وقد تقدم بحث هدى في الفاتحة (ويتوب عليكم) عطف على « يبين » ، وعليكم جار ومجرور متعلقان بيتوب (والله عليم حكيم) الواو استئنافية والله مبتدأ

وعليم خبر أول وحكيم خبر ثان (والله يريد أن يتوب عليكم) الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة يريد خبر وأن يتوب مصدر مؤول مفعول به وعليكم جار ومجرور متعلقان بيتوت (ويريد الذين يتبعون الشهوات) عطف على يريد السابقة والذين فاعل وجملة يتبعون صلة الموصول والشهوات مفعول به وعلامة نصبه الكسرة لأنه جمع مؤنث سالم (أن تميلوا ميلاً عظيماً) أن وما بعدهامصدر مؤول مفعول يريد ، وميلاً مفعول مطلق وعظيماً صفة (يريد الله أن يخفف عنكم) تأكيد لما سبق لبسط التقرير ، والجملة مستأنفة تقدم اعرابها (وخلق الانسان ضعيفاً) الجملة مستأنفة بمثابة التعليل للتخفيف وخلق فعل ماض مبني للمجهول والانسان نائب فاعل وضعيفاً حال من الانسان وهي حال مؤكدة ، أي لا يقوى على مغالبة الشهوات ومدافعة النفس الأمّارة بالسوء •

الفوائد :

هذا تركيب شغل المعربين ، وتضاربت فيه أقوال المفسرين ، وقد أوردنا في باب الاعراب ما ارتأيناه وارتآه الزمخشري من قبل ، وهو رأي الكوفيين • ولكن سيبويه والبصريين يرون أن مفعول يريد محذوف وتقديره يريد الله هذا ، أي تحليل ما أحل وتحريم ما حرّم ، وتشريع ما تقدم ذكره ليستقيم معنى التعليل • ولكننا نرى فيه تكلفاً لا يتفق مع أسلوب القرآن السمح ، وهناك قولان جديران بالتدوين :

١ ــ قول الفراء :

أما الفرّاء فيرى أن اللام هنا هي لام كي التي تعاقب « أن » قال

العرب تعاقب بين لام كي و « أن » فتأتي باللام التي على معنى « كي » في موضع « أن » في : أردت وأمرت فتقول : أردت أن تفعل وأردت لتفعل ، ومنه قوله تعالى : « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم » « وأمرت لأعدل بينكم » « وأمرنا لنسلم لرب العالمين » ومنه قوله :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثّل لي ليلى بكل سبيل

٢ ـ قول الزجاج :

وقد حكى الزجاج هذا القول وقال : لو كانت اللام بمعنى « أن » دخلت عليها لام أخرى كما تقول : جئت كي تكرمني ، ثم تقول : جئت لكي تكرمني ، وأنشد :

أردت لكيما يعلم الناس أنها سراويل قيس والوفود شهود

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) كلام مستأنف مسوق للشروع في بيان بعض المحرمات المتعلقة بالأموال

والأنفس ، وقد تقدم إعراب النداء كثيراً ، ولا ناهية وتأكلوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل وأموالكم مفعول به وبينكم ظرف متعلق بتأكلوا وبالباطل : جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال والمراد بالباطل هنا ما لم تبحه الشريعة. (إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) إلا أداة استثناء والمصدر المؤول في موضع نصب على الاستثناء المنقطع ، لأن التجارة ليست من جنس الأموال المأكولة بالباطل ، ولأن الاستثناء وقع على الكون ، والكون معنى لا مادة ، وخص التجارة لأن أسباب الرزق أكثرها متعلق بها . وتجارة خبر تكون واسمها مستتر تقديره : إلا أن تكون التجارة تجارة، وعن تراض جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ، أي تجارة صادرة عن تراض ، [والتراضي معروف في كتب الفقه وعند الشافعي تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين] . ومنكم جار والمعاملات فهو عند أبي حنيفة رضا المتبايعين وقت الايجاب والقبول ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لتجارة (ولا تقتلوا أنفسكم) عطف على ما تقدم ، ولا ناهية وتقتلوا مضارع مجزوم بها وأنفسكم مفعول به (إن الله كان بكم رحيماً) الجملة تعليل للمنع لا محل لها وإن واسمها ، وجملة كان واسمها وخبرها خبر إن (ومن يفعل ذلك عدواناً وظلماً) الواو استئنافية ومن شرطية مبتدأ ويفعل فعل الشرط وذلك اسم إشارة مفعول به ، والإشارة لما تقدم من المنهيات ، وقيل عن قتل الأنفس خاصة . وعدواناً وظلماً مصدران في موضع نصب على الحال أو مفعول لأجله (فسوف نصليه ناراً) الفاء رابطة لجواب الشرط وسوف حرف استقبال ونصليه فعل مضارع والهاء مفعول به أول وناراً مفعول به ثان والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من الشرطية (وكان ذلك على الله يسيراً) الواو استئنافية وكان واسمها ، ويسيراً خبرها وعلى الله متعلقان بيسير أو بمحذوف صفة له .

﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ ﴾

الاعراب :

(إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) كلام مستأنف مسوق للدعوة الى اجتناب الكبائر والتزام الطاعات . وإن شرطية وتجتنبوا فعل الشرط والواو فاعل وكبائر مفعول به وما اسم موصول مضاف اليه وجملة تنهون عنه لا محل لها لأنها صلة وتنهون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وعنه جار ومجرور متعلقان بتنهون (نكفر عنكم سيئاتكم) نكفر جواب الشرط وعنكم جار ومجرور متعلقان بنكفر وسيئاتكم مفعول به (وندخلكم مدخلاً كريماً) وندخلكم عطف على نكفر والكاف مفعول به ومدخلاً اسم مكان أو مصدر ميمي فهو مفعول به ثان على السعة أو مفعول مطلق وقيل ظرف مكان وليس ببعيد ، وكريماً صفة (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) كلام مستأنف مسوق للنهي عن التمني لأن فيه تعلق البال بالدنيا ونسيان الآخرة ، والواو استئنافية ولا ناهية وتتمنوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل وما اسم موصول مفعول به وجملة فضل الله

صلة وبه جار ومجرور متعلقان بفضل وبعضكم مفعول به وعلى بعض متعلقان بفضل أيضاً . وفي هذا النهي دعوة الى تجنب الحسد (للرجال نصيب مما اكتسبوا) الجملة لا محل لها لأنها مستأنفة ، ويجوز أن تكون مفسرة لما ساق النهي لأجله ؛ وللرجال جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ونصيب مبتدأ مؤخر ومما جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لنصيب وجملة اكتسبوا صلة (وللنساء نصيب مما اكتسبن) عطف على الجملة السابقة (واسألوا الله من فضله) عطف على النهي . واسألوا فعل أمر مبني على حذف النون ولفظ الجلالة مفعول أول والثاني محذوف ، ومن فضله متعلقان بمحذوف صفة للمفعول الثاني المحذوف ، أي : شيئاً من فضله (إن الله كان بكل شيء عليماً) إن واسمها ، وجملة كان واسمها وخبرها خبر إن ، والجملة تعليلية لا محل لها وبكل جار ومجرور متعلقان بـ « عليماً » .

﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾

اللغــة :

(النشوز) : أصل النشوز الارتفاع الى الشرور ، ونشوز المرأة : بغضها لزوجها وارتفاع نفسها عليه تكبّراً ، ويقال : علوت نشزاً من الارض ونشزاً بسكون الشين وفتحها . ونشز الشيء عن مكانه : ارتفع ، ونشزت إليَّ النفس : جاشت من الفزع ، وامرأة ناشز . ومن غريب أمر النون والشين أنهما لا تقعان فاء وعيناً للكلمة إلاّ دلتا على هذا المعنى أو ما يقاربه : ارتفاع عن الشيء ومباينة لأصله وعدم انسجام مع حقيقته ، ومنه نشأ الانسان أي ارتفع وظهر ، وأنشأناهنّ إنشاء ، ومن أين نشأت ؟ والجواري المنشآت : السفن الماخرة عباب البحر ، ونشب العظم في الحلق علق وارتفع عليه ، وتراموا بالنّشاب ونشبت الحرب ، ونشج الباكي نشجاً وهو ارتفاع البكاء وتردّده في الصدر ، وأنشد الشعر إنشاداً حسناً لأن المنشد يرفع صوته ، الى آخر ما اشتملت عليه هذه المادة وهذا من عجائب ما تميزت به لغتنا الشريفة.

الاعراب :

(ولكلٍ جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون) الكلام مستأنف مسوق لتتمة أحكام الإرث وقد تكلم المعربون والمفسرون كثيراً عن هذه الآية ، وأطالوا في القول وقلبوا الكلام على شتى وجوهه فلم يصل أحد منهم الى طائل يشفي الغليل ، فهي من الكلام المعجز ، وأقرب ما رأيناه فيها هو ما يلي : الواو استئنافية ولكل جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم والتنوين في كل عوض عن كلمة ، أي : لكل قوم . وجملة جعلنا صفة لقوم ومفعول جعلنا الأول محذوف أي

جعلناهم وموالي مفعول به ثان ومما جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة للمبتدأ المؤخر المحذوف أي نصيب وجملة ترك صلة الموصول والوالدان فاعل والأقربون عطف عليه . والمعنى ولكل من هؤلاء الذين جعلناهم موالي نصيب من التراث المتروك . وهذا أجود الاوجه من جهة المعنى ، ولكنه كما رأيت يحتاج الى تقديرات كثيرة . ويليه في الجودة أن يكون « لكل » مفعولاً مقدماً لجعلنا وموالي مفعول به ثان والمضاف « لكل » هو المال أي : جعلنا لكل مال موالي ، ومما ترك صفة ، وفي هذا ما فيه . وسيأتي في باب الفوائد بعض ما قاله الأئمة (والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم) الواو استئنافية والذين اسم موصول مبتدأ وجملة عقدت أيمانكم صلة والفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط وجملة آتوهم خبر الذين والهاء مفعول به أول ونصيبهم مفعول به ثان . ويجوز أن تكون الواو عاطفة والذين مرفوع عطف على الوالدان والاقربون ، ويجوز أن يكون الذين منصوباً على الاشتغال أي مفعول به لفعل محذوف نحو : زيداً فاضربه ، ومنهم من أعربه معطوفاً على موالي ، واختاره أبو البقاء . وهناك أقوال كثيرة ضربنا عنها صفحاً . ومفعول عقدت محذوف أي عقدتهم والنسبة مجازية كما سيأتي في باب البلاغة (إن الله كان على كل شيء شهيداً) إن واسمها ، وجملة كان خبر إن وعلى كل شيء متعلقان بـ « شهيداً » وشهيداً خبر كان الناقصة (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض) كلام مستأنف مسوق لبيان سبب زيادة استحقاق الرجال الزيادة في الميراث مما يرجع اليه في المظانّ المعروفة ، والرجال مبتدأ وقوامون خبره وعلى النساء جار ومجرور متعلقان بقوامون أي يقومون بتدبير شئونهم وتحصيل معايشهم ليتاح للأم أن تنصرف الى شئون بيتها أو لتمارس الأعمال التي تنسجم مع طبيعتها ، وكل امرىء

ميسّر لما خلق له ، كما جاء في الحديث . وبما فضل متعلقان بقوامون أيضاً والباء سببية جارة وما مصدرية أو موصولية ، والجملة بعدها لا محل لها على التقديرين . والله فاعل وبعضهم مفعول وعلى بعض متعلقان بفضل (وبما أنفقوا من أموالهم) عطف على ما تقدم (فالصالحات قانتات حافظات للغيب) الفاء استئنافية بمثابة التفريع على ما تقدم ، والصالحات مبتدأ وقانتات خبر أول وحافظات خبر ثان وللغيب متعلقان بحافظات (بما حفظ الله) الجار والمجرور متعلقان بحافظات وما مصدرية أي بسبب حفظ الله لهن إذ عصمهنّ ووفقهنّ لحفظ غيبة الأزواج ، ويجوز جعل ما موصولة بمعنى الذي والعائد محذوف أي بالذي حفظه الله لهن من مهور أزواجهن والنفقة عليهن والجملة بعد « ما » لا محل لها من الاعراب (واللاتي تخافون نشوزهن) الواو استئنافية واللاتي اسم موصول مبتدأ وجملة تخافون نشوزهن صلة ونشوزهن مفعول به (فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن) الفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط وعظوهن فعل أمر وفاعل ومفعول به والجملة خبر الموصول واهجروهن عطف على عظوهن وفي المضاجع متعلقان باهجروهن واضربوهن عطف أيضاً (فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً) الفاء استئنافية وإن شرطية وأطعنكم فعل ماض والنون فاعل والكاف مفعول به وهو في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة لجواب الشرط ولا ناهية وتبغوا فعل مضارع مجزوم بلا وعليهن متعلقان بمحذوف حال ، لأنه كان في الأصل صفة لـ « سبيلاً » وتقدم عليه وسبيلاً مفعول به . ويحتمل أن تكون « تبغوا » من البغي أي الظلم ، والمعنى : فلا تبغوا عليهن ، فيتعلق « عليهن » بمحذوف حال ، وانتصاب «سبيلاً» على هذا هو على إسقاط الخافض (إن الله كان علياً كبيراً) إن واسمها وجملة كان علياً كبيراً خبرها .

البلاغـة :

١ ـ المجاز المرسل في قوله : « عقدت أيمانكم » سواء أريـد بالإيمان اليد الجارحة أو القسم . والعلاقة هي السببية .

٢ ـ الكناية في قوله « في المضاجع » فقد كنى بذلك عن الجماع . وقد تقدم البحث مستوفى عن الكناية . وللعرب في الكناية عن الجماع تأثّماً عن ذكره أساليب عديدة ، كقوله تعالى : « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » ومن الشعر قول امرىء القيس :

وصرنا الى الحسنى ورقّ كـــلامنا
ورضت فـــذلّت صعبـة أي إذلال

فرياضة المرأة وإذلالها ورقة كلامها من البهر وفرط الشهوة كناية عن ذلك غايـة في الجمال والتعفف . ومن طريف الكنايات المتعلقـة بالمضاجع ما يروى عن عمرو بن العاص أنه زوّج ولده عبد الله ، فمكثت المرأة عنده ثلاث ليال لم يدن منها وإنما كان ملتفتاً الى صلاته ، فدخل عليها عمرو بعد ثلاث فقال : كيف ترين بعلك ؟ فقالت : نعم البعل إلا أنه لـم يفتش لنا كنفاً ولـم يقرب لنا مضجعـاً . من الكنايـة التي يعزّ نظيرها .

نموذج بين الاحسان والاساءة :

ومما أسيء استعماله من الكناية عن الجماع قول المتنبي :

إني عـلى شغفي بما في خمرها   لأعفّ عمّـا في سراويلاتهـا

فقد أراد أن يكنّي عن النزاهة والعفة فوقع بما يعتبر شراً من الفجور ، وهو قوله « عما في سراويلاتها » • وقد أخذ الشريف الرضي هذا المعنى فأبرزه في أجمل صورة ، وأعفّ لفظ وأشرفه حيث قال :

أحن إلى ماتضمر الخمر والحلا وأصدف عما في ضمان المـآزر

والشريف وقع في الخطأ :

على أن الشريف الرضي لم يسلم من الخطأ أيضاً فقد نظم قصيدة يعزّي بها أبا سعد علي بن محمد بن أبي خلف عن وفاة أخيه وهو :

إن لم تكن نصلاً فغمد نصال غالته أحـداث الزمان بغـول

وفي هـذا من سوء الكنايـة مالا يخفى ، فإن الوهم يسبق الى ما يقبـح ذكره • والواقـع أن الشريف الرضي أراد أن يرمق سماء الفرزدق في أبيات ثلاثة قالها وقد ماتت جارية له وهي حبلى وهي :

وجفن سلاح قد رزئت فلم أنح عليـه ولم أبعث إليه البواكيا
وفي جوفه من دارم ذو حفيظة لو أن المنـايا أمهلتـه لياليا
ولكن رأيت الدهر يعثر بالفتى ولا يستطيع ردّ ما كان جائيا

وهذا حسن في معناه بديع في صياغته ، فجاء الشريف ، على سوّ ذوقه ورهافة حسه ، وسقط هذه السقطة في أخذ كنايته •

الفوائـد :

نرى من المفيـد أن نورد وجوهاً ، منهـا ما أورده أبو حيان في

تفسيره البحر ، ومن هذه الوجوه أن يكون « لكل » متعلقاً بجعلنا ، والضمير في « ترك » عائد على « كل » المضاف لإنسان ، والتقدير : وجعل لكل إنسان إرثاً مما ترك ، فيتعلق « مما » بما في معنى «موالي» من معنى الفعل ، أو بمضمر يفسره المعنى ، والتقدير : يرثون مما ترك ، وتكون الجملة قد تمت عند قوله : مما ترك ، ويرتفع « الوالدان » ، كأنه قيل : ومن الوارث ؟ فقيل : هم الوالدان والأقربون ، والكلام جملتان . ومن تلك الوجوه أن يكون التقدير : وجعلنا لكل إنسان موالي ، أي ورّاثاً ، ثم أضمر فعل أي : يرث الموالي مما ترك الوالدان ، فيكون الفاعل لـ « ترك » « الوالدان » وكأنه لما أبهم في قوله : وجعلنا لكل إنسان موالي ، بيد أن ذلك الانسان الذي جعل له ورثة هو الوالدان والأقربون، فأولئك الوراث يرثون مما تركوالداهم وأقربوهم، ويكون الوالدان والأقربون موروثين ، وعلى هذين الوجهين لا يكون في « جعلنا » مضمر محذوف ، ويكون مفعول « جعلنا » لفظ « موالي » ، والكلام جملتان . ولعل فك الطلاسم أسهل من هذه الوجوه المتداخلة ، فالكلام معجز ، والقواعد جاءت تابعة للغة . فهي مهما امتدت وتوسعت لا تعم ولا تشمل جميع تراكيبها .

رأي وجيه للشوكاني :

وبعد كتابة ما تقدم وقعت على رأي وجيه للشوكاني ، فأحببت أن أختتم به البحث عن هذه الآية العجيبة ، قال : « أي جعلنا لكل إنسان ورثة موالي يلون ميراثه ، « لكل » مفعول ثان قدم على الفعل لتأكيد الشمول ، وهذه الجملة مقررة لمضمون ما قبلها ، أي ليتبع كل أحد ما قسم الله له من الميراث ولا يتمن ما فضل الله له غيره عليه .

ولكنها مبتسرة ظاهرة التلفيق ، كأنما ضاق ذرعاً بعد ما حام حول الحمى ، ولم يقع فيه ، وكلام الله أوسع من أن تحدّه الحدود ، أو تكتنه مضاوبه الأذهان فتأمل ..

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ * وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾

اللغة :

(الشقاق) : الخلاف . وسمي الخلاف شقاقاً لأن المخالف يفعل ما يشقّ على صاحبه ، أو لأن كل واحد منهما قد صار في شق ، أي جانب .

(الجنب) بضمتين : البعيد الجوار والأجنبي ويستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع ، قال :

لا يجتوينا مجاور أبداً ذو رحم أو مجاور جُنُب

(الصاحب بالجنب) بفتح الجيم وسكون النون هو الرفيق في أمر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر ، فإنه صاحبك ، وهو بجانبك دائماً .

(ابن السبيل) : المسافر والمنقطع في سفره .

(المختال) : التّيّاه المتكبّر ، وأصل ألفه ياء ، ومنه الخيل لأنها تختال في مشيتها مرحاً .

الاعراب :

(وإن خفتم شقاق بينهما) كلام مستأنف مسوق لمخاطبة أولي الأمر بشأن الخلاف بين الزوجين . وإن شرطية وخفتم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وشقاق مفعول به وبينهما مضاف إليه أضيف الشقاق الى الظرف على طريق الاتساع ، وأصله : شقاقاً بينهما ، فأضيف على حدّ قوله : « بل مكر الليل والنهار » وأصله : بل مكر في الليل والنهار ، أو على أن جعل البين شاقاً ، والليل والنهار ما كرين ، على حدّ قولهم : نهارك صائر والضمير في بينهما للزوجين وإن لم يجر لهما ذكر لجري ذكرما يدل عليهما وهو الرجال والنساء (فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها) الفاء رابطة لجواب الشرط وابعثوا فعل أمر وفاعل والجملة في محل جزم جواب الشرط وحكماً مفعول به ومن أهله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ، وحكماً من أهلها عطف على ما تقدم (إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما) الجملة مستأنفة وإن شرطية ويريدا فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون والألف فاعل وإصلاحاً مفعول به ويوفق الله جواب الشرط والجملة لا محل لها وبينهما ظرف متعلق

بيوفق (إن الله كان عليماً خبيراً) ان واسمها ، وجملة كان واسمها وخبرها خبر إن والجملة تعليلية لا محل لها • (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق لبيان حقوق الأبوين والأقارب والجيران وما الى ذلك • واعبدوا فعل أمر والواو فاعله والله مفعوله ولا تشركوا عطف على ما تقدم وبه متعلقان بتشركوا وشيئاً مفعول به أي شيئاً من الأشياء أو مفعول مطلق أي شيئاً من الإشراك (وبالوالدين إحساناً) الواو عاطفة وبالوالدين جار ومجرور متعلقان بفعل المصدر المحذوف وإحساناً مفعول مطلق أي أحسنوا بهما إحساناً (وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب) كلها معطوفة وبالجنب متعلقان بمحذوف حال (وابن السبيل) عطف أيضاً (وما ملكت أيمانكم) ما اسم موصول معطوف على ما تقدم وجملة ملكت أيمانكم صلة الموصول (إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً) إن واسمها ، وجملة لا يحبّ خبرها ومن اسم موصول مفعول به وجملة كان صلة واسم كان مستتر ومختالاً خبر كان الاول وفخوراً خبرها الثاني •

الفوائد :

لم يأت في الشرع ما يفيد أن الجار هو الذي بينه وبين جاره مقدار معيّن ، ولا ورد في لغة العرب ما يفيد ذلك ، بل المراد بالجار في اللغة المجاور ويطلق على معان : منها الجار والمجرور والذي أجرته من أن يظلم ، والمجير والمستجير والشريك في التجارة ، وزوج المرأة وهي جارته ، وفرج المرأة ، وما قرب من المنازل ، والاست • وروي أن رجلاً جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني نزلت محلة قوم ، وإن أقربهم إليّ جواراً أشدهم لي

أذى ! فبعث النبي أبا بكر وعمر وعلياً يصيحون على أبواب المساجد : ألا إن أربعين داراً جار ، ولا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه • وقرىء والجار ذا القربى نصباً على الاختصاص تنبيهاً على عظم حقه •

﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ ﴾

اللغــة :

(البخل) معروف • وفيه أربع لغات : فتح الباء والخاء ، وضمهما، وفتح الباء وسكون الخاء ، وضم الباء وسكون الخاء ، وهي أشهرها ، وبها قرأ جمهور الناس • وقرىء أيضاً باللغات الثلاث الآنفة الذكر •

الاعراب :

(الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) كلام مستأنف مسوق للنهي عن البخل وذمه • والذين مبتدأ خبره محذوف تقديره : جديرون بكل ذم وملامة • ولك أن تعربه خبراً لمبتدأ محذوف أي : هم الذين • وقيل : هي بدل من « مَنْ كان » فتدخل في نطاق ما قبلها وقيل في محل نصب على الذم فهو مفعول به لفعل محذوف تقديره : أذم وجملة يبخلون صلة الموصول ويأمرون الناس عطف على يبخلون وبالبخل متعلقان بيأمرون • (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) الواو عاطفة

ويكتمون عطف على يبخلون والواو فاعله وما مفعوله وجملة آتاهم الله صلة ومن فضله متعلقان بآتاهم (وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً) الواو استئنافية وأعتدنا فعل وفاعل وللكافرين جار ومجرور متعلقان بأعتدنا وعذاباً مفعول به ومهيناً صفة .

البلاغـة :

في قوله « للكافرين » وضع الظاهر موضع المضمر للتنويه بأن من كان هذا ديدنه فهو كافر بنعمة الله ، ومن كان كافراً بنعمته تعالى فله عـذاب يسمه بالميسم الذي يتسم به الكفار . وقد ألمـع الى هذا الميسم شعراؤنا ، فقال بشار بن برد :

وللبخيل عـلى أمواله علل   زرق العيون عليها أوجه سود

وللزمخشري نثر جميل في وصف البخل نقتبس منه الفقـرات التالية : « ولقد رأينا ممن بُلي بداء البخل من إذا طرق سمعه أن أحداً جاد على أحد شخص به وحل حبوته واضطرب ودارت عيناه في رأسه كأنما نهـب رحله ، وكسرت خزانتـه ، ضجـراً من ذلك ، وحسرة على وجوده » .

﴿ وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا (٣٨) ﴾

اللغـة :

(الرئاء) والرياء : الإنفاق للتباهي والتفاخر .

الاعراب :

(والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس) الواو عاطفة والذين عطف على الذين السابقة وجملة ينفقون صلة الموصول وأموالهم مفعول به ورئاء الناس حال مؤولة أي مرائين ويجوز أن يعرب مفعولاً من أجله ؛ أي : ليقال : ما أسخاهم ! وهو أظهر من الحال ، وقد توفرت فيه شروط النصب (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) عطف على ما تقدم وسيأتي سر تكرير لا في باب البلاغة (ومَن يكن الشيطان له قريناً) الواو استئنافية ومن شرطية مبتدأ ويكن فعل الشرط وله متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لـ « قريناً » وقريناً خبر يكن (فساء قريناً) الفاء رابطة لجواب الشرط ، لأن ساء هنا فعل ماض جامد لإنشاء الذم والفاعل ضمير مستتر تقديره « هو » وقريناً تمييز مفسر للفاعل ، والمخصوص بالذم محذوف تقديره : « هو » العائد على: « الشيطان ». والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر « من » .

البلاغة :

في تكرير « لا » النافية فن التكرير ، وكذلك الباء للإشعار بأن كلاً منهما منتف على حدته . فاذا قلت : لا أكرم زيداً وعمراً ، كان الكلام محتملاً نفي الكرم عن المجموع ، ولا يلزم منه نفي الكرم عن كل واحد منهما ، واحتمل نفيه عنهما معاً . فاذا قلت : « ولا عمراً » تعين نفي الكرم عنهما معاً .

﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾

اللغــة :

(المثقال) : ما يوزن به ثقيلاً كان أو كثيراً . ومثقال الشيء وزنه أو ميزانه ، والجمع مثاقيل . والمثقال عرفاً يساوي درهماً ونصف درهم ، وربما زاد على ذلك أو نقص شيئاً .

الاعراب :

(وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر) الواو استئنافية وماذا تقدم القول : إن لنا في إعرابها وجهين ، أحدهما : أن تجعل « ما » استفهامية في محل رفع مبتدأ و « ذا » موصولية هنا خاصة خبر « ما »، وعندئذ يكون « عليهم » متعلقين بمحذوف صلة الموصول . وثانيهما : أن تجعل ماذا كلها اسماً للاستفهام مبتدأ وعليهم متعلقان بمحذوف خبر . والمراد بالاستفهام هنا التوبيخ والذّم والإنكار . ولو شرطية وآمنوا فعل الشرط والجواب محذوف والتقدير فماذا يضرهم ذلك ؟ وهو تركيب متداول تقول للمنتقم : ما ضرّك لو عفوت ؟ وللعاق : ما يرزؤك لو كنت باراً بوالديك ؟ وقد علم أنه لا مضرّة ولا مرزأة

في العفو والبر ، ولكنه لمحض التوبيخ والذم • ويجوز أن تكون « لو » مصدرية والمصدر المؤول من « لو » والفعل منصوب بنزع الخافض أي: وماذا عليهم في إيمانهم• وبالله متعلقان بآمنوا واليوم عطف على لفظ الجلالة والآخر صفة (وأنفقوا مما رزقهم الله)عطف على آمنوا ومما متعلقان بأنفقوا وجملة رزقهم الله صلة الموصول (وكان الله بهم عليماً) الواو استئنافية وكان واسمها وبهم جار ومجرور متعلقان بعليماً وعليماً خبر كان (إن الله لا يظلم مثقال ذرة) كلام مستأنف مسوق ليكون توطئة لذكر الجزاء على الحسنات والسيئات • وان واسمها ، وجملة لا يظلم خبرها ومثقال ذرة صفة لمصدر محذوف أي : ظلماً مثقال ذرة • وقيل : ضمن « يظلم » معنى فعل يتعدى لاثنين ، فانتصب « مثقال » على أنه مفعول به ثان ، والثاني محذوف ، والتقدير : لا ينقص أو لا يبخس أحداً مثقال ذرة • والأول أسهل وأقل تكلفاً (وإن تك حسنة يضاعفها) الواو عاطفة وإن شرطية وتك فعل الشرط وعلامة جزمه السكون المقدر على النون المحذوفة من مضارع كان المجزوم للتخفيف ، وقد تقدم بحثه • واسم تك يعود الى المثقال ، وأنثه لأنه أضيف الى ذرة وقد تقدم بحثه • وحسنة خبر « تك » ويضاعفها جواب الشرط والهاء مفعول به (ويؤت من لدنه أجراً عظيماً) ويؤت عطف على يضاعفها ومن لدنه جار ومجرور متعلقان بيؤت أو بمحذوف حال لتقدمه على الموصوف وأجراً مفعول به وعظيماً صفة •

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾

الاعراب :

(فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد) الفاء استئنافية وكيف اسم استفهام ، وهي في مثل هذا التركيب تحتمل وجهين لا ثالث لهما . وهما أن تكون خبراً لمبتدأ محذوف ، أي : كيف حالهم ؟ وثانيهما أن تكون حالاً من محذوف ، أي : كيف يصنعون ؟ وإذا ظرف زمان متعلق بهذا المحذوف وجملة جئنا في محل جر بالإضافة ومن كل متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لشهيد وتقدمت عليه ، وبشهيد متعلقان بجئنا . وهناك وجه ثالث حكاه ابن عطية عن مكّيّ ، وهو أن « كيف » معمولة لجئنا ، (وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) الواو عاطفة وجئنا فعل وفاعل وهما عطف على جئنا الاولى ولك جار ومجرور متعلقان بجئنا وعلى هؤلاء متعلقان بـ « شهيداً » وشهيداً حال (يومئذ يودّ الـذين كفروا) الظرف متعلق بيودّ وإذ ظـرف مضاف الى الظرف والظرف والتنوين عوض جملة ، والتقدير : يوم إذ جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً يود الذين كفروا . وجملة يود مستأنفة وجملة كفروا صلة (وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض) الواو عاطفة وعصوا الرسول عطف على كفروا ولو مصدرية بعد فعل الودادة مؤولة مع ما بعدها بمصدر مفعول به ليود ، أي يتمنون تسوية الارض بهم بحيث يدفنون فيها ، والارض نائب فاعل لتسوى (ولا يكتمون الله حديثاً) عطف على « يود » ويجوز أن تكون للاستئناف ويكتمون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والله منصوب بنزع الخافض وحديثاً مفعول به ، أي : لا يكتمون عن الله حديثاً . وأجاز قوم أن يكون لفظ الجلالة مفعولا به ليكتمون ، لأنه في رأيهم يتعدى لاثنين .

الفوائـد :

التنوين اللاحق بالظروف المضافة مثل : يومئذ وحينئذ وعندئذ ، يسمى نون التعويض ، لأنه عوض عن جملة كما رأيت في باب الاعراب ، فيلتقي ساكنان ذال « إذ » والتنوين ، فتكسر الذال على أصل التقاء الساكنين ، وليست هذه الكسرة كسرة إعراب ، لأن «إذ » ملازمة للبناء، وليست الاضافة في « يومئذ » ونحوها من إضافة أحد المترادفين ، بل من إضافة الأعم إلى الأخص ، كشجر أراك ٠

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾

اللغـة :

(جنباً) معروف ، ويستوي فيه المذكر والمؤنث ، والمفرد والمثنى والجمع ، لأنه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الإجناب ، وهذا هو المشهور في اللغة والفصيح ، وبه جاءالقرآن ٠ وقد جمعوه جمع سلامة بالواو والنون رفعاً وبالياء والنون نصباً وجراً ، فقالوا : قوم جنبون ، وجمع تكسير فقالوا : قوم أجناب ، وأما تثنية فقالوا : جنبان ٠

(الغائط) : في الأصل البطن الواسع من الارض المطمئن . وكان الرجل إذا أراد قضاء حاجة أتى غائطاً من الارض، فقيل لكل من أحدث: تغوّط ، استحياء من ذكر الحدث .

(الصعيد) : التراب : والتيمم بالصعيد أصله التعمد ، يقال : تيمّمتك وتأمّمتك وأممتك ، ثم كثر استعمالهم لهذه الكلمة حتى صار التيمم مسح الوجه واليدين بالتراب . والأصل في ذلك كله وجه الارض الخالية من النبات والغروس والبناء المستوية ، ومنه قول ذي الرمّة :

كأنه بالضحى ترمي الصعيد به دبابة في عظام الرأس خرطوم

يعني ترمي به وجه الارض .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدم اعراب نظائرها (لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) كلام مستأنف مسوق للنهي عن الصلاة في حال السكر، ولا ناهية وتقربوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل والصلاة مفعول به وأنتم الواو للحال وأنتم مبتدأ وسكارى خبره (حتى تعلموا ما تقولون) حتى حرف غاية وجر وتعلموا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى وما اسم موصو لمفعول به ، ويجوز أن تكون ما مصدرية والمصدر المؤول مفعول به . وأن وما بعدها في تأويل مصدر مجرور بحتى والجار والمجرور متعلقان بتقربوا (ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا) عطف على قوله وأنتم سكارى ، فانها جملة محلها النصب على الحال من فاعل تقربوا ، كأنه قيل : لا تقربوا الصلاة سكارى

ولاجنباً» وإلا أداة حصر عابري سبيل استثناء من عامة أحوال المخاطبين، فهو منصوب على الحالية،وجمع بين الحالين للدلالة على أن هناك حالين، كأنه قيل : لا تقربوا الصلاة في حال الجنابة إلا ومعكم حال أخرى تعذرون فيها وهي السفر ، وعبور السبيل عبارة عن السفر ، و « حتى تغتسلوا » مثل : « حتى تعلموا » فهي متعلقة بفعل النهي (وإن كنتم مرضى أو على سفر) الواو عاطفة وإن شرطية وكنتم كان فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها ومرضى خبرها وأو حرف عطف وعلى سفر الجار والمجرور في محل نصب عطفاً على مرضى (أو جاء أحد منكم من الغائط) أو حرف عطف وجاء معطوف على ما تقدم وأحد فاعل ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لأحد ومن الغائط متعلقان بجاء (أو لامستم النساء) عطف أيضاً فالداخلون في حكم الشرط أربعة ، وسيأتي مزيد من البيان حول هذه الاحكام في سورة المائدة ، وهم المرضى والمسافرون والمحدثون وأهل الجنابة (فلم تجدوا ماء) الفاء عاطفة والجملة عطف على كنتم (فتيمموا صعيداً طيباً) الفاء رابطة لجواب الشرط وتيمموا فعل أمر والواو فاعل وصعيداً مفعول به وطيباً صفة وجملة فتيمموا في محل جزم جواب الشرط (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) الفاء عاطفة وامسحوا عطف على تيمموا وبوجوهكم متعلقان بامسحوا . حكى سيبويه : مسحت رأسه وبرأسه . وأيديكم عطف على وجوهكم . وقال بعض النحاة : الباء للتبعيض ، وجعلوا منه قوله تعالى : « عيناً يشرب بها عباد الله » ، وقول عمر بن أبي ربيعة :

فلثمت فاها آخـذاً بقرونهـا ... شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

وقال آخرون : هي للاستعانة . وكل ذلك سائغ (إن الله كان عفوًا غفوراً) إن واسمها ، وكان واسمها وخبراها خبر ان .

البلاغـة :

١ ـ الكناية بقوله : من الغائط ، فقد كنّى عما يستهجن ذكره . وبالملامسة عن الجماع ، في أحد القولين . وسيرد هذا مفصلاً في المائدة .

٢ ـ الالتفات في قوله : « أو جاء أحد » فقد التفت من الخطاب الى الغيبة ، لأنه كناية عما يستحيا من ذكره ، فلم يخاطبهم به . وهذا من محاسن الكلام .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ (٤٤) وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا (٤٥) مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (٤٦) ﴾

اللغـة :

(هادوا) : رجعوا ، والمراد بهم أحبار اليهود .

(الكلم) : جمع كلمة ، وتحريف الكلم بمعنى إحالته عن مواضعه وإزالته ، لأنهم إذا بدلوه ووضعوا مكانه كلماً غيره فقد أمالوه عن مواضعه التي وضعه الله فيها .

(راعنا) : قيل : هي عربية ، ومعناها انتظرنا وارقبنا ، وقيل هي كلمة شبه عبرية أو سريانية كانوا يتسابّون بها ، وهي : راعينا وفي هذا منتهى النذالة والخسة أن تسبّ غيرك بلسان لا يعرفه .

(ليّاً) : فتلاً بألسنتهم وصرفاً للكلام عن نهجه الأصلي الى السبّ والشتم . وكان اليهود يقولون لأصحابهم : إنما نشتمه ولا يعرف ، ولو كان نبياً لعرف ذلك . فأطلعه تعالى على ما يجمجمون به وما ينم على الخبث وسوء الطوية .

الاعراب :

(ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب) كلام مستأنف مسوق لتحذير المؤمنين من موالاة اليهود . والهمزة للاستفهام ولم حرف نفي وقلب وجزم وتر فعل مضارع مجزوم بلم والرؤية هنا قلبية بمعنى العلم . وعُدّيَ بإلى، بمعنى: ألم ينته علمك اليهم ، أو بصرية بمعنى ألم تنظر اليهم فإنهم جديرون بأن تشاهدهم وتدرجهم في حيز الامور المرئية ، وجملة أوتوا صلة والواو نائب فاعل ونصيباً مفعول به ثان ومن الكتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لـ « نصيباً » (يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل) جملة يشترون مفعول به لـ « تر » إن كانت قلبية ، وحال إن كانت بصرية ، والواو فاعل والضلالة مفعول به . ومعنى اشتراء الضلالة استبدالها بعد وضوح

الآيات المبينة . وقد تقدم القول في اشتراء الضلالة . ويريدون عطف على يشترون وأن وما في حيزها مصدر مؤول مفعول به ليريدون والسبيل مفعول تضلوا (والله أعلم بأعدائكم) الواو حالية والله مبتدأ وأعلم خبر وبأعدائكم متعلقان بأعلم والجملة في محل نصب حال (وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً) تقدم القول في كفى وزيادة الباء في فاعلها أو مفعولها ، وهنا زيدت في الفاعل ، ووليا ونصيراً تمييزان أو حالان . (من الذين هادوا يحرفون الكلم) كلام مستأنف مسوق لإيراد صورة خسيسة عن اليهود أثناء محاورتهم مع النبي صلى الله عليه وسلم . والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم لمبتدأ محذوف نابت عنه صفته ، وهي جملة « يحرفون الكلم » والتقدير : من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم . وقيل : من الذين هادوا خبر لمبتدأ محذوف والتقدير : هم من الذين هادوا ، وجملة يحرفون حال من ضمير هادوا . وقيل « من الذين » حال من « أعدائكم » مبينة له ، وما بينهما اعتراض ، والأول أرجح . وسيرد لابن هشام رأي واضح . (عن مواضعه) متعلقان بيحرفون (ويقولون : سمعنا وعصينا) جملة يقولون عطف على يحرفون وجملة سمعنا مقول القول وجملة وعصينا عطف على جملة سمعنا (واسمع غير مسمع) عطف على سمعنا منتظم في ضمن مقولهم : أي ويقولون ذلك أثناء مخاطبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وغير مسمع ، حال من المخاطب . وهذه الكلمة من الكلام الموجه لما سيأتي في باب البلاغة (وراعنا لياً بألسنتهم وطعناً في الدين) عطف على اسمع ، ولياً بألسنتهم نصب على الحال أو مفعول لأجله أو مفعول مطلق وطعناً عطف على « لياً » وفي الدين متعلقان بطعناً (ولو أنهم قالوا : سمعنا وأطعنا) الواو حالية أو استئنافية والجملة حالية أو مستأنفة ولو شرطية وأن وما بعدها فاعل لفعل

محذوف أي : لو ثبت قولهم ، وجملة قالوا خبر أن وجملتا سمعنا وأطعنا من مقول قولهم (واسمع وانظرنا) عطف على المقول منتظم في ضمنه . ومعنى انظرنا أي انظر الينا ، بدل راعنا المنطوية على الخسة كما تقدم في باب اللغة (لكان خيراً لهم وأقوم) اللام رابطة لجواب لو وكان فعل ماض ناقص واسمها مستتر تقديره هو وخيراً خبرها ولهم متعلقان بخيراً وأقوم عطف على « خيراً » (ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً) الواو حالية ولكن حرف استدراك مخفف مهمل ولعنهم الله فعل ومفعول به وفاعل والفاء عاطفة ولا نافية ويؤمنون فعل مضارع مرفوع وإلا أداة حصر وقليلاً صفة مفعول مطلق أي : إلا إيماناً قليلاً . ويجوز أن يكون : قليلاً منهم ، فيكون مستثنى من الواو في يؤمنون .

البلاغة :

اشتملت هذه الآية على فن فريد نسميه : الإبهام أو الكلام الموجه أو المحتمل للضدين ، وهو الاتيان بكلام يحتمل معنيين متضادين بحيث لا يتميز أحدهما من الآخر ، وهو قوله : « واسمع غير مسمع » فهو ذو وجهين :

١ ـ وجه يحتمل الذم : أي استمع منا مدعواً عليك بلا سمعت ، أي : أصابك الله بالصمم الموت . ولعله هو المراد هنا لما انطووا عليه من خسة .

٢ ـ ووجه يحتمل المدح : أي اسمع غير مسمع مكروهاً . ومن هذا الكلام الذي هو أشبه بأخذة السحر لا يملك معها البليغ أن يأخذ

أو يدع قول النبي صلى الله عليه وسلم : «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» فهو يشتمل على معنيين متضادين ، أحدهما : أن المراد به المدح ، أي : إذا لم تفعل فعلاً يستحيا منه فافعل ما شئت ، لأنك آمن من مغبته . والآخر أن المراد به الذم ، أي : إذا لم يكن لك حياء يردعك عن فعل ما يستحيا منه فافعل ما شئت ، لأنك بلغت أدنى دركات المهانة . وهذان معنييان ضدان ، أحدهما مدح والآخر ذم .

الكلام الموجه في شعر أبي الطيب المتنبي :

وهنا يحسن بنا أن ندرج فصلاً من روائع أبي الطيب المتنبي في أماديحه لكافور ، فقد كان يتعمّد هذا اللون من الكلام كقوله من قصيدة فيه ، أولها :

عدوّك مذموم بكلّ لسانِ ولو كان من أعدائك القمرانِ
ولله سرٌّ في علاك وإنما كلام العدا ضرب من الهذيانِ

ثم قال بعد ذلك :

فمالك تُعنى بالأسنّة والقنا وجَدّك طعّانٌ بغير لسان ؟

فإن هذا الكلام أشبه بالذم منه بالمدح ، لأنه يقول : لم تبلغ ما بلغته بسعيك واهتمامك بل بحظّ وسعادة ، وهذا لا فضل لك فيه ، لأنه إذا كان حظه هو السبب في تقدمه فما قيمته ؟ وما شأنه ؟ وما أهون أمره !! وما أقل خطره !! ولأن السعادة قد تنال الخامل والجاهل ومن لا يستحقها . وقد كان أبو الطيب يجنح الى استعمال هذا الضرب من القول في قصائده الكافوريات .

وحكى أبو الفتح بن جنّي قال : قرأت على أبي الطيب ديوانه الى أن وصلت الى قصيدته التي أولها : أغالب فيك الشوق والشوق أغلب ،فأتيت منها على هذا البيت وهو :

وما طربي لمـا رأيتك بدعـة   لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب

فقلت له : يا أبا الطيب ، ما زدت على أن جعلته أبا زنة ! وهي كنية القرد ، فضحك .

نماذج من الابهام :

ومن طريف الابهام ما يحكى من أن بعض الشعراء هنأ الحسن ابن سهل باتصال بنته بوران بالمأمون مع من هنأه من الشعراء ، فأثاب الناس كلهم وحرمه . فكتب إليه : إن تماديت في حرماني عملت فيك بيتاً لا يعلم أحـد أمدحتك فيه أم هجوتك ؟ فأحضره وقـال له : لا أعطيك أو تفعل . فقال :

بـــارك الله للحسن   ولبـوران في الختـن
يا إمام الهـدى ظفـر   ت ولكن ببنـت من ؟

فلم يعلـم أراد بقوله : بنت من ؟ في العظمـة أم في الدناءة ؟ فاستحسن الحسن منه ذلك وسأله هل ابتكرت ذلك ؟ فقال : لا بل نقلته من شعر بشار بن برد ، اتفق أنه فصل قباء عند خياط أعور اسمه زيد ، فقال له الخياط : على سبيل العبث به : سآتيك به لا تدري أهو قباء أم جبة ؟ فقال له بشار : إن فعلت ذلك لأنظمن فيك بيتاً لا يعلم أحد ممن سمعه أدعوت لك أم دعوت عليك ؟ فلما خاطه قال بشار :

خاط لي زيد قباء ليت عينيــه سواء

فما علم أحد أن العين الصحيحة تساوي العوراء أو العكس • والحديث في الابهام يطول ، وسيرد المزيدمنه في هذا الكتاب العجيب •

الفوائد :

أورد ابن هشام في المغني شاهداً على الاعتراض بأكثر من جملتين ، قال بعد أن أورد الآيتين الآنفتين : إن قدّر « الذين هادوا » بياناً للذين أوتوا وتخصيصاً لهم ، إذا كان اللفظ عاماً في اليهود • والمعترض به على هذا التقدير جملتان ، وعلى التقدير الأول ثلاث جمل ، وهي : والله أعلم . وكفى بالله ، مرتين ، وأما « يشترون » و « يريدون » فجملتا تفسير لمقدر ، إذ المعنى : ألم تر الى قصة الذين أوتو ، وإن علقت « من » بـ « نصير» مثل ونصرناه من القوم ، أو بخبر محذوف على أن «يحرفون» صفة لمبتدأ محذوف ، أي قوم يحرفون ، كقولهم : منا ظعن ومنا أقام ، أي : منا فريق ، فلا اعتراض البتة •

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ ﴾

اللغــة :

(نطمس وجوهاً) : نمحو تخطيط معالمها وصورها •

(على أدبارها) أي نجعلها كالأقفاء ، كاللوح المنصوب الباهت حتى لا تبين ولا تتضح لرائيها .

الاعراب :

(يا أيها الذين أوتوا الكتاب) تقدم إعرابه (آمِنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم) كلام مستأنف مسوق للتحذير مما أعِدّ لليهود بعد تحريفهم الكلم من مسخ وتشويه . وآمنوا فعل أمر مبني على حذف النون لأن مضارعه من الافعال الخمسة وبما متعلقان بآمنوا وجملة نزلنا صلة الموصول ومصدقاً حال ولما متعلقان بمصدقاً ومعكم ظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول ، أي : مصدقاً للـذي استقر معكم (من قبل أن نطمس وجوهاً فنردّها على أدبارها) من قبل جار ومجرور متعلقان بآمنوا وأن نطمس مصدر مؤول في محل جر بالاضافة ووجوهاً مفعول به فنردها : الفاء حرف عطف ونردها عطف على نطمس منصوب مثله والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به وعلى أدبارها جار ومجرور متعلقان بمحذوف في موضع المفعول الثاني لنردها ، وقيل بمحذوف حال . ولا أرى داعياً لذلك الاعراب (أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت) أو حرف عطف ونلعنهم عطف على « نطمس وجوهاً » أو « نردها » وذكر الضمير وجمعه جمع العقلاء لأنه أرجعه الى أصحاب الوجوه كما سيأتي في باب البلاغة . وكما لعنا متعلقان بمحذوف مفعول مطلق . وقد تقدمت له نظائر . وما مصدرية ونا ضمير متصل في محل رفع فاعل لـ « لعن » والمصدر المؤول في محل نصب مفعول مطلق أو حال وأصحاب السبت مفعول (وكان أمر الله مفعولاً) الواو استئنافية أو حالية وكان واسمها وخبرها ، والجملة لا محل لها أو في محل نصب حـــال .

البلاغـة :

١ ـ في هذه الآية مجاز مرسل بذكر الوجوه وإرادة أصحابها ، والعلاقة الكلية .

٢ ـ الإبهام في تنكير الوجوه ، تلطفاً بالمخاطبين ، وتهويلاً للأمر العظيم الذي يثير الخوف ، وقد اختلفوا في معنى التهديد وما المراد به في الآية ، هل هو حقيقة فيجعل الوجه كالقفا ، ويذهب الأنف والحاجب والعين والأذن ، وتلك ظلمات بعضهـا فوق بعض ، أم المراد سلبهم التوفيق وحرمانهم اللطف ؟ ذهب الى الاول قوم ، والى الآخر آخرون ، وانظر المطولات .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ ﴾

اللغـة :

(يزكون أنفسهم): يصفونها بزكاة العمل والطاعة ، وزيادة العبادة والاخلاص .

(فتيلاً) الفتيل : السّحاة في شقّ النّواة ، وما فتلته بين أصابعك من الوسخ . يقال : ما أغنى عنك فتيلاً أي : شيئاً بقدر الفتيل . وقد ضربت العرب المثل في القلة بأربعة أشياء اجتمعت في النواة ، وهي الفتيل والنقير وهو النقرة التي في ظهر النواة ، والقطمير وهو القشر الرقيق فوقها ، وهذه الثلاثة واردة في القرآن الكريم ، والرابع هو اليعروف وهو ما بين النواة والقمع الذي يكون في رأس الثمرة كالعلاقة بينهما .

الاعراب :

(إن الله لا يغفر أن يشرك به) كلام مستأنف مسوق لبيان ما تستحيل المغفرة بدونه . وإن واسمها ، وجملة لا يغفر خبرها وأن وما في حيزها مصدر مؤول في محل نصب مفعول به ليغفر وبه متعلقان بيشرك . وذكر الفراء في كتابه معاني القرآن أنه منصوب بنزع الخافض الذي كان يخفضها لو كان ظاهراً ، وعلى كل حال فالجار والمجرور متعلقان بيغفر (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) الواو عاطفة ويغفر معطوف على المنفي فهو مثبت ، والأحسن أن تكون استئنافية ويغفر مستأنف مرفوع دفعاً للالتباس ، وما اسم موصول مفعول به ودون ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول وذلك مضاف إليه والاشارة للاشراك المفهوم من يشرك ولمن متعلقان بيغفر وجملة يشاء لا محل لها لأنها صلة الموصول (ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً) الواو استئنافية ومن شرطية مبتدأ ويشرك فعل الشرط وبالله متعلقان بيشرك فقد الفاء رابطة للجواب وقد حرف تحقيق وافترى فعل ماض وإثماً مفعول به وعظيماً صفة والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب

الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من (ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم) كلام مستأنف مسوق للتعجب من ادعائهم أنهم أزكياء عند الله مع ما هم متلبسون به من الكفر ، حيث قال اليهود : نحن أحباء الله . والهمزة للاستفهام التعجبي ولم حر ف نفي وقلب وجزم وتر فعل مضارع مجزوم بلم والى الذين متعلقان بتر وجملة يزكون أنفسهم صلة الموصول (بل الله يزكي من يشاء) بل حرف إضراب وعطف والله مبتدأ وجملة يزكي خبره ومن اسم موصول مفعول بـه وجمـلة يشاء صلة الموصول (ولا يظلمون فتيلاً) الواو عاطفة ولا نافية ويظلمون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وهو معطوف على محذوف تقديره : فهم يثابون ولا يظلمون ، وفتيلاً نائب مفعول مطلق أي ظلماً بقدر الفتيل ، فهو مثل مثقال ذرة . ويجوز أن يعرب مفعولا ثانياً على تضمين يظلمون معنى ينقصون . وقد تقدم هذا الاعراب في مثقال ذرة (انظر كيف يفترون على الله الكذب) الجملة مستأنفة وانظر فعل أمر وكيف اسم استفهام في محـل نصب حال أو مفعول مطلق ولعل الثاني أرجـح ، ويفترون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل وجملة الاستفهام في محل نصب مفعول انظر ، لأن انظر متعلقة بالاستفهام ، وعـلى الله متعلقان بيفترون والكذب مفعول به أو مفعول مطلق لأنه مرادف العامل يفترون، فالكذب والافتراء من واد واحد (وكفى به إثماً مبيناً) الواو استئنافية وكفى فعل وبه الباء حرف جر زائد والهاء مفعول كفى محلاً والفاعل ضمير مستتر مفسر بنكرة وهو قوله إثماً فإثماً تمييز ومبيناً صفة .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾

اللغــة :

(الجبت) : الصنم ، وكل ما عبد من دون الله .

(الطاغوت) : الساحر . وقد نسجت حولهما أساطير كثيرة تجدها في المطولات .

الاعراب :

(ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب) كلام مستأنف مسوق للحديث عن كعب بن الأشرف وغيره من اليهود ، عندما قدموا مكة ، وشاهدوا قتلى بدر ، وحرضوا المشركين على الأخذ بثأرهم ، ومحاربة النبي صلى الله عليه وسلم . وقد تقدم اعراب نظائره قريباً . ونصيباً مفعول أوتوا الثاني ومن الكتاب متعلقـان بمحذوف صفـة لنصيباً (يؤمنون بالجبت والطاغوت) جملة يؤمنون حال من « الذين » أو من الواو في أوتوا وإذا كانت الرؤية قلبية فمحلها النصب على أنها

مفعول به ثان لـ « تر » العلمية (ويقولون للذين كفروا) الواو حرف عطف ويقولون عطف على يؤمنون وللذين متعلقان بيقولون وجملة كفروا صلة الموصول (هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً) الجملة في محل نصب مقول قولهم وهؤلاء اسم اشارة مبتدأ وأهدى خبره ومن الذين جار ومجرور متعلقان بأهدى وجملة آمنوا صلة الموصول وسبيلاً تمييز (أولئك الذين لعنهم الله) جملة مستأنفة لبيان حالهم وحقيقة أمرهم . وأولئك مبتدأ والذين خبر اسم الاشارة وجملة لعنهم صلة الموصول (ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً) الواو استئنافية ومن شرطية مفعول به مقدم ليلعن ويلعن فعل الشرط مجزوم وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين ، وقد سها الجلال رحمه الله فقدر ضميراً منصوباً ، وفاته أن لفظ القرآن لا يجوز التلاعب به . والله فاعل والفاء رابطة ولن حرف نفي ونصب واستقبال وتجد فعل مضارع منصوب بلن والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط وله جار ومجرور متعلقان بنصيراً ، ونصيراً مفعول به لتجد . وفعل الشرط وجوابه خبر « من » .

(أم لهم نصيب من الملك) أم عاطفة منقطعة بمعنى بل فهي عطف للإضراب والانتقال من ذمهم بتزكيتهم أنفسهم وغيرها الى ذمهم بشيء آخر ، وهو ادعاؤهم بأن لهم نصيباً من الملك . ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ونصيب مبتدأ مؤخر ومن الملك جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لنصيب (فإذن لا يؤتون الناس نقيراً) الفاء الفصيحة لأنها أفصحت عن شرط مقدر ، أي : إذا جعل لهم نصيب من الملك فإذن . وإذن حرف جواب وجزاء وقد أهملت لوقوعها بعد حرف العطف على الأفصح كما سيأتي في باب الفوائد ، ولا نافية

ويؤتون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل والناس مفعول به أول ونقيراً مفعول به ثان (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) أم حرف عطف وإضراب بمعنى بل ، وهي للشروع في الصفة الثانية من قبائحهم ، ويحسدون فعل مضارع مرفوع والناس مفعول به وعلى ما آتاهم جار ومجرور متعلقان بيحسدون وجملة آتاهم صلة والله فاعل ومن فضله متعلقان بآتاهم (فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة) الفاء تعليلية ، كأنها تعليل للانكار والاستقباح ، وقد حرف تحقيق وآتينا فعل وفاعل وآل ابراهيم مفعول به أول والكتاب مفعول به ثان والحكمة عطف على الكتاب (وآتيناهم ملكاً عظيماً) عطف على ما تقدم •

الفوائد :

(إذن) أحد الأحرف التي تنصب الفعل المضارع بأنفسها ، وما عداها فبإضمار أن معها ، وهي : أن لن إذن كي • أما إذن فحرف ناصب لاختصاصه ونقله الفعل الى الاستقبال ، وهي حرف جواب وجزاء ، ولها ثلاثة أحوال :

١ ـ أن تدخل على الفعل في ابتداء الجواب فهذه يجب إعمالها نحو قولك : إذن أكرمك ، في جواب : أنا أزورك •

٢ ـ أن يكون ما قبلها واواً أو فاء ، فيجوز إعمالها وإلغاؤها باعتبارين مختلفين ، وذلك نحو قولك : زيد يقوم وإذن يذهب ، فيجوز ها هنا الرفع والنصب باعتبارين مختلفين ، وذلك أنك إن عطفت : « وإذن يذهب » على « يقوم » الذي هو الخبر ألغيت « إذن » من العمل وصار بمنزلة الخبر ، لأن ما عطف على شيء صار واقعاً موقعه ،

فكأنك قلت : « زيد إذ نيذهب » فيكون قد اعتمد ما بعدها على ما قبلها لأنه خبر المبتدأ ، وإن عطفته على الجملة الأولى كانت الواو كالمستأنفة وصار في ابتداء كلام فأعمل لذلك ونصب به .

٣ ـ وأما الحالة الثالثة فأن تقع متوسطة ، معتمداً ما بعدها على ما قبلها ، أو كان الفعل فعل حال غير مستقبل ، في جواب من قال : « أنا أزورك أنا إذن أكرمك » فترفع هنا لأن الفعل بعدها معتمد على المبتدأ الذي هو « أنا » . وكذلك لوقلت : « إن تكرمني إذن أكرمك » فتجزم لأن الفعل بعد « إذن » معتمد على حرف الشرط . وهناك تفاصيل يرجع اليها في كتب النحو .

﴿ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

الاعراب :

(فمنهم من آمن به) الفاء استئنافية للتفريع ومنهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومن اسم موصول مبتدأ مؤخّر وجملة آمن صلة الموصول وبه جار ومجرور متعلقان بآمن (ومنهم من صدّ عنه) عطف على ما تقدم (وكفى بجهنم سعيراً) الواو استئنافية وكفى فعل ماض والباء حرف زائد وجهنم مجرور بالباء لفظاً مرفوع محلا على

أنه فاعل كفى وسعيراً تمييز أو حال (إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً) إن واسمها ، وجملة كفروا صلة الموصول وبآياتنا متعلقان بكفروا وسوف حرف استقبال ونصليهم فعل مضارع والهاء مفعوله الأول وناراً مفعوله الثاني وجملة سوف نصليهم ناراً خبر إن وجملة إن وما في حيزها مستأنفة (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها) الجملة حال من الضمير المنصوب في « نصليهم » ولك أن تجعلها صفة لـ « ناراً » ولا بد من تقدير عائد محذوف ، أي : كلما نضجت جلودهم فيها . وكلما ظرف زمان متضمن معنى الشرط متعلق ببدلناهم وجملة نضجت جلودهم في محل جر بالاضافة اذا اعتبرت ما زائدة وإن كانت موصولاً حرفياً فلا محل لها وجملة بدلناهم لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم . وبدلناهم فعل وفاعل ومفعول به أول وجلوداً مفعول به ثان أو منصوب بنزع الخافض وغيرها صفة لجلوداً (ليذوقوا العذاب) اللام للتعليل والجر ويذوقوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل والعذاب مفعوله والجار والمجرور متعلقان ببدلناهم (إن الله كان عزيزاً حكيماً) إن واسمها وجملة كان خبرها واسم كان ضمير مستتر تقديره هو ، وعزيزاً خبر كان الاول وحكيماً خبرها الثاني .

البلاغة :

الاستعارة المكنية التخييلية في قوله « ليذوقوا العذاب » فقد حذف المشبه ، واستعار شيئاً من لوازمه وهو الذوق ، والمراد بالذوق هنا ديمومته ، مع ما يصحبه من الاستكراه والألم الذي لا يوصف ، ولا مرية في أن استمرار ذوق العذاب مع بقاء الابدان حية مصونة فيه

ما فيه من استبعاد لكل ما قد يخطر على البال من توهم زوال العذاب وألمه ، ناهيك بما لحاسة الذوق من أثر في نفس المحترق بالنار .

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾

اللغـة :

(ظليل) : صفة لظل مشتقة منه لتأكيد مضمونه ، كما يقال : ليل أليـل ، ويوم أيوم ، أي : دائماً لا تنسخه الشمس ، وسجسجاً لا حرّ فيه ولا برد .

الاعراب :

(والذين آمنوا وعملوا الصالحات) الواو عاطفة والجملة معطوفة على الذين كفروا لتقرير حال هؤلاء وهؤلاء ، كما سيأتي في البلاغة والذين اسم موصول مبتدأ وجملة آمنوا صلة الموصول (سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً) جملة « سندخلهم » خبر الذين والهاء مفعول به أول وجنات مفعول به ثان على السعة ، وقد تقدمت نظائره ، أو منصوب بنزع الخافض وجملة تجري من تحتها الأنهار صفة لجنات وخالدين حال وفيها متعلقان بخالدين وأبداً ظرف متعلق بخالدين أيضاً (لهم فيها أزواج مطهرة) الجار والمجرور متعلقان

بمحذوف خبر مقدم وفيها جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وأزواج مبتدأ مؤخر ومطهرة صفة ، أي أن هذه الازواج مطهرة من الاقذار المعروفة في الدنيا كالحيض وغيره . والجملة الاسمية صفة ثانية لجنات . (وندخلهم ظلاً ظليلاً) الجملة معطوفة ، وظلاً مفعول به ثان على السعة والمفعول الاول الهاء ، وظليلاً صفة .

البلاغـة :

في عطف « الـذين آمنوا » على « الـذين كفروا » لف ونشر مشوّش ، وقد سبقت الاشارة إليه مع ما في الكلام من مقابلة وتنظير .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾

الاعراب :

(إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها) كلام مستأنف مسوق لتقرير الأمانات بعد أن تقدم إخلال اليهود بها ونقضهم إياها . وإن واسمها ، وجملة يأمركم خبرها وأن ومافي حيزها مصدر مؤول منصوب بنزع الخافض أي : بأن تؤدوا ، والجار والمجرور متعلقان بيأمركم أو مفعول به ثان ليأمركم والأمانات مفعول به لتؤدوا وعلامة نصبه الكسرة لأنه جمع مؤنث سالم والى أهلها جار ومجرور متعلقان

بتؤدوا (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) الواو عاطفة واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بمحذوف ، لأن ما بعد أن المصدرية لا يعمل فيما قبلها ، والتقدير يأمركم ، وجملة حكمتم في محل جر بالاضافة وبين الناس ظرف متعلق بحكمتم وأن تحكموا مصدر مؤول معطوف على أن تؤدوا ، فيكون قد فصل بين حرف العطف والمعطوف بالظرف ، وبالعدل متعلقان بتحكموا ولك أن تعلقهما بمحذوف حال من فاعل تحكموا أن متلبسين بالعدل (إن الله نعمّا يعظكم به) الجملة مستأنفة مسوقة لتعليل الأمر . ونعما أصلها : نعم وما ، ونعم فعل ماض جامد لإنشاء المدح وما نكرة تامة منصوبة على التمييز والفاعل مستتر مميز بنكرة أو « ما » موصولة فهي فاعل نعم وجملة يعظكم به صفة للمخصوص بالمدح وهو محذوف ، والتقدير : نعم الشيء شيئاً يعظكم به ، وحذف الموصوف على حد قوله : « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه » ، والمعنى : قوم يحرفون الكلم ، وقد تقدم هذا قريباً ، فجدد به عهداً . وبه متعلقان بيعظكم وجملة نعما خبر إن (إن الله كان سميعاً بصيراً) إن واسمها ، وجملة كان خبرها وسميعاً خبر كان الاول وبصيراً خبره الثاني .

الفوائد :

الأمانة اسم شامل يشمل جميع الحقوق سواء أكانت لله أم للآدمي. وتفصيلاتها مدونة في المطولات . وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدِّ الأمانة الى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك . وروى البغوي بسنده عن أنس قال : ما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قال : « لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ».

٢ ـ نعمّا : بكسر النون إتباعاً لكسر العين .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) كلام مستأنف مسوق لجميع الناس ، للأمر بطاعة الولاة وقد تقدم إعراب النداء كثيراً . وأطيعوا الله فعل أمر وفاعل ومفعول به وأطيعوا الرسول عطف على : أطيعوا الله ، وأولي الأمر عطف أيضاً . وأولي منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم ومنكم متعلقان بمحذوف حال (فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) الفاء استئنافية وإن شرطية وتنازعتم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفي شيء متعلقان بتنازعتم فردوه : الفاء رابطة لجواب الشرط وردوه فعل أمر وفاعل ومفعول به والى الله متعلقان بردوه والرسول عطف على الله والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) إن شرطية وكنتم كان الناقصة واسمها ، والفعل الماضي في محل جزم فعل الشرط ، وجملة تؤمنون في محل نصب خبر كنتم وبالله متعلقان بتؤمنون واليوم عطف على الله والآخر

صفة والجملة الشرطية مستأنفة وجواب الشرط محذوف أي فردوه (ذلك خير وأحسن تأويلاً) الجملة مستأنفة واسم الاشارة مبتدأ وخير خبر وأحسن عطف على خير وتأويلاً تمييز والاشارة للردّ .

الفوائد :

في هذه الآية إلماع الى الأدلة الفقهية الأربعة فقوله : « أطيعوا الله » إشارة الى الكتاب ، وقوله : « وأطيعوا الرسول » اشارة الى السنة ، وقوله : « وأولي الأمر » إشارة الى الإجماع ، وقوله : « فإن تنازعتم » إشارة الى القياس .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا (٦٠) ﴾

الاعراب :

(ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك) كلام مستأنف مسوق لبيان مكان التعجب من حال هؤلاء الذين ادعوا لأنفسهم أنهم قد جمعوا بين الإيمان بما أنزل على رسول الله ، وهو القرآن ، وما أنزل على من قبله من الانبياء ، فجاءوا بما يناقض هذه

الدعوى ، ويطيح بها من أساسها ، وهو إرادتهم التحاكم الى الطاغوت ، فجمعوا بين النقيضين ، وألّفوا بين الضدّين • والهمزة للاستفهام التعجبي • ولم حرف نفي وقلب وجزم وتر فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف حرف العلة والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت والمخاطب هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والى الذين متعلقان بتر ، وقد علق فعل الرؤية إن كانت قلبية وجملة يزعمون صلة الموصول وأنهم : أن واسمها ، وجملة آمنوا خبرها وقد سدّت أن واسمها مسدّ مفعولي يزعمون وبما جار ومجرور متعلقان بآمنوا وأنزل فعل ماض مبني للمجهول والجملة صلة وإليك متعلقان بأنزل (وما أنزل من قبلك) الواو عاطفة وما عطف على ما الأولى وجملة أنزل صلة ومن قبلك متعلقان بأنزل أو بمحذوف حال (يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت) جملة يريدون حالية وأن وما في حيزها مصدر مؤول مفعول به ليريدون والى الطاغوت متعلقان بيتحاكموا (وقد أُمروا أن يكفروا به) الواو حالية وقد حرف تحقيق وأمروا فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل وأن يكفروا مصدر مؤول منصوب بنزع الخافض وبه متعلقان بيكفروا (ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً) الواو عاطفة ويريد الشيطان عطف على يريدون وأن يضلهم مصدر مؤول مفعول يريد وضلالاً مفعول مطلق وبعيداً صفة •

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ
ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَٰبَتْهُم
مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ

إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾

الاعراب :

(وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول) كلام مستأنف مسوق لتكملة مادة التعجب من حالهم . والواو استئنافية وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب وهو رأيت وجملة قيل في محل جر بالإضافة ولهم متعلقان بقيل وجملة تعالوا مقول القول والى ما أنزل الله متعلقان بتعالوا وجملة أنزل الله صلة الموصول والى الرسول عطف على قوله : الى ما أنزل الله (رأيت المنافقين يصدّون عنك صدوداً) رأيت فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم والمنافقين مفعول به وجملة يصدون حالية إن كانت الرؤية بصرية أو مفعول به ثان إن كانت الرؤية قلبية وعنك متعلقان بيصدون وصدوداً مفعول مطلق (فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم) الفاء استئنافية وكيف اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب حال أي فكيف يصنعون ؟ أو فكيف تراهم ؟ ويجوز أن تكون خبراً لمبتدأ محذوف أي : فكيف صنعهم أو حالهم ؟ وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب المحذوف وجملة أصابتهم في محل جر بالاضافة ومصيبة فاعل وبما متعلقان بأصابتهم ويجوز في ما أن تكون مصدرية ، أو موصولية وجملة قدمت أيديهم لا محل لها ، وأيديهم فاعل (ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا أحساناً وتوفيقاً) ثم جاءوك

عطف على أصابتهم ولا أرى مساغاً لصنع بعضهم في عطفها على جملة يصدون كما يرى البيضاوي وجملة يحلفون بالله حالية وإن نافية وأردنا فعل وفاعل وإلا أداة حصر وإحساناً مفعول به وتوفيقاً عطف على إحساناً (أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم) الجملة مستأنفة مسوقة لزيادة التنبيه على نفاقهم • وأولئك مبتدأ والذين خبر اسم الاشارة وجملة يعلم الله صلة الموصول وما اسم موصول مفعول به وفي قلوبهم متعلقان بمحذوف صلة الموصول (فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً) الفاء الفصيحة وهي التي أفصحت عن شرط مقدر أي : إذا كانت حالهم كذلك فأعرض عنهم ولا تقبل لهم عذراً ، وأعرض فعل أمر وفاعله أنت وعنهم جار ومجرور متعلقان بأعرض والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط محذوف غير جازم وعظهم عطف على أعرض وقل لهم : عطف على أعرض ولهم متعلقان بقل ، وفي أنفسهم في متعلق هذا الجار والمجرور ثلاثة أوجه متساوية في الصحة والجودة :

١ ــ إنهما متعلقان ببليغاً لأن أمره بتهديدهم بلغ صميم قلوبهم • وسياق التهديد في قوله : فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ، « ثم جاءوك » يشهد له •

٢ ــ أنهما متعلقان بقل ، ومعناه : قل لهم في معنى أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المنطوية على الشرّ قولاً بليغاً • ويلائمه من السياق قوله : « أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم » من دواخل الغي ونوازع الضلال •

٣ ــ إنهما متعلقان بمحذوف حال أي حالة كون المقول سراً لا يتجاوز نفوسهم ولا يتعدّاها ؛ وتشهد له سيرة النبي صلى الله عليه

وسلم ، ويتلاءم مع حرص النبي على الستر والملاينة ، رجاء أن يثوبوا الى الرشد ويخلدوا الى الصواب . وقولاً مفعول مطلق بليغاً صفة أو حال كوناً خالياً بهم . والنصيحة في السر أنفع منها في العلانية .

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾

الاعراب :

(وما أرسلنا من رسول) الواو استئنافية وما نافية وأرسلنا فعل وفاعل ومن حرف جر زائد ورسول مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول أرسلنا (إلا ليطاع بإذن الله) إلا أداة حصر واللام للتعليل ويطاع فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والجار والمجرور استثناء مفرغ من أعم العلل أي : وما أرسلنا من رسول لشيء من الاشياء إلا للطاعة ، فهو مفعول لأجله ولكنه لم يستوف شروط النصب. وبإذن الله يجوز في هذا الجار والمجرور أن يتعلق بمحذوف حال ، وقيل: بأرسلنا ، وقيل بيطاع . والأوجه الثلاثة متساوية الرجحان (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك) الواو استئنافية ولو شرطية وأن واسمها وما في حيزها مصدر مؤول فاعل لفعل محذوف ، أي لو ثبت مجيئهم وإذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بجاءوك وجملة ظلموا أنفسهم في محل جر بالإضافة وجملة جاءوك في محل رفع خبر أن (فاستغفروا الله واستغفر

لهم الرسول) الفاء عاطفة وجملة استغفروا معطوفة على جاءوك ولفظ الجلالة مفعول به واستغفر لهم الرسول عطف على ما تقدم (لوجدوا الله توابا رحيماً) اللام واقعة في جواب لو ووجدوا الله فعل وفاعل ومفعول به أول والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وتواباً مفعول به ثان ورحيماً صفة لتواباً أو بدل منه •

البلاغـة :

في الآية التفات بقوله : « واستغفر لهم الرسول » وسياق الكلام يقتضي أن يقول : واستغفرت لهم ، ولكنه عـدل عن ذلك للتنويـه بالرسول ، وليدل عليه دلالة مؤثرة في قلوبهم ، ولاشتماله على ذكر صفة مناسبة ، وهي الاستغفار لمن تعاظمت ذنوبهم وتعددت آثامهم •

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾

اللغـة :

(شجر) اختلط مختلفاً متداخلاً متشابكاً ، ومنه سمي الشجر لتداخل أغصانه وتشابكها ، قال طرفة بن العبد :

وهُمُ الحكّام أربابُ الهـدى وسُعاة الناس في الأمر الشّجَرْ

أي المختلف المتشابك • ومنه : تشاجر الرماح أي اختلافها •

الاعراب :

(فلا وربك لا يؤمنون) الفاء استئنافية ولا مزيدة لتأكيد القسم والواو حرف قسم وجر والجار والمجرور متعلقان بمحذوف تقديره أقسم ، ولا يؤمنون : لا نافية ويؤمنون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل وجملة لا يؤمنون لا محل لها لأنها جواب القسم (حتى يحكّموك فيما شجر بينهم) حتى حرف غاية وجر ويحكموك فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والواو فاعل والكاف مفعول به والجار والمجرور متعلقان بيؤمنون وفيما جار ومجرور متعلقان بيحكّموك وجملة شجر صلة الموصول وبينهم ظرف مكان متعلق بشجر (ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت) ثم حرف عطف للتراخي ولا نافية ويجدوا عطف على يحكموك وفي أنفسهم جار ومجرور متعلقان بيجدوا فهو بمثابة المفعول الثاني وحرجاً مفعول به أول ليجدوا ومما متعلقان بمحذوف صفة لحرجاً وجملة قضيت صلة الموصول (ويسلموا تسليماً) عطف على يجدوا وتسليماً مفعول مطلق .

البلاغة :

في هذه الآية مبالغات عديدة ، بلغت أسمى مراتب البيان . والغاية منها زيادة الوعيد والتهديد مما ترتعد له الفرائص وترتجف منه الأفئدة . وسنلمع اليها بالتفصيل :

١ ــ فقد أقسم سبحانه أولا بنفسه مؤكداً لهذا القسم بحرف النفي بأنهم لا يؤمنون . والإيمان رأس مال الصالحين من عباد الله حتى تحصل لهم غاية من أشرف الغايات وهي اللجوء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحكيمه فيما نشب بينهم من خلاف .

٢ ـ ثم لم يكتف سبحانه بذلك حتى قال : « ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت » ، فضمّ الى التحكم أمراً آخر وهو عدم وجود أي حرج في صدورهم ، فلا يكون مجرد التحكيم والإذعان كافياً بل لا بد أن يكون نابعاً من صدورهم ، صادراً عن رضا واطمئنان وطيب نفس . وهذا أجمل تصوير للعلاقة التي يجب أن تترسخ بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وبين الرئيس والمرءوس ، والثقة التي تتأصل في نفوس الشعب لقائدهم وولي أمرهم ، ما دام موفقاً ، سائراً في جوار الاستقامة السليمة .

٣ ـ ثم لم يكتف سبحانه ، بهذا كله ، بل ضمّ إليه قوله : ويسلموا أي يذعنوا إذعاناً تاماً وينقادوا ظاهراً وباطناً لا انقياداً أعمى ولكنه انقياد الواثق المطمئن الى سلامة موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٤ ـ وضمّ الى « يسلموا » المصدر المؤكد فقال : « تسليماً » وهكذا لا يثبت الإيمان لعبد حتى يقع منه هذا التحكيم ولا يجد الحرج في صدره بما قضى عليه والتسليم لحكم الله وشرعه تسليماً لا يخالطه رد ولا تشوبه شائبة ، فسبحان قائل هذا الكلام ! واستمع الى تتمة هذا الفصل في الآية التالية .

الفوائد :

ماذكرناه في إعراب قوله تعالى : «فلا وربك» هو المختار في رأينا ، ونرى تميماً للفائدة أن نورد بعض ما قيل فيه ، فاعلم أنه كثرت زيادة « لا » مع القسم في القرآن الكريم حيث يكون بالفعل مثل : « فلا

أقسم بمواقع النجوم » « لا أقسم بهذا البلد » «لا أقسم بيوم القيامة» وغيرها . والفائدة منها تأكيد تعظيم المقسم به ، ومعلوم أنه لا يقسم بالشيء إلا إعظاماً له فكأنه يقول : إن إعظامي لهذه الأشياء بالقسم كلا إعظام ، يعني بذلك أنها بمثابة من التعظيم والفخمية تستأهل أكثر من ذلك ، وتستوجب ما فوقه ، ومن أمثلته في الشعر قوله :

فلا وأبيكِ ابنة العامري لا يدعي القوم أني أفرّ

وسيأتي المزيد من بحثه في مواضعه القادمة من هذا الكتاب العجيب ، وهناك أقوال للعلماء في هذا التركيب تثبتها لأنها لا تخلو من وجاهة منها :

١ ــ أن « لا » رد لكلام تقديره : فلا يفعلون ، أو : ليس الأمر كما يزعمون من أنهم آمنوا بما أنزل إليك ، ثم استأنف القسم بقوله : وربك لا يؤمنون . فعلى هذا يكون الوقف على « لا » تاماً ، وقد ارتضاه الطبري ، وناهيك به .

٢ ــ والثاني أن « لا » الأولى قدمت على القسم اهتماماً بالنفي ، ثم كررت توكيداً .

٣ ــ والثالث أن « لا » الثانية زائدة ، والقسم معترض بين حرف النفي والمنفي،وكان التقدير فلا يؤمنون وربك فتكون الوجوه فيها أربعة.

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا

لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾
وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ ﴾

الاعراب :

(ولو أنّا كتبنا عليهم أنِ اقتلوا أنفسكم) كلام مستأنف مسوق لتوبيخ الذين يتقاعسون عن الاستجابة للرسول وطاعته . والواو استئنافية ولو شرطية وأن وما في حيزها فاعل لفعل محذوف أي لو ثبتت كتابتنا ، وقد تقدمت له نظائر ،وأن واسمها ، وجملة كتبنا خبرها وعليهم متعلقان بكتبنا وأن مصدرية واقتلوا فعل أمر والواو فاعل والمصدر المؤوّل مفعول كتبنا ، وقيل : أن مفسرة ، لأن كتبنا فيه معنى القول دون حروفه . وأنفسكم مفعول به (أو اخرجوا من دياركم) عطف على اقتلوا أنفسكم ، ومن دياركم متعلقان باخرجوا (ما فعلوه إلا قليل منهم) الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم والضمير في « فعلوه » يعود الى أحد الأمرين أو للمكتوب عليهم ، وإلا أداة حصر وقليل بدل من الواو في « فعلوه » لأنه استثناء من كلام تام غير موجب ومنهم متعلقان بمحذوف صفة لقليل ، وقرىء بالنصب على الاستثناء منهم (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به) عطف على ما تقدم ، وقد تقدم إعراب هذا التركيب قبل قليل . وما اسم موصول مفعول به وجملة يوعظون به صلة الموصول (لكان خيراً لهم وأشدّ تثبيتاً) اللام واقعة في جواب لو وكان واسمها المستتر ، وخيراً خبرها . وأشد عطف على « خيراً » وتثبيتاً تمييز (وإذن لآتيناهم من لدنّا أجراً عظيماً)

الواو عاطفة وإذن حرف جواب وجزاء مهمل لأنه وقع بعد أحد العاطفين ، وهما الواو والفـاء ، وهو جواب لسؤال مقدّر ، كأنه قيل : وماذا يكون لهم بعد التثبيت ؟ فقيل : وإذن لو ثبتوا ولآتيناهم واللام جواب لو المقدرة وآتيناهم فعل وفاعل ومفعول به ومن لدنا جار ومجرور متعلقان بآتيناهم وأجراً مفعول به وعظيماً صفة (ولهديناهم صراطاً مستقيماً) عطف أيضاً وصراطاً مفعول به ثان أو منصوب بنزع الخافض، وقد تقدمت الاشارة الى ذلك في الفاتحة ، ومستقيماً صفة .

الفوائـــد :

صورة من روائع البطولة العربية الاسلامية :

روى التاريخ أن الزبير بن العوّام وحاطب بن أبي بلتعة اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج كانا يسقيان بها النخل ، وهي مسيل الماء ، فقال : اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك ، فغضب حاطب وقال : لأن كان ابن عمتك ؟ فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : اسق يا زبير ثم احبس المـاء حتى يرجع الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك . كان قد أشار على الزبير برأي فيه السعة له ولخصمه ، فلما أحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعب للزبير حقه في صريح الحكم .

ثم خرجا فمرّا على المقداد فقال له : لمن كان القضاء ؟ فقـال الأنصاري : قضى لابن عمته ، ولوى شدقه . فاستغل يهودي الموقف فقال : يشهدون أنه رسول الله ثم يتهمونـه في قضاء يقضي بينهم ! وايم الله لقد أذنبنا ذنباً مرة في حياة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال :

اقتلوا أنفسكم ، ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين ألفاً حتى رضي عنا . فقال ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر : لو أمرنا محمد أن نقتل نفوسنا لقتلناها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده إن من أمتي الإيمان أثبت في نفوسهم من الجبال الرواسي .

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾

الاعراب :

(ومن يطع الله والرسول) كلام مستأنف مسوق لبيان فضل طاعة الله ورسوله . ومن شرطية في محل رفع مبتدأ ويطع الله فعل الشرط والرسولَ عطف على الله (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) الفاء رابطة لجواب الشرط وأولئك مبتدأ ومع ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر والذين اسم موصول مضاف اليه والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط وجملة أنعم الله عليهم صلة الموصول ومن النبيين جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وما بعده عطف على النبيّين (وحسن أولئك رفيقاً) الواو عاطفة وحسن فعل ماض تضمن معنى المدح والتعجب وأولئك اسم اشارة فاعل ورفيقاً تمييز أو حال على رأي الاخفش . والرفيق يستوي فيه الواحد والجمع ومثله الصديق والخليط (ذاك

الفضل من الله وكفى بالله عليماً) اسم الاشارة مبتدأ والفضل بدل منه ومن الله متعلقان بمحذوف خبر ، ويجوز أن يكون الفضل هو الخبر ومن الله متعلقان بمحذوف حال وجملة الاشارة استئنافية وكفى فعل ماض والباء حرف جر زائد والله فاعل محلاً مجرور لفظاً وعليماً تمييز أو حال ، وقد تقدم اعرابه . وجملة كفى استئنافية .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ ﴾

اللغـــة :

(الحِذْر) بكسر الحاء وسكون الذال أو بفتحتين : التيقظ والاحتراز من الامر المخوف .

(ثبات) بضم الثاء : الجماعة مـن الفرسـان ، ويقـال ثبوت أيضاً ، ووزنها في الأصل فعلة كحطمة ، وإنما حذفت منها لامها وعوض عنها تاء التأنيث المربوطة . وهل هو واو أو ياء قولان ، وفي كتب اللغة الثبات : جمع ثُبَة وهي الجماعـة من الرجال فوق العشرة ، وقيل : فوق الاثنين . والسرية أقلها مائة وغايتها أربعمائة ، ويليها المنسر من أربعمائة الى ثمانمائة ، ويليه الجيش من ثمانمائة الى أربعـة آلاف ،

ويليه الجحفل وهو ما زاد على ذلك . قال زهير يصف جماعة كراماً ويمدحهم :

وقد أغدو على ثبة كرام ... نشاوى واجدين لما نشاء
لهم راحٌ وراووق ومسك ... تُعَلُّ به جلودهم وماء
أمشّي بين قتلى قد أصيبت ... نفوسهم ولم تُقطر دماء
يجرّون البرودَ وقد تمشّت ... حُمَيّا الكأس فيهم والغناء

(انفروا) أمر من النفر وهو الفزع ، يقال : نفر إليه نفراً من باب ضرب وقعد . وقد قرأ الأعمش : انفروا بضم الفاء في الموضعين .

(يبطئن) بتشديد الطاء زيادة التثاقل والإبطاء والتخلّف عن الجهاد . يقال : بطّأ بالتشديد وأبطأ .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً) كلام مستأنف مسوق لتحذير عسكر الرسول صلى الله عليه وسلم من المخاطر التي قد يستهدفون لها إذا لم يأخذوا حذرهم . وقد تقدم اعراب النداء ، وخذوا فعل أمر مبني على حذف النون لأن مضارعه من الافعال الخمسة والواو فاعل وحذركم مفعول به والفاء عاطفة وانفروا عطف على خذوا أي : بادروهم قبل أن يبادروكم ولا تتخاذلوا فتلقوا بأيديكم الى التهلكة . وثبات حال وعلامة نصبه الكسرة لأنه جمع مؤنث سالم أو انفروا عطف على انفروا الاول وجميعاً حال (وإن منكم لمن ليبطئنّ) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق

لخطاب المبطئين والمنافقين الذين تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد . وإن حرف مشبه بالفعل ومنكم متعلقان بمحذوف خبر مقدم لمن اللام المزحلقة وفائدتها التأكيد ومن اسم موصول في محل نصب اسمها المؤخر وليبطئن اللام جواب قسم محذوف وتقدير الكلام : وإن منكم لمن أقسم ليبطئن، والقسم وجوابه صلة الموصول ويبطئن هنا يجوز أن يكون لازماً ويجوز أن يكون متعدياً والمفعول محذوف أي : ليبطئنّ غيره أي يثبّطه ويبعث في نفسه الجبن والهلع ، وهؤلاء شر من الاعداء ، وفي جعلهم منهم تعميم اقتضاه الظاهر ، والواقع أنهم عدو لكم . ولاحظ أن صلة الموصول نفسها هي جواب القسم ، وكلتاهما لا محل لها من الاعراب (فإن أصابتكم مصيبة قال : قد أنعم الله علي) الفاء استئنافية وإن شرطية وأصابتكم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ومصيبة فاعل وجملة قال في محل جزم جواب الشرط وجملة قد أنعم الله علي في محل نصب مقول القول (إذ لم أكن معهم شهيداً) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بأنعم ولم حرف نفي وقلب وجزم وأكن فعل مضارع ناقص واسمها مستتر تقديره أنا ومعهم ظرف مكان متعلق بمحذوف حال وشهيداً خبر أكن .

البلاغـــة :

١ ــ الطباق بين ثبات وجميعاً . أي انهدوا للعدو وتصدوا له سرايا متعاقبة أو كواكب مجتمعة ، فالتباطؤ ديدن المنافقين .

٢ ــ المجاز المرسل في خذوا حذركم ، والعلاقة هي السببية ، لأن الحذر ــ وإن كان لا يمنع القدر ــ هو الآلة التي يقي بها الانسان نفسه ، ويعصم روحه .

٣ ـ الخبر الإنكاري في قوله : « وإن منكم لمن ليبطئن » .
فقد جاء التأكيد بإن وبلام التأكيد التي يسميها النحاة المزحلقة ونون التوكيد الثقيلة ، وفي استعمال الفعل المضعّف ، وزيادة الحروف زيادة في المعنى . وفي مجموع هذه المؤكدات تخويف رهيب لمن ثبّطه نفسه أو ثبّط غيره . وقد نزلت هذه الآيات في المنافق عبد الله بن أُبي الذي ثبط المؤمنين في غزوة أحد . وقد تشبث الشعراء بأهداب هذه المعاني فقال أبو تمام في مدح الثبات على الحرب والقتل في الجهاد يرثي محمد ابن حميد الطوسي من قصيدة فريدة :

وقد كان فوت الموت سهلاً فردّه
إليه الحفاظ المرّ والخلق الوعر
ونفسٌ تعاف العار حتى كأنما
هو الكفر يوم الرّوع أو دونه الكفر
فأثبت في مستنقع الموت رجله
وقال لها : من تحت أخمصك الحشر
تردى ثياب الموت حمراً فما دجا
لها الليل إلا وهي من سندس خضر

إلى آخر تلك القصيدة الرائعة .

﴿ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ

مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ * فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

الاعراب :

(ولئن أصابكم فضلٌ من الله) الواو عاطفة على قوله : « فإن أصابتكم مصيبة » وإنما قدمت الشرطية الاولى لأن مضمونها أوفق لمقصدهم ، ولأن أثر نفاقهم أكثر ظهوراً ، وأشد تأثيراً . واللام موطئة للقسم وإن شرطية وأصابكم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والكاف مفعول به وفضل فاعل ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة (ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) اللام جواب القسم ويقولنّ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والجملة لا محل لها لأنها جواب القسم لتقدمه . وكأن مخففة من الثقيلة وسيأتي حكمها في باب الفوائد ، واسمها ضمير الشأن وجملة لم تكن خبرها ، وجملة كأن ومافي حيزها اعتراضية بين القول ومقوله ، واختار أبو البقاء أن تكون حالية ، وتبع في ذلك قول الراغب الذي قال : « وذلك مستقبح ، فانه لا يفصل بين بعض الجملة وبعض ما يتعلق بجملة أخرى » وهذا غريب جداً لأنه يطيح بأقوال النحاة جميعاً ، قال الرازي بصدده : « هو اعتراض في غاية الحسن لأن من أحب إنساناً فرح عند فرحه وحزن عند حزنه ، فإذا قلب القضية فذلك إظهار للعداوة » وبينكم ظرف متعلق بمحذوف خبر تكن المقدم وبينهم عطف

عليه ومودة اسم تكن المؤخر (يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً) الجملة مقول القول « ليقولن » يا حرف نداء والمنادى محذوف ، أو هي لمجرد التنبيه ، والاول أولى • وليت حرف مشبه بالفعل والنون للوقاية والياء اسمها وجملة كنت خبر ليت وكان واسمها ، ومعهم ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر كنت ، فأفوز الفاء هي السببية وأفوز فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء وفوزاً مفعول مطلق وعظيماً صفة (فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) الفاء هي الفصيحة أي إذا علمتم هذا كله فليقاتل ، واللام لام الأمر ويقاتل فعل مضارع مجزوم بلام الأمر وفي سبيل الله متعلقان بيقاتل والذين اسم موصول فاعل يقاتل وجملة يشرون الحياة الدنيا صلة الموصول وبالآخرة متعلقان بيشرون والجملة لا محل لها من الاعراب لأنها جواب شرط غير جازم (ومن يقاتل في سبيل الله) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويقاتل فعل الشرط وفي سبيل الله متعلقان بيقاتل (فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً) الفاء عاطفة ويقتل بالبناء للمجهول معطوف على يقاتل ونائب الفاعل مستتر تقديره هو أو يغلب أو حرف عطف ويغلب بالبناء للفاعل معطوف أيضاً والفاعل مستتر تقديره هو فسوف الفاء رابطة لجواب الشرط ونؤتيه فعل مضارع وفاعله مستتر والهاء مفعول به أول وأجراً مفعول به ثان وعظيماً صفة • والجملة في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر «من» •

البلاغــة :

شراء الحياة الدنيا بالآخرة استعارة مكنية ، تقدمت الاشارة اليها بحروفها • وفعل شرى يحتمل الشراء والبيع ، فلا يقال : كيف دخلت الباء على الآخرة •

الفوائـــد :

إذا خففت « كأن » المشبهة بالفعـل بقي عملها ويكون اسمها ضمير الشأن محذوفاً وجوباً وخبرها جملة ، فان كانت الجملة المخبر بها موجبة ذات فعل متصرف فصلت عن كأنْ بـ « قـد » ، كقولك : لا يهولنك اصطلاء لظى الحرب فمحذورها كأنْ قد ألمّ . أو منفية فصلت بـ « لم » كقوله :

كأنْ لـم يكن بين الحجون الى الصفـا
أنيس ولـم يسمـر بمكـة سامـر

وذلك للفرق بينها وبين أن المصدرية الداخلة عليها كاف التشبيه وإن لم تكن الجملة كذلك فلا حاجـة الى الفصل بشيء ، وهـذا هو المشهور في الاستعمال .

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ
وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ
أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ
فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾

اللغـــة :

(القرية) بفتح القاف وكسرها : اسم جامع لمعان شتى ، فهي الضيعة والمصر الجامع وجمع الناس والمدينة . والجمـع قرى بضم القاف وقريّ بكسر القاف والراء ، والنسبة اليها قروي وقرييّ . وكل قرية ذكرت في القرآن فالظلم ينسب اليها بطريق المجاز ، وستأتي أمثلتها في حينها . وأما هذه القرية في سورة النساء فينسب الظلم الى أهلها على الحقيقة ، لأن المراد بها مكة ، فوقرت عن نسبة الظلم اليها تشريفاً لها .

الإعراب :

(ومالكم لاتقاتلون في سبيل الله) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق للحث على الجهاد بطريق الاستفهام . وما اسم استفهام معناه الأمر والإنكار في محل رفع مبتدأ ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبره وجملة لا تقاتلون في سبيل الله حالية (والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان) عطف على الله ، ولا بـد من تقدير مضاف أي : لا تقاتلون في سبيل تخليص المستضعفـين . ومن الرجال متعلقـان بمحـذوف حال والولـدان جمـع وليـد وهو الصبي الصغـير ، والنساء والولدان هم الذين حبسهم المشركون عن الهجرة ، ومنهم ابن عباس قال : كنت أنا وأمي منهم (الذين يقولون : ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها) الذين اسم موصول صفة وجملة يقولون صلة الموصول وربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء وأخرجنا فعل دعاء ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول به والجملة في محل

نصب مقول القول ، ومن هذه جار ومجرور متعلقان بأخرجنا والقرية بدل من اسم الاشارة والظالم نعت سببي وأهلها فاعل الظالم لأنه اسم فاعل (واجعل لنا من لدنك ولياً) عطف على أخرجنا ولنا في محل نصب مفعول اجعل ومن لدنك في محل نصب حال ووليا مفعول به ثان (واجعل لنا من لدنك نصيراً) عطف على ماتقدم (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله)كلام مستأنف مسوق للترغيب في القتال والذين: مبتدأ وجملة آمنوا صلة وجملة يقاتلون خبره وفي سبيل الله جار ومجرور متعلقان بيقاتلون (والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) عطف على الجملة السابقة وقد تقدم إعرابها (فقاتلوا أولياء الشيطان) الفاء الفصيحة وقاتلوا فعل أمر مبني على حذف النون لأن مضارعه من الافعال الخمسة والواو فاعل وأولياء الشيطان مفعول به (إن كيد الشيطان كان ضعيفاً) إن واسمها ، وجملة كان خبرها وضعيفاً خبر كان وجملة ان وما بعدها تعليلية لا محل لها .

الفوائد :

النعت قسمان :

١ ــ حقيقي : وهو ما يبين صفة من صفات متبوعه ، ويجب أن يطابق متبوعه في الاعراب والإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث والتعريف والتنكير .

٢ ــ سببي : وهو ما يبين صفة من صفات ما له تعلق بمتبوعه وارتباط به ، كما في الآية . ويطابق منعوته في الاعراب والتعريف والتنكير فقط ، ويراعى في تأنيثه وتذكيره ما بعده ، ويلازم الإفراد دائماً . ففي الآية طابق « الظالم » « القرية » في الجر والتعريف ،

وروعي في التذكير ما بعده ، وهو الأهل ، وبقي مفرداً ، وإن كان معنى الأهل جمعاً . ولو أُنّث في غير القرآن ، فقيل : الظالمة أهلها ، لجاز لا لتأنيث الموصوف بل لأن الأهل يذكّر ويؤنث .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾

الاعراب :

(ألم تر إلى الذين قيل لهم كفّوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) كلام مستأنف مسوق لإثارة العجب في نفس الرسول صلى الله عليه وسلم من إحجامهم عن القتال بعد إظهارهم الرغبة فيه ومباشرتهم فيه فعلاً ، كما ينبيء عنه الأمر بكف الايدي بعد بسطها عليهم . والهمزة للاستفهام التعجبيّ ولم حرف نفي وقلب وجزم وتر فعل مضارع مجزوم بلم والى الذين متعلقان بـ « تر » وجملة قيل صلة الموصول ولهم متعلقان بقيل وجملة كفوا مقول القول وأيديكم مفعول كفوا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة عطف على جملة كفوا ، أي لا تقاتلوا

الكفار ما داموا بمكة (فلما كتب عليهم القتال) الفاء عاطفة ولما حرف وجود لوجود كما قال سيبويه ، أو ظرف بمعنى حين متضمن معنى الشرط كما قال أبو علي الفارسي • وجملة كتب عليهم القتال لا محل لها من الاعراب لوقوعها بعد موصول حرفي أو في محل جر بالاضافة (إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله) إذا حرف على الأصح يسيها النحاة الفجائية خلافاً لمن زعم أنها ظرف مكان أو زمان ، لا يليها إلا الفعل و لاتقع في الابتداء ، ولا تكون الجملة الاسمية بعدها إلا حالاً ، وتختص بالجملة الاسمية أو منسوخة بإنّ ، نحو : خرجت فاذا إن المطر نازل ، وسيأتي بحث مسهب شيق عنها في باب الفوائد لم نسبق اليه • وفريق مبتدأ ساغ الابتداء به مع أنه نكرة لأنه وصف بقوله « منهم » وجملة يخشون الناس خبر فريق والناس مفعول به وكخشية الله الكاف اسم بمعنى مثل في محل نصب حال أو هي حرف جر وهي مع مجرورها في محل نصب على الحالية أو المفعولية المطلقة وجملة فريق منهم الخ في محل نصب على الحال والجملة الفجائية لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (أو أشد خشية) أو حرف عطف وأشد خشية عطف على كخشية الله فهي حال أو مفعول مطلق وخشية تمييز ، واختار بعض المعربين أن تعرب حالاً من قوله « خشية » لأنها صفة لنكرة وتقدمت عليها فانتصبت وهو محض تكلّف لا داعي له ، وسيأتي بحث طريف عن ذلك في باب الفوائد ، نلفت اليه الأنظار لنفاسته (وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال) الواو استئنافية أو عاطفة وقالوا فعل وفاعل والجملة استئنافية أو معطوفة على جملة يخشون وربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء ولم اللام حرف جر وما اسم استفهام حذفت ألفها لوقوعها بعد حرف الجر والجار والمجرور متعلقان بكتبت والقتال مفعول به والجملة في محل نصب مقول القول

(لولا أخرتنا الى أجل قريب) لولا حرف تحضيض مثل هلا وأخرتنا فعل وفاعل ومفعول به والجملة مندرجة في مقولهم (قل متاع الدنيا قليل) قل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت والجملة استئنافية ومتاع الدنيا مبتدأ وقليل خبر والجملة في محل نصب مقول القول (والآخرة خير لمن اتقى) الواو استئنافية أو حالية والآخرة مبتدأ وخير خبر والجملة مستأنفة أو حالية ولمن اتقى اللام حرف جر ومن اسم موصول مجرور باللام والجار والمجرور متعلقان بخير ، واتقى فعل ماض وفاعله مستتر والجملة صلة الموصول (ولا تظلمون فتيلاً) الواو عاطفة ولا نافية وتظلمون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وفتيلاً صفة لمفعول مطلق محذوف وقد نابت عنه •

الفوائــد :

١ ـ اختلفت آراء النحاة في «إذا الفجائية» فقال بعضهم هي ظرف مكان أو زمان• وتبعهم المعربون والمفسرون، فخاضوا في متاهات لا نهاية لها ، ولم ينتهوا الى طائل • وقال بعضهم ، وعلى رأسهم الأخفش : هي حرف دائماً ، ويرجحه قولك : « إن خرجت فإذا إن المطر نازل » ، بكسر همزة « إن » لأن « إن » بالكسر لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ، وأما بالفتح فيعمل ما بعدها فيما قبلها ، إذ ليس لها الصدر • أما جعلها ظرفاً للمكان أو الزمان فيقتضي الدخول في تعسفات لا طائل تحتها ، وقد آثرنا في كتابنا أن لا نجزم برأي من عندنا إلا اذا رأينا من سبقنا ذهب اليه ، نقول هذا لأن بعض المتنطعين تجنى علينا فادعى علينا الغلط • هذا وقد اشتهرت هذه المسألة في النحو وحدثت مناقشة طريفة بسببها بين سيبويه والكسائي ، تجدها كاملة في مغني اللبيب ، وفات

هؤلاء المتناقشين وقوع ما بعدها مبتدأ وخبراً مرفوعين في القرآن كما فعل ابن يعيش وغيره من النحاة ، فارجع الى بحث إذا الفجائية في المغني والمطولات تسمع العجب العجاب .

٢ ـ مر نظير هذه الآية في الاعراب قوله تعالى : « فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً » . ومن طريف الابحاث المتعلقة في الاسم الواقع بعد اسم التفضيل يصح فيه النصب والجر تقول : « زيد أكرم أباً » بالنصب ، فيكون « زيد » من الأبناء وأنت تفضل أباه ، وتقول : « زيد أكرم أبٍ » بالجر فيكون زيد من الآباء وأنت تفضله . وتقول : « زيد أفضل إخوته » وهو وهم لأن أفعل التفضيل لا يضاف إلا لما هو داخل فيه ، وزيد غير داخل في إخوته ، إذ لو سئلت عنه لعددتهم دونه فيكون المثال بمثابة : زيد أفضل النساء ، وهذا باطل والصواب أن يقال : أفضل الإخوة ، أو : أفضل بني أبيه .

أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾

اللغة :

(بروج) : البروج في كلام العرب الحصون والقلاع .

(مشيدة) : اختلف أهل العربية في معنى المشيدة فقال بعض أهل البصرة منهم : المشيّدة الطويلة ، قال : وأما المشيد بالتخفيف فانه المزين ، قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن . وقال آخرون منهم نحو ذلك القول ، غير أنه قال : المشيد بالتخفيف المعمول بالشيد ، والشيد الجصّ . وقال بعض أهل الكوفة : المشيد والمشيّد أصلهما واحد ، غير أن ما شدد منه فإنما يشدد لنفسه، والفعل منه في جمع ، مثل قولهم: هذه ثياب مصبغّة وغنم مذبّحة ، فشدد لأنها جمع ، يفرق فيها الفعل ، ومثله قصور مشيدة ، لأن القصور كثيرة ، تردّد فيها التشييد ، ولذلك قيل : بروج مشيدة ، ومنه قوله تعالى « وغلقت الأبواب » .

الاعراب :

(أينما تكونوا يدرككم الموت) كلام مستأنف مسوق لخطاب اليهود والمنافقين ، وبيان أنّ الدنيا حقيرة لا ديمومة لها . وأينما اسم شرط جازم في محل نصب على الظرفية المكانية متعلق بمحذوف خبر تكونوا المقدم إذا كانت ناقصة أو بجواب الشرط إذا كانت تامة وتكونوا فعل الشرط والواو فاعل أو اسم تكونوا ويدرككم الموت جواب الشرط (ولو كنتم في بروج مشيدة) الواو حالية ولو شرطية وكان واسمها ، وفي بروج متعلقان بمحذوف خبر كنتم ومشيدة صفة لبروج وجملة جواب الشرط محذوفة دل عليها ما قبلها (وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله) الواو استئنافية وإن شرطية وتصبهم فعل الشرط والهاء مفعول به وحسنة فاعل ويقولوا جواب الشرط وهذه مبتدأ ومن عند الله الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول (وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك) عطف

على ما تقدم (قل كلٌّ من عند الله) الجملة استئنافية مسوقة لشجب افتئاتهم ، وقل فعل أمر وكل مبتدأ ساغ الابتداء به لما فيه من معنى العموم ومن عند الله متعلقان بمحذوف خبر والجملة الاسمية مقول القول (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً) الفاء استئنافية وما اسم استفهام مبتدأ ولهؤلاء متعلقان بمحذوف خبر والقوم بدل وجملة لا يكادون في محل نصب على الحال والواو اسم يكادون وجملة يفقهون في محل نصب خبر يكادون والواو فاعل وحديثاً مفعول به •

الفوائـــد :

(أينما) أين اسم من أسماء الأمكنة مبهم يقع على الجهات الست وكل مكان يستفهم عنه ، وتنقل الى الجزاء ، فيقال : أين تكن أكن • والأكثر في استعمالها أن تكون مضمومـة اليها « ما » كما في الآية ، وليس ذلك بلازم فيها ، بل أنت مخير فيها ، قال ابن همام السّلوليّ :

أين تصرف بها العـداة تجدنا   نصرف العيس نحوها للتـلاقي

﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾

الاعراب :

(ما أصابك من حسنة فمن الله) كلام مستأنف مسوق لبيان الجواب عن كلامهم والردّ عليهم • وسيأتي معنى الجمع بين إضافة

السيئة الى العبد واضافة الأشياء كلها لله بما يروي الغليل في باب البلاغة . وما اسم شرط جازم مبتدأ وأصابك فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ومن حسنة متعلقان بمحذوف حال والفاء رابطة لجواب الشرط ومن الله الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف أي فهي من الله وجملة فعل الشرط وجوابه خبر من (وما أصابك من سيئة فمن نفسك) عطف على ما تقدم (وأرسلناك للناس رسولاً) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لبيان مكانة الرسول والتنويه بهمته الكبيرة السامية ، وأرسلناك فعل ماض وفاعل ومفعول به وللناس متعلقان بأرسلناك أو بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة فتقدمت ، ورسولاً حال (وكفى بالله شهيداً) الواو عاطفة أو استئنافية والباء حرف جر زائد والله فاعل كفى محلاً والجر بالباء لفظاً ، وشهيداً تمييز أو حال ، وقد تقدم إعراب ذلك .

البلاغة :

المجاز المرسل في إضافة السيئة الى العبد ، والعلاقة هي السببية ، لأن النفس هي التي توبق صاحبها وتورّطه في ارتكاب الذنوب ، ولا منافاة بين كونها مخلوقة وكونها مورطة ، فينتظم ذلك كله بقوله : « قل كل من عند الله » . وللمعتزلة كلام طويل في هذا الصدد يرجع اليه في المطولات ، حيث يشتجر الخلاف بين أهل السنة والاعتزال .

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ

غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾

اللغـــة :

(بيّت) : بيّت الأمر : زوره وسواه وقضاه بليل . والتبييت إما من البيتوتة لأنه قضاء الأمر وتدبيره بالليل ، يقال : هذا أمر بُيِّتَ بليل . وإما من أبيات الشعر لأن الشاعر يدبرها ويسوّيها . والمعنى في الآية أنهم قالوا وقدروا أمراً غير الذي أعطوك من الطاعة ، وكل عمل عمل ليلاً فقد بيت ، ومن ذلك بيت للعدو وهو الوقوع بهم ، ومنه قول عبيدة بن همام :

أتوني فلـم أرض ما بيّتوا وكانوا أتوني بشيء نُكُـرْ
لأنكـــح أيّمهـم منـذراً وهل ينكح العبـدَ حرّ لحر

يعني بقوله : فلـم أرض ما بيتوا ليلاً ، أي ما أبرموه ليـلاً . ومعنى قوله حر لحر : حر ولدته الكرام ، كما تقول : هو كريمٌ لكرام وحر لأحرار ، واللام فيه للنسب وحر ينسب الى آباء وأحرار . وهذا مما لا تجده في كتاب فاحفظه .

الاعراب :

(من يطع الرسول فقد أطاع الله) كلام مستأنف مسوق لبيان

أن طاعــة الرسول هي من طاعة الله وبيان أحكام رسالته • ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويطع الرسول فعل الشرط والفاء رابطة وقد حرف تحقيق وجملة فقد أطاع الله في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من (ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً) الواو حرف عطف ومن اسم شرط جازم مبتدأ وتولى فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة للجواب وما نافية وأرسلناك فعل ماض وفاعل ومفعول به وعليهم جار ومجرور متعلقان بـ « حفيظاً » ، وحفيظاً حال وجواب الشرط محذوف تقديره : فلا تأبهن له ، وفعل الشرط وجوابه المحذوف في محل رفع خبر « من » وجملة ما أرسلناك تعليلية لا محل لها (ويقولون طاعة) الواو استئنافية ويقولون فعل مضارع وفاعل وطاعة خبر لمبتدأ محذوف تقديره : أمرنا وشأننا والجملة مقول القول وجملة يقولون مستأنفة مسوقة لبيان معاملتهم للرسول بعد بيان وجوب طاعته (فإذا برزوا من عندك) الفاء عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة برزوا في محل جر بالاضافة ومن عندك متعلقان ببرزوا أي خرجوا من عندك (بيّت طائفة منهم غير الذي تقول) جملة بيت طائفة لا محل لها لأنها جواب شرط غــير جازم ومنهــم متعلقان بمحذوف صفة لطائفة وغير مفعول به والذي مضاف اليه وجملة تقول لا محل لها لأنها صلة الموصول (والله يكتب ما يبيتون) الواو استئنافية أو حالية والله مبتدأ وجمــلة يكتب خبر وما اسم موصول مفعول به وجملة يبيتون لا محل لها لأنها صلة الموصول (فأعرض عنهم وتوكل على الله) الفاء الفصيحة وأعرض فعل أمر وعنهم متعلقان بأعرض وتوكل عطف على أعرض وعلى الله متعلقان بتوكل (وكفى بالله وكيلاً) تقدم اعراب نظائرها •

الفوائـــد :

تذكير الفعل في : « بيت طائفة » لأن تأنيث الطائفة غير حقيقي ، إذ هي بمعنى الفريق والفوج ، فهي اسم جمع أو اسم جنس .

وأحكام تذكير الفعل وتأنيثه مع الفاعل مبسوطة في كتب النحو فارجع اليها والله الموفق .

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾

اللغـــة :

(يتدبرون) : يتأملون وتدبر الشيء تأمــله ونظــر في مغابته وما ينجم عنه ويؤول اليه .

(أذاعوا) : هو بمعنى الفعل المجرد « ذاع » ، يقال : ذاع الشيء يذيع ، ويقال : أذاع الشيءَ أيضاً ، فيتعدى تعديته . ويجوز أن يكون

من باب التضمين ، وقد ضمّن أذاع معنى تحدث ، فيتعدى بنفسه وبالباء . وكأنما هذه الكلمة تعبير صحيح عن الاذاعة التي تذيع الأخبار في أوقات معينة . والإذاعة : الإشاعة ، قال :

أذاع به في الناس حتى كأنه بعلياء نار أوقدت بثقوب

واختار الزمخشري أن يكون المعنى فعلوا به الإذاعة . وهو أبلغ من أذاعوه ، ليكون التأديب أبلغ ، والنهي أشمل . وفي ذلك تعليم وتنبيه على وجوب كتمان أخبار الجيوش وتحركاتها ، وما أعظم المفسدة في لهج الناس بكل ما يطرق أسماعهم من أخبار وأراجيف ، خاصة في زماننا ، بعد أن طرق العدو المخذول البلاد العربية ،طهرها الله من دنسه، وصانها عن رجسه .

(يستنبطونه): يستخرجون تدبيره بفطنتهم ومعرفتهم التامة بأمور الحرب ومكايدها . وهو في الأصل بمعنى استخراج الماء أول ما يحفر الارض ، فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني . وفي اجتماع النون والباء فاء وعيناً للكلمة سرّ عجيب،إذ تدل على الظهور والوضوح، فالنبأ هو الخبر يظهر للناس فيتناقلونه ويتداولونه فيما بينهم . وسيل نابيء أي : ظاهر طاريء ، ونبّ التيس نبيباً صاح عند الهياج ، وفي صياحه ظهور له ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لوفد أهل الكوفة حين شكوا سعداً : «يكلني بعضكم ولا تنبّوا عندي نبيب التيوس» . ومن هذه الكلمة اشتق الانبوب ، والجمع أنابيب ، قال :

أو من مشعشعة ورهاء نشوتها أو من أنابيب تفاح ورمان

ونبت : ظهر ، يقال : ظهر النبات والنبت في الأرض .

ونبس : نطق ، تقول : كلمته فعبس وما نبس .

ونبش الارض عما تحتها نبشاً ، قال :

مهلاً بني عمنا مهـلاً موالينا   لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

وتقدم القول في النبط ، وقد اشتقوا منه الانباط قال خالد بن الوليد لعبد المسيح بن بُقَيْلَة : أعرب أنتم أم نبيط ؟ فقال : عرب استنبطنا ونبيط استعربنا . وقال أبو العلاء المعري :

أين امرؤ القيس والعـذارى   إذ مـال من تحتـه الغبيط

استنبط العـرب في الموامي   بعـدك واستعـرب النبيط

وهذا من غريب أمر هذه اللغة الشريفة .

الاعراب :

(أفلا يتدبرون القرآن) الهمزة للاستفهام الإنكاري والفاء عاطفة على مقدّر ، أي : أيعرضون عن القرآن فلا يتدبرونه ؟ ولا نافية ويتدبرون فعل مضارع وفاعل والقرآن مفعوله (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) الواو حالية ولو شرطية وكان الناقصة واسمها المستتر أي القرآن ، ومن عند غير الله متعلقان بمحذوف خبر ، واللام واقعة في جواب لو ووجدوا فعل وفاعل والجملة لا محل لها من الاعراب لأنها جواب شرط غير جازم وفيه متعلقان بوجدوا واختلافاً مفعول به وكثيراً صفة (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به) كلام مستأنف مسوق لوصف المنافقين الذين يذيعون الأراجيف تثبيطاً

للناس ، وإشاعة للخوف في النفوس . وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ، وجملة جاءهم أمر في محل جر بالإضافة ، ومن الأمن متعلقان بمحذوف صفة لأمر والخوف عطف على الأمن وجملة أذاعوا به لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (ولو ردوه الى الرسول وإلى أولي الأمر منهم) الواو حالية ولو شرطية وردّوه فعل وفاعل ومفعول به الى الرسول متعلقان بردّوه ، وإلى أولي الأمر عطف على « الى الرسول » ومنهم متعلقان بمحذوف حال (لعلمه الذين يستنبطونه منهم) اللام واقعة في جواب لو وعلمه الذين فعل ومفعول به وفاعل وجملة يستنبطونه لا محل لها لأنها صلة الموصول وجملة لعلمه الذين لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ومنهم متعلقان بمحذوف حال (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً) الواو استئنافية ولولا حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط ، وفضل الله مبتدأ خبره محذوف وعليكم متعلقان بفضل ورحمته عطف على فضل ، واللام واقعة في جواب لولا وجملة اتبعتم لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم والشيطان مفعول به وإلا أداة استثناء وقليلاً مستثنى من فاعل اتبعتم ، أي : إلا قليلاً منكم ، أو من فاعل أذاعوا به ، أي : أظهروا ذلك الأمر إلا قليلاً منهم . وسيأتي مزيد من معناه واعرابه في باب الفوائد .

الفوائد :

أفاض المفسرون والمعربون في البحث حول هذا الاستثناء . ولو شئنا التقصي لضاق بنا المجال ، وزاد في خطر الإفاضة اشتجار الخلاف بين أهل السنة وأهل الاعتزال ، ولسنا نحب أن نمر بذلك دون الاشارة اليه ،

ويتخص مما أوردوه أن قوله : « إلا قليلاً » فيه أوجه ، اخترنا ما رأيناه أقرب الى المعنى ، وأدنى الى المنطق ، ولا بأس بإيراد بعض ما قالوه :

١ ـ إنه مستثنى من فاعل « اتبعتم » أي : إن فريقاً قليلاً منكم لم يتبع الشيطان ، ويكون قد أراد بالفضل إرسال محمد صلى الله عليه وسلم ، كقس بن ساعدة الإيادي وعمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وغيرهم ممن آمنوا قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ إن المراد من لم يبلغه التكليف ، فالاستثناء على هذا القول منقطع .

٣ ـ إنه مستثنى من فاعل أذاعوا ، أي : أظهروا ذلك الأمر إلا قليلاً منهم .

٤ ـ إنه مستثنى من فاعل لعلمه الذين يستنبطونه .

٥ ـ إنه مستثنى من فاعل لوجدوا .

٦ ـ إنه مستثنى من العموم ، والمراد بالقليل أمة محمد .

ما يقوله أبو جعفر الطبري :

وقال أبو جعفر الطبري : « وأولى هذه الاقوال بالصواب في ذلك عندي قول من قال : « عني باستثناء القليل من الاذاعة » وقال بعد كلام طويل : « وإنما قلنا إن ذلك أولى بالصواب لأنه لا يخلو القول في ذلك من أحد الاقوال التي ذكرنا ، وغير جائز أن يكون من قوله

« لا تبعتم الشيطان » ، لأن من تفضل الله عليه بفضله ورحمته فغير جائز أن يكون من أتباع الشيطان .

﴿ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾

الاعراب :

(فقاتل في سبيل الله لا تُكلَّفُ إلاّ نفسَك) الفاء الفصيحة ، أي : إذا كان الأمر كذلك من عدم طاعة المنافقين وتثبيطهم الآخرين عن القتال فقاتل أنت وحدك ، غير عابىء بما جنحوا اليه . ويجوز أن تكون الفاء للاستئناف المقرر لما قبله ، وقاتل فعل أمر وفي سبيل الله متعلقان بقاتل ، وجملة لا تكلف إلا نفسك بالبناء للمجهول حالية ، أي : حالة كونك مسئولاً عن نفسك وحـــدها فإن الله هو ناصرك ومعينك ، ونفسك مفعول به ثان لتكلف ، ويجوز أن تكون مستأنفة لإخباره صلى الله عليه وسلم بأنه لا يكلفه غير نفسه (وحرّض المؤمنين) عطف على قاتل والمؤمنين مفعول به (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) جملة الرجاء حالية ، أي : انهد وحدك الى قتالهم ، والحال قد كف بأسهم عنك . وعسى فعل ماض من أفعال الرجاء التي يسميها النحاة أفعال المقاربة تغليباً ، والله اسمها ، والمصدر المؤول من أنْ وما في حيزها خبرها ، وبأس مفعول به ، والذين كفروا مضاف إليه وجملة كفروا لا محل لها لأنها صلة الموصول (والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً)

الواو حالية أو استئنافية ، والله مبتدأ وأشد خبر ، وبأساً تمييز ، وأشد تنكيلاً عطف على ما تقدم .

﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾

اللغـــة :

(الكِفْل) بكسر الكاف وسكون الفـاء : الضعف والنصيب والحظّ ، وفي المصباح الكفل وزان حمل : الضعف من الأجر والإثم . وقال علماء اللغة : واستعمال الكفل في الشرّ أكثر من استعمال النصيب فيه ، وإن كان كـل منهما قد يستعمل في الخير ، كما قال تعـالى : « يؤتكم كفلين من رحمته » . ولقلة استعمال النصيب في الشر وكثرة استعمال الكفل فيه غاير بينهما في الآية الآنفة . حيث أتى بالكفل مع السيئة . وبالنصيب مع الحسنة .

(مقيت) بضم الميم أي : حفيظ شهيد . وهو مشتق من القوت ، لأنه يمسك النفس ويحفظها . قال الزبير بن عبد المطلب :

وذي ضغن تفيت السّوء عنه وكنـت عـلى إساءتـه مقيتا

الاعراب :

(مَن يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منهـا) جملة مستأنفة

مسوقة لبيان أن له صلى الله عليه وسلم يداً طائلة في تحريض المؤمنين على القتال والجهاد ، وغني عن القول : إن الشفاعة هي الوساطة في في إيصال الشخص الى منفعة دنيوية أو أخروية ، وأي منفعة أسمى وأجل وأعظم من التحريض على الجهاد ، لأن فيه الفوز في الدنيا والآخرة . ومن اسم شرط جازم مبتدأ ، ويشفع فعل مضارع فعل الشرط ، وشفاعة مفعول مطلق وحسنة صفة ، ويكن جواب الشرط وله خبر يكن الناقصة المقدم ونصيب اسمها المؤخر ، ومنها متعلقان بمحذوف صفة لنصيب وفعل الشرط وجوابه خبر من (ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها) عطف على ما تقدم مماثل له في الاعراب (وكان الله على كل شيء مقيتاً) الواو استئنافية أو حالية ، وكان واسمها ، وعلى كل شيء متعلقان بمقيتاً ، ومقيتاً خبر كان .

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾

اللغة :

(حسيباً) : الحسيب في هذا الموضع فعيل من الحساب الذي هو الإحصاء ، يقال منه : حاسبت فلاناً على كذا وكذا . ومن العجيب أن يهمَ بعض المفسرين والمعربين فيقول : إن معنى الحسيب هو الكافي ، يقال منه : حسبني الشيء بمعنى كفاني ، من قولهم حسبي كذا وكذا .

الاعراب :

(وإذا حييتم بتحية فحييوا بأحسن منها أو ردّوها) كلام مستأنف مسوق للترغيب في التحية ، وأصل التحية الدعاء بالحياة وطولها ، ثم استعملت في كل دعاء . وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب وهو : « حيّوا » وجملة حييتم في محل جر بالإضافة وبتحية متعلقان بحييتم ، والفاء رابطة وجملة حيوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وبأحسن متعلقان بحيوا ومنها متعلقان بأحسن،واو حرف عطف وردوها عطف على«حيّو»(إن الله كان على كل شيء حسيباً) الجملة تعليلية لامحل لها . وإن واسمها،وجملة كان واسمها وخبرها خبر إن (الله لا إله إلا هو) الجملة مستأنفة والله مبتدأ ولا النافية للجنس وإله اسمها وإلا أداة حصر و « هو » بدل من محل لا واسمها ، وقد تقدم إعراب كلمة الشهادة ، والجملة خبر الله (ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه) اللام جواب لقسم محذوف ، ويجمعنكم فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة ، والى يوم القيامة متعلقان بيجمعنكم ، والجملة لا محل لها لأنها جواب للقسم المحذوف ولا نافية للجنس وريب اسم « لا » المبني على الفتح ، وفيه متعلقان بمحذوف خبر ، والجملة في محل نصب على الحال (ومن أصدق من الله حديثاً) الواو استئنافية ، ومن اسم استفهام مبتدأ وأصدق خبر ، ومن الله متعلقان بأصدق وحديثاً تمييز .

﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ ﴾

اللغــة :

(أركسهم) ردّهم في حكم المشركين . والركس : رد الشيء مقلوبا ، ومنه قول عبد الله بن رواحة :

أركسوا في فئــة مظلمـــــة كسواد الليـــل يتلوها فتن

الاعراب :

(فما لكم في المنافقين فئتين) الفاء استئنافية ، وما اسم استفهام في محل رفع مبتدأ ، ولكم متعلقان بمحذوف خبر ما ، وفي المنافقين متعلقان بفئتين ، فإنها في قوة مالكم تفترقون في أمور المنافقين ، فحذف المضاف وأبقي المضاف اليه مقامه ، ويجوز أن يتعلقا بمحذوف على أنه حـال ، لأنه كان في الأصل صفة لفئتين أي : فئتـين متفرقتـين في المنافقين ، وفئتين حال من الكاف في « لكم » . والكوفيون يقولون : إن انتصاب « فئتين » على أنه خبر لكان مضمرة ، والتقدير : فما لكم في المنافقين كنتم فئتين. وهذا القول غريب، ولكنه جيد ورجحه ابن جرير (والله أركسهم بما كسبوا) الواو حالية ، والله مبتدأ ، وجملة أركسهم خبر ، وبما متعلقان بأركسهم ، و« ما » يجوز أن تكون موصولة أو مصدرية ، وجملة كسبوا لا محل لها على كل حال ، والجملة في محل نصب على الحال ، ويجوز أن تكون الواو استئنافية فتكون الجملة مستأنفة (أتريدون أن تهدوا من أضل الله) الهمزة للاستفهام الانكاري، وأن وما في حيزها مصدر مؤول مفعول تريدون ، ومن اسم موصول مفعول به ، وجملة أضل الله لا محل لها لأنها صلة ، والجملة مستأنفة مسوقة للإنكار على المختلفين (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً)

الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ ، ويضلل فعل الشرط مجزوم وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين والله فاعل ، والفاء رابطة للجواب ولن حرف نفي ونصب واستقبال وتجد فعل مضارع منصوب بلن ، وله متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لـ « سبيلاً » وسبيلاً مفعول به ، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر من .

الفوائد :

ما يقوله التاريخ :

روي أن قوماً من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو معتلين باجتوائهم المدينة . فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة ، حتى لحقوا بالمشركين ، فاختلف المسلمون فيهم ، فقال بعضهم : هم كفار ، وقال بعضهم : هم مسلمون .

وفي رواية ثانية : إنهم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ثم رجعوا ، وقيل : هم قوم أظهروا الاسلام ، وقعدوا عن الهجرة .

قال القرطبي : « والمراد بالمنافقين هنا عبد الله بن أُبَيّ وأصحابه الذين خذلوا الرسول يوم أحد ، ورجعوا بعسكرهم بعد أن خرجوا ». واختلف المسلمون في أمرهم ، فقال فريق : اقتلهم يا رسول الله ، للأمارة الدالة على كفرهم . وقال فريق : لا تقتلهم لنطقهم بالشهادتين . والعتاب في الحقيقة للفريق الثاني القائل : « لا تقتلهم » .

﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ ﴾

الاعراب :

(ودُّوا لو تكفرون كما كفروا) كلام مستأنف مسوق لمتابعة وصفهم . وودوا فعل وفاعل ، ولو مصدرية وهي والفعل بعدها مصدر منصوب لأنه مفعول ودوا ، أي ودوا كفركم . وكما كفروا نعت لمصدر محذوف ، أي : ودوا كفركم مثل كفرهم ، أو حال (فتكونون سواء) الفاء عاطفة ، وتكونون معطوف على تكفرون ، والواو اسمها وسواء خبرها (فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله) الفاء الفصيحة ، أي : إذا كانت هذه حالهم ـ وهي ودادة كفركم ـ فلا توالوهم . ولا ناهية وتتخذوا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية ، ومنهم متعلقان بتتخذوا على أنه مفعول به أول ، وأولياء مفعول به ثان ، وحتى حرف غاية وجر ، ويهاجروا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والجار والمجرور متعلقان بتتخذوا ، وفي سبيل الله متعلقان بيهاجروا (فإن تولّوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم) الفاء عاطفة وإن شرطية ، وتولوا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، والفاء رابطة لجواب الشرط ، وخذوهم فعل أمر وفاعل ومفعول به ، والجملة في محل جزم جواب الشرط ، واقتلوهم عطف على خذوهم ، وحيث

ظرف مكان مبني على الضم متعلق باقتلوهم ، وجملة وجدتموهم في محل جر بالاضافة (ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً) الواو عاطفة ، ولا ناهية ، وتتخذوا فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو فاعل ، ومنهم مفعول تتخذوا الأول ، ووليا مفعول تتخذوا الثاني ، ولا نصيراً عطف على « ولياً » .

الفوائـد :

مناقشة طريفة :

قال الزمخشري في صدد تفسيره لهذه الآية : « ولو نصب على جواب التمني لجاز ، والمعنى : ودوا كفركم ، فكونكم معهم شرعاً واحداً فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الآباء » .

تعقيب أبي حيان :

وتعقّبه أبو حيان فقال : وكون التمني بلفظ الفعل ويكون له جواب فيه نظر ، وإنما المنقول أن الفعل ينتصب في جواب التمني إذا كان بالحرف نحو : ليت ، ولو إذا أشربتا معنى التمني ، أما إذا كان بالفعل فيحتاج الى سماع من العرب ، بل لو جاء لم تتحقق فيه الجوابية، لأنّ « ودّ » التي تدل على معنى التمني إنما متعلقها المصادر لا الذوات، فاذا نصب الفعل بعد الفاء لم يتعين أن تكون فاء جواب ، لاحتمال أن يكون من باب عطف المصدر المقدر على المصدر الملفوظ به ، فيكون من باب :

ولبس عباءة وتقر عيني أحبّ إليّ من لبس الشفوف

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا (٩٠) ﴾

اللغــة :

(حصرت) : من الحصر ، وهو الضيق والانقباض . وحصِر الصدر حصَراً من باب تعب . وحصر القارىء : منع من القراءة ، فهو حصير . والحصور الذي لا يشتهي النساء ، وحصير الأرض وجهها ، والحصير : الحبس .

(السَّلَم) : الصلح والاستلام .

الاعراب :

(إلا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثـاق) إلا أداة استثناء ، والذين مستثنى من الضمير في خذوهم واقتلوهم ، وجملة يصلون الى قوم ، أي : يمتّون اليهم بنسبة ، لا محـل لها لأنها صلة الموصول ، والى قوم متعلقان بيصلون ، وبينكم ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم ، وبينهم ظرف معطوف على الظرف قبله ، وميثاق

مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية في محل جر صفة لقوم وجملة الاستثناء حالية (أو جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم) أو حرف عطف على يصلون، داخل في حيز الصلة، وقيل: هو عطف على صفة قوم ، والوجه الأول أظهر ، وجملة « حصرت صدورهم » حالية بتقدير : وقد ، أو من غير تقديرها ، وسيأتي مزيد بيان عنها في باب الفوائد . وأن يقاتلوكم مصدر مؤول منصوب بنزع الخافض ، أي : عن مقاتلتكم ، والجار والمجرور متعلقان بحصرت . ولك أن تجعل المصدر المؤول مفعولاً لأجله . أو يقاتلوا قومهم عطف على يقاتلوكم ، وقومهم مفعول به (ولو شاء الله لسلطهم عليكم) الواو استئنافية ، والكلام مستأنف مسوق لاستثناء الطائفة الأخيرة من حكم الأخذ والقتل ، وادخالهم في زمرة المعاهدين . ولو شرطية وشاء الله فعل وفاعل ، واللام رابطة لجواب الشرط وجملة لسلطهم عليكم لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (فلقاتلوكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم) الفاء عاطفة ولقاتلوكم عطف على سلطكم ، فهو بمثابة التوكيد للجواب ، أو بمثابة البدل من الاول. وسيأتي بحث عن هذه اللام في باب الفوائد . فإن : الفاء استئنافية وإن شرطية، واعتزلوكم فعل وفاعل ومفعول به في محل جزم فعل الشرط، والفاء عاطفة ولم يقاتلوكم عطف على اعتزلوكم (وألقوا إليكم السلم) عطف أيضاً (فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً) الفاء رابطة للجواب وما نافية ، والجملة في محل جزم جواب الشرط ، وجعل فعل ماض ينصب مفعولين، والله فاعل ، ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف مفعول به أول ، وعليهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، وسبيلاً مفعول به ثانٍ .

الفوائد :

تحدث ابن هشام عن هذه الآية فأتي بالممتع حيث قال : قوله :

« أو جاءوكم حصرت صدورهم » فذهب الجمهور الى أن « حصرت صدورهم » جملة خبرية ، ثم اختلفوا ، فقال جماعة منهم الأخفش : هي حال من فاعل « جاء » على إضمار « قد » ، واعلم أن إضمار « قد » واجب عند البصريين ، فيقولون : إن الجملة الماضوية إذا وقعت حالاً لا بد من اقترانها بقد ظاهرة أو مقدرة . وأما الاخفش فلا يرى وجوبها مع الماضي إذا وقع حالاً ، فيقول : إن الجملة الماضوية تقع حالاً وتقترن بـ « قد » إن وجدت ، فإن لم توجد فلا تحتاج الى تقدير . ويؤيده قراءة الحسن : « حصرةً صدورهم » أي : حال كونها حصرة ، أي : ضيقة . وقال آخرون : هي صفة فلا تحتاج الى إضمار « قد » . ثم اختلف هؤلاء ، فقيل : الموصوف منصوب محذوف ، أي : قوماً حصرت صدورهم ، ورأوا أن اضمار الاسم أسهل من إضمار حرف . وقيل : مخفوض مذكور ، وهم « قوم » المتقدم ذكرهم ، فلا إضمار البتة ، وما بينهما اعتراض . ويؤيده أنه قرىء باسقاط « أو » ، وعلى ذلك يكون « جاءوكم » صفة للقوم ويكون « حصرت » صفة ثانية . وقيل : بدل اشتمال من « جاءوكم » ، لأن المجيء مشتمل على الحصر ، وفيه بُعْد ، لأن الحصر صفة الجائين .

قال أبو العباس المبرد : الجملة انشائية ، ومعناها الدعاء ، مثل غلت أيديهم ، فهي مستأنفة . وردّ بأن الدعاء عليهم بضيق قلوبهم عن قتال قومهم لا يتجه . وأجيب بأن المراد الدعاء عليهم بسلب أهلية القتال بالمرة تحقيراً لهم .

مناقشة حول اللام في « ولقاتلوكم » :

سمى ابن عطية هذه اللام لام المحاذاة والازدواج ، لأنها بمثابة

الأولى • ولو لم تكن الأولى كنت تقول : لقاتلوكم ، وقال أبو حيّان تعقيباً على ذلك : « وتسمية هذه اللام لام المحاذاة والازدواج تسمية غريبة ، ولم أَرَ ذلك إلا في عبارة هذا الرجل وعبارة مكي قبله » •

تعقيب على هذه المناقشة :

قلت : ولا طائل تحت هذه المناقشة التي تضل الطالب ، ولا تجدي شيئاً • ولقد أشرت الى هذا في باب الاعراب ، فهي ليست أكثر من توكيد للجواب ، فهي من باب التكرير والإبدال • وإنما أوردناها للاستئناس ، وليكون الطالب في منجاة من الاغترار بالتسمية الموهمة عندما يقع عليها في إعرابهم •

﴿ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾ ﴾

اللغـــة :

(أركسوا فيها) : انقلبوا فيها شر منقلب • وقد مر ذكره •

(ثقفتموهم) ثقِف الشيء ثقَفاً من باب تعب : أخذه ، وثقفت

الرجل في الحرب : أدركته ، وثقفته : ظفرت به ، وثقفت الحديث : فهمته بسرعة . والتثقيف في الأصل : تقويم المعوّج من الرماح والقصب وتسويته . وقد نجم عن هذا المعنى : تثقيف الغلام أي : تهذيبه وتقويم سلوكه ، ثم صار الثقف يعني الحذر وسرعة الفهم . وتجدد المعنى أخيراً في عصرنا فأصبح خاصاً بالعلم والثقافة في المعرفة ، وعلى هذا الاساس نلاحظ تطور اللغة في كل قطر عربي ، كما رأى أبناء كل جيل في كل بلد من بلاد الناس كيف ارتقت لغتهم بارتقائهم ، وتردّت بتردّيهم .

التطور الحي في اللغة :

وهكذامامن حدث اجتماعيأونهضة علميةأوسياسية الاصحبهاتطور في اللغة أو المعاني أو في كليهما معاً ، نعني في إحداث ألفاظ جديدة لبعض المعاني ، أو احداث معان جديدة لبعض الألفاظ ، أو في ذلك كله . وما من أحد ألمّ بتاريخ العرب وآدابهم يجهل ما أحدث الاسلام مثلاً من ثورة لغوية الى جانب الثورة الدينية والاجتماعية والفكرية . وستأتي معنا نماذج حية من هذا التطور الحيّ في هذا الكتاب العجيب.

ومن هذا المنطلق تتبين ضرورة هذا الكتاب لناشئتنا المتطورة ، لترى على ضوئه أسرار ما تجمع ، وتبصر على وهجه معنى الحركة في عقل الماضين ، وبذلك يستمر العقل اللغوي في منحى الحركة المتطورة بدلاً من ركوده في سكون مادة كانت يوماً من مقذوفات العقل اللغوي المتحرك .

الاعراب :

(ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم) كلام مستأنف مسوق

لتقرير حال قوم آخرين من المنافقين غير من سبق الإلماع اليهم . والسين للاستقبال الاستمراري ، وسيأتي بحث طريف عنها في باب الفوائد . وتجدون فعل مضارع وفاعله ، وآخرين مفعول به وجملة يريدون صفة لآخرين ، وأن وما في حيزها مصدر مؤول مفعول ليريدون (ويأمنوا قومهم) عطف على ما تقدم (كلما ردوا الى الفتنة أركسوا فيها) كلما ظرف زمان متضمن معنى الشرط ، وقد تقدم اعرابه . وجملة ردوا الى الفتنة في محل جر بالاضافة ، أو لا محل لها لأنها صلة الموصول الحرفي، والواو نائب فاعل وجملة أركسوا فيها لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وفيها متعلقان بأركسوا (فإن لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السَّلَم) الفاء استئنافية ، وإن شرطية ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ويعتزلوكم فعل مضارع مجزوم بلم وهو في محل جزم فعل الشرط ، ويلقوا اليكم السلم عطف عليه (فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم) الفاء رابطة للجواب ، وجملة خذوهم في محل جزم جواب الشرط ، واقتلوهم : عطف على خذوهم ، وحيث ظرف مكان مبني على الضم متعلق باقتلوهم ، وجملة ثقفتموهم في محل جر بالاضافة (وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً) الواو عاطفة ، وأولئكم اسم اشارة مبتدأ . وجملة جعلنا خبر ، لكم جار ومجرور في محل نصب مفعول به أول وعليهم متعلقان بمحذوف حال ، وسلطاناً مفعول به ثان ، ومبيناً صفة .

الفوائد :

بحث هام عن السين :

السين حرف يدخل على الفعل المضارع فيخلصه الى الاستقبال

والاستمرار ،وأتى بالسين هنا إشارة الى أن عبثهم بالمؤمنين هذا أمر مستمر ، وإن كان قد مضى ، وذلك أن رجالاً من الكفار كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا لأجل أن لا يقاتلوهم ، وإذا أتوا لقومهم كفروا . فأتى المولى سبحانه وتعالى بالسين إشارة الى أن حالتهم هذه هي ديدن مستمر لهم ، وأنهم لم يتركوه ، وإن كانّ ذلك قد وقع فيما مضى . وزعم ابن هشام أن الاستمرار إنما استفيد من المضارع ، كما تقول : فلان يقري الضيف ، ويصنع الجميل . تريد أن ذلك دأبه . والسين مفيـدة للاستقبال ، إذ الاستمرار لا يكون إلا في المستقبل . وزعم الزمخشري أنها إذا دخلت على فعل محبوب أو مكروه أفادت أنه واقع لا محالة ، ولم أر مَنْ فهم وجه ذلك . ووجهه أنها تفيد الوعد بحصول الفعل ، فدخولها على ما يفيد الوعد أو الوعيد مقتضٍ لتوكيده وتثبيت معناه ، لأنه إخبار على إخبار ، والمتعلق واحد .

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ

ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾

اللغـة :

(الدية) : هي في الأصل مصدر ، ثم أطلقت على المال المأخوذ في القتل . يقال : وَدَى يَدِي دِيةً ، كوشى يشي شيةً ووشياً فحذفت فاء الكلمة .

الاعراب :

(وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ) كلام مستأنف مسوق لتقرير أحكام القتـــل . والواو استئنافية وما نافية وهي هنا بمعنى النهي المقتضي للتحريم، وكان فعل ماض ناقص ولمؤمن متعلقان بمحذوف خبر كان المقدم ، وأن يقتل مؤمناً مصدر مؤول اسم كان المؤخر ، وإلا أداة حصر ، وخطأ يجوز فيه أن يكون حالاً مؤوّلة بالمشتق أي : مخطئاً ، أو منصوب بنزع الخافض أي : إلا بخطأ ، أو مفعول مطلق على الوصف ، أي : قتلاً خطأ ، أو مفعولاً لأجله ، وقدمه الزمخشري على غيره من الوجوه ، قال : « فإن قلت بم انتصب خطأ ؟ قلت : بأنه مفعول له ، أي : ما ينبغي له أن يقتله لعلة من العلل إلا للخطأ وحده » . وعندي أن الأوجه متساوية ، وسيرد في باب الفوائد مزيد من البحث فيه . (ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة) الواو استئنافية ، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ، وقتل فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، ومؤمناً مفعول به وخطأ تقدم القول في إعرابه ، فتحرير الفاء رابطـة

لجواب الشرط ، وتحرير مبتدأ خبره محــذوف ، أي : فعليه تحرير رقبة وهو أولى وأنسب من جعله خبراً لمبتدأ محذوف ، أي : فالواجب تحرير رقبة ؛ ومؤمنة صفة لرقبة ، والجملة الاسمية المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » (ودية مسلمة الى أهله إلا أن يصّدّقوا) الواو عاطفة ودية عطف على تحرير رقبة ، ومسلمة صفة ، والى أهله متعلقان بمسلّمة ، وإلا أن يصدقوا استثناء من أعم الاحوال أو من أعم الظروف ، أي إلا في حال الصدقة ، فهي حال ، أو حين يتصدّقون ، فهي ظرف متعلق بمسلمة . وسيأتي بسط لذلك في باب الفوائد . هذا وقيل : إنه مستثنى منقطع (فإن كان من قوم عدو لكم) الفاء استئنافية وإن شرطية جازمة ، وكان فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط ، واسم كان مستتر تقديره هو ، ومن قوم متعلقان بمحذوف خبر كان ، وعدو صفة لقوم ، ولكم متعلقان بمحذوف صفة لعدو (وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) الواو حالية ، وهو مبتدأ ومؤمن خبر ، والجملة في محل نصب حال ، وتحرير مبتدأ خبره محذوف أي : فعليه تحرير رقبة ، وقد تقدم إعرابه (وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق) الواو عاطفة ، وإن شرطية ، وكان واسمها المستتر ، ومن قوم خبرها ، وبينكم ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم ، وبينهم عطف على بينكم ، وميثاق مبتدأ مؤخر . (فديــة مسلمة الى أهله) الفاء رابطة ، ودية مبتدأ خبره محذوف ، أي : فعليه دية ، ويجوز العكس ، وقد تقــدم . ومسلمة صفة ، والى أهله متعلقان بمسلمــة (وتحرير رقبة مؤمنة) عطف على ما تقدم (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين) الفاء استئنافية ، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ، ولم يجد في محل جزم فعل الشرط ، والفاء رابطة لجواب الشرط ، وصيام مبتدأ خبره محــذوف ، أو بالعكس ، وجملة فصيام في محــل جزم جواب

الشرط وشهرين مضاف اليه ومتتابعين صفة وفعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر « من » • (توبة من الله وكان الله عليماً حكيماً) توبة مفعول لأجله ، أي : شرع ذلك لكم رحمة منه ومتاباً • ويجوز نصبه على المفعولية المطلقة ، أي تاب عليكم توبــة ، ومن الله صفة ، والواو استئنافية ، وكان واسمها ، وعليماً حكيماً خبراها •

الفوائــد :

١ ـ القول في خطأ :

قلت في الاعراب : إنه يجوز إعراب خطــأ مستثنى منقطعــاً ، لأنــه ليس من الاول ، ولا يدخـــل الخطـــأ تحت التكليف • والمعنى : لكن إن قتل خطأ فحكمه كذا ، وهو إعراب جميل • وقد جنح الى هــذا الاعــراب أبو البقاء وأبو حيان ، وهو ما اختاره أيضاً سيبويه والزّجّــاج والطبري ، وهو من الاستثناء المنقطــع الواجب النصب ، والذي يسميه أهل العربية : منقطعاً ، ومنه قول جرير :

من البيض لم تظعن بعيداً ولم تطأ   على الارض إلا ريط برد مرّحل

يعني : ولم تطأ على الأرض إلا أن تطأ ذيــل البرد ، وليس ذيل البرد من الارض •

٢ ـ القول في « إلا أن يصدقوا » :

قلت في الاعراب : إنه يجــوز جعــل « أن يصدقوا » مستثنى من أعم الظروف ، فهو ظرف • وقد استبعد أبو حيان هذا التخريج قال : « أما جعل أن وما بعدها ظرفاً فلايجوز • نص النحويون على

ذلك ، ومنعوا أن يقال : « أجيئك أن يصيح الديك » تريد وقت صياح الديك . وأما أن ينسبك منها مصدر فيكون في موضع الحال ، فنصوا أيضاً على أنه لا يجوز . قال سيبويه : في قول العرب : « أنت الرجل أن تنازل وتخاصم » في معنى أنت الرجل نزالاً وخصومة ، أن انتصاب المفعول من أجله ، لأن المستقبل لا يكون حالاً ، فعلى هذا الذي قررناه يكون كونه استثناء منقطعاً هو الصواب .

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾

الاعراب :

(ومن يقتل مؤمناً متعمّداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها) الواو استئنافية ، والكلام مستأنف مسوق لتهديد القاتل وتجريمه . ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويقتل فعل الشرط ، ومؤمناً مفعول به ، ومتعمداً حال ، فجزاؤه الفاء رابطة لجواب الشرط ، وجزاؤه مبتدأ وجهنم خبره أو بالعكس ، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » ، وخالداً حال ، وفيها متعلقان بـ « خالداً » (وغضب الله عليه ولعنه) الواو عاطفة على مقدر لا بدّ منه لينسجم الكلام ، وهذا المقدر تدل عليه الشرطية ، أي : حكم الله بأن جزاءه ذلك وغضب عليه (وأعد له عذاباً عظيماً) عطف أيضاً .

البلاغـة :

في هذه الآية فنّ مراعاة النظير ، وقد سبق القول فيه . وهو أن يأتي المتكلم بما يناسب المحتوى ، وقد حفلت هذه الآية بالألفاظ الدالة على الغضب والتهديد والوعيد والإرعاد والإبراق ، للاشارة الى أن جريمة القتل من أكبر الجرائم وأشدها إمعاناً في الشر ، لما يترتب عليها من هدم لبناء المجتمع . وما أجمل قول النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الصدد : « إن هذا الانسان بنيان الله ، ملعون من هدم بنيانه » .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

اللغـة :

(السلام) والسَّلَم بفتح السين واللام : التحية والاستسلام . وقد قرىء بهما .

(ضربتم في الأرض) : سرتم فيها لتجارة أو غزوة .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدّم إعرابها (إذا ضربتم في سبيل الله فتبيّنوا) كلام مستأنف مسوق للتحذير من الإقدام على القتل . وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب، وجملة ضربتم في محل جر بالاضافة ، وفي سبيل الله متعلقان بضربتم ، والفاء رابطة لجواب إذا ، وتبينوا فعل أمر والواو فاعل ، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام : لست مؤمناً) الواو عاطفة ، ولا ناهية ، وتقولوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل ، ولمن متعلقان بتقولوا ، وجملة ألقى إليكم السلام صلة الموصول ، وإليكم متعلقان بألقى ، والسلام مفعول به ، وجملة « لست مؤمناً » في محل نصب مقول القول ، ومؤمناً خبر لست (تبتغون عرض الحياة الدنيا) الجملة حالية من فاعل تقولوا ، أي : لا تقولوا تلك المقالة طالبين الغنيمة والعرَض الفاني (فعند الله مغانم كثيرة) الفاء تعليلية للنهي ، والجملة لا محل لها ، وعند الله ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم ، ومغانم مبتدأ مؤخر ، وكثيرة صفة (كذلك كنتم من قبل فمنّ الله عليكم) الجملة مستأنفة مسوقة لتشبيه حالتهم الراهنة بحالتهم التي كانوا عليها ، وكذلك جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم لكنتم أو الكاف الاسمية وحدها خبر كنتم المقدم وذلك مضاف اليه ، ومن حرف جر وقبل ظرف مبني على الضم لقطعه عن الاضافة لفظاً لا معنى ، متعلق بمحذوف حال ، فمنّ الفاء عاطفة ، وجملة منّ الله معطوفة على كنتم ، وعليكم متعلقان بـ « منّ » (فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيراً) جعلها المعربون عامة عاطفة على تبينوا الأولى ، وكرر الأمر بالتبيين تأكيداً . وعندي أن الفاء هي الفصيحة ، وأنه ليس هناك

تأكيد ، لأن الأمر الأول خاص بمن تقتلونه ، والأمر الثاني عام ، كأنما هو يقرر حكماً شاملاً ، أي : إذا عرفتم هذا وأدركتم عواقبه فتبينوا . وإن الله إن واسمها ، وجملة كان وما بعدها خبرها ، والجملة للتعليل ، وخبيراً خبر كان ، وجملة تعملون لامحل لها صلة ما ، وبما متعلقان بـ « خبيراً » .

﴿ لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ ﴾

اللغة :

غير أولى الضرر : أي أصحاب العاهات ، من عمى أو عرج أو زمانة ، ونحوها .

الاعراب :

(لا يستوي القاعدون من المؤمنين) كلام مستأنف مسوق لبيان تفاوت طبقات المؤمنين بحسب التفاوت الحاصل بينهم في الجهاد ،

ولا نافية ويستوي فعل مضارع مرفوع ، والضمة مقدرة على الياء ، والقاعدون فاعله ، ومن المؤمنين متعلقان بمحذوف حال من « القاعدون » ومن الضمير المستكنّ فيه (غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) غير : بدل من « القاعدون » ، ولم نجعلها صفة ، لأن « غيراً » لا تتعرف بالإضافة ، لإيغالها في التنكير ، ولا يجوز اختلاف الصفة والموصوف . ولم يأبه الزمخشري لما تقرر في علم النحو ، فجعلها صفة . ويجوز نصبها على الاستثناء ، والأول أرجح كما هو مقرر في كتب النحو ، لأن الكلام منفي . وقد قرىء به . ويجوز جرها على أنها صفة للمؤمنين ، وقد قرأها الأعمش بالجر أيضاً . وسيأتي بحث عنها في باب الفوائد . وأولي الضرر مضاف اليه مجرور وعلامة جره الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم ، والمجاهدون عطف على « القاعدون » ، وفي سبيل الله متعلقان بـ « المجاهدون » ، وبأموالهم متعلقان به أيضاً ، وأنفسهم عطف على « بأموالهم » (فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) الجملة مفسرة لا محل لها لعدم الاستواء بين الفريقين . وفضل الله فعل وفاعل ، المجاهدين مفعول به منصوب بالياء وجملة فضل الله المجاهدين مفسرة لعدم الاستواء بين الفريقين ، وبأموالهم جار ومجرور متعلقان بـ « المجاهدين » وأنفسهم معطوفة على أموالهم ، وعلى القاعدين متعلقان بفضل ودرجة مفعول مطلق لأنها آلة التفضيل ورفع المرتبة ، فهو كقولك : ضربته سوطاً . وأعربه بعضهم ظرفاً ، وليس ببعيد . وأعربه آخرون حالاً ، وهو يحتاج عندئذ الى تقدير مضاف ، أي : ذوي درجة . وقال بعضهم : هو تمييز ، ولا بأس بهذا القول . وما ارتأيناه هو الأرجح (وكلاً وعد الله الحسنى) الواو اعتراضية ، وكلاً مفعول به مقدم لـ « وعد » ، والله فاعل ، والحسنى مفعول به

ثان ، والجملة لا محل لها لأنها اعتراضية (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً) الواو عاطفة ، والجملة عطف على ما تقدم ، وأجراً مفعول مطلق لأنه مرادف لفضل ، أو لأنه آلته ، على حد قوله : درجة وسوطاً ، وسيأتي مزيد بحث عنه في باب الفوائد . وعظيماً صفة . (درجاتٍ منه ومغفرةً ورحمةً) درجات بدل من « أجراً » ومنه متعلقان بمحذوف صفة لدرجات ، ومغفرة ورحمة عطف على درجات ، ونصبهما الزمخشري على المفعولية المطلقة بإضمار فعلهما ، بمعنى : وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة ، ولعله أولى لمراعاة التناسب (وكان الله غفوراً رحيماً) الواو استئنافية أو حالية ، وكان واسمها ، وغفوراً رحيماً خبراها ، والجملة مستأنفة أو حالية .

الفوائد :

ما يقوله ابن يعيش :

قال ابن يعيش عند كلامه على « غير أولي الضرر » : « وقرىء بالرفع والجر والنصب ، فالرفع على النعت لـ « القاعدون » ، ولا يكون ارتفاعه على البدل في الاستثناء لأنه يصير التقدير فيه : لا يستوي إلا أولو الضرر ، وليس المعنى على ذلك ، إنما المعنى : لا يستوي القاعدون الأصحاء والمجاهدون . والجر على النعت للمؤمنين ، والمعنى : لا يستوي القاعدون من المؤمنين الأصحاء والمجاهدون ، والمعنى فيهما واحد . والنصب على الاستثناء .

النحاة بين البدلية والوصفية لغير :

هذا وقد ترجح النحاة في البدلية والوصفية لـ « غير » . فمن

احتجّ للبدلية قال : إن جعل « غير » صفة يوجب التأويل ، لأن « غير » لا تتعرف بالاضافة ، ولا يجوز اختلاف النعت والمنعوت تعريفاً وتنكيراً، وتأويله إما بأن « القاعدون » لما لم يكونوا بأعيانهم بل أريد بهم الجنس أشبهوا النكرة فوصفوا بها كما توصف ، وإما بأن « غير » قد تتعرف إذا وقعت بين ضدين . ومن احتجّ للوصفية قال : لا يكون ارتفاعه على البدل في الاستثناء ، لأنه يصير التقدير فيه : لا يستوي القاعدون الأصحاء والمجاهدون ــ كما قال ابن يعيش ــ وهذا من طرائفهم التي تدل على ألمعية وثقوب ذهن ، فتأمل والله يرشدك .

رأي الزمخشري في اعراب أجراً :

قال الزمخشري : « لم نصب درجة وأجراً ودرجات ؟ قلت : نصب قوله « درجةً » لوقوعها موقع المرّة من التفضيل ، كأنه قيل : فضّلهم تفضيلة واحدة ونظيره قولك : ضربه سوطاً ، بمعنى : ضربه ضربة . وأما أجراً فقد انتصب بفضل لأنه في معنى آجرهم أجراً ودرجات ورحمة بدل من أجراً ويجوز أن ينتصب «درجات» نصب «درجة» كما تقول: ضربه أسواطاً ، بمعنى ضربات . كأنه قيل : وفضله تفضيلات . ونصب « أجراً عظيماً » على أنه حال من النكرة التي هي « درجات » مقدمة عليها . وانتصب « مغفرةً ورحمةً » بإضمار فعلهما ، بمعنى : وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة .

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ

مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾

الاعراب :

(إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم) كلام مستأنف لتقرير حال جماعة أسلموا ولم يهاجروا ، فقتلوا يوم بدر مع الكفار ، مع أن الهجرة كانت ركناً أو شرطاً في الاسلام ، ثم نسخ بعد الفتح . وإن واسمها ، وجملة توفاهم الملائكة لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وأصل توفاهم : تتوفاهم ، فحذفت إحدى التاءين حسب القاعدة المقررة . وأجاز ابن جرير وغيره أن تكون فعلاً ماضياً مبنياً على الفتح المقدر . وليس ببعيد . والملائكة فاعل وظالمي أنفسهم حال . أما خبر إن فيجوز أن يكون محذوفاً تقديره : إن الذين توفاهم الملائكة هلكوا ، ويجوز أن يكون الخبر قوله : قالوا فيم كنتم ؟ ويجوز أن يكون : فأولئك مأواهم جهنم ، ودخلت الفاء زائدة في الخبر تشبيهاً للموصول باسم الشرط (قالوا فيم كنتم ؟) الضمير في قالوا يعود الى الملائكة ، والجملة إما خبر كما قدمنا وإما مستأنفة مبينة للجملة المحذوفة ، وفيم : في حرف جر وما الاستفهامية في محل جر بفي ، وحذفت ألفها لدخول حرف الجر عليها ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر كنتم المقدم ، والجملة في محل نصب مقول القول (قالوا كنا مستضعفين في الأرض) الضمير في قالوا يعود الى الذين تتوفاهم الملائكة ، وجملة القول

مستأنفة ، وجملة كنا مستضعفين في الارض في محل نصب مقول القول، ومستضعفين خبر كنا ، وفي الارض متعلقان بمستضعفين (قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) الضمير في قالوا يعود الى الملائكة، والجملة مستأنفة ، والهمزة للاستفهام الإنكاري للتبكيت ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ، وتكن فعل مضارع ناقص مجزوم بـ « لم » ، وأرض الله اسم تكن ، وواسعة خبرها ، والجملة في محل نصب مقول القول ، والفاء فاء السببية ، وتهاجروا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية والواو فاعل ، وفيها متعلقان بتهاجروا (فأولئك مأواهم جهنم) الفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط ، وأولئك مبتدأ ومأواهم مبتدأ وجهنم خبر المبتدأ الثاني والجملة الاسمية خبر اسم الاشارة وجملة فأولئك إما خبر لـ «إن الذين» كما قدمنا وإما استئنافية. (وساءت مصيراً) الواو استئنافية أو حالية ، وساءت فعل ماض للذم ، ومصيراً تمييز ، والمخصوص بالذم محذوف أي : جهنم (إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) إلا أداة استثناء والمستضعفين مستثنى منهم لضعفهم وعدم تمكنهم من الهجرة ، فالاستثناء متصل ، وقيل : الاستثناء منقطع ، لأن المستثنى منه إما كفاراً وإما عصاة بالتخلف ، وهم قادرون على الهجرة ، فلم يندرج فيهم المستضعفون . ومن الرجال متعلقان بمحذوف حال ، والنساء والولدان عطف على الرجال (لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً) جملة لا يستطيعون صفة للمستضعفين ، وجاز وصف المعرفة بالجملة وهي نكرة ، لأن المعرفة هنا ليست لشيء معين بالذات ، على حد قول الشاعر :

ولقد أمر علـى اللئيم يسبني　　فمضيت ثمّتَ قلتُ: لايعنيني

وحيلة مفعول يستطيعون ، وجملة ولا يهتدون عطف على جملة

لا يستطيعون ، وسبيلاً مفعول يهتدون ، أو منصوب بنزع الخافض ، ولعله أقعد بالفصاحة ، أي : الى سبيل من السبل المختلفة (فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم) الفاء الفصيحة لأنها وقعت في جواب شرط مقدر ، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، أي إذا أردت أن تعرف مصيرهم فأولئك، وأولئك مبتدأ، وعسى فعل ماض جامد من أفعال الرجاء ، والله اسم عسى ، والمصدر المؤول خبرها ، والجملة الفعلية خبر اسم الاشارة (وكان الله عفواً غفوراً) الواو حالية أو استئنافية : وكان واسمها ، وعفواً غفوراً خبراها .

﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٠٠) ﴾

اللغة :

(المُرَاغَم) بضم الميم وفتح الغين المعجمة : المذهب والحصن والمضطرَب ، فهو اسم مكان ، وعبّر به للإشعار بأن المهاجر يرغم آنف قومه أي : يذلهم ، والرغم الذل والهوان ، وأصله لصوق الأنف بالرَّغام ــ بفتح الراء ــ وهو التراب ، ورغم أنفه رغماً من باب قتل : كناية عن الذل ، كأنه لصق بالرغام هواناً وذلاً . ويتعدى بالألف ، فيقال : أرغم الله أنفه ، وفعلته على رغم أنفه ــ بفتح الراء وضمها ــ أي : غاضبته ، وهذا ترغيم له أي : إذلال . وهذا من الأمثال التي

جرت في كلامهم بأسماء الأعضاء ، ولايراد أعيانها ، بل وضعوها لمعان غير المعاني الظاهرة ، ولا حظ لظاهر الاسماء من طريق الحقيقة ، ومنه قولهم : كلامه تحت قدمي ، وحاجته خلف ظهري ، يريدون الإهمال وعدم الاحتفال . وفي القاموس : الرغم : الكره ، ـ ويثلث ـ كالمرغمة، ورغمه كعلمه ومنعه : كرهه .

الاعراب :

(ومن يهاجرْ في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة) كلام مستأنف مسوق لبيان حال المهاجرين في سبيل الله . والواو استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ ، ويهاجر فعل مضارع فعل الشرط ، وفي سبيل الله متعلقان بيهاجر ، ويجد فعل مضارع جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر « مَنْ » ، ومراغماً مفعول به،وكثيراً صفة، وسعة عطف على«مراغماً». (ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله)تقدم إعراب نظيرها،ومهاجراً حال والى الله ورسوله متعلقان بـ «مهاجراً» (ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله) ثم حرف عطف ، ويدركه عطف على يخرجْ ، والهاء مفعول به ، والموت فاعل يدركه ، فقد الفاء رابطة لجواب الشرط ، وقد حرف تحقيق ، وجملة وقع أجره على الله في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « مَنْ » ، وعلى الله متعلقان بوقع (وكان الله غفوراً رحيماً) جملة مستأنفة وقد تقدم اعرابها .

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا

مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾

الاعراب :

(وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح) كلام مستأنف مسوق لبيان أحكام قصر الصلاة . والواو استئنافية وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ، وجملة ضربتم في الارض في محل جر بالاضافة ، والفاء رابطة لجواب إذا وليس فعل ماض ناقص ، وعليكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ليس المقدم ، وجناح اسمها المؤخر ، والجملة لامحل لها لأنها جواب شرط غير جازم (أن تقصروا من الصلاة) المصدر المؤول منصوب بنزع الخافض ، أي: في قصر الصلاة والجار والمجرور صفة لجناح ، ومن الصلاة متعلقان بتقصروا . وبحث القصر من الصلاة مبسوط في كتب الفقه (إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) إن شرطية وخفتم فعل ماض وفاعل ، وهو في محل جزم فعل الشرط ، وأن وما في حيزها مصدر مؤول مفعول به لخفتم ، والذين كفروا فاعل وجملة كفروا صلة وجملة الشرط مستأنفة وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي : فليس عليكم جناح أن تقصروا . (إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً) الجملة تعليل لما تقدم من إباحة القصر ، وإن واسمها ، وجملة كانوا خبرها ، والواو اسم كان ولكم متعلقان بمحذوف حال ، وعدواً خبر كان . ومبيناً صفة .

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم

مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾

الاعراب :

(وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) الواو استئنافية ، والكلام مستأنف للشروع في أحكام صلاة الخوف ، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولا حجة فيه لمن ذهب الى أنه لا يرى صلاة الخوف بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل الخطاب شامل متناول لكل إمام . ويجوز أن تكون الواو عاطفة ، فيكون الكلام منسوقاً على ما تقدم . وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ، وجملة كنت في محل جر بالإضافة ، والتاء اسم كان ، وفيهم متعلقان بمحذوف خبر كنت ، والضمير يعود على الضاربين في الارض أو على الخائفين ، وكلاهما محتمل . والفاء عاطفة ، وأقمت فعل وفاعل ، ولهم متعلقان بأقمت ، والجملة معطوفة على جملة كنت ، والصلاة مفعول به (فلتقم طائفة منهم معك) الفاء رابطة ، واللام لام الأمر ،

وتقم فعل مضارع مجزوم بلام الأمر وطائفة فاعل ومنهم متعلقان بمحذوف صفة ، ومعك ظرف مكان متعلق بتقم (وليأخذوا أسلحتهم) . وليأخذوا عطف على فلتقم، وأسلحتهم مفعول به (فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم) تقدم إعراب نظيره ، ومن ورائكم متعلقان بمحذوف خبر فليكونوا (ولتأت طائفة أخرى لم يصلّوا فليصلوا معك) عطف أيضاً ، وجملة « لم يصلوا » صفة ثانية لطائفة ، فليصلوا فعل مضارع وفاعله ، ومعك ظرف مكان متعلق بـ : فليصلوا (وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) عطف أيضاً (ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم) الجملة مستأنفة مسوقة للتأكيد على زيادة الحذر لظن العدو أن الصلاة مظنة لإلقاء السلاح . وود الذين فعل وفاعل وجملة كفروا صلة الموصول ولو مصدرية فهي موصول حرفي ، وهي منسبكة مع ما بعدها بمصدر منصوب لأنه مفعول تود ، وجملة تغفلون لا محل لها لأنها صلة الموصول الحرفي ، وعن أسلحتكم متعلقان بتغفلون ، وأمتعتكم عطف على أسلحتكم (فيميلون عليكم ميلة واحدة) الفاء عاطفة ، ويميلون عطف على تغفلون ، وعليكم متعلقان بيميلون ، وميلة مفعول مطلق وواحدة صفة (ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر) الواو عاطفة ، ولا نافية للجنس ، وجناح اسمها ، وعليكم متعلقان بمحذوف خبر « لا » ، وإن شرطية وكان فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط ، وبكم متعلقان بمحذوف خبر كان المقدم ، وأذى اسمها المؤخر ، ومن مطر متعلقان بمحذوف صفة لأذى ، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله ، أي : فلا جناح عليكم (أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم) أو حرف عطف ، وكنتم عطف على : كان بكم أذى ، ومرضى خبر كنتم ، وأن تضعوا مصدر مؤول منصوب بنزع الخافض ، أي: في أن تضعوا ، والجار والمجرور متعلقان بجناح أو بمحذوف صفة له

وأسلحتكم مفعول به (وخذوا حذركم) عطف أيضاً (إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً) إن واسمها ، وجملة أعد للكافرين خبرها ، وعذاباً مفعول أعد ، ومهيناً صفة .

البلاغـة :

في الآية عطف الحقيقة على المجاز ، وهو من البلاغة في ذروتها ، ومن الفصاحة في سدّتها ، فالأسلحة حقيقة ، والحذر مجاز لأنه أراد به آلة من الآلات التي يستعملها الغازون في حروبهم ، فلذلك جمع بينه وبين الأسلحة في الأخذ ، جعلهما معاً كالمأخوذين . ومن طريف هذا المجاز الذي استعمل مع الحقيقة قول أبي تمّام الطائي يصف ركباً :

وركب يساقون الركـاب زجاجـة
من السير لم تقصد لها كفّ قاطب

والمجاز في قوله : « زجاجة » أي : شراباً في زجاجة . والمعنى يسكرون المطيّ بالتعب ، فكأنهم سقوها شراباً لم تقصد له كف قاطب ، أي : ليس على الحقيقة شراباً يناوله الساقي صاحبه بقصد . وهـذا التناسب بين المجاز والحقيقة لا يسهل إدراكه إلا على أهـل الطبع المرهف ، والذوق المترف ، فافهمه ، وقس عليه ، والله يعصمك .

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ

يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما ﴿١٠٤﴾

الاعراب :

(فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم) الفاء استئنافية ، والكلام مستأنف مسوق لتقرير ما يندب بعد أداء صلاة الخوف على الوجه الكامل المبين . وإذا ظرف مستقبل متضمّن معنى الشرط ، وجملة قضيتم الصلاة في محل جر بالاضافة ، والفاء رابطة ، وجملة اذكروا الله لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وقياماً حال وقعوداً حال ثانية ، وعلى جنوبكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ثالثة عن طريق العطف (فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة) تقدم إعرابها ، والجملة معطوفة على ما تقدم (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) الجملة تعليل لما سبق ، وإن واسمها ، وجملة كانت خبر إن ، وعلى المؤمنين متعلقان بـ « موقوتاً » وكتاباً خبر كانت ، وموقوتاً صفة ، أي : محدوداً بأوقات (ولا تهنوا في ابتغاء القوم) الواو عاطفة أو استئنافية ، ولا ناهية ، وتهنوا فعل مضارع مجزوم بـ « لا » وفي ابتغاء القوم متعلقان بتهنوا (إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون) إن شرطية جازمة ، وتكونوا فعل مضارع ناقص فعل الشرط ، والواو اسم كان ، وجملة تألمون خبرها ، وجملة الشرط لا محل لها لأنها تعليلية للنهي ، فانهم الفاء رابطة للجواب ، وان واسمها ، وجملة يألمون خبرها والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط وكما تألمون في محل نصب على المفعولية المطلقة أو على الحالية ، وقد

تقدمت له نظائر (وترجون من الله مالا يرجون) عطف على جملة يألمون ، وما اسم موصول مفعول به لترجون ، وجملة لا يرجون لا محل لها لأنها صلة (وكان الله عليماً حكيماً) تقدم إعرابه كثيراً .

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ ﴾

الاعراب :

(إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحق) كلام مستأنف للتحذير من التعجل في الحكم ، وهو عام ، وإ ن واسمها ، وجملة أنزلنا خبرها ، واليك متعلقان بأنزلنا والكتاب مفعول به ، وبالحق متعلقان بمحذوف حال (لتحكم بين الناس بما أراك الله) اللام للتعليل وتحكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام ، والجار والمجرور : لام التعليل والمصدر المؤول من أن المضمرة والفعل تحكم متعلقان بأنزلنا وبين الناس ظرف متعلق بتحكم ، وبما متعلقان بتحكم وجملة أراك الله لا محل لها لأنها صلة للموصول ، والإراءة هنا بمعنى المعرفة والعلم ، فالكاف مفعوله الأول والثاني محذوف ، وهو العائد المحذوف ، أي : بما أراكه الله (ولا تكن للخائنين خصيماً) الواو عاطفة ولا ناهية وتكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلا ، واسم تكن مستتر تقديره أنت ، وللخائنين جار ومجرور متعلقان بخصيماً ، وخصيماً خبرها . (واستغفر

الله إن الله كان غفوراً رحيماً) عطف على ما تقدم ، وقد تقدم إعراب نظائره .

﴿ وَلَا تُجَـٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾

اللغة :

(يختانون أنفسهم) : يستريبون بها ويخونونها بالمعاصي .

(يستخفون) : يستترون .

(يبيتون) يدبرون الأمر بليل . ولا يكاد يستعمل إلا في الشر ، وعبارة المبرّد في كامله :

« يقال بيّتَ فلان كذا وكذا إذا فعله ليلاً ، وفي القرآن : « وإذ يبيتون مالا يرضى من القول » أي : أداروا ذلك ليلاً بينهم » .

الاعراب :

(ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) الواو عاطفة ولا ناهية ،

وتجادل فعل مضارع مجزوم بلا والفاعل أنت ، وعن الذين متعلقان بتجادل ، وجملة يختانون أنفسهم لا محل لها لأنها صلة الموصول (إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً) تعليل للنهي ، وان واسمها ، وجملة لا يحب خبرها ومن اسم موصول مفعول به ، وجملة كان صلة الموصول وخواناً خبر كان ، وأثيماً صفة ، أو هما خبران لكان (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم) الجملة مستأنفة مسوقة لمجرد الإخبار بأنهم يطلبون الستر ، أو حالية من « مَنْ » على أنها موصولة ، وجملة ولا يستخفون من الله عطف على الاولى ، الواو حالية ، وهو مبتدأ ، والظرف معهم متعلق بمحذوف خبر ، والجملة حالية (إذ يبيتون مالا يرضى من القول) إذ ظرف لحكاية الحال الماضية ، وجملة يبيتون في محل جر بالاضافة ، وما اسم موصول مفعول به وجملة لا يرضى صلة الموصول، ومن القول متعلقان بمحذوف حال (وكان الله بما يعملون محيطاً) تقدم اعراب نظائرها كثيراً .

البلاغة :

١ ـ المبالغة في قوله : « خواناً أثيماً » : فقد استعمل صيغتين من صيغ المبالغة ، لأن الله كان عالماً من طعمة بن أبيرق الذي سرق درعاً من جار له وأودعها عند يهودي ، الإفراط في الخيانة وركوب المآثم .

٢ ـ المجاز في الاستخفاء : إذ الاستخفاء من الله محال ، لأن الله يعلم الجهر وما يخفى ، فيكون مجازاً عن الحياء .

﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴿١٠٩﴾ ﴾

الاعراب :

(ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا) كلام مستأنف مسوق لتبكيت قوم طعمة بن أبيرق ، وهم بنو ظفر من الانصار الذين حاولوا ستر جنايته وسرقته . وها للتنبيه وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره ، وجملة جادلتم خبر ثان ، وأعرب بعضهم هؤلاء منادى محذوف منه حرف النداء ، وجملة النداء اعتراضية وهو صحيح . وعنهم جار ومجرور متعلقان بجادلتم ، وفي الحياة متعلقان بمحذوف حال ، والدنيا صفة (فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة) الفاء عاطفة ، ومن اسم استفهام انكاري مبتدأ ، وجملة يجادل الله خبر ، وعنهم متعلقان بيجادل ، ويوم القيامة ظرف متعلق بمحذوف حال (أم من يكون عليهم وكيلاً) أم حرف عطف ، ومن اسم استفهام مبتدأ ، ويكون فعل مضارع ناقص واسمها ضمير مستتر تقديره « هو » يعود على « مَنْ » والجملة في محل رفع خبر « مَنْ » ، وعليهم جار ومجرور متعلقان بـ « وكيلاً » ووكيلاً خبر يكون .

البلاغـة :

في هذه الآية الالتفات ، في قوله : « ها أنتم جادلتم عنهم ... » فقد انتقل من الغيبة الى الخطاب ، لمشافهتهم بالتوبيخ والإنكار .

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ ﴾

الاعراب :

(ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه) كلام مستأنف مسوق لحمل طعمة على التوبة ، ومع ذلك أصر على ركوب متن الشطط ، وأبى أن يتوب ، والواو استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ ، ويعمل فعل مضارع فعل الشرط ، والفاعل هو ، وسوءاً مفعول به ، وأو حرف عطف . ويظلم نفسه عطف على يعمل ، ونفسه مفعول به (ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً) ثم حرف عطف ، ويستغفر الله عطف على ما تقدم ، ويجد الله جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « مَنْ » ، وغفوراً مفعول به ثان ، ورحيماً صفة (ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه) عطف على ما تقدم ، وهو مماثل له في إعرابه . وجملة فإنما جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر من ، وعلى نفسه متعلقان بيكسبه ، لأن وبال الإثم متعلق بها (وكان الله عليماً حكيماً) تقدم إعرابها . (ومن يكسب خطيئة أو إثماً) تقدم إعرابه (ثم يرم به بريئاً) عطف على يكسب ووحد الضمير

تغليباً للإثم، وبه متعلقان بـ «يرم» ، وبريئاً مفعول به (فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً) الجملة في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر « مَنْ » ، والمعنى : فله عقوبتان .

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾

الاعراب :

(ولولا فضل الله عليك ورحمته) الواو عاطفة أو استئنافية إتماماً لقصة بني ظفر الذين حاولوا إضلال النبي ، ولكن الله عصمه . والواقع أن الخطاب عام ، يتناول الناس جميعاً في مختلف ظروف الزمان والمكان. ولولا حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط ، وفضل الله مبتدأ محذوف الخبر ، وعليك متعلقان بفضل ورحمته عطف على فضل (لهمّت طائفة منهم أن يضلوك) اللام واقعة في جواب لولا ، وجملة همت طائفة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وقد يرد على ذلك انتفاء الهمّ، لأن لولا لا تقتضي انتفاء جوابها لوجود شرطها ، ولكن المنفي في الحقيقة أثر الهمّ ، وسيرد هذا كله في مكانه من هذا الكتاب ، وأن يضلوك مصدر مؤول منصوب بنزع الخافض ، والجار والمجرور متعلقان بهمت ، أي همّت بإضلالك (وما يضلون إلا أنفسهم) الواو

حالية وما نافية ، ويضلون فعل مضارع علامة رفعه ثبوت النون ، وإلا أداة حصر ، وأنفسهم مفعول يضلون ، والجملة في محل نصب على الحال (وما يضرّونك من شيء) الواو عاطفة وما نافية ويضرونك فعل مضارع وفاعل ومفعول به ، وهو معطوف على يضلون ، ومن حرف جر زائد وشيء مجرور لفظاً منصوب على المفعولية المطلقة محلاً ، أي : شيئاً من الضرر (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة) الواو استئنافية والجملة مستأنفة فيها معنى العلة لما تقدم ، والكتاب مفعول به ، والحكمة عطف على الكتاب (وعلّمك ما لم تكن تعلم) عطف على ما تقدم ، وما اسم موصول مفعول علمك الثاني ، وجملة لم تكن صلة وجملة تعمل خبر تكن (وكان فضل الله عليك عظيماً) عطف أيضاً ، وكان فعل ماض ناقص وفضل الله اسمها ، وعظيماً خبرها ، وعليك جار ومجرور متعلقان بفضل .

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾

اللغة :

(نجواهم) : النجوى في الأصل مصدر ، وهو التناجي في السر ، وقد يطلق على الأشخاص مجازاً ، قال تعالى : « وإذ هم نجوى » ، ولا تكون النجوى إلا بين اثنين فصاعداً .

الاعراب :

(لا خير في كثير من نجواهم) كلام مستأنف مسوق لإتمام قصة بني ظفر . وهي عامة في حق الناس جميعاً . ولا نافية للجنس وخير اسمها امبني على الفتح ، وفي كثير جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها ؛ ومن نجواهم متعلقان بمحـذوف صفة لكثير (إلا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس) إلا أداة حصر ؛ ومن اسم موصول بدل من « كثير » أو من « نجوى » ؛ فالاستثناء على هذا متصل على حذف مضاف ؛ وقيل : هي نصب على الاستثناء المنقطع ، لأن « مَنْ » للأشخاص ، وليس التناجي من جنسها ، ويكون المعنى : لكن من أمر بصدقة ففي نجواه خير كثير . وبصدقة جار ومجرور متعلقان بأمر ، وما بعدها معطوف عليها ، وبين الناس ظرف مكان متعلق باصلاح (ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ، ويفعل فعل الشرط ، وذلك مفعول به ؛ وابتغاء مرضاة الله مفعول لأجله (فسوف نؤتيه أجراً عظيماً) الفاء رابطة للجواب وسوف حرف استقبال ونؤتيه فعل مضارع ومفعول به أول . وأجراً مفعول به ثان ، والفاعل مستتر تقديره « نحن » . وعظيماً صفة ، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » .

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا (١١٥) ﴾

اللغــة :

(المشاقة) : المخاصمة والمخالفة •

(نوله ما تولى) نجعله والياً لما تولى من الضلال ، أي ما اختاره •

الاعراب :

(ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى) كلام مستأنف مسوق للتعقيب على قصة طعمة المرتدّ ، والمراد عموم الحكم وشموله الناس • ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ، يشاقق فعل مضارع فعل الشرط والرسول مفعول به ، ومن بعد متعلقان بيشاقق ، وما مصدرية وهي مع تبين في تأويل مصدر مجرور بالاضافة ، وله متعلقان بتبين ، والهدى فاعل (ويتّبع غير سبيل المؤمنين) عطف على يشاقق ،وغير سبيل المؤمنين مفعول به (نوله ما تولى) نوله جواب الشرط ، والهاء مفعوله الأول ، وما اسم موصول مفعوله الثاني ، وجملة تولى صلة الموصول وجملة فعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر « مَنْ » (ونصله جهنم وساءت مصيراً) عطف على نوله ، وجهنم مفعول به ثان لنصله ، ومصيراً نصب على التمييز ، والمخصوص بالذم محذوف ، أي : جهنم •

الفوائــد :

روي أن الامام الشافعي رحمه الله سئل عن آية في كتاب الله تعالى تدل على أن الإجماع حجة ، فقرأ القرآن ثلاثمائة مرة حتى وجده في

هذه الآية : « ومن يشاقق الرسول .. » الخ ، وتقرير الاستدلال أن اتباع غير سبيل المؤمنين حرام ، فيجب أن يكون اتباع سبيل المؤمنين واجباً ، وبيان المقدمة الاولى أنه تعالى ألحق الوعيد بمن يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين ومشاققة الرسول وحدها موجبة لهذا الوعيد ، فلو لم يكن اتباع غير سبيل المؤمنين موجباً له لكان ذلك ضماً لما لا أثر له في الوعيد الى ما هو مستقل باقتضاء ذلك الوعيد ، وأنه غير جائز ، فثبت أن اتباع غير سبيل المؤمنين حرام ، وإذا ثبت هذا لزم أن يكون عدم اتباع سبيلهم واجباً ، وذلك لأن عدم اتباع سبيل المؤمنين يصدق عليه أنه اتباع لغير سبيل المؤمنين ، فاذا كان اتباع سبيل غير المؤمنين لزم أن يكون عدم اتباع سبيل المؤمنين حراماً وإذا كان عدم اتباعهم حراماً كان اتباع سبيلهم واجباً . هذا ولعلماء الأصول مناقشات طويلة ، وأسئلة وأجوبة ، حول صحة الاستدلال بهذه الآية ، يرجع اليها في مظانّها .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ ﴾

اللغــة :

(مريداً) المريد والمارد هو الذي بلغ الغاية في الشرّ والفساد ، يقال : مرد من بابي نصر وظَرُفَ إذا عتا وتجبّر فهو مارد ومريد ، وأنّثَ الأصنام لأنها في عرفهم كذلك ، وأشهرها اللات والعزّى ومناة .

وعن الحسن أنه لم يكن حيّ من أحيـاء العرب إلا كان لهم صنم يعبدونه ويسمونه أنثى بني فلان . وسيأتي مزيد تفصيل عن هـذه الأصنام عند ذكرها بأسمائها .

الاعراب :

(إن الله لايغفر أن يشرك به) كلام مستأنف مسوق للتأكيد على عدم غفران الشرك . وإن واسمها ، وجملة لا يغفر خبرها ، والمصدر المؤول من أن وما في حيزها مفعول يغفر ، وبه متعلق بيشرك (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) الواو عاطفة ، ويغفر فعل مضارع والفاعل هو ، وما اسم موصول مفعول به ، ودون ذلك ظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول ، والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول ، ولمن يشاء متعلقان بيغفر ، وجملة يشاء صلة الموصول (ومن يشرك بالله) الواو حرف عطف ، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ، ويشرك فعل الشرط والجـار والمجرور متعلقان بيشرك (فقـد ضل ضلالاً بعيداً) الفاء رابطـة ، والجملة في محل جزم جواب الشرط ، وضلالاً مفعول مطلق وبعيداً صفة ، وجملة الشرط والجواب خبر « من » (إن يدعون من دونه إلا إناثاً) الجملة تعليلية لا محل لها ، وإن نافية ، ويدعون فعل مضارع وفاعل ، ومن دونه متعلقان بيدعون ، وإلا أداة حصر ، وإناثاً مفعول به أو صفة لمفعول به محذوف ، أي : أصناماً مؤنثة لتأنيث أسمائها كاللات والعزى ومناة ، وقيل : لأنهم كانوا يلبسونها أنواع الحليّ ، ويزينونها على هيئات النسـاء (وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً) الواو عاطفة وإن نافية ، ويدعون فعل وفاعل ، وإلا أداة حصر شيطاناً مفعول به ، ومريداً صفة .

﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾

اللغــة :

(تبكيت الآذان) : قطعها أو شقها ، كانوا يشقون أذن الناقة إذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكراً ، وحرّموا على أنفسهم الانتفاع بها . وذلك من عاداتهم . كما كانوا يغـيّرون خلق الله ، فيفقئون عيون الأنعام إعفاء لها من الركوب ، أو يخصونها . ومن التغيير في خلق الله الوشم ، وفي الحديث : لعن الله الواشرات المرققات أسنانهن والمتنمصات والمتنفشات ، أي اللواتي ينتفن شعورهن .

(محيصاً) مصدر حاص عنه إذا عدل وحاد . وله مصادر متعددة، منها أيضاً حيوصاً ومحاصاً وحيصاناً ، بفتح الياء .

الاعراب :

(لعنه الله وقال : لأتخذنّ من عبادك نصيباً مفروضاً) الجملة

لا محل لها من الإعراب لأنها دعائية أو مستأنفة ، وجعلها بعضهم صفة لـ « شيطاناً » في الآية السابقة ، وأرى فيه بعداً وتكلفاً ، ولعنه الله فعل ومفعول به وفاعل ، وقال الواو استئنافية أو حالية بتقدير « قد » ، وجملة القسم مقول القول ، واللام جواب قسم محذوف ، وأتخذن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيله وجملة اتخذن لا محل لها لأنها جواب قسم محذوف ، ومن عبادك متعلقان بأتخذن ، ونصيباً مفعول به ، ومفروضاً صفة (ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم) الجمل الثلاث معطوفات على أتخذن ، فهي مقولات الشيطان الخمس (فليبتكنّ آذان الأنعام) الفاء عاطفة ، وآذان الانعام مفعول به (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) عطف أيضاً ، وأصل يغيرن : يغيروتَنّ ، فحذف النون للجزم بلام الأمر ، وحذفت الواو لالتقاء الساكنين ، وخلق الله مفعول به (ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ ، ويتخذ فعل الشرط والشيطان مفعول به أول وولياً مفعول به ثان ومن دون الله متعلقان بمحذوف صفة لـ « ولياً » (فقد خسر خسراناً مبيناً) الفاء رابطة ، وقد حرف تحقيق ، وخسراناً مفعول مطلق ، ومبيناً صفة ، والجملة في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر «مَنْ» (يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان حقيقة مواعيد الشيطان الكاذبة . ومفعولا يعدهم ويمنيهم محذوفان للعلم بهما ، وما الواو حالية ، وما نافية ويعدهم الشيطان فعل ومفعول به وفاعل ، وإلا أداة حصر ، وغروراً يحتمل أن يكون مفعولاً ثانياً لـ « يمنيهم » أو مفعولا لأجله أو مفعولا مطلقاً ، أي : ذا غرور ، وهي متساوية الرجحان (أولئك مأواهم جهنم) الجملة مستأنفة ، وأولئك مبتدأ ، ومأواهم مبتدأ ثان ، وجهنم خبر مأواهم ، والجملة الاسمية خبر أولئك (ولا يجدون عنها محيصاً)

الواو عاطفة ، ولا نافية ، ويجدون فعل مضارع وفاعل ، ومحيصاً مفعول به ، وعنها متعلقان بمحذوف حال ، لأن المصدر لا يعمل فيما قبله .

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴾

اللغة :

(قيلاً) مصدر كالقول والقال ، وقال ابن السكّيت : القال والقيل : اسمان لا مصدران .

الاعراب :

(والذين آمنوا وعملوا الصالحات) الواو استئنافية ، والذين مبتدأ ، وجملة آمنوا صلة وعملوا الصالحات فعل وفاعل ومفعول به (سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً) سندخلهم فعل مضارع ومفعوله الأول ، والفاعل مستتر تقديره نحن والجملة خبر اسم الموصول ، وجنات مفعول به ثان على السعة أو منصوب بنزع الخافض وقد تقدم ، وجملة تجري الخ صفة لجنات ، وخالدين حال ، وفيها متعلقان بخالدين ، وأبداً ظرف متعلق بخالدين أيضاً (وعد الله

حقاً) وعد الله مفعول مطلق لفعل محذوف ، وحقاً مفعول مطلق لفعل محذوف أيضاً ، وقيل : هو نصب على الحال ، وفي النفس منه شيء (ومن أصدق من الله قيلاً) الواو استئنافية ، ومن اسم استفهام مبتدأ وأصدق خبر ومن الله متعلقان بأصدق ، وقيلاً تمييز •

﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٣) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٤) ﴾

اللغــة :

(النقير) : أصله النكتة في ظهر النواة كما تقدم ، وهو كناية عن القلة • وللنون مع القاف إذا كانتا فاء للفعل وعيناً له معنى فريد يكاد يكون مطّرداً ، وهو التأثير وترك الأثر بعــده ، فنقب الحائط معروف ، ونقب البيطار سرّة الدابة بالمنقب فأخرج ماء أصفر ، ونقح الكلام والشعر ، ونقحته السنون نالت منه ، ونقــده الثمن ، ونقــد الدرهم أي : ميز جيده ورديئه ، وهو من نقدة الشعر ونقاده ، ونقر الطائر الحب بمنقاره ، ونقر العود والدف : استحدث لهما صوتاً بعيد الأثر • وهذا من أوابد هذه اللغة وغرائبها •

الاعراب :

(ليس بأمانيّكم ولا أمانيّ أهل الكتاب) كلام مستأنف مسوق

لبيان أن المفاضلة إنما تكون بالعمل الصالح والإنتاج المثمر وأن الايمان ما وقر في القلب ودعمه العمل . وليس فعل ماض ناقص ، واسمها فيه خلاف عند النحاة والمعربين ، فقيل : هو الوعد ، لأنه ليس منوطاً بالأماني ، وقيل : هو الإيمان المفهوم من قوله : « والذين آمنوا » ، وذلك كله وارد وجيد والمرجع واحد . والباء حرف جر زائد ، وأمانيكم مجرور لفظاً منصوب محلاً لأنه خبر ليس ، ولا أماني أهل الكتاب عطف على أمانيكم (من يعمل سوءاً يجز به) الجملة استئنافية أو مفسرة ، وعلى كل حال لا محل لها من الإعراب ، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ، ويعمل فعل الشرط ، وسوءاً مفعول به ، ويجز جواب الشرط وعلامة جزمه حذف حرف العلة ، وبه متعلقان بـ « يجز » ، وفعل الشرط وجوابه خبر « مَنْ » (ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً) عطف على «يجز » مجزوم مثله ، وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، لأنه كان في الأصل صفة لـ « ولياً » فتقدم عليها ، ومن دون الله متعلقان بيجد ، بمثابة المفعول الأول ، ووليا هو المفعول الثاني ونصيراً عطف على « ولياً » (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) الواو عاطفة ، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ، ويعمل فعل الشرط ، ومن الصالحات متعلقان بيعمل ، ومعنى « من » التبعيض ، لأن استيعاب الصالحات غير متاح للمكلفين ، وعجيب قول الطبري : إنها زائدة ، وليس بشيء . ومن ذكر متعلقان بمحذوف حال لأنها أزالت الإبهام عن « من » ، أو أنثى معطوفة ، الواو حالية وهو مبتدأ ومؤمن خبر والجملة نصب على الحال ، (فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً) الفاء رابطة لجواب الشرط ، واسم الاشارة مبتدأ وجملة يدخلون الجنة خبر ، ولا يظلمون عطف على يدخلون ، ونقيراً مفعول مطلق وقد تقدم بحثه . وجملة

أولئك يدخلون في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط ، وجوابه في محل رفع خبر « من » .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ ﴾

الاعراب :

(ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن) الواو استئنافية ، ومن اسم استفهام مبتدأ ، وأحسن خبره ، وديناً تمييز محوّل عن المبتدأ ، وممن متعلقان بأحسن ، وجملة أسلم وجهه صلة الموصول لا محل لها ، ولله متعلقان بـ « أسلم » ، والواو حالية ، وهو مبتدأ ومحسن خبر ، والجملة حال من الضمير في « أسلم » ، (واتبع ملة إبراهيم حنيفاً) الواو عاطفة ، وجملة اتبع معطوفة على جملة أسلم داخلة في حيز الصلة ، وملة ابراهيم مفعول به ، وحنيفاً حال من فاعل اتبع أو من ابراهيم أي : مائلاً الى الدين القويم (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) الواو واو الاعتراض ، وجملة اتخذ الله ابراهيم اعتراضية ، فائدتها التوكيد على تقريب ابراهيم وتمييزه بأنه اتخذه الله خليلاً ، وخليلاً مفعول به ثان لاتخذ (ولله مافي السموات وما في الأرض) الواو استئنافية ، ولله متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وما اسم موصول مبتدأ مؤخر ، وفي السموات متعلقان بمحذوف صلة الموصول ، وما في

الأرض عطف على مافي السموات (وكان الله بكل شيء محيطاً) الواو عاطفة أو استئنافية ، وكان واسمها ، ومحيطاً خبرها ، وبكل شيء متعلقان بـ « محيطاً » .

البلاغــة :

في قوله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) اعتراض والاعتراض عبارة عن جملة أو أكثر تعترض أثناء الكلام أو بين الكلامين المتصلين وتفيد زيادة في معنى غرض المتكلم غير دفع الايهام وقد تقدم الكلام عليه عند قوله في البقرة « ولن تفعلوا » ونضيف اليه انه يكون لأغراض متعددة فقد يكون للتنبيه والبيان ، قال الشاعر :

واعلــم فعلم المــرء ينفعه ان سوف يأتي كل ما قدرا

فقوله « فعلم المرء ينفعه » اعتراض للتنبيه والبيان ومثله ما يحكى أن الراضي بالله كتب يعتذر الى أخيه المقتفي وهما في المكتب ، وكان المقتفي قد اعتدى على الراضي والراضي هو الكبير منهما فكتب اليه الراضي .

يا ذا الذي يغضب من غير شي اعتب فعتبــاك حبيــب إليّ

أنت عــــلى انك لي ظالــم أعز خلق الله كــــلاً عــليّ

فقوله : على انك لي ظالم اعتراض للتنبيه أما في الآية المتقدمة فهي تفيد التأكيد على وجوب اتباع ملة ابراهيم لأن من بلغت به الرتبة والزلفى عند الله أن اتخــذه خليلاً يوافقه في الخلال كان جديراً بأن تتبع ملته .

وقيل في سبب تسميته ابراهيم خليل الله ان ابراهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر في أزمة أصابت الناس يمتار منه فقال خليله : لو كان ابراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للاضياف فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة ، فملئوا منها الغرائر (أي العدول) حياء من الناس فلما أخبروا ابراهيم عليه السلام ساءه الخبر وحملته عيناه وعمدت امرأته الى غرارة منها فأخرجت أحسن حواري (أي دقيق) واختبزت واشتم ابراهيم رائحة الخبز فقال : من أين لكم ؟ فقالت امرأته : من خليلك المصري فقال : بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا .

﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَـٰبِ فِي يَتَـٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَـٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ ﴾

اللغـة :

(يستفتونك) : يطلبون منك الفتوى . والفتوى بفتح الفاء ، والفُتيا بضمها ، والجمع الفتاوي بكسر الواو ، ويجوز الفتاوى بفتحها للتخفيف .

الاعراب :

(ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة للعودة الى ذكر النساء ، وبقية ما يتعلق بهنّ من أحكام . ويستفتونك فعل مضارع وفاعل ومفعول به ، وفي النساء متعلقان به ، وقل فعل أمر وفاعله أنت ، والجملة مستأنفة أيضاً . والله مبتدأ ، ويفتيكم فعل مضارع ومفعول به ، والجملة خبر ، وجملة الله يفتيكم في محل نصب مقول القول ، وفيهن متعلقان بيفتيكم (وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء) لك أن تجعل الواو عاطفة فيكون اسم الموصول معطوفاً على الله ، أي : الله يفتيكم والمتلوّ في كتابه . ولك أن تجعلها اعتراضية فتكون الجملة معترضة لا محل لها ، وتكون « ما » مبتدأ خبره محذوف دل عليه ما قبله ، أي : يفتيكم . وعليكم متعلقان بيتلى ، وفي الكتاب متعلقان بمحذوف حال ، وفي يتامى النساء متعلقان بمحذوف بدل من « فيهن » . وإضافة « يتامى » الى « النساء » من باب اضافة الصفة الى الموصوف (اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن) اللاتي اسم موصول صفة للنساء ، وجملة لا تؤتونهن صلة ، وما اسم موصول مفعول به ثان ، وجملة كتب صلة ، ولهن متعلقان بكتب (وترغبون أن تنكحوهن) عطف على تؤتونهن . وأن تنكحوهن مصدر مؤوّل منصوب بنزع الخافض وهو « في » ، أي : في أن تنكحوهن لجمالهن وما لهنّ ، أو « عن » ، أي : ترغبون عن نكاحهن لدمامتهن وفقرهن ، فهو من الكلام الموجه كما سيأتي في باب البلاغة (والمستضعفين من الولدان) عطف على يتامى النساء ومن الولدان متعلقان بمحذوف حال (وأن تقوموا لليتامى بالقسط) الواو عاطفة والمصدر المؤول مجرور عطفاً على المستضعفين ، أو تجعل المصدر منصوباً بنزع الخافض ، فيكون الجار والمجرور متعلقين بمحذوف

معطوف على ما تقدم ، أي : ويأمركم بأن تقوموا . ولليتامى متعلقان بمحذوف حال ، وبالقسط متعلقان بتقوموا (وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليماً) الواو استئنافية ، وما اسم شرط جازم مبتدأ ، وتفعلوا فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون ، ومن خير متعلقان بتفعلوا ، والفاء رابطة ، وجملة إن الله في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « ما » ، وجملة كان في محل رفع خبر « إن » وعليماً خبر كان . وبه الجار والمجرور متعلقان بـ « عليماً » .

البلاغــة :

في هذه الآية الكلام الموجه ، وهو الذي يحتمل معنيين متضادين ، وقد سبقت الاشارة اليه ، وذلك في قوله : « وترغبون أن تنكحوهن » ، فهن إما جميلات أو دميمات حسب تقدير الجار . روي أن عمر بن الخطاب كان إذا جاءه ولي اليتيمة نظر فان كانت جميلة قال : زوجها غيرك . والتمس لها منهو خير منك ، وإن كانت دميمة ولا مال لها قال : تزوجها فأنت أحق بها ، وروى مسلم عن عائشة قالت : هــذه اليتيمة تكون في حجــر وليّها ، فيرغب في جمالها ومالها ، ويريد أن ينقص من صَدَاقها ، فنهوا عن نكاحهنّ إلا أن تقسطوا لهنّ في إكمال الصَّداق ، وأمروا بنكاح سواهن . قالت عائشة : فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل : « ويستفتونك في النساء » الى قوله : « وترغبون أن تنكحوهن » فبــيّن لهم أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها ، ولم يلحقوها بسنّتها في إكمال الصداق ، وإذا كانت مرغوباً عنهــا في قلة الجمــال تركوها تركوها والتمسوا غيرها . هذا وقد تقدم القول في الكلام الموجه ،

وبقي أن نقول : إن مما يحتمل المعنيين المتضادين قول النبي صلى الله عليه وسلم : « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة في غيره من المساجد إلا المسجد الحرام » فهذا الحديث يستخرج منه معنيان ضدان: أحدهما أن المسجد الحرام أفضل من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم،والآخر أن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من المسجد الحرام ، أي أن صلاة واحدة فيه لا تفضل ألف صلاة في المسجد الحرام بل تفضل ما دونها ، بخلاف المساجد الباقية ، فإن ألف صلاة تقصر عن صلاة واحدة فيه . ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لأزواجه : « أطولكنّ يداً أسرعكن لحوقاً بي » . فلما مات صلوات الله عليه جعلن يطاولن بين أيديهن ، حتى ينظرن أيتهنّ أطول يداً ، ثم كانت زينب أسرعهن لحوقاً به ، وكانت كثيرة الصدقة ، فعلمن حينئذ أنه لم يرد الجارحة وإنما أراد الصدقة . فهذا القول يدل على المعنيين المشار اليهما . ومن ذلك ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فلم يقل لشيء فعلته لِمَ فعلته ؟ ولا لشيء لم أفعله لِمَ لا فعلته ؟ وهذا القول يحتمل وجهين من التأويل ، أحدهما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر على خلق من يصحبه ، والآخر أنه وصف نفسه بالفطنة والذكاء فيما يقصده من الاعمال ، كأنه متفطّن لما في نفس الرسول ، فيفعله من غير حاجة الى استئذانه . ومن ذلك ما ورد في أحد الأدعية النبوية ، فانه صلى الله عليه وسلم دعا على رجل من المشركين فقال : « اللهمّ اقطع أثره » وهذا يحتمل ثلاثة أوجه من التأويل : الأول أنه دعا عليه بالزّمانة ، لأنه إذا زمن لا يستطيع أن يمشي على الارض ، فينقطع حينئذ أثره . الوجه الثاني : أنه دعا عليه بأن لا يكون له نسل من بعده ولا عقب . الوجه الثالث : أنه دعا عليه بأن لا يكون

له أثر من الآثار مطلقاً ، وهو أن لا يفعل فعلاً يبقى أثره من بعده ، كائناً ما كان ، من عقب أو بناء أو غراس أو غير ذلك •

قصة خالد بن الوليد وعبد المسيح :

ومن ذلك ما يحكى عن عبد المسيح بن بُقَيْلَة لما نزل بهم خالد بن الوليد على الحيرة ، وذلك أنه خرج اليه عبد المسيح بن بقلية ، فلما مثل بين يديه قال : انعم صباحاً أيها الملك فقال له خالد :

ـ قد أغنانا الله عن تحيتك هذه بسلام عليكم ، ثم قال له :

ـ من أين أقصى أثرك ؟

قال : من ظهر أبي •

قال : فمن أين خرجت ؟

قال : من بطن أمي •

قال : فعلام أنت ؟

قال : على الارض •

قال : ففيمَ أنت ؟

قال : في ثيابي •

قال : ابن كم أنت ؟

قال : ابن رجل واحد •

قال خالد : ما رأيت كاليوم قطّ ، أنا أسأله عن الشيء وهو ينحو في غيره !

وهذا من توجيه الكلام على نمط حسن ، وهو يصلح أن يكون جواباً لخالد عما سأل ، وهو يصلح أ نيكون جواباً لغيره مما ذكره عبد المسيح بن بُقَيْلَةَ .

توجيه طريف لافلاطون :

ومما يجري على هذا النهج ما يحكى عن أفلاطون أنه قال : «ترك الدواء دواء »،فذهب بعض الأطباء أنه أراد: إنْ لَطُفَ المِزاجُ وانتهى الى غاية لا يَحْتَمِلِ الدواء فتَرْكُه حينئذ والاضراب عنه دواء. وذهب آخرون أنه أراد بالترك الوضع ، أي وضع الدواء على الداء دواء . يشير بذلك الى حذق الطبيب في أوقات علاجه .

التوجيه المضاد في الشعر :

فاذا عدنا الى الشعر وأينا الفرزدق ينحو في شعره هذا النحو من التوجيه فيقول :

إذا جعفر مرّت على هضبة الحمى فقد أخزت الاحيــاء منها قبورها

وهذا ــ كما ترى ــ يدل على معنيين متضادين : أحدهما ذمّ الاحياء ، والآخر ذم الاموات. أما ذم الاحياء فهو أنهم خذلوا الاموات، يريد أنهم تلاقوا في قتالهم وقوماً آخرين ففرّ الاحياء عنهم وأسلموهم ، أو أنهم استنجدوهم فلم ينجدوهم . وأما ذم الاموات فهو أن لهم مخازي وفضائــح توجب عاراً وشناراً ، فهم يعــيرون بها الاحيــاء ويلصقونها بهم .

بيت لأبي تمام :

وعلى هذا ورد قول أبي تمّام :

بالشعر طول إذا اصطكّت قصائده
في معشـر وبـه عن معشر قصـر

فهذا البيت يحتمل تأويلين متضادين : أحدهما أن الشعر يتسع مجاله بمدحك ، ويضيق بمدح غيرك . يريد بذلك أن مآثره كثيرة ، ومآثر غيره قليلة . والآخر : أن الشعر يكون ذا فخر ونباهة بمدحك ، وذا خمول وتبليد بمدح غيرك . فلفظة الطول يفهم منها ضدّ القصر ، ويفهم منها الفخر ، من قولنا :

طال فلان على فلان أي فخر عليه .

بيت أبي كبير الهذليّ :

ومما ينتظم بهذا السلك قول أبي كبير الهذلي :

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها   فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

وهذا يحتمل وجهين من التأويل : أحدهما أنه أراد بسعي الدهر سرعة تقضّي الأوقات مدة الوصال ، فلما انقضى الوصل عاد الدهر الى حالته في السكون والبطء ، والآخر أنه أراد بسعي الدهر سعي أهل الدهر بالنمائم والوشايات ، فلما انقضى ما كان بينهما من الوصل سكنوا وتركوا السعاية . وهـذا من باب وضع المضاف اليه مكان المضاف ، كقوله تعالى : « واسأل القرية » أي : أهل القرية .

بيت أبي الطيب المتنبي :

ومن المعنى الدقيق في هذا الصدد قول أبي الطيب المتنبي في مديح عضد الدولة :

لو فطنــت خيـــله لنائله   لم يـُرضها أن تراه يرضاها

وهذا يستنبط منه معنيان ضدان : أحدهما أن خيله لو علمت مقدار عطاياه النفيسة لما رضيت له بأن تكون من جملة عطاياه ، لأن عطاياه أنفس منها . والآخر أن خيله لو علمت أنّه يهبها من جملة عطاياه لما رضيت ذلك إذ تكره خروجها عن ملكه .

وبين الحقيقة والمجاز :

وهذا كله لا يعدو الحقيقة ، فإذا احتمل الحقيقة والمجاز وتجاذباه ، بلغ أسمى درجات الإعجاز ، وسيأتي في مواطنه . ولكننا حرصاً على إتمام البحث نورد مثالاً واحداً من الشعر ، وفيه نرى المعنيين مجازين كقول أبي تمام :

قــد بلونا أبا سعيد حــديثاً   وبلونا أبا سعيد قديمـــا

ووردناه ساحــلاً وقليبـاً   ورعينـــاه بارضاً وجميما

فعلمنـــا أن ليس إلاّ بشق   النفس صار الكريم يدعى كريما

فالساحل والقليب يستخرج منهما تأويلان مجازيان ، أحدهما أنه أراد بهما الكثير والقليل بالنسبة الى الساحل والقليب ، والآخر أنه أراد بهما

السبب وغير السبب ، فإن الساحل لا يحتاج في ورده الى سبب ، والقليب يحتاج في ورده الى سبب ، وكلا هذين المعنيين مجاز ، فإن حقيقة الساحل والقليب غيرهما ، والوجه هو الثاني لأنه أدلّ على بلاغة القائل ، ومدح المقول فيه • أما بلاغة القائل فالسلامة من هجنة التكرير، والمخالفة بين صدر البيت وعجزه يدلّ على القليل والكثير ، لأن البارض هو أول النبت حين يبدو ، فإذا كثر وتكاثف سمي جميماً ، فكأنه قال : أخذنا منه تبرعاً ومسألة ، وقليلاً وكثيراً ، وأما مدح المقول فيه فلتعداد حالاته الأربع في تبرعه وسؤاله ، وإكثاره وإقلاله ، وما في معاناة هذه الاحوال من المشاق • والكلام في هذا يطول ، ولكنه كالحسن غير مملول •

الفوائد :

١ ــ يقاس حذف الجارفي أنّ وأنْ بشرط أمن اللبس ، ويشكل عليه قوله تعالى : « وترغبون أن تنكحوهن » فحذف الجار هنا مع أن اللبس موجود ، بدليل أن المفسرين اختلفوا في المراد ، فبعضهم قدر « في » وبعضهم قدر « عن » ، واستدل كلٌّ على ما ذهب اليه ، وأجيب عنه بجوابين :

أ ــ أن يكون حذف الجر اعتماداً على القرينة الرافعة للّبس •

ب ــ أن يكون حذف لقصد الإبهام ليرتدع بذلك من يرغب فيهن لجمالهنّ ومالهنّ ، ومن يرغب عنهن لدمامتهن وفقرهن • فالاختلاف إذن في القرينة •

٢ ــ أجازوا في يتامى النساء أوجهاً أخرى نوردها ترويضاً للذهن

منها انهما بدل اشتمال من قوله في الكتاب ولابد من تقدير مضاف أي في حكم يتامى النساء ولا شك أن الكتاب مشتمل على ذكر أحكامهن ومنها أنهما متعلقان بيتلى وساغ تعلق حرفي جر بلفظ واحد لأن معناهما مختلف . قال أبو البقاء : كما تقول : جئتك في يوم الجمعة في أمر زيد ومنها أنهما متعلقان بمحذوف حال أي كائناً في حكم يتامى النساء .

﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ ﴾

اللغـة :

(النّشوز) النبوة والتجافي عنها ، وأن يمنعهـا نفسه وثقته ومحبته ، وتطمح عيناه الى أجمل منها .

(الإعراض) : أن يقلّ محادثتها ومؤانستها ومضاجعتها .

(المعلقة) : هي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة ، قالت :

هــل هي إلا حظة" أو تطليق   أو صلف" أو بــين ذاك تعليق

وهذا بيت طريف ، تستنكر الشاعرة حالة الزوجة مع زوجها ، وتصفها بأنها ليست سوى حظة صغيرة بحظوة الزوج بها ، أو تطليق لها ، أو صلف ، أي عدم حظوة من الزوج . يقــال : نساء صلائف وصالفات : لم يحظهن" الزوج ، أو تعليق بين ذلك المذكور من الاحوال. والحظ النصيب والجد ، ولعل الحظة واحد الحظ" ، وصلفت المرأة صلفاً إذا لم تحظ عند زوجها وأبغضها .

الاعراب :

(وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة لتقرير حكـم من أهم الأحكــام ، ومعالجة لأخطر موضوع اجتماعي . وان شرطية وامرأة فاعل لفعــل محذوف يفسره ما بعده ، ولا يجوز رفعها على الابتداء ، لأن الشرط يتقاضى الفعل ، وجملة خافت من بعلها مفسرة لا محل لها ، ومن بعلها متعلقان بخافت أو بمحذوف حال ، لأنه كان صفة في الأصل لـ « نشوزاً » فلما قدم عليها أعرب حالا" . ونشوزاً مفعول به وإعراضاً عطف على « نشوزاً » (فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً) الفاء رابطة ، ولا نافية للجنس ، وجناح اسمها ، وعليهما متعلقــان بمحــذوف خبرها ، وأن يصلحا بينهما مصدر مؤول منصوب بنزع الخافض أي : في أن يصلحا ، والجار والمجرور متعلقان بجناح أو بمحذوف صفة له ، وبينهما ظرف متعلق بمحذوف حال ، لأنه كان صفة لـ « صلحاً » ثم تقدمت الصفة على الموصوف فأعربت حالا" . وصلحاً مفعول مطلق وتفاصيل الصلح مبسوطة في كتب الفقه (والصلح خير) الواو اعتراضية ، والجملة من

المبتدأ والخبر معترضة لا محل لها (وأُحضرت الأنفس الشحّ) الواو اعتراضية أيضاً ، وأحضرت فعل ماض مبني للمجهول ، والأنفس نائب فاعل ، والشحّ مفعول به ثان ، والجملة معترضة أيضاً (وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً) الواو عاطفة أو استئنافية ، وإن شرطية وتحسنوا فعل الشرط وتتقوا عطف عليه ، وجواب الشرط محذوف للعلم به ، أي : فالاحسان والاتقاء خير ، والفاء تعليلية ، وإن واسمها ، وجملة كان خبرها ، وبما تعملون متعلقان بـ « خبيراً » ، وجملة تعملون لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وخبيراً خبر كان (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) الواو استئنافية ، ولن حرف نفي ونصب واستقبال ، وتستطيعوا مضارع منصوب بلن وعلامة نصبه حذف النون ، وأن تعدلوا مصدر مؤول مفعول به لتستطيعوا ، وبين النساء ظرف متعلق بتعدلوا (ولو حرصتم) الواو حالية ، ويسميها بعضهم وصلية ، ولو شرطية ، وحرصتم فعل وفاعل (فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) الفاء الفصيحة ، أي : إذا عرفتم ذلك فلا تميلوا ، فتكون الجملة لا محل لها ، ولا ناهية ، وتميلوا مضارع مجزوم بلا ، وكل الميل مفعول مطلق ، فتذروها الفاء هي السببية ، فتنصب تذروها بأن مضمرة بعدها ، لأنها وقعت في جواب النهي ، ويجوز أن تكون الفاء عاطفة ، فتجزم « تذروها » عطفاً على تميلوا ، وكالمعلقة الكاف اسم بمعنى مثل فتكون في محل نصب على الحال من الهاء في تذروها ، أو هي جارّة فيتعلق الجار والمجرور بمحذوف على الحالية كما تقدم ، أي : مشابهة للمعلقة . (وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيماً) تقدم اعراب مثيلتها قريباً (وإن يتفرقا يغن الله كلاً من سعته) الواو عاطفة ، وإن شرطية ، ويتفرقا فعل الشرط وألف الاثنين فاعل ، ويغن جواب الشرط علامة جزمه حذف حرف العلة ، والله فاعل ، وكلاً

مفعول به ، ومن سعته متعلقان بـ « يغن » (وكان الله واسعاً حكيماً) تقدم إعرابه كثيراً .

الفوائد :

١ ــ إذا وقع ما هو فاعل في المعنى بعد أداة مختصة بالأفعال أعرب فاعلاً لفعل محذوف يفسّره الفعل المذكور بعده ، لأن اختصاص هذه الادوات بالفعل يحتم ذلك ، وإلا وقع التناقض ، وذلك مثل أدوات الشرط . وأجاز الكوفيون وبعض البصريين إعرابه مبتدأ ، وساغ الابتداء به إذا كان نكرة تقدمت أداة الشرط عليه ، أما اذا كانت الأداة مترجحة بين الفعل والاسم نحو : « أبشرٌ يهدوننا » فيجوز اعرابه « بشر » مبتدأ ، وهو الأرجح ، وجملة يهدوننا خبره ، ويجوز إعرابه فاعلاً لفعل محذوف يفسره الفعل المذكور بعده ، وهو « يهدوننا » ، لأن همزة الاستفهام تتعاور كلاً من الاسم والفعل .

٢ ــ يجوز حذف ما علم من شرط إذا كانت الأداة « إنْ » أو « من » حال كونها مقرونة بـ « لا » النافية ، كقول الأحوص :

فطلّقْها فلستَ لها بكفءٍ ... وإلا يعلُ مفرِقَك الحسام

أي وإلاّ تطلقها يعل مفرقك الحسام . وقد يتخلف واحد من « إنْ » والاقتران بلا ، وقد يتخلفان معاً . فالأول ما حكاه ابن الأنباري في الإنصاف عن العرب : من يسلّم عليك فسلم عليه ، ومن لا فلا تعبأ به . أي : ومن لا يسلم عليك فلا تعبأ به . والثاني نحو :

« وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً » فحذف الشرط مع انتفاء الاقتران بـ « لا » ، أي : وإن خافت امرأة خافت ...

والثالث كقوله :

متى تؤخذوا قسراً بظنّة عامر   ولم ينـج إلا في الصفاد أسير

أي متى تثقفوا تؤخذوا ، فحذف الشرط مع انتفاء الأمرين .

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ ﴾

الاعراب :

(ولله ما في السموات وما في الأرض) الواو استئنافية ، ولله متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وما اسم موصول مبتدأ مؤخر ، وفي السموات متعلقان بمحذوف صلة الموصول ، وما في الأرض عطف على ما في السموات (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم) الواو استئنافية ، واللام جواب قسم محذوف وقد حرف تحقيق ووصينا فعل وفاعل والذين مفعول به وجملة أوتوا الكتاب صلة

والكتاب مفعول به ثان لـ « أوتوا » وجملة قد وصينا لا محل لها لأنها جواب للقسم المقدّر ، ومن قبلكم متعلقان بمحذوف حال ، وإياكم عطف على الذين ، أي : ووصيناكم (أن اتقوا الله) أن مفسرة بمعنى أي ، لأن التوصية في معنى القول ، أو مصدرية ، وهي والفعل بعدها في تأويـل مصدر منصوب بنزع الخافض ، أي : بأن اتقوا والجار والمجرور متعلقان بوصينا (وإن تكفروا فإن لله ما في السموات وما في الارض) الواو حرف عطف ، وإن حرف شرط جازم ، وتكفروا فعل الشرط والجواب محذوف تقديره : فلن تضروه شيئاً ، والفاء عاطفة ، وإن حرف مشبه بالفعل ولله متعلقان بمحذوف خبر إن المقدم ، وما اسم موصول اسم إنّ المؤخر ، وفي السموات متعلقان بمحذوف صلة الموصول ، ومافي الارض عطف على مافي السموات (وكان الله غنياً حميداً) الواو عاطفـة وكان واسمهـا وخبراها (ولله ما في السموات ومافي الأرض) لله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر « ما » المقدم وما اسم موصول مبتدأ مؤخر ، وفي السموات جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول ، ومافي الارض عطف على ما في السموات (وكفى بالله وكيلاً) الواو استئنافية وكفى فعل ماض ، والباء حرف جر زيد بالفاعل وهو الله ، ووكيلاً تمييز .

﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ﴾

الاعراب :

(إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين) إن شرطية ويشأ فعل الشرط، ويذهبكم جواب الشرط وأيها الناس تقدم إعرابه ويأت عطف على يذهبكم، وبآخرين جار ومجرور متعلقان بيأت (وكان الله على ذلك قديراً) الواو حالية أو استئنافية ، وكان واسمها ، وقديراً خبرها ، وعلى ذلك متعلقان بـ « قديراً » (من كان يريد ثواب الدنيا) من اسم شرط جازم مبتدأ ، وكان فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط ، واسمها مستتر يعود على « من » ، وجملة يريد خبرها ، وثواب الدنيا مفعول به (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) الفاء رابطة للجواب ، وعند ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم ، ولفظ الجلالة مضاف اليه ، وثواب الدنيا والآخرة مبتدأ مؤخر ، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » ، (وكان الله سميعاً بصيراً) الواو استئنافية ، وكان واسمها وخبراها .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾

اللغـة :

(القسط) العدل . وفي المصباح المنير : قسَط يقسِط قسْطاً ، من باب ضرب : جار وعـدل أيضاً ، فهـو من الأضداد ، قاله ابن القطّاع . وأقسط بالألف : عدل ، والاسم القِسْط بالكسر .

(تلووا) : تميلوا ألسنتكم معرضين عن الحق . ويقال : لواني الرجل حقي ، والقوم يلوونني دَيْني وذلك إذا مطلوه ليّاً . فالمراد باللي المطل ، قال الأعشى :

يلوينني دَيْني النهّـارَ وأقتضي
ديني إذا وقذَ النّعاسُ الراقـدا

وهذا البيت من أبيات جياد أولها :

إن الغواني لا يواصلن امرأً فقد الشباب وقد يصلن الأمردا

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقـدم إعراب نظائره (كونوا قوامـين بالقسط) كلام مستأنف مسوق للقيام بالقسط مع الغنيّ والفقير على السواء ، وكونوا فعـل أمر ناقص والواو اسمها ، وقوامـين خبرها ، وبالقسط متعلقان بقوامين (شهداء لله ولو على أنفسكم) شهداء خبر ثان لكونوا ، ولله جار ومجرور متعلقان بشهداء والواو حالية ، ولو شرطية ، وعلى أنفسكم متعلقان بمحـذوف خبر لكان المحذوفة هي واسمها بعد لو الشرطية ، أي : ولو كانت الشهادة عـلى أنفسكم ،

وجواب لو محذوف ، أي فلا تحجموا عن أداء الشهادة . (أو الوالدين والأقربين) عطف على أنفسكم (إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما) إن شرطية ويكن فعل مضارع ناقص فعل الشرط واسم يكن ضمير مستتر تقديره : المشهود عليه ، وغنياً خبر يكن ، أو حرف عطف وفقيراً عطف على « غنياً » ، فالله الفاء رابطة لجواب الشرط ، والله مبتدأ وأولى خبر وبهما متعلقان بأولى ، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط (فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) الفاء الفصيحة ولا ناهية، وتتبعوا فعل مضارع مجزوم بلا ، والواو فاعل ، والهوى مفعول به ، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مفعول لأجله من « تعدلوا » ، إما من العدل فيكون التقدير كراهية أن تعدلوا وإما من العدول فيكون التقدير : بغية أن أن تعدلوا (وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً) الواو عاطفة وإن شرطية ، تلووا فعل الشرط ، أو تعرضوا عطف عليه ، وجواب الشرط محذوف دلت عليه الفاء الرابطة ، والتقدير يعاقبكم ، وإن واسمها ، وجملة كان خبرها وبما تعملون متعلقان بـ « خبيراً » ، وجملة تعملون لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وخبيراً خبر « كان » والجملة كلها تعليل لما تقدم لا محل لها .

الفوائد :

١ ــ اختلف النحاة في عود الضمير في قوله : «بهما» ، والقاعدة أنه إذا عطفت بـ « أو » كان الحكم في عود الضمير أو الاخبار وغيرهما لأحد الشيئين أو الأشياء ، فتقول : زيد أو عمرو أكرمته ، ولا يقال : أكرمتهما ، وعلى هذا يرد الاعتراض الآتي : كيف ثنى الضمير في قوله « بهما » والعطف بـ « أو » ؟ وتقرير الجواب يتلخص فيما يلي:

أ ــ إن الضمير في « بهما » ليس عائداً على الغني والفقير المذكورين ، بل على جنس الغني والفقير ، والجنس واحد •

ب ــ إن « أو » ليست للتخيير بل للتفصيل ، وهذا ما جنح اليه أبو البقاء ، فقال ما معناه : إن كل واحد من المشهود له والمشهود عليه يجوز أن يكون غنياً وأن يكون فقيراً ، وقد يكونان غنيين وقد يكونان فقيرين ، فلما كانت الأقسام عند التفصيل على ذلك ، ولم تذكر ، أتى بـ « أو » لتدل على التفصيل ، فعلى هذا يكون الضمير في « بهما » عائداً على المشهود له والمشهود عليه . على أيّ وصف كانا عليه •

عبارة ابن جرير :

أما ابن جرير فقال : أُريدَ : فالله أولى بغنى الغنيّ وفقر الفقير ، لأن ذلك منه لا من غيره ، فلذلك قال : « بهما » ولم يقل « به » • وقال آخرون : أو بمعنى الواو في هذا الموضع •

٢ ــ كثر حذف «كان» واسمها بعد « إنْ » و «لو» الشرطيتين • لأن « إنْ » أمّ الأدوات الجازمة ، و « لو » أم الأدوات غير الجازمة ، كما أن « كان » أمّ بابها • وهم يتوسّعون في الأمهات ما لم يتوسعوا في غيرها • ومن أمثلة حذف كان واسمها بعد إنْ في الشعر قول النعمان بن المنذر :

قد قيل ما قيل إن صدقاً وإن كذباً
فما اعتذارك من قول إذا قيلا

أي : إن كان المقول صدقاً وإن كان المقول كذباً • ومن أمثلة حذفها مع اسمها بعد « لو » قول الآخر :

لا يأمن الـدهر ذو بغي ولو ملكاً

جنوده ضاق عنها السهـل والجبل

أي : ولو كان الباغي ملكاً .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعرابها (آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله) كلام مستأنف مسوق للأمر بالثبات على الايمان. وآمنوا فعل أمر والواو فاعل ، وبالله متعلقان بآمنوا ، ورسوله عطف على الله ، والكتاب عطف أيضاً ، والذي صفة للكتاب ، وجملة نزل على رسوله صلة الموصول (والكتاب الذي أنزل من قبل) والكتاب عطف أيضاً ، أي جنس الكتاب ، فالمراد الكتب المنزّلة ، والذي صفة وجملة أنزل صلة الموصول ومن حرف جر ، وقبل ظرف مبني على الضم لانقطاعه عن الاضافة لفظاً لا معنى ، والجار والمجرور متعلقان بأنزل (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويكفر فعل الشرط ، وبالله متعلقان بيكفر ،

وما بعده عطف عليه (فقد ضل ضلالاً بعيداً) فقد الفاء رابطة لجواب الشرط ، وقد حرف تحقيق ، وضل فعل ماض وضلالاً مفعول مطلق ، وبعيداً صفة . والجملة في محل جزم جواب الشرط ، وجملة فعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر « من » .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ ﴾

الاعراب :

(إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً) كلام مستأنف مسوق لوصف ترجح اليهود والمنافقين في مهاوي الفتن والقلق . وإن واسمها ، وجملة آمنوا صلة ، وكرر العطف تبياناً لمآلهم وصيرورتهم وترجحهم بين الكفر والايمان ، وكفراً تمييز (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً) الجملة خبر إنّ ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ، ويكن فعل مضارع ناقص ، والله اسمها وليغفر اللام لام الجحود ، ويغفر فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعدها ، والجار والمجرور ــ لام الجحود والمصدر المؤول ــ متعلقان بمحذوف خبر يكن ، أي : مريداً ليغفر لهم ، والجار والمجرور « لهم » متعلقان بيغفر ولا ليهديهم عطف على ما تقدم وسبيلاً مفعول به ثان ليهديهم ، أو منصوب بنزع الخافض ، والجار والمجرور متعلقان بيهديهم .

﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ

ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾

اللغة :

(بشر) البشارة : الخبر السارّ ، وسمي الخبر السار بشارة لأنه يظهر سروراً في البشرة ، أي ظاهر الجلد . وسيأتي مزيد منه في باب البلاغة .

(العزة) : معروفة ، وأصلها في اللغة : الشدة . ومنه قيل للأرض الصلبة الشديدة عَزَاز بفتح العين ، وقيل : قد استُعزَّ على المريض : إذا اشتد ، ومنه قيل : عزّ عليّ أن يكون كذا وكذا أي : اشتدّ .

الاعراب :

(بشّر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً) كلام مستأنف مسوق للتنديد بالمنافقين . وبشر المنافقين فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به ، والباء

حرف جر وأن وما في حيزها في محل جر بالباء والجار والمجرور متعلقان بـ « بشّر » ، ولهم متعلقان بمحذوف خبر أن المقدم ، وعذاباً اسمها المؤخر ، وأليماً صفة (الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) الذين نعت للمنافقين أو منصوب على الذم لأنهم يوالون اليهود ، وجملة يتخذون صلة الموصول ، والواو فاعل والمؤمنين مفعول به أول ، وأولياء مفعول به ثان ، ومن دون المؤمنين متعلقان بمحذوف حال من فاعل يتخذون أو صفة لأولياء (أيبتغون عندهم العزة؟) الهمزة للاستفهام الإنكاري ، ويبتغون فعل مضارع والواو فاعل ، وعندهم ظرف متعلق بيبتغون ، والعزة مفعول به ، والجملة مستأنفة مسوقة للإنكار عليهم ، ولك أن تجعلها نصباً على الحال ، أي : متوهمين أن لديهم العزة (فإن العزة لله جميعاً) الفاء للتعليل وإن واسمها ، ولله الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبرها ، وجميعاً حال ، والجملة تعليلية لا محل لها (وقد نزّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها) الواو استئنافية وقد حرف تحقيق، ونزل فعل ماض وفاعله مستتر ، وعليكم متعلقان بنزل ، وفي الكتاب متعلقان بنزل أيضاً أو بمحذوف حال . وأن المفتوحة الهمزة هي المخففة من الثقيلة ، واسمها ضمير الشأن ، وهي في تأويل مصدر مفعول « نزل » ، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ، وجملة سمعتم في محل جر بالإضافة ، وآيات الله مفعول به وجملة اذا وشرطها وجزاؤها خبر « أن » وجملة يكفر بها حالية . وجملة ويستهزأ بها عطف عليها ، وبها جار ومجرور سد مسد نائب الفاعل في الفعلين (فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره) الفاء رابطة لجواب اذا ، ولا ناهية وتقعدوا فعل مضارع مجزوم بلا ، ومعهم ظرف مكان متعلق بمحذوف حال ، وحتى حرف غاية وجر ويخوضوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى ، والجار

والمجرور متعلقان بتقعدوا ، وفي حديث متعلقان بيخوضوا وغيره صفة لحديث (إنكم إذن مثلهم) إن واسمها ، واذن حرف جواب وجزء مهمل لتوسطه ، ومثلهم خبر إن ، ولم يطابق بين الاسم والخبر فأفرد « مثل » وأخبر بها عن الجمع كما طابق في موضع آخر فقال : « وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون » لأن « مثل » بمعنى المصدر ، وتقدير المعنى إن عصيانكم مثل عصيانهم والجملة لا محل لها لأنها تعليل للنهي (إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً) الجملة تعليل ثان للمثلية . وسيأتي مزيد من هذه المثلية في باب البلاغة ، وإن واسمها وخبرها . وفي جهنم متعلقان بجامع ،وجميعاً حال .

البلاغـة :

١ ـ التهكم في قوله « بشر » . والتهكم في الأصل اللغوي تهدّم البناء، يقال : تهكمت البئر اذا تهدمت ، والغضب الشديد والتندّم على الأمر الفائت . وفي الاصطلاح البلاغي هو الاستهزاء والسخرية من المتكبرين لمخاطبتهم بلفظ الإجلال في موضع التحقير ، والبشارة في موضع التحذير ، والوعد في موضع الوعيد . وإنما بسطنا القول في هذا الفن بشيء من التفصيل لأن القرآن طافح بأمثلة التهكم ، وستأتي في مواضعها . ومن طريف هذا الفن في الشعر قول ابن الرومي:

فيا له من عمـل صالـح يرفعـه الله الى أسفل

وله في وصف ابن حصينة الأحدب من أبيات غاية في التهكم الذي وضع المديح موضع الهزء والسخرية :

لا تظنّنّ حدبة الظهر عيباً   فهي في الحسن من صفات الهلال
وكذاك القسيّ محدودبات   وهي أنكى من الظُّبا والعوالي
واذا ما علا السنامُ ففيه   لقدوم الجمال أيّ جَمال!!
وأرى الانحناء في منسر البا   زي ولم يعد مخلب الرئبال
ما رأتها النساء إلا تمنّت   لو غدت حلية لكل الرجال

وختم ابن الرومي هذه الصورة الفنية الساخرة بقوله :

وإذا لم يكن من الهجر بدّ   فعسى أن تزورني في الخيال

٢ ـ الاستعارة التصريحية التبعية في قوله « بشر » لأن البشارة الخبر السار ، وسمي بشارة لأنه يظهر سروراً في البشرة : أي : ظاهر الجلد .

٣ ـ التشبيه في قوله : « إنكم إذن مثلهم » ، والمثلية بين الكافرين والمنافقين تظهر في الآية بين القاعدين والمقعود معهم ، فإن الذين يشايعون الكفرة ويوالونهم ويمدون أيدي الاستخذاء والذل اليهم مع قدرتهم على الصمود والتحدي هم مثل الكفرة ، وإن لم يكونوا منهم ، بل إن شرهم أشد والخطر منهم أجدر بالحذر ، لأنهم إذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين ، والراضي بالكفر كافر .

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ

وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾

اللغـة :

(يتربّصون بكم) ينتظرون ما يتجدد لكم من ظفر أو إخفاق . وفي المصباح : « تربصت الأمر تربُّصاً : انتظرته . والرُّبْصَة وزان غرفة : اسم منه ، وتربصت الأمر بفلان : انتظرت وقوعه به . ويغلب أن تردفه كلمة الدوائر ، وهي تكون دائماً في الشر ، لأنها دائرة ، أي الامور التي تدور وتحدث في الزمن من النوائب والمحن ، ولكنها هنا محتملة للخير والشر معاً ، بدليل التفصيل بقوله : « فإن كان لكم فتح » الخ ...

(نستحوذ) : مضارع استحوذ ، وهو مما شذّ قياساً وفصح استعمالاً ، لأن من حقه نقل حركة حرف علته الى الساكن قبلها وقلبها ألفا . كاستقام واستعاد ونحوهما . والاستحواذ : التغلب على الشيء والاستيلاء عليه ، يقال : حاذ وأحاذ ، فهو ثلاثي ورباعي بمعنى . وأحوذ ، ومن لغة من قال أحوذ قول لبيد في صفة عير وأتن :

إذا اجتمعت وأحوذ جانبيها وأوردها على عوج طوال

الاعراب :

(الذين يتربصون بكم) اسم الموصول صفة للمنافقين أو منصوب

على الذم ، وجملة يتربصون بكم صلة الموصول (فإن كان لكم فتح من الله قالوا : ألم نكن معكم ؟) الفاء استئنافية ، وإن شرطية ، وكان فعل ماض ناقص فعل الشرط ، ولكم متعلقان بمحذوف خبرها المقدم ، وفتح اسمها المؤخر ، ومن الله متعلقان بمحذوف صفة لفتح ، وقالوا فعل وفاعل في محل جزم جواب الشرط ، وجملة ألم نكن معكم في محل نصب مقول القول ، ومعكم ظرف متعلق بمحذوف خبر نكن (وان كان للكافرين نصيب) الواو عاطفة وإن شرطية ، وكان فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط ، وللكافرين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كان المقدم ، ونصيب اسمها المؤخر (قالوا ألم نستحوذ عليكم) قالوا فعل وفاعل في محل جزم جواب الشرط ، وجملة ألم نستحوذ عليكم في محل نصب مقول القول (ونمنعكم من المؤمنين) نمنعكم عطف على نستحوذ ، ومن المؤمنين متعلقان بنمنعكم (فالله يحكم بينكم يوم القيامة) الفاء استئنافية ، والله مبتدأ ، وجملة يحكم خبر ، وبينكم ظرف متعلق بيحكم ، وكذلك يوم القيامة (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً) الواو عاطفة ، ولن حرف نفي ونصب واستقبال ، ويجعل مضارع منصوب بلن ، والله فاعل ، وللكافرين متعلقان بيجعل بمثابة مفعولها الاول ، وسبيلاً مفعولها الثاني . وعلى المؤمنين متعلقان بمحذوف حال لأنه كان صفة لسبيلاً وتقدمت عليه .

البلاغة :

في هذه الآية مجاز مرسل ، وذلك في قوله « فتح » فقد سمى الظفر الذي ناله المسلمون فتحاً باعتبار ما يئول اليه الظفر . لأنه أمر تبتهج له النفوس ، وتطمئن اليه القلوب ، وتتفتح له أبواب السماء .

وقد رمق الشعراء سماء هـذا المعنى وكان السابق في هـذا الميدان أبا تمام الطائي في قصيدته فتح الفتوح التي مدح بها المعتصم بالله ، ووصف وقعة عمورية ، وقد قالها سنة مئتين وثلاث وعشرين للهجرة . وعَمُّورِيَة من أعظم بلاد الروم في آسية الصغرى . وكان السبب في زحف المعتصم اليها أن تيوفيل بن ميخائيل ملك الروم خرج الى بلاد المسلمين فبلغ زِبَطْرَة ، وهي بلدة في آسية الصغرى بين مَلَطْيَة وسُمَيْساط ، وفيها ولد المعتصم ، فاستباحها قتلاً وسبياً ، ثم أغار على مضية وغيرها ، فقتل وسبى ومثّل بالأسرى . وبلغ الخبر المعتصم فاستعظمه ، وقيل : إن عربية صاحت وهي في أيدي الروم : وامعتصماه! فأجاب وهو على سريره : لبيك ، لبيك . ونهض ونادى بالنفير وسار الى عمورية . وتقول الرواية العربية : إنها المدينة التي ولد فيها تيوفيل، وحاصرها واستدل على عورة في السور فرمى السور من هذه الناحية فتصدع ، ودخل العرب المدينة ، وذبحوا سكانها وأحرقوها وسبوا نساءها وأولادها ، وكان أبو تمام في صحبته وشهد الواقعة بنفسه ، وكان المنجمون قد زعموا للمعتصم أن الزمان لا يوافق الفتح ، وأن المدينة لا تفتح إلا في وقت نضج التين والعنب ، فلم يسمع المعتصم لقولهم وسار بجيشه ففتحها . ونجد أبا تمام يتحدث عن هذا كله في قصيدته فكأنها سجل تاريخي لهذه الموقعة العظيمة، وقد استهلها بقوله :

السيف أصدق أنبـــاء من الكتـــب
في حـــده الحد بين الجـد واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف في
متونهـن جـــلاء الشك والريـب

فتح الفتوح تعـــالى أن يحيط بـــه
نظـــم من الشعر أو نثر من الخطب
فتـــح تفتـــح أبواب السماء لـــــه
وتبرز الأرض في أثوابهـــــا القشـــب

ثم يقول مخاطباً المعتصم :

لقـــد تركت أمـــير المؤمنـــين بها
للنار يوماً ذليـــــل الصخر والخشب

ويتحدث عن هزيمة ملك الروم :

لما رأى الحرب رأي العـــين توفلس
والحرب مشتقـــة المعنى من الحـــرب
ولى وقـــد ألجـــم الخطيّ منطقـــه
بسكتة تحتهـــا الأحشاء في صخـــب
تسعون ألفاً كآساد الشرى نضجـــت
جلودهم قبـــل نضج التـــين والعنب

ومن البلاغة بالمكانة العالية أنه سمى ظفر المسلمين فتحاً ، وسمى ظفر الكافرين نصيباً ، تعظيماً لشأن الاولين وتنويهاً بأن النتيجة الحتمية هي للصابرين المؤمنين المتذرعين بالعقيدة التي لا تتحلحل ولا تهون ،

وللإشعار بأن ظفر الكافرين ما هو في عمر الزمن إلا حظ دنيّ ، ولحظة من الدنيا يصيبونها ، وملاوة من العيش يسبحون في تيارها .

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ ﴾

اللغـة :

(مذبذبين) : المذبذب : الذي يذبّ عن كلا الجانبين . أي : يذاد ويدفع فلا يقرّ في جانب واحـد . وفي الذبذبة تكرير ليس في الذّب ، كأن تكرير الحروف إشعار بتكرير المعنى ، فهـم مترجّحون متطوحون في سيّال الحيرة ، كلما مال بهم الهوى الى جانب دفعوا الى جانب آخر .

الاعراب :

(إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) كلام مستأنف مسوق لبيان نسط آخر من أعمالهم القبيحة . وإن واسمها ، وجملة يخادعون الله خبرها ، والواو واو الحال ، وهو مبتدأ وخادعهم خبر ، والجملة نصب على الحال (وإذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى) الواو عاطفة

وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ، وجملة قاموا في محل جر بالإضافة ، والى الصلاة جار ومجرور متعلقان بقاموا ، وجملة قاموا الثانية لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وكسالى حال (يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً) الجملة حالية ، وقد التبس الامر على أبي البقاء فأعربها بدلاً من « كسالى » ، وهي ليست كلاً له ، ولا بعضاً منه ، وليس هو مشتملاً عليها . وأصل يراءون يرائيون ، فجري عليها الإعلال المعروف . والناس مفعول به ، ولا يذكرون الله عطف على يراءون الناس ، وإلا أداة حصر وقليلاً مفعول مطلق ، أي : ذكراً قليلاً ، أو ظرف أي : وقتاً قليلاً (مذبذبين بين ذلك) مذبذبين حال ، لأنه اسم مشتق ، وبين ظرف متعلق بمذبذبين ، وذلك مضاف إليه ، والاشارة الى الكفر والايمان (لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، أي لا منسوبين الى هؤلاء ولا إلى هؤلاء (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً) الواو استئنافية ، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ، ويضلل الله فعل الشرط ، والفاء رابطة وجملة لن تجد له سبيلاً في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » .

البلاغـة :

١ ـ المشاكلة في قوله : « وهو خادعهم » وقد مرت ، فجدد بها عهداً . وقد سمى العقاب والجزاء باسم الذنب .

٢ ـ جناس التحريف : وهو ما تماثل ركناه لفظاً واختلف أحد ركنيه عن الآخر هيئة ، وذلك في قوله : « مذبذبين بين ذلك » . ومن أمثاته في الشعر قول صفي الدين الحلي :

شديد البأس في أمر مُطاعٍ مضارب كل أقوام مُطاعن

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ
الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا (١٤٤)
إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥)
إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ
مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (١٤٦) ﴾

اللغـة :

(الدرك) : بسكون الراء وفتحها : أقصى قعر الشيء ، يقال بلغ الغواص درك البحر . وقال الحريري في درّة الغواص : ويقولون لما ينحدر فيه درجاً وهو درك ، وما يرتقى فيه درج . وفي الحديث : « إن الجنة درجات والنار دركات » وتعقّبه بعضهم فقال : إن الأمر في هذا سهل ، لأن ما ينحدر فيه يرتقى فيه أيضاً .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدم اعراب هذا النداء ، فجدّد به عهداً (لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين) كلام مستأنف مسوق

للنهي عن اتخاذ الكافرين أولياء وأصفياء . ولا ناهية ، وتتخذوا فعل مضارع مجزوم بلا ، وعلامة جزمه حذف النون ، والواو فاعل ، والكافرين مفعول به أول وأولياء مفعول به ثان ، ومن دون المؤمنين جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لأولياء(أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً) كلام مستأنف مسوق للإنكار عليهم لجنوحهم الى اقامة الحجة على أنفسهم بأيديهم . والهمزة للاستفهام الإنكاري ، وتريدون فعل مضارع وفاعل ، وأن تجعلوا المصدر المؤول من أن وما في حيزها مفعول تريدون ، ولله جار ومجرور متعلقان بتجعلوا بمثابة المفعول الاول ، وعليكم متعلقان بمحذوف حال ، وسلطاناً مفعول به ثان لتجعلوا ، ومبيناً صفة (إن المنافقين في الدرك الاسفل من النار) الجملة مستأنفة لبيان مصير المنافقين وهو الدرك الاسفل من النار . وإن واسمها ، وفي الدرك متعلقان بمحذوف خبر إن ، والأسفل صفة للدرك ، ومن النار جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (ولن تجد لهم نصيراً) الواو عاطفة ، ولن حرف نفي ونصب واستقبال ، وتجد فعل مضارع منصوب بلن ، ولهم جار ومجرور متعلقان بـ « نصيراً » ، ونصيراً مفعول تجد (إلا الذين تابوا) إلا أداة استثناء، والذين مستثنى وجملة الاستثناء حالية،وجملة تابوا لامحل لها صلة الموصول (وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله)عطف على تابوا،ودينهم مفعول أخلصوا، ولله جار ومجرور متعلقان بأخلصوا (فأولئك مع المؤمنين) الفاء استئنافية ، واسم الاشارة مبتدأ ، ومع ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر أولئك ، والمؤمنين مضاف اليه مجرور بالياء (وسوف يؤتي الله المؤمنين أجراً عظيماً) الواو استئنافية ، وسوف حرف استقبال ، ويؤتي الله فعل وفاعل ، والمؤمنين مفعول به أول ، وأجراً مفعول به ثان ، وعظيماً صفة .

﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾

الاعراب :

(ما يفعل الله بعذابكم) كلام مستأنف مسوق لتقرير أن الله سبحانه لا يجلب لنفسه بعذابكم نفعاً ، ولا يدفع عنها به ضرراً . فأي حاجة له في عذابكم ؟ وما اسم استفهام في محل نصب مفعول به مقدم ليفعل ، ويفعل الله فعل مضارع وفاعل ، والجار والمجرور متعلقان بيفعل ، والاستفهام هنا معناه النفي ، والجملة مستأنفة مسوقة لزيادة الإنكار عليهم (إن شكرتم وآمنتم) إن شرطية ، وشكرتم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، وجواب الشرط محذوف تقديره : فقد تفاديتم العذاب ، والجملة مستأنفة أيضاً ، وآمنتم عطف على شكرتم (وكان الله شاكراً عليماً)الواو استئنافية ، وكان واسمها وخبراها .

الفوائد :

الشكر من الله هو الرضا بالقليل من عمل عباده ، وإضعاف الثواب على هذا القليل . والشكر من العباد الطاعة .

لمحة عن المنافقين :

اتفق العلماء على أن المنافق هو من أظهر الايمان وأبطن الكفر . واتفقوا على أن المنافق أشد عذاباً من الكافر ، لأنه ساواه في الكفر ،

وضمّ الى كفره الاستهزاء بالاسلام وأهله ، وموالاة الكافرين ، ومدّ أيدي الاستسلام اليهم حجة بينة علـى النفاق • وعنه عليه السلام : ثلاث من كن فيه فهو منافق ، وإن صلى وصام : من إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، واذا اؤتمن خان • وقيل لحذيفة : من المنافق ؟ فقال : الذي يصف الاسلام ولا يعمل به •

﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ ﴾

اللغـة :

(الجهر) : رفع الصوت بالقول وغيره وجهر الأرضَ : سلكها من غير معرفة وجهر الشيء : كشفه وحزره وجهر الامر علن وانتشر •

الاعراب :

(لا يحب الله الجهر بالسوء من القول) كلام مستأنف مسوق لتنبيه العاقل الى الاشتغال بنفسه والجهر بعيوبه قبل البحث عن عيوب الناس ولا نافية ويحب الله الجهر فعـل مضارع وفاعـل ومفعول به وبالسوء جار ومجرور متعلقان بالجهر ومن القول جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من السوء (إلا من ظلم) إلا أداة استثناء ومن مستثنى منقطع لأن جهر المظلوم لا يندرج في عداد الذين يجهرون بالسيىء من

القول ، ويجوز أن يكون متصلاً على تقدير حذف مضاف أي إلا جهر من ظلم ، أو في محل رفع على البدلية من فاعل المصدر الذي هو الجهر والمعنى : لا يحب أن يجهر أحد بالسوء إلا من ظلم فيجهر أي يدعو الله بكشف السوء الذي أصابه ، وظلم بالبناء للمجهول أي لا يؤاخذه الله بالجهر به بأن يخبر عن ظلم ظالمه ويدعو عليه (وكان الله سميعاً عليماً) الواو استئنافية وكان واسمها وسميعاً خبرها الأول وعليماً خبرها الثاني (إن تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء) الجملة مستأنفة وإن شرطية وتبدوا فعل الشرط والواو فاعل وخيراً منعول به وأو حرف عطف وتعفوا عطف على تبدوا وعن سوء جار ومجرور متعلقان بتعفوا (فإن الله كان عفواً قديراً) الفاء رابطة وان واسمها وجملة كان واسمها المستتر وخبرها في محل رفع خبر إن والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط : وهو تعليل للجواب المحذوف أي : فالعفو خير وهو أدنى .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ ﴾

الاعراب :

(إن الذين يكفرون بالله ورسله) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان أن الطريق واضحة لا لبس فيها وان واسمها وجملة يكفرون صلة

الموصول وبالله متعلقان بيكفرون ورسله عطف على الله (ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله) عطف على يكفرون وان وما بعدها في تأويل مصدر مفعول به وبين ظرف متعلق بيفرقوا ، ولفظ الجلالة مضاف اليه ورسله عطف على لفظ الجلالة (ويقولون : نؤمن ببعض ونكفر ببعض) عطف على ما تقدم وجملة نؤمن ببعض الخ مقول القول وببعض جار ومجرور متعلقان بنؤمن ، والثانية بنكفر (ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً) عطف على يريدون الاولى وأن وما بعدها في تأويل مصدر مفعول به أول والظرف متعلق بمحذوف حال والاشارة الى الكفر والايمان وسبيلاً مفعول به ثان (أولئك هم الكافرون حقاً) اسم الاشارة مبتدأ أول وهم مبتدأ ثان والكافرون خبر « هم » والجملة الاسمية خبر اسم الاشارة وجملة الاشارة وما بعدها خبر إن وحقاً مفعول مطلق لتأكيد مضمون الجملة والتقدير حق ذلك حقاً واعتراض الواحدي بأن الكفر لا يكون حقاً بوجه من الوجوه غير وارد لأن الحق هنا لا يراد به ما يقابل الباطل بل المراد أنه كائن لا محالة (وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً) الواو استئنافية واعتدنا فعل وفاعل وللكافرين جار ومجرور متعلقان باعتدنا وعذاباً مفعول به ومهيناً صفة .

البلاغـة :

في قوله « للكافرين » فن الإظهار في مقـام الإضمار ذمـاً لهم وتجسيداً لكفرهم كأنه بمثابة المرئي بالبصر .

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَـٰٓئِكَ

سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾

الاعراب :

(والـذين آمنوا بالله ورسله) الواو استئنافية والذين مبتدأ وجملة آمنوا صلة وبالله جار ومجرور متعلقان بآمنوا ورسله عطف على الله (ولم يفرقوا بين أحد منهم) الواو عاطفة والجملة معطوفة على آمنوا داخلة في حيز الصلة وبين ظرف متعلق بيفرقوا وإنما دخلت بين على أحد ، والظرف يقتضي متعدداً ، لعموم أحد من حيث انه وقع في سياق النفي والمعنى لم يفرقوا بين اثنين منهم أو بين جماعة منهم ومنهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لأحـد (أولئك سوف يؤتيهم أجورهم) اسم الاشارة مبتدأ وجملة سوف يؤتيهم خبره والجملة الاسمية خبر الموصول « الـذين » (وكـان الله غفوراً رحيمـاً) تقدم إعرابها .

﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾

الاعراب :

(يسألك أهـل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء) كلام مستأنف مسوق لحكاية سؤال أحبار اليهود الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتاباً من السماء كما يأتي به موسى ، وما سؤالهم إلا التعنت واللجاج ويسألك فعل ومفعول به أول وأهل الكتاب فاعل وان تنزل مصدر مؤول في محـل نصب مفعول به ثان وعليهم متعلقـان بتنزّل وكتاباً مفعول به ومن السماء جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لكتاباً (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك) الفاء هي الفصيحة وهي الواقعـة جواباً لشرط مقدّر أي إذا استكبرت ما قالوه ودهشت مما سألوه تعنتاً واشتطاطاً فقد سألوا موسى من قبلك، وموسى مفعول به أول وأكبر مفعول به ثان ويجوز أن يعرب مفعولاً مطلقاً ومن ذلك جار ومجرور متعلقان بأكبر (فقالوا أرنا الله جهرة) الفاء عاطفة وقالوا عطف على سألوا وجملة أرنا الله في محل نصب مقول القول وأر فعل أمر مبني على حذف حرف العلة و«نا» مفعول به والله مفعول به ثان وجهرة أي عياناً فهو مفعول مطلق لأن الجهرة من نوع مطلق الرؤية فتلاقي صاحبها في الفعـل ويجوز أن تعرب حالاً فتكون مصدراً في موضع الحال أي مجاهرة (فأخذتهم الصاعقة بظلمهم) عطف على ما تقدم وبظلمهم جار ومجرور متعلقان بأخذتهم أي بسبب ظلمهم (ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات) ثم حرف عطف للترتيب في الإخبار أي ثم كان من أمرهم أن اتخذوا العجل ، ومن بعد متعلقان باتخذوا وما مصدرية مؤوّلة مع الفعل بمصدر مضاف لبعد أي من بعد مجيء البينات (فعفونا عن ذلك) الفـاء عاطفة عـلى ما تقدم وعن ذلك جار ومجرور متعلقان بعفونا (وآتينا موسى سلطاناً مبيناً) الواو عاطفة

وآتينا فعل وفاعل وموسى مفعول به أول وسلطاناً مفعول به ثان ومبيناً صفة .

﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (١٥٤) فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥٥) ﴾

اللغة :

(الطّور) الجبل .

(لا تعدوا) : لا تعتدوا وأصله تعدووا استثقلت الضمة على الواو الاولى فحذفت فالتقى ساكنان فحذفت الواو لالتقاء الساكنين .

(غلف) : جمع أغلف كحمر جمع أحمر ويصح أن يكون جمع غلاف ككتاب وكتب وسكّن للتخفيف .

الاعراب :

(ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) الواو عاطفة ورفعنا عطف على

ما تقدم وفوقهم ظرف متعلق برفعنا وكذلك يتعلق به بميثاقهم والطور مفعول به (وقلنا لهم : ادخلوا الباب سجداً) وقلنا عطف على ما تقدم ولهم جار ومجرور متعلقـان بقلنا وجملة ادخلوا الباب مقول القول وسجداً حال (وقلنا لهم : لا تعدوا في السبت) عطف على ما تقدم أيضاً وجملة لا تعدوا في محل نصب مقول القول وفي السبت متعلقان بتعدوا (وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) عطف على ما تقدم أيضاً ومنهم جار ومجرور متعلقان بأخذنا وغليظاً صفة لميثاقاً (فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله) الفاء استئنافية والباء حرف جر وما زائدة للتوكيد ونقضهم مجرور بالباء والجار والمجرور متعلقان بمحذوف تقديره فعلنا بهم ما فعلنا بسبب نقضهم ، وميثاقهم مفعول به للمصدر وهو نقض وكفرهم عطف على نقضهم وبآيات الله جار ومجرور متعلقان بكفرهم (وقتلهم الأنبياء بغير حق) عطف على ما تقدم والانبياء مفعول به للمصدر وهو قتلهم وبغير حق جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (وقولهم قلوبنا غلف) عطف أيضاً وجملة قلوبنا غلف من المبتدأ والخبر مقول القول (بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً) بل حرف اضراب وعطف أي ليس الامر كما قالوا وطبع الله فعل وفاعل ، وعليها جار ومجرور متعلقان بطبع وبكفرهم متعلقان بطبع أي بسبب كفرهم ، والفاء عاطفة ولا نافية ويؤمنون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل وإلا أداة حصر وقليلا صفة لمصدر محذوف أي : إلا إيماناً قليلاً فهو مفعول مطلق أو صفة لزمان محذوف أي إلا زماناً قليـلاً فهو ظرف زمان متعلق بيؤمنون ويجوز أ نيكون منصوباً على الاستثناء من فاعل يؤمنون أي : إلا قليلاً منهم .

﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ

إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾

الاعراب :

(وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً) في هـذا العطف وجهان أحدهما انه معطوف على ما في قوله « فبما نقضهم » فيكون متعلقاً بما تعلق به الاول ، والثاني انه معطوف على قوله « بكفرهم » الذي بعد « طبع » ويجوز أن يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون تكرير ذكر الكفر إيذاناً بتكرير كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلوات الله عليهم أجمعين فكأنه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الأنبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى عليه السلام عاقبناهم ، أو بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا ، وعلى مريم جار ومجرور متعلقان بقولهم ، وبهتاناً مصدر يعمل فيه القول لأنه ضرب منه فهو كقولهم قعد القرفصاء وقال قوم : تقديره قولاً بهتاناً فهو مفعول مطلق على كل حال وقيل هو مصدر في موضع الحال أي مباهتين ولا يبعد جعله مفعولاً به لقولهم فانه متضمن معنى كلام نحو قلت خطبة وشعراً ، وعظيماً صفة (وقولهم إنا قتلنا

المسيح عيسى بن مريم) وقولهم عطف على ما تقدم وان واسمها وجملة قتلنا المسيح خبرها والمسيح مفعول به وعيسى بدل من المسيح وابن بدل أو نعت ومريم مضاف اليه (رسول الله) صفة لعيسى أو بدل منه أو هو منصوب على المدح بفعل محذوف قالوا ذلك تهكماً (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم) الواو حالية وما نافية وقتلوه فعل وفاعل ومفعول به وما صلبوه عطف على وما قتلوه والواو حرف عطف ولكن مخففة للاستدراك فقط وشبه فعل ماض مبني للمجهول وهو مسند الى الجار والمجرور بعده وهو لهم ويجوز أن يسند الى ضمير المقتول لأن قولهم إنا قتلنا يدل عليه كأنه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه ولا يصح جعله مسنداً الى المسيح لأنه مشبه به وليس بمشبه (وإن الذين اختلفوا فيه لفي شكّ منه) الواو استئنافية وان واسمها وجملة اختلفوا صلة الموصول وفيه متعلقان باختلفوا واللام المزحلقة وفي شك متعلقان بمحذوف خبر « إن » ومنه متعلقان بمحذوف صفة شك أي لفي شك حادث من جهة قتله فتكون من لابتداء الغاية ولا يجوز تعليقهما بشك إذ لا يقال شككت منه (ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً) هذه الجملة المنفية مستأنفة ولك أن تجعلها في موضع نصب على الحال ، أو في موضع جر صفة ثانية لشك أي غير معلوم ، وما نافية ولهم متعلقان بمحذوف خبر مقدم وبه متعلقان بـ « علم » أو حال منه لأنه كان صفة وتقدمت ومن حرف جر زائد ، وعلم مجرور لفظاً مرفوع لأنه مبتدأ مؤخر وإلا اتباع الظن استثناء منقطع لأن اتباع الظن ليس من جنس العلم والواو عاطفة وما نافية وقتلوه فعل وفاعل ومفعول به ويقيناً حال مؤكدة من فاعل قتلوه أو نعت لمصدر محذوف أي قتلاً يقيناً (بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً) بل حرف عطف واضراب ورفعه فعل ومفعول به مقدم والله فاعل واليه جار ومجرور متعلقان برفعه والواو استئنافية وكان واسمها وخبراها .

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾

الاعراب :

(وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمننّ به قبل موته) الواو استئنافية وإن نافية ، من أهل الكتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمبتدأ محذوف وخبره هو جملة القسم المجاب بقوله : « إلا ليؤمنن » وإنما كانت جملة القسم خبراً للمبتدأ لأنها محط الفائدة وإلا أداة حصر واللام موطئة للقسم ويؤمنن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة وبه متعلقان بيؤمنن وقبل موته ظرف زمان متعلق بيؤمنن (ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً) الواو عاطفة ويوم القيامة ظرف متعلق بشهيداً وشهيداً خبر يكون واسمها محذوف وعليهم متعلقان بشهيداً •

﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَـٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴾

الاعراب :

(فبظلم من الذين هادوا حرّمنا عليهم طيبات أحلّت لهم)

الفاء استئنافية والكلام مستأنف مسوق لبيان ما حرم عليهم بسبب ظلمهم من الطيبات والجار والمجرور متعلقان بحرمنا والباء سببية وقدمت على عاملها تنبيهاً على مدى قبح سبب التحريم ومن الذين متعلقان بمحذوف صفة لظلم وجملة هادوا صلة الموصول وحرمنا فعل وفاعل وعليهم الجار والمجرور متعلقان بحرمنا وطيبات مفعول به وجملة أحلت لهم صفة لطيبات (وبصدهم عن سبيل الله كثيراً) وبصدهم عطف على قوله فبظلم وعن سبيل الله متعلقان بـ « صد » وكثيراً منصوب على المصدر أي صداً كثيراً أو مفعول به بمعنى جمعاً كثيراً ، ولك أن تعربه ظرفاً أي مراراً ، والصد يستعمل لازماً ومعتدياً ومعناه المنع . أي صدودهم أنفسهم عن سبيل الله مراراً كثيرة بما كانوا يعصون موسى عليه السلام ويعاندونه، أو صدوهم الناس عن سبيل الله بسوء القدوة أو بالأمر بالمنكر والنهي عن المعروف (وأخذهم الربا وقد نهوا عنه) عطف على صدهم والربا مفعول به لـ « أخذ » لأنه مصدر والواو حالية وقد حرف تحقيق ونهوا فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل وعنه متعلقان بنهوا وجملة قد نهوا في محل نصب على الحال . (وأكلهم أموال الناس بالباطل) عطف على ما تقدم ، وأموال الناس مفعول به لأكل وبالباطل الجار والمجرور يجوز أن يتعلقا بأكلهم لأن الباء سببية ، أو بمحذوف حال أي متلبسين بالباطل كالرشوة والخيانة وغير ذلك (وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً) عطف على حرمنا ، وأعتدنا فعل وفاعل وللكافرين متعلقان بأعتدنا ، منهم متعلقان بمحذوف حال أي المصرين على الكفر لا من آمن وتاب منهم وعذاباً مفعول به وأليماً صفة .

البلاغـة :

الابهام في قوله « فبظلم » بالتنوين ليعلم القارىء أو السامع أن

أي نوع من أنواع الظلم يكون سبباً للعقاب في الدنيا قبل الآخرة ، والعقاب قسمان : دنيوي وأخروي والأول قسمان: وضعيّ كالتكاليف الشرعية الشاقة في زمن التشريع والجزاء الوارد فيها على الظلم من حَدٍّ أو تعزير ، وطبيعي وهو ما اقتضته سنة الله تعالى في نظام الاجتماع من كون الظلم سبباً لضعف الامم وفساد عمرانها واستيلاء أمة على أخرى .

﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾

الاعراب :

(لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون) كلام مستأنف مسوق لإزالة الإيهام الناجم من اطلاق القول ببيان سوء حال اليهود وكفرهم وعصيانهم وان ذلك يوهم ان ما ذكر عنهم عام مستغرق لجميع أفرادهم جاء الاستدراك عقبه في بيان حال خيارهم الذين لم يذهب عمى التقليد ببصيرتهم ولكن حرف استدراك مهمل لتخفيف النون ولا بد من وقوعه بين نقيضين كما وقع هنا بين الكفار والمؤمنين والراسخون مبتدأ وفي العلم جار ومجرور متعلقان به لأنه اسم فاعل ومنهم متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستكن في الراسخون، والمؤمنون عطف على الراسخون (يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) جملة يؤمنون خبر

الراسخون أو حال منهم إذا اعتبرنا جملة سنؤتيهم خبراً وبما جار ومجرور متعلقان بيؤمنون وجملة أنزل اليك صلة وما أنزل من قبلك عطف على الصلة داخل في حيزها ومن قبلك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وسيأتي مزيد من القول في اعراب هذه الآية في باب الفوائد (والمقيمين الصلاة) الواو معترضة والمقيمين نصب على المدح باضمار فعل لبيان فضل الصلاة على ما قاله سيبويه وغيره والتقدير أعني أو أمدح المقيمين الصلاة الذين يؤدونها على وجه الكمال فانهم أجدر المؤمنين بالرسوخ في الايمان ، والنصب على المدح أو العناية لا يأتي في الكلام البليغ إلا لنكتة ، والنكتة هنا هي ما ذكرنا آنفاً من مزية الصلاة ، على أن تغيير الاعراب في كلمة بين أمثالها ينبّه الذهن الى وجوب التأمل فيها ، ويهدي التفكير لاستخراج مزيتها وهو من أركان البلاغة وسيأتي مزيد بيان لذلك ، على انه قرىء بالرفع أيضاً على انه عطف على المؤمنون والصلاة مفعول به للمقيمين (والمؤتون الزكاة) عطف على ما تقدم ، والزكاة مفعول به للمؤتون لأنه اسم فاعل (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) والمؤمنون عطف على ما تقدم وبالله جار ومجرور متعلقان بالمؤمنون واليوم عطف على الله والآخر صفة (أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً) جملة أولئك وما بعدها خبر الراسخون أو استئنافية وأولئك مبتدأ وجملة سنؤتيهم خبر وأجراً مفعول به ثان وعظيماً صفة •

الفوائـــد :

١ ــ جزم الرازي بأن قوله الراسخون مبتدأ خبره يؤمنون ، واذا هو يفسر الراسخين بالمستدلين وعلل ذلك بأن المقلد يكون بحيث إذا شككك يشك وأما المستدل فانه لا يشك البتة وأورد في قوله والمؤمنون

وجهين أحدهما انهم المؤمنون منهم والثاني انهم المؤمنون من المهاجرين والانصار والمعنى ان الراسخين في العلم منهم هم ، ومؤمنو المهاجرين والانصار سواء في كونهم يؤمنون بما أنزل الى محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل الى من قبله من الرسل لا يفرقون بينهم .

أبو السعود يرجح الثاني :

على أن أبا السعود ـ وقد ألمعنا في كلام مضى الى ثقوب ذهنه ـ أصر على أن الخبر هو قوله « أولئك سنؤتيهم » قال : « وقوله أولئك إشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما عدد من الصفات الجميلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله سنؤتيهم أجراً عظيماً خبره والجملة خبر للمبتدأ الذي هو الراسخون وما عطف عليه والسين لتأكيد الوعد وتنكير الاجر للتفخيم وهذا الاعراب أنسب بتجاوب طرفي حيث أوعد الاولون بالعذاب الاليم ووعد الآخرون بالاجر العظيم ، واماماجنح اليه الجمهور من جعل قوله يؤمنون بما انزل اليك الخ خبرا للمبتدأ ففيه كمال السداد غير انه غير متعرض لتقابل الطرفين » وانما أثبتنا كلام أبي السعود لما فيه من توثب ذهني مع أن الاول هو الأولى .

٢ ـ تغيير الاعراب ـ كما قلنا ـ آنفاً فيه حفز للذهن الى التفكير، في سبب التغيير ، واستخراج المزية الكامنة فيه ونظيره في النطق أن يغيّر المتكلم جرس صوته ، وكيفية أدائه للكلمة التي يريد تنبيه المخاطب لها كرفع الصوت أو خفضه أو مده بها وقد عدّ مثل هذا بعض الجاهلين والمتجاهلين من الغلط في أصحّ الكلام وأبلغه .

رد الزمخشري البليغ :

ومن المفيد هنا أن نورد ما قاله الزمخشري في هذا الصدد قال : « وهو باب واسع قد كسره سيبويه على أمثلة وشواهد ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحناً في خطّ المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر في الكتاب (أي كتاب سيبويه) ولم يعرف مذاهب العرب ، وما لهم من النصب على الاختصاص من الافتنان وغبي عليه أن السابقين الاولين كانوا أبعد همة في الغيرة على الاسلام وذبّ المطاعن عنه من أن يتركوا في كتاب الله ثلمة ليسدها من بعدهم ، وخرقاً يرفوه من يلحق بهم » .

ما يقوله ابن جرير :

أما ابن جرير فقد ذكر أنها في مصحف ابن مسعود والمقيمون الصلاة قال : والصحيح قراءة الجميع وردّ على من زعم أن ذلك من غلط الكتاب ثم ذكر اختلاف الناس فقال بعضهم هو منصوب على المدح كما جاء في قوله « والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس » قال : وهذا سائغ في كلام العرب كما قال الشاعر :

لا يَبعدن قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الأزر

وقال آخرون : هو مخفوض عطفاً على قوله بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك .

نص عبارة سيبويه :

أما عبارة سيبويه في كتابه فهي: «هذا باب ما ينتصب على التعظيم» ومن ذلك : والمقيمين الصلاة وأنشد :

وكل قوم أطاعوا أمر سيدهم ... إلا نميراً أطاعت أمر غاويها

الطاعنين ولما يطعنوا أحداً ... والقائلون : لمن دارٌ تخلّيها

﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ
وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ
وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾
وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ
عَلَيْكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ
لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا
حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾

اللغـة :

(الوحي) : في اللغة يطلق على الإشارة والإيماء ، ومنه قوله تعالى : « فأوحى إليهم أن سبّحوا بكرة وعشيّاً » ، وعلى الإلهام الذي

يقع في النفس ، وهو أخفى من الإيماء • ومنه قوله تعالى : « وأوحينا الى أم موسى » • ويظهر أن هذا بعناية من الله عز وجل ، ومنه ما يكون غريزياً دائماً ، ومنه قوله تعالى : « وأوحى ربك الى النحل » ، وعلى الإعلام في الخفاء ، وهو أن تعلم إنساناً بأمر تخفيه عن غيره ، ومنه قوله تعالى : « شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم الى بعض » ، وأطلق على الكتابة والرسالة لما يكون فيها من التخصيص ، ووحي الله الى أنبيائه هو ما يلقيه إليهم من العلم الضروري الذي يخفيه عن غيرهم بعد أن يكون أعدهم لتلقّيه بواسطة كالملَك أو بغير واسطة •

رأي محمد عبده :

وعرفه الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد بأنه « عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله ، بواسطة أو بغير واسطة • والأول يتمثل لسمعه بصوت أو بغير صوت • ويفرّق بينه وبين الإلهام بأن الإلهام وجدان تستيقنه النفس،وتنساق الى مايطلب، على غير شعور منها من أين أتى • وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور » • ثم أفاض الاستاذ الامام في بيان وجه إمكانه ووقوعه •

(الأسباط) جمع سبط ، وهو يطلق على ولد الولد • وأسباط بني إسرائيل اثنا عشر سبطاً •

(الزبور) : بمعنى المزبور ، كالركوب بمعنى المركوب •وقرأه حمزة وخلف بضم الزاي ، وهو جمع وزن مفرده ، وقيل : هو مصدر • وهو على كل حال بمعنى كتاب ومكتوب • وفي المختار : والزبر بالكسر، والجمع زبور كقدرٍ وقدور •

الاعراب :

(إنا أوحينا إليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) كلام مستأنف مسوق لتطمين رسول الله صلى الله عليه وسلم بذكر الأنبياء الذين بعثهم الله الى البشر قبله ؛ وإن واسمها ، وجملة أوحينا خبر ، وإليك جار ومجرور متعلقان بأوحينا ، والكاف نعت لمصدر محذوف أي إيحاء مثل إيحائنا ، و « ما » تحتمل أن تكون مصدرية فتكون مع ما بعدها مصدراً مؤولاً في محل جر بالاضافة ، كوحينا وأن تكون اسم موصول بمعنى الذي والعائد محذوف ، أي كالذي أوحيناه الى نوح ، وجملة أوحينا لا محل لها لأنها صلة الموصول . والى نوح جار ومجرور متعلقان بأوحينا ، والنبيين عطف على نوح ، ومن بعده متعلقان بمحذوف حال. وبدأ بذكر نوح لأنه أقدم نبي مرسل ذكر في كتب القوم. وإنما تنهض الحجة دليلاً على الناس إذا كانت مقدماتها معروفة عندهم ، ثم خص بعض النبيين بالذكر فقال : (وأوحينا الى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان) الواو عاطفة ، وأوحينا فعل وفاعل ، والى إبراهيم متعلقان بأوحينا ، وما بعده من أسماء النبيين معطوفة عليه (وآتينا داود زبوراً) آتينا فعل وفاعل ، داود مفعول به أول ، وزبوراً مفعول به ثان (ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل) رسلاً مفعول به لفعل محذوف معطوف على أوحينا تقديره وآتينا ، وجملة قد قصصناهم صفة ، وعليك متعلقان بقصصنا ، ومن قبل متعلقان بمحذوف حال (ورسلاً لم نقصصهم عليك) عطف على ما تقدم (وكلم الله موسى تكليماً) الواو عاطفة وكلّم الله فعل وفاعل ، وموسى مفعول به ، وتكليماً مفعول مطلق مؤكد لرفع احتمال المجاز . قال الفراء : العرب تسمي ما وصل الى الانسان كلاماً

بأي طريق وصل ، ما لم يؤكد بالمصدر ، فإن أكد به لم يكن إلا حقيقة (رسلاً مبشرين ومنذرين) رسلاً بدل من « رسلاً » قبله أو منصوب على المدح ، ومبشرين صفة ، ومنذرين عطف على مبشرين (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) هذه اللام لام « كي » وتتعلق بمنذرين أو بمبشرين ، فالمسألة من باب التنازع ، وسيأتي ذكره في باب الفوائد ، ويجوز أن تتعلق اللام بمحذوف أي : أرسلناهم لذلك ، وأن حرف ناصب ولا نافية ، ويكون فعل مضارع ناقص منصوب بأن وللناس متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وعلى الله متعلقان بمحذوف حال ، وحجة اسم يكون المؤخر ، وبعد الرسل ظرف زمان متعلق بمعنى النفي ، أي : لتنتفي حجتهم واعتذارهم بعد إرسال الرسل. (وكان الله عزيزاً حكيماً) تقدم إعرابه كثيراً .

الفوائـد :

١ ـ جميع أسماء الأنبياء ممنوعة من الصرف ما عدا ستة يجمعها قولك : « صن شمله » وهي : صالح ونوح وشعيب ومحمد ولوط وهود ، وتمنع من الصرف للعلمية والعجمة . والمراد بالعجميّ ما نقل عن لسان غير العرب بأي لغة كانت ، وتعرف عجمة الاسم بوجوه :

١ً ـ نقل الأئمة . ٢ً ـ خروج الاسم عن أوزان الاسماء العربية كإبراهيم . ٣ً ـ أن يكون رباعياً أو خماسياً خالياً من حروف الذّلاقة، وحروف الذّلاقــة ستة : وهي الميم والرّاء والباء الموحّدة والنون والفــاء واللام ويجمعها : (مُرْ بنفل) . ٤ً ـ أن يجتمــع فيه من الحروف مالا يجتمع في كلام العرب ، كالجيم والقاف بفاصل نحو : جرموق وبغــير فاصل نحو : قــج وجقّة ، والصاد والجيم نحــو :

الصولجان ، والكاف والجيم نحو : السكرجة ، والراء بعد النون في أول الكلمة نحو : نرجس ، والزاي بعد الدال في آخر الكلمة نحو : مهندز .

٢ ــ التنازع : في العمل هو أن يتقدم فعلان متصرفان أو اسمان يشبهانهما في العمل ، أو فعل متصرف واسم شبيهه في العمل ، ويتأخر عنهما معمول ، وهو مطلوب لكل منهما من حيث المعنى . مثال الفعلين : « آتوني أفرغ عليه قطراً » ومثال الاسمين قوله :

عُهِدْتَ مغيثاً مغنياً مَنْ أجرته فلم أتخذ إلا فناءك موئلا

ومثال المختلفين : « هاؤم اقرءوا كتابيه » . وإذا تنازع العاملان جاز إعمال أيهما شئت ، فاختار البصريون الأخير لقربه واختار الكوفيون الأول لسبقه . وتفصيل الحديث في التنازع مبسوط في كتب النحو ، والآية من إعمال الثاني لأنه لو كان من إعمال الأول لأضمر في الثاني ، فكان يقال : مبشرين ومنذرين له ، ولم يقل كذلك ، فدل على مذهب البصريين . وله في القرآن نظائر .

٣ ــ أراد بقوله : « ورسلاً لم نقصصهم عليك » المرسلين الى الأمم المجهول علمها وتاريخها عند قومك وعند أهل الكتاب المجاورين لبلادك ، كأمم الشرق وأمم بلاد الشمال وأمم القسم الآخر من الأرض.

٤ ــ علم الكلام : قال ثعلب : لولا التأكيد بالمصدر بقوله : « وكلم الله موسى تكليماً » لجاز أن تقول : قد كلمت لك فلاناً ، يعني كتبت إليه رقعة ، وبعثت إليه رسولاً ، فلما قال : « تكليماً » لم يكن إلا كلاماً مسموعاً من الله تعالى . وبمسألة الكلام : سمي علم أصول الدين بعلم الكلام ، وهي مسألة يبحث عنها في أصولها .

﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ
وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا (١٦٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا (١٦٧) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ
لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا (١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ
وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا (١٦٩) ﴾

الاعراب :

(لكن الله يشهد بما أنزل إليك) هذه الجملة الاستدراكية مستأنفة لبيان جملة محذوفة لا بد منها ، لتكون هذه الجملة مستدركة عنها . والجملة المحذوفة هي ما روي في أسباب النزول : لما سأل أهل الكتاب إنزال الكتاب من السماء وتعنّتوا في ذلك ما شاء لهم التعنت ، قال : لكن الله يشهد ، بمعنى أنهم لا يشهدون ولكن الله يشهد . ولكن مخففة مهملة والله مبتدأ وجملة يشهد خبر ، وبما جار ومجرور متعلقان بيشهد ، وجملة أنزل إليك صلة الموصول (أنزله بعلمه والملائكة يشهدون) الجملة مفسرة لا محل لها ، وأنزله فعل ومفعول به ، والفاعل مستتر تقديره هو ، وبعلمه متعلقان بمحذوف حال ، أي متلبساً بعلمه الخاص ، أو حال كونه معلوماً لله تعالى . والملائكة الواو عاطفة والملائكة مبتدأ خبره جملة يشهدون (وكفى بالله شهيداً) الواو استئنافية ، وكفى فعل ماض ، والباء حرف جر زائد والله فاعل مجرور لفظاً مرفوع

محلاً ، وشهيداً تمييز (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) الجملة مستأنفة ، وإن واسمها، وجملة كفروا صلة الموصول وجملة صدوا عطف عليها وعن سبيل الله متعلقان بصدوا (قد ضلوا ضلالاً بعيداً) الجملة خبر إن ، وضلالاً مفعول مطلق ، وبعيداً صفة (إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً) الجملة مستأنفة لبيان مصيرهم . وإن واسمها ، وجملة كفروا صلة ، وجملة ظلموا عطف على الصلة ، وجملة لم يكن الله خبرها ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ، ويكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلم ، والله اسمها ، وليغفر اللام لام الجحود، ويغفر فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام الجحود . والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر يكن ، أي : مريداً ليغفر لهم ، وقد تقدم تقرير ذلك . ولا الواو حرف عطف ، ولا نافية ، ليهديهم عطف على ليغفر ، وطريقاً مفعول به ثان أو منصوب بنزع الخافض (إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً) إلا أداة استثناء ، وطريق مستثنى متصل ، وجهنم مضاف اليه مجرور وعلامة جره الفتحة ، لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث ، وخالدين حال من مفعول يهديهم ، وأبداً ظرف زمان متعلق بخالدين بمثابة التأكيد ، لئلا يحمل على طول المكث . وسيأتي مزيد بحث عنه (وكان ذلك على الله يسيراً) الواو استئنافية وكان واسمها وعلى الله جار ومجرور متعلقان بيسيراً أو بمحذوف حال ويسيراً خبر كان .

الفوائد :

معنى الخلود في اللغة : بقاء الشيء مدة طويلة ، على حال واحدة ، لا يطرأ عليه تغيير ، ولا فساد . كقولهم للأثافي ، أي : حجارة الموقد : خوالد . وذلك لطول مكثها لا لدوام بقائها . والأبد عبارة عن مدة

الزمان الممتدّ الذي لا يتجزأ كما يتجزأ الزمان . وتأبّد الشيء : بقي أبداً . ويعبّر به عن كل ما يبقى مــدة طويلة . وفي لسان العرب : الأبد : الدهر ، وفيه تساهل وفي المثل : (طال الأبد على لبد) يضرب ذلك لكل ما قدم . وقالوا : أبد بالمكان ــ من باب ضرب ــ أبوداً : أقام به ولم يبرحه . ولم يكن عندهم شيء بمعنى اللانهاية يدور في كلامهم . وفسر الخلد في اللسان بدوام البقاء في دار لا يخرج منها . والمراد بالسكنى الدائمة في العرف ما يقابل السكنى الموقتة المتحوّلة ، كسكنى البادية . فالذين لهم بيوت في المدن يسكنونها يقال في اللغــة : إنهم خالدون فيها . قال في اللسان : وخلد بالمكان يخلد خلوداً ــ من باب نصر ــ وأخلد أقام ، وخلد كضرب ونصر خلْداً وخلوداً أيضاً : أبطأ عنه الشيب . ومن كبر ولم يشب ولم تسقط أسنانه يقال له : المخلِد بكسر اللام ، وقيل : بفتحها . وقال زهير :

لمن الــدّيار غشيتها بالفدفدِ كالوحي في حجر المَسيل المُخْلِدِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ ﴾

الاعراب :

(يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم) كلام مستأنف مسوق لأمر المكلفين بصورة عامة بالايمان بعد أن سدت عليهم منافذ الاعتذار ، والنداء عام للناس جميعاً لا أهل مكة وحدهم ، وإن كان

الغالب أن « يا أيها الناس » خطاب لأهل مكة ، و « يا أيها الذين آمنوا » خطاب لأهل المدينة . وقد حرف تحقيق ، وجاءكم الرسول فعل ومفعول به وفاعل ، وبالحق جار ومجرور متعلقان بجاءكم ، ومن ربكم متعلقان بمحذوف حال (فآمنوا خيراً لكم) الفاء الفصيحة ، وآمنوا فعل أمر وفاعله ، أي : إذا كان الأمر كما عرفتم فآمنوا يكن الايمان خيراً لكم لأنه يزكيكم ويطهّركم من الأدناس الحسية والمعنوية، ويؤهلكم للسعادة الأبدية . وهذا هو التقدير المتبادر الى الذهن ، وعليه الكسائيّ فهو خبر لكان المحذوفة مع اسمها . وأما الخليل وسيبويه فيقدّران : واهتدوا بالايمان خيراً لكم ، أي : مما أنتم عليه . وقال الفراء : فآمنوا إيماناً خيراً لكم ، فانتصابه على أنه صفة لمصدر محذوف . وقال الزمخشري : وانتصابه بمضمر ، وذلك أنه لما بعثهم على الايمان علم أنه يحملهم على أمر ، فقال : خيراً لكم ، أي : اقصدوا أو ائتوا خيراً لكم مما أنتم فيه . ولكم متعلقان بـ « خيراً » (وإن تكفروا فإن لله ما في السموات والأرض) الواو عاطفة وإن شرطية ، وتكفروا فعل مضارع فعل الشرط ، والجواب محذوف تقديره : فلا يضره كفركم ، لأنه غني عنكم . ونبه على غناه بقوله : « فإن لله ما في السموات والأرض » فالفاء للتعليل ، وإن حرف مشبه بالفعل ولله متعلقان بمحذوف خبرها المقدم ، وما اسم موصول اسمها المؤخر ، وفي السموات والأرض متعلقان بمحذوف صلة الموصول (وكان الله عليماً حكيماً) تقدم إعرابها كثيراً .

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ

إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾

اللغة :

(لا تغلوا) لا تتجاوزوا الحد المعقول . وأصل الغلوّ في كل شيء مجاوزة حده . وغلا بالجارية عظمها ولحمها إذا أسرعت في الشباب فجاوزت لداتها ، يغلو بها غلوّاً وغلاء . ومن ذلك قول الحارث بن خالد المخزومي ، وهي أبيات جميلة ، يذكر فيها صاحبته وما مضى من أيامه وأيامها :

إذ ودّها صاف ورؤيتها ... أمنية وكلاهما غنم
لفّاء مملوء مخلخلها ... عجزاء ليس لعظمها حجم
خمصانة قلق موشّحها ... رود الشباب غلا بها عظم
وكأن غالية تباشرها ... تحت الثياب إذا صفا النجم

الاعراب :

(يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) كلام مستأنف مسوق لتحذير أهل الكتاب من المغالاة . ويا حرف نداء وأهل الكتاب منادى مضاف ، ولا ناهية وتغلوا فعل مضارع مجزوم بلا ، وفي دينكم متعلقان بتغلوا

(ولا تقولوا على الله إلا الحق) الواو عاطفة ، ولا ناهية وتقولوا فعل مضارع مجزوم ، وعلى الله متعلقان بتقولوا ، وإلا أداة حصر ، والحق مفعول مطلق على أنه نعت لمصدر محذوف ، أي : إلا القول الحق ، أو مفعول به لأنه تضمن معنى القول ، نحو : قلت قصيدة (إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) كلام مستأنف مسوق للتعريف بالسيد المسيح عليه السلام . وإنما كافة ومكفوفة ، والمسيح مبتدأ وعيسى بدل منه ، وابن مريم بدل أيضاً أو صفة ، ورسول الله خبر المبتدأ ، وكلمته عطف على رسول ، وجملة ألقاها حالية ، ولا بد من تقدير « قد » معها ، والعامل في الحال معنى « كلمته » ، لأن معنى الكلمة أنه مكون بها من غير أب . والى مريم جار ومجرور متعلقان بألقاها وروح عطف على كلمته ، ومنه متعلقان بمحذوف صفة لروح، ومن لابتداء الغاية (فآمنوا بالله ورسله ولاتقولوا ثلاثة) الفاء الفصيحة ، أي : فإذا كان الأمر كذلك فآمنوا بالله إيماناً يليق به تعالى ، بالله جار ومجرور متعلقان بآمنوا ورسله عطف على لفظ الجلالة ، والواو عاطفة ، ولا ناهية ، وتقولوا فعل مضارع مجزوم بها ، وثلاثة خبر لمبتدأ محذوف ، أي : ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة ، وجملة آلهتنا ثلاثة في محل نصب مقول القول (انتهوا خيراً لكم) الجملة مستأنفة ، وانتهوا فعل أمر وفاعل وخيراً تقدم إعرابها قبل قليل ، فجدّد به عهداً ، ولكم متعلقان بـ « خيراً » (إنما الله إله واحد) كلام مستأنف مسوق لتأكيد الوحدانية . وإنما كافة ومكفوفة ، والله مبتدأ وإله خبر ، وواحد صفة (سبحانه أن يكون له ولد) سبحان مفعول مطلق لفعل محذوف ، أي سبحه تسبيحاً ، وأن وما في حيزها مصدر مؤول منصوب بنزع الخافض أي : من أن يكون ، والجار والمجرور متعلقان بسبحان ، وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر يكون المقدم ،

وولد اسمها المؤخر ، والجملة التنزيهية في محل نصب على الحال ، أي : منزهاً (له مافي السموات وما في الأرض) له متعلقان بخبر مقدم محذوف وما اسم موصول مبتدأ وفي السموات متعلقان بمحذوف صلة ، وجملة الصلة لا محل لها من الاعراب ، وما في الأرض عطف على ما في السموات ، والجملة مستأنفة مسوقة لتعليل التنزيه ، أي : إذا كان يملك جميع ما فيهما فكيف يتوهم حاجته الى ولد (وكفى بالله وكيلاً) تقدم إعرابه كثيراً •

الفوائد :

تعقب أحد الأذكياء اعراب قوله تعالى : « ثلاثة » فقال : ومن المشكلات أيضاً قوله تعالى : « ثلاثة » ، ذهبوا في رفع ثلاثة الى أنها خبر لمبتدأ محذوف ، والمعنى : ولا تقولوا : آلهتنا ثلاثة ، وهو أيضاً باطل لانصراف التكذيب الى الخبر فقط • واذا قلنا : ولا تقولوا : آلهتنا ثلاثة ، كنا قد نفينا الثلاثة ولم ننف الآلهة ، جل الله عن ذلك • والوجه أن يقال : الثلاثة صفة المبتدأ الأخير ، ولا تقولوا لنا آلهة ثلاثة ، ثم حذفت الخبر الذي هو « لنا » حذفك « لنا » في قولك « لا إله إلا الله » فبقي ولا تقولوا : آلهة ثلاثة ولا إلهان ، فصح الفرق • ولا يخلو كلامه من ذكاء نادر ، فتدبر ذلك والله يعصمك •

﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾

اللغـة :

(يستنكف) الاستنكاف : الامتناع من الشيء ، أنفة وانقباضاً منه • قيل : أصله من نكف الدمع إذا نحّاه عن خده بأصبعه حتى لا يظهر ، ونكف منه أنف ، وأنكفه عنه برأه • وفي المصباح : نكفت من الشيء نكفاً من باب تعب ، ونكفت أنكف من باب قتل ، لغة • واستنكفت إذا امتنعت أنفة واستكباراً •

الاعراب :

(لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله) كلام مستأنف مسوق لتقرير ما سبق من التنزيه ، والمعنى لن يأنف المسيح ولا يتبرم من أن يكون عبداً لله ، ولا هو بالذي يترفع عن ذلك لأنه من أعلم خلق الله بعظمة الله ، وما يجب له على العقلاء من خلقه من الشكر والعبودية ، التي يتفاضلون بها • ولن حرف نفي ونصب واستقبال ، ويستنكف فعل مضارع منصوب بها ، والمسيح فاعل ، وأن وما في حيّزها مصدر مؤول منصوب بنزع الخافض ، والتقدير : عن أن يكون •• ، والجار والمجرور متعلقان بيستنكف ، وعبداً خبر يكون ، ولله متعلقان

بمحذوف صفة لـ « عبداً » (ولا الملائكــة المقربون) الواو عاطفة ، ولا نافية ، والملائكة عطف على المسيح ، أو مبتدأ محذوف الخبر ، أي ويستنكفون والمقربون صفة للملائكة (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر) الواو استئنافية ، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويستنكف فعل الشرط وعن عبادته متعلقان بيستنكف (فسيحشرهم إليه جميعاً) يجوز في الفاء أن تكون جواباً للشرط ، والتقدير : ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فيعذّبه عند حشره اليه ، ومن لم يستنكف ولم يستكبر فيثيبه . ويجوز أن يكون الجواب محذوفاً ، أي : فيجازيه ، ثم عطف عليه قوله : فسيحشرهم ، والهاء مفعول به ، واليه متعلقان بيحشرهم ، وجميعاً حال من الهاء ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله) الفاء للتفريع ، والجملة بعدها لا محل لها من الاعراب لأنها بمثابة الاستئناف، وأما حرف شرط وتفصيل ، والذين اسم موصول مبتدأ ، وجملة آمنوا صلة ، وجملة عملوا الصالحات عطف عـلى الصلة ، والفاء رابطة ، ويوفيهم فعل مضارع ، وفاعله مستتر تقديره هو ، والهاء مفعوله الأول، وأجورهم مفعوله الثاني ، ويزيدهم عطف على فيوفيهم ، ومن فضله متعلقان بيزيدهم، والجملة خبر الذين (وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذاباً أليماً) الجملة معطوفة على ما قبلها وقد تقدم اعرابها ، وعذاباً مفعول مطلق ، وأليماً صفة (ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً) عطف على ما تقدم ، ولهم جار ومجرور متعلقان بـ « ولياً »، ومن دون الله متعلقان بمحذوف حال ، ووليأ مفعول به ، ولا نصيراً عطف عليه .

الفوائــد :

استدل بهذه الآية القائلون بتفضيل الملائكة على الأنبياء ، وهم أبو بكر الباقلاني والحليمي من أئمة الأشعرية وجمهور المعتزلة ، وقرر الزمخشري وجه الدلالة بما لا يسمن ولا يغني من جوع ، وأطال البيضاوي وابن المنير في الرد عليه . والمنصف يرى أن التفاضل في هــذا الباب من قبيل الرجم بالغيب ، إذ لا يعلــم ذلك إلا بنص من الشارع ، ولا نص . وليس للخلاف في هذا فائدة ولا عائدة في إيمان ولا عمل ، ولكنه من توسيع مسافة التفرّق بالمراء والجدل .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ ﴾

الاعراب :

(يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم) كلام مستأنف لتقرير ما انتهت اليه الأمور من إقامة الحجج الباهرة على المخالفين ، وإهابة الله تعالى بالناس كافة الى اتباع برهانه والاهتداء بالنور الذي جاء به . وقد حرف تحقيق ، وجاءكم برهان فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر ، ومن ربكم متعلقان بمحذوف صفة لبرهان (وأنزلنا اليكم نوراً مبيناً)

الواو عاطفة ، وأنزلنا فعل وفاعل ، واليكم متعلقان بأنزلنا ، ونوراً مفعول به ، ومبيناً صفة (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به) الفاء للتفريع ، والجملة لا محل لها ، وأما حرف شرط وتفصيل ، والذين مبتدأ ، وجملة آمنوا صلة ، وبالله متعلقان بآمنوا ، واعتصموا به عطف على آمنوا (فسيدخلهم في رحمة منه وفضل) الفاء رابطة لجواب «أما» وجملة يدخلهم خبر الذين ، في رحمة متعلقان بيدخلهم ومنه متعلقان بمحذوف صفة لرحمة وفضل معطوف على رحمة (ويهديهم اليه صراطاً مستقيماً) عطف على يدخلهم ، واليه متعلقان بمحذوف حال من«صراطاً» قدم عليه ، وصراطاً مفعول به ثان ليهديهم ، أو مفعول به لفعل محذوف دل عليه « يهديهم » ، ومستقيماً صفة .

البلاغـة :

المجاز المرسل في قوله : « في رحمة منه » ، لأن الرحمة لا يحل فيها الانسان ، لأنها معنى من المعاني ، وإنما يحل في مكانها وهو الجنة . فاستعمال الرحمة في مكانها مجاز أطلق فيه الحالّ وأريد المحل ، فعلاقته الحالية .

﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ۚ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً

فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾

الاعراب :

(يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) كلام مستأنف مسوق لذكر إرث الإخوة والأخوات الأشقاء أو لأب . ويستفتونك فعل مضارع مرفوع وفاعل ومفعول به ، وقل فعل أمر والفاعل أنت ، والله مبتدأ ويفتيكم فعل مضارع ومفعوله ، والفاعل هو والجملة خبر ، وجملة الله يفتيكم في محل نصب مقول القول ، وفي الكلالة متعلقان بيستفتونك على إعمال الأول ، أو بيفتيكم على إعمال الثاني (إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت) كلام مستأنف لتفصيل الحكم . وإن شرطية وامرؤ فاعل لفعل محذوف يفسره ما بعده ، وجملة هلك مفسرة لا محل لها وليس فعل ماض ناقص وله متعلقان بخبر مقدم محذوف ، وولد اسمها المؤخر ، والجملة صفة لامرؤ وله متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وأخت مبتدأ مؤخر ، والجملة حالية لأنها وقعت بعد واو الحال (فلها نصف ما ترك) الفاء رابطة لجواب الشرط ، ولها متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، ونصف مبتدأ مؤخر ، وما اسم موصول مضاف اليه ، وجملة ترك صلة ، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط (وهو يرثها إن لم يكن لها ولد) الواو استئنافية ، هو مبتدأ ، وجملة يرثها خبره ، وإن شرطية ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ، ويكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلم وهو فعل الشرط ، ولها متعلقان بمحذوف خبر يكن المقدم ، ولد اسمها المؤخر ، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله ، أي فهو يرثها . (فإن كانتا اثنتين) الفاء

استئنافية ، وإن شرطية ، وكانتا فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والألف في « كانتا » اسمها ، واثنتين خبرها (فلهما الثلثان مما ترك) الفاء رابطة ، ولهما متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، والثلثان مبتدأ مؤخر ، ومما متعلقان بمحذوف حال ، وجملة ترك صلة ، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفاعل ترك مستتر يعود على الأخ (وإن كانوا إخوة رجالاً ونساءً فللذكر مثل حظ الأنثيين) الواو عاطفة ، وإن شرطية ، وكانوا فعل الشرط والواو اسمها وإخوة خبرها ، ورجالاً بدل من « إخوة » ونساء عطف على « رجالاً » والفاء رابطة لجواب الشرط ، وللذكر جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، ومثل حظ الأنثيين مبتدأ مؤخر والجملة في محل جزم جواب الشرط (يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم) الجملة في محل نصب على الحال ، ولك أن تجعلها مستأنفة بيانية ، ويبين الله فعل مضارع وفاعل ولكم متعلقان بيبين ، وأن تضلوا مصدر مؤول في محل نصب مفعول لأجله على حذف مضاف ، أي : كراهية أن تضلوا، ومفعول يبين محذوف وهو عام ، والله الواو استئنافية ، والله مبتدأ وبكل شيء متعلقان بقوله : « عليم » ، وعليم خبر « الله »

الفوائد :

اختتمت صورة النساء بذكر الاموال وأحكام الميراث ، كما افتتحت بذلك ، لتحصل المشاكلة بين المبدأ والختام . وتتلخص آيات المواريث في السورة بثلاثة :

١ ــ الأولى في بيان إرث الأصول والفروع .

٢ ــ والثانية في بيان إرث الزوجين والإخوة والأخوات من الأم.

٣ ـ والثالثة وهي هـذه الآيـة في إرث الإخوة والأخوات الأشقاء أو لأب .

وأما أولو الأرحام فسيأتي حكمهم في سورة الأنفال . والمستفتي عن الكلالة هو جابر بن عبد الله لما عاده النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه فقال : يا رسول الله ، إني كلالة فكيف أصنع في مالي ؟ فنزلت .

نبذة من أقوال علماء اللغة في الكلالة :

قيل : إن أصل الكلالة في اللغة ما لم يكن من النسب لحاً ، أي : لاصقاً بلا وساطـة ، وقيل : إنه ما عدا الوالد والولد من القرابة . وقيل : ما عـدا الولد فقط . وقيل الإخوة من الأم . وقال في لسان العرب عند ذكره وهو المستعمل : وقيل : الكلالة من العَصَبة من ورث معه الإخوة ، ويطلق هذا اللفظ على الميت الذي يرثه من ذكر ، وقيل : بل على الورثة غير من ذكر ، وقيل : عـلى كل منهما . والمرجح هو القرينة . والجمهور عـلى أن الكلالة من الموروثـين من لا ولد له ولا والد . هذا وفي الكلالة أحكام مبسوطة في المطولات ، ولا مجال لها هنـا .

آخر آية أنزلت :

روى الشيخان والترمـذي والنسائي وغـيرهم عن البراء قال : آخر سورة نزلت كاملة سورة براءة ، أي التوبة ، وآخر آية نزلت خاتمة سورة النساء : « يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة » أي من

آيات الفرائض . وبهذا لا تنافي في ما رواه البخاري عن ابن عباس قال : آخر آية نزلت آية الربا . على أنه لا سبيل الى القطع بآخر آية نزلت من القرآن ، وإنما نقول : إن هذه الآية من آخر ما نزل قطعاً ، ويجوز أن تكون آخرها كلها ، والله أعلم .

* * *

سورة المائدة

مدنية بناء على المشهور من أن المدنيّ ما نزل بعد الهجرة ولو في مكة .
وآياتها مائة وعشرون آية ، أو مائة وثنتان وعشرون آية ، أو مائة وثلاث
وعشرون آية .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ
إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (١) ﴾

اللغة :

(وفى) بالوعد وفاء ، وأوفى به إيفاء : أي أتى به تاماً لا نقص فيه . وقد جمع بينهما الشاعر :

أما ابن طوف فقد أوفى بذمته   كما وفى بقلاص النجم حاديها

ويقال لمن لم يوف الكيل : أخسر الكيل ، ولمن لم يوف العهد : غدر ونقض . ونقض العهد والوعد ، وهما شيء واحد .

(العقود) : جمع عَقْد بالفتح ، وهو مصدر استعمل اسماً فجمع ، وهو العهد الموثق شبه بعقد الخيل ونحوه ، قال الحطيئة :

قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم
شدّوا العِناج وشدّوا فوقها الكَرَبا

وهو في الأصل موضوع للاجسام الصلبة ، كعقد الحبل وعقد البناء ، ثم يستعار ذلك للمعاني ، نحو عقد البيع والعهد وغيرهما ، فالعقد أخصّ من العهد ، والمراد بالعقود ما يتعاقدون عليه •

(البهيمة) كل ذات أربع في البر والبحر ، وقيل : مالا نطق له ، وذلك لما في صوته من الإبهام ، ولكن خص في التعارف بما عدا السباع والطير ، قاله الراغب • وروي عن الزجّاج أن البهيمة من الحيوان ما لا عقل له مطلقاً • وفي القاموس : البهيمة كل ذات أربع قوائم ولو في الماء ، أو كل حيّ لا يميز ، جمعه بهائم •

(الأنعام) : هي الإبل والبقر والغنم والجواميس • وإضافة بهيمة الى الأنعام للبيان • كشجر الأراك • أي : أحل لكم أكل البهيمة من الأنعام • وذهب بعضهم الى أن الاضافة على معنى التشبيه ، أي : أحلت لكم البهيمة المشابهة للانعام ، قيل : في الاجترار وعدم الأنياب ، والأولى أن يقال : إن وجه الشبه المقتضي للحل هو كونها من الطيبات التي هي الأصل في الحلّ • وقال الحريري في درة الغواص : « ومن ذلك أنهم يظنون الأنعام بمعنى النَّعَم ، وقد فرقت العرب بينهما فجعلت النعم اسماً للإبل خاصة ، أو للماشية التي هي فيها ، وجعلت الأنعام اسماً لأنواع المواشي • حتى إن بعضهم أدخل فيها الظباء وحمر

الوحش تعلقاً بقوله تعالى : « أحلت لكم بهيمة الأنعام » • وقال الراغب: النعم يختص بالإبل ، وجمعه أنعام • سميت بذلك لأنها من أعظم النعم عندهم • لكن الأنعام تقال للإبل والبقر والغنم ، ولا يقال لها أنعام حتى يكون في جملتها الإبل » • وقال ابن برّي : هو من التغليب ، إذ غلبوا النعم على غيرها ، ولا فرق بينهما في الحقيقة وكونها شاملة •

الاعراب :

(يا أيها الـذين آمنوا أوفوا بالعقود) كـلام مستأنف مسوق للقيام بموجب العقد • وقد تقدم اعراب النداء • وأوفوا فعل أمر وفاعل ، وبالعقود جار ومجرور متعلقان بأوفوا (أحلت لكم بهيمة الأنعام) الجملة مفسرة لأنها تفصيل بعد الإجمال ، بناء على أن العقود شاملة لجميع الاحكام التي شرعها الله تعالى ، وأمر المكلفين بالإيفاء بها وأحلت فعل ماض مبني للمجهول ، ولكم متعلقان بأحلت ، وبهيمة نائب فاعل ، والانعام مضاف اليه (إلا ما يتلى عليكم غير محلّي الصيد وأنتم حرم) إلا أداة استثناء ، وما مستثنى ، قيل : هو منقطع ، لأن اللفظ ليس من جنس البهيمة ، والتحريم لما طرأ من الموت ونحوه ، وجملة يتلى عليكم صلة الموصول ، وغير حال من ضمير « لكم » ، ومحلي مضاف الى « غير » والصيد مضاف الى « محلي » ، وجملة وأنتم حرم من المبتدأ والخبر حال من « محلي الصيد » كأنه قيل : أحللنا لكم بعض الأنعام في حال امتناعكم من الصيد وأنتم محرمون لئلا يكون عليكم حرج (إن الله يحكم ما يريد) الجملة تعليل للحكم ، وإن واسمها ، وجملة يحكم خبرها ، وما يجوز أن تكون مصدرية أو موصولة ، وهي على كل حال منصوبة بنزع الخافض ، أي : يحكم بإرادته ، أو بالذي يريده ، ولا عبث في أحكامه ولا خلل ولا ظلم •

الفوائــد :

أفاض العلماء والمفسرون في ذكر المقصود من العقود ، وعندنا أنها عامــة شاملة لكل عهود الله التي عهــد بها الى عباده من عبادات ومعاملات ، بها انتظام أمر الدنيا والآخرة معاً ، وجميل قول الراغب : « العقود باعتبار المعقود والعاقد ثلاثة أضرب : عقد بين الله تعالى وبين العبد ، وعقد بين العبد ونفسه ، وعقد بين العبد وغيره من البشر » . وقد توسّع الفقهاء وعلماء التشريع فيها ، ووضعوا المصنفات الطويلة بصددها ، وتناولوا الاحكام الشرعية فيها ، مما يسهل إليه الرجوع في مظانه .

جملة بليغة :

والأساس الذي تنهض عليه العقود في الاسلام هو هذه الجملة البليغة المختصرة المفيدة ، وهي « أوفوا بالعقود » وهي تفيد بقوة ورشاقة أنه يجب على كل مؤمن أن يفي بما عقده وارتبط به ، وليس لأحد أن يقيّد ما أطلقه الشارع إلا بنص منه ، فكل قول أو فعل يعدّه الناس عقداً فهو عقد يجب أن يوفوا به ، كما أمر الله تعالى ، ما لم يتضمن تحريم حلال أو تحليل حرام ، مما ثبت في الشرع ، كالعقد بالإكراه ، أو على إحراق دار أحد أو شجرة بستان ، أو على الفاحشة ، أو على أكل شيء من أموال الناس بالباطل ، كالربا والميسر والرشوة .

العرف والتراضي :

وينتظم في ذلك جميع الأمور الدنيوية كالبيع والإجارة والشركات

وغيرها من المعاملات الدنيوية ، فالاصل فيها عرف الناس وتراضيهم ما لم يخالف حكم الشرع ، وهذا في منتهى الوضوح والإحكام . هذا وقد صنّف شيخ الاسلام ابن تيمية كتاباً سماه « مدارك القياس » في موضوع العقود استوفى فيه هذا الموضوع ، مؤيداً بدلائل الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح ، فليرجع اليه من شاء .

رواية عن الفيلسوف الكنديّ :

ذكروا أن الكندي الفيلسوف قال له أصحابه : أيها الحكيم اعمل لنا مثل هذا القرآن . فقال : نعم أعمل مثل بعضه . فاحتجب أياماً كثيرة ثم خرج فقال : والله ما أقدر ولا يطيق هذا أحد ، إني فتحت المصحف فخرجت سورة المائدة ، فنظرت فاذا هو قد نطق بالوفاء ونهى عن النكث ، وحلّل تحليلاً عاماً ، ثم استثنى استثناء ، ثم أخبر عن قدرته وحكمته في سطرين ، لا يقدر أحد أن يأتي بهذا إلا في أجلاد . أي مجلدات كثيرة .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ

وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾

اللغـة :

(الشعائر) : جمع شعيرة ، وهي العلامـة • ثم جعلت علامة لشعائر الحجّ ومناسكه •

(الهدي) ما يهـدى الى الكعبة ليذبح هنـاك ويتقرب به الى الله ، قال :

يقولون : من هذا الغريب بأرضنا أما والهـدايا إنني لغريـب

(القلائد) : جمع قلادة وهي ما يعلق في العنق • وكانوا يعلقون في أعناق الابل من الهدي نعلاً أو حبلاً أو عروة مزادة أو لحاء شجر وغيره ليعرف ، فلا يتعرض له أحد • فهو على حذف مضاف ، أي : ولأصحاب القلائد •

(آمّين) بتشديد الميم المكسورة ، أي : قاصدين •

(يجرمنكم) : مضارع جرمه الشيء إذا حمله عليه وجعله يجرمه أي يكسبه ويفعله ، وهو يجري مجرى « كسب » في تعديه الى مفعول واحد واثنين •

(الشنآن) : شدة البغض • يقال : شنئت الرجل أشنؤه ، أي : أبغضه • وهذا المصدر سماعي مخالف للقياس من وجهين : تعدي فعله

وكسر عينه ، لأنه لا ينقاس إلا في مفتوحها اللازم • وله مصادر كثيرة ، أنهاها بعضهم الى ثلاثة عشر مصدراً ، وأشهرها : شَنْئاً وشُنْئاً وشِنْئاً وشَنْأة وشَنَآناً وشَنْآناً ومَشْنأ ومَشْنَأة ومَشْنُوءة •

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله) يا أيها الذين آمنوا تقدم اعرابها كثيراً ، ولا ناهية وتحلوا مضارع مجزوم بها والواو فاعل وشعائر الله مفعول به (ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمّين البيت الحرام) ولا الشهر الحرام عطف على شعائر ، والحرام صفة للشهر ، وهو شهر الحج ، وهو ذو القعدة ، وأكد الطبري أنه رجب • وما بعده عطف عليه أيضاً • ولا آمّين أي : ولا تحلوا قوماً آمّين ، فهو صفة لموصوف محذوف ، والمعنى : لا تحلّوا قتالهم ما داموا قاصدين البيت الحرام • وهذا رمز للسلام الذي نادى به القرآن • والبيت مفعول لآمّين لأنه اسم فاعل (يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً) الجملة حال من الضمير في « آمّين » أي : حال كون الآمّين مبتغين فضلاً • وفضلاً مفعول به ، ومن ربهم متعلقان بيبتغون ، أو بمحذوف صفة لـ « فضلاً » ورضواناً معطوف عليه (وإذا حللتم فاصطادوا) الواو عاطفة ، واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ، وجملة حللتم في محل جر بالإضافة ، والفاء رابطة لجواب إذا ، واصطادوا فعل أمر والواو فاعل ، والمعنى : واذا حللتم فلا جناح عليكم أن تصطادوا (ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا) الواو حرف عطف ، و لاناهية ، ويجرمنكم فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بلا ، والكاف مفعوله الأول ،

وشنآن قوم فاعل ، وأن صدوكم مصدر مؤوّل منصوب بنزع الخافض وهو علة للشنآن متعلق به،وعن المسجد جار ومجرور متعلقان بصدوكم، وأن تعتـــدوا مصدر مؤول مفعول به ثان ليجرمنكـم ، والمعنى : ولا يكسبنكم بغض قوم لأنهم صدوكم عن المسجد الحرام الاعتداءَ ولا يحملنكم عليه (وتعاونوا على البر والتقوى) الواو عاطفة ، وتعاونوا فعل أمر والواو فاعل ، وعلى البر متعلقان بتعاونوا ، والتقوى عطف على البر (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) الواو عاطفة ، ولا ناهية ، وتعاونوا فعل مضارع حذفت منه إحدى التاءين مجزوم بلا ، أي : لا تتعاونوا ، وعلى الإثم متعلقان به ، والعدوان عطف عليه (واتقوا الله إن الله شديد العقـاب) عطف أيضاً ، وجملة إن واسمها وخبرها لا محل لها لأنها تعليلية .

الفوائـد :

كانت العرب مجمعة على تعظيم ذي القعدة وذي الحجة ، ومختلفة في رجب ، فشدّد تعالى أمره . وهذا هو وجه التخصيص بذكره . وقيل الشهر مفرد محـلّى بأل الجنسية ، فالمراد عموم الأشهر الحرم ، وهي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب .

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ

فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾

اللغــة :

(أُهلّ لغير الله) : الإهلال رفع الصوت به لغير الله ، وهو قولهم عند ذبحه : « باسم اللاّت والعزّى » ويقال : « أهلّ فلان بالحج » إذا رفع صوته بالتلبية • ومنه : « استهلّ الصبيّ » إذا رفع صوته بالبكاء عند الولادة •

(المنخنقة) قال صاحب القاموس : خنقه خنقاً ككتف فهو خنق ، و انخنقت الشاة بنفسها ، ولا يسري على هذا الفعل حكم المطاوعة ، وإنما المطاوع هو اختنق ، وعلى هذا تشمل المنخنقة التي خنقوها حتى ماتت أو انخنقت بسبب ، ولهذا تفصيل في كتب الفقه •

(الموقوذة) : هي التي أثخنوها ضرباً بعصا أو حجر غير محدّد حتى ماتت • قال في القاموس : الوقْذ : شدة الضرب • وقال في شرحه تاج العروس : الموقوذة هي التي تقتل بعصا أو بحجارة لا حدّ لها حتى انحلّت قواها وماتت • ولا يخفى ما في الوقذ من تعذيب للحيوان•

(المتردية) : هي التي تردّت من مكان مرتفع فماتت •

(النطيحة) هي التي نطحتها أخرى فماتت بالنطح •

وسيأتي بحث ممتع عن هذه الصيغة في باب الفوائد •

(ذكيتم) أي أدركتم ذكاته ، وهو يضطرب وتشخب أوداجه • والذكاة والتذكية في أصل اللغة إتمام فعل خاص ، يقال : ذَكَت النار تذكو ذُكُوّاً وذَكا وذَكاء إذا تم اشتعالها ، وذكت الشمس إذا اشتدت حرارتها ، وذكى وذكي كرمى ورضي تمت فطنته ، قال في اللسان : « والذّكاء شدة وهج النار ، يقال : ذكيت النار إذا أتممت إشعالها ورفعتها ، والذّكا : تمام إيقاد النار ، مقصور يكتب بالألف » والذّكاء في الفهم أن يكون فهماً تاماً سريع القبول •

(النصب) : قال الراغب في مفرداته : نصب الشيء وضعه وضعاً ناتئاً كنصب الرمح والبناء والحجر ، والنّصيب : الحجارة تنصب على الشيء ، وجمعه نصائب ونُصُب بضمتين ، وكان للعرب حجارة تعبدها وتذبح عليها ، قال : « كأنهم إلى نُصُب يُوفِضون » وقد يقال في جمعه أنصاب • وقال في اللسان : « والنَّصْب بالفتح والنُّصْب بالضم والنُّصُب بضمتين الداء والبلاء والشرّ وفي التنزيل : « مسّني الشيطان بنُصْبٍ وعذاب » والنَّصِيبة والنُّصُب بضمتين كلّ ما نصب فجعل علماً ، فالنصب مفرد وجمع ، قال الأعشى :

وذا النُّصُبَ المنصوبَ لا تعبدنَّهُ
لعاقبة واللهَ ربَّكَ فاعبدا

واستعماله اليوم للنصب التذكاري سليم لا غبار عليه •

(الأزلام) جمع زلم بفتحتين وكصرد أي بضم ففتح : قِدْح صغير لا ريش له ولا نصل ، وهي سهام كانوا يستقسمونها في الجاهلية، جمعه أزلام ، كان أحدهم إذا أراد سفراً أو غزواً أو تجارة أو نكاحاً أو أمراً من معاظم الأمور ضرب بالقداح أي أجالها ، وكانت ثلاثة مكتوب على إحداها : أمرني ربي ، وعلى الثاني : نهاني ربي ، والثالث غفل . ليس عليه شيء . فإن خرج الآمر مضى لطيته ، أي : لنيته التي انتواها ، وإن خرج الناهي لم يفعل وأمسك ، وإن خرج الغفل أعاد الاستقسام .

(المخمصة) : المجاعة .

(متجانف) : منحرف مائل ، من الجنف وهو الميل والجور .

الاعراب :

(حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) كلام مستأنف مسوق لبيان ما أجمله في السابق وهو قوله تعالى : « إلا ما يتلى عليكم » . وحرمت فعل ماض مبني للمجهول وعليكم متعلقان بحرمت ، والميتة نائب فاعل ، والدم ولحم الخنزير معطوفان على الميتة (وما أهل لغير الله به) عطف أيضاً ، وما اسم موصول ، وأهل فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل هو ، والجملة صلة الموصول ، ولغير الله متعلقان بأهل ، وبه متعلقان بأهلّ أيضاً (والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع) كلها معطوفة داخلة في حكم المحرمات (إلا ما ذكيتم) إلا أداة استثناء وما اسم موصول مستثنى متصل منصوب ، وجملة ذكيتم صلة الموصول ، وجملة الاستثناء حالية (وما ذبح على النصب)

الجملة معطوفة على المحرمات (وأن تستقسموا بالأزلام) المصدر المؤوّل معطوف أيضاً ، أي وحرم عليكم الاستقسام بالأزلام (ذلكم فسق) مبتدأ وخبر ، والجملة مستأنفة ، واسم الاشارة راجع الى الاستقسام بالأزلام خاصة ، وقيل : الى جميع ما تقدم (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم) اليوم ظرف زمان متعلق بيئس ، وأراد به مطلق الحال ، لا يوماً بعينه ، على حد قول أبي العلاء المعري :

الآن لما ابيضّ مسربتي وعضضت من نابي على جذم
حلبت هذا الدهر أشطره وأتيت ما آتي على علم

فقوله : « الآن » أراد به الزمان الحاضر ، والمسربة : شعر الصدر، وهو آخر ما يشيب من الانسان ، فبياض المسربة كناية عن بلوغه غاية الشوط في الشيب ، وخاتمة المطاف في العمر . ومعنى البيتين : صارت عادتي أني أفعل ما أفعله على علم عندي من طول تجربتي لحوادث الدهر، والجملة مستأنفة ، والذين اسم موصول فاعل وجملة كفروا صلة ، ومن دينكم متعلقان بيئس ، أي : من إبطال أمر دينكم (فلا تخشوهم واخشون) الفاء الفصيحة ، ولا ناهية ، وتخشوهم فعل مضارع مجزوم بلا ، واخشوني فعل أمر وفاعل ومفعول به ، والجملة لا محل لها (اليوم اكملت لكم دينكم) اليوم ظرف زمان متعلق بأكملت ، ولكم متعلقان بها أيضاً ، ودينكم مفعول به لأكملت ، والجملة مستأنفة (وأتممت عليكم نعمتي) عطف على ما تقدم ، وعليكم متعلقان بأتممت ونعمتي مفعول به لأتممت (ورضيت لكم الاسلام ديناً) الواو استئنافية ، ورضيت فعل وفاعل ، لكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لـ « ديناً » ، وديناً مفعول به أو تمييز ، لأن معنى رضيت جعلت . وإذا كانت بمعنى الرضا كانت « ديناً » حالاً من

الاسلام ولكم متعلقان برضيت (فمن اضطر في مخمصة) الفاء استئنافية ، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ، واضطر فعل ماض مبني للمجهول في محل جزم فعل الشرط ونائب الفاعل هو يعود على من ، وفي مخمصة متعلقان باضطر (غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم) غير متجانف نصب على الحال ولإثم جار ومجرور متعلقان بمتجانف ، والفاء رابطة لجواب الشرط ، وإن واسمها وخبراها ، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من ».

الفوائد :

صيغة « فعيل » اذا كانت بمعنى مفعول يستوي فيها المذكر والمؤنث ، فلا تلحقها علامة التأنيث ، إذ تقول العرب : عين كحيل لا كحيلة ، وكف خضيب لا خضيبة ، فكيف لحقت التاء « نطيحة » وهي بمعنى منطوحة ؟ وقد قيل في الجواب : إن التاء هنا للنقل من الوصفية الى الاسمية ، أو إن فعيلاً هنا بمعنى فاعل ، كأنه قال : والناطحة التي تموت بالنطاح ، أي تنطح غيرها ، وغيرها ينطحها ، فتموت . وقال الكوفيون : إنما يمتنع إلحاق التاء بفعيل بمعنى مفعول اذا كان وصفاً لموصوف مذكور ، كعين كحيل ، فأما اذا لم يسبق للموصوف ذكر فلا يمتنع إلحاق التاء . وهذا تعليل جميل، فإن «ذبيحة» و«نطيحة»ونحوهما اذا لم يسبقهما موصوف لم يعلم: أهي مذكر أم مؤنث؟ مثل : رأيت جريحة ، أما اذا علم فلا ، نحو : رأيت امرأة جريحاً ، أو رأيت جريحاً ملقاة في الطريق .

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتُ وَمَا

عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾

اللغة :

(الجوارح) : الكواسب من سباع البهائم والطير ، كالكلب والعقاب .

(مكلبين) : المكلّب اسم مفعول من كلّب ، أي : المضرى بالصيد من هذه الجوارح ، والمروّض منها على الافتراس ، لأن الترويض أكثر ما يكون للكلب ، فاشتقّ من لفظه لشيوع الغلبة عليه .

الاعراب :

(يسألونك ماذا أحل لهم) جملة مستأنفة مسوقة للاجابة عن سؤالهم : ماذا أحل لهم ؟ ويسألونك فعل مضارع وفاعل ومفعول به ، وماذا : تقدم أن لنا في اعرابها وجهين : إما أن نجعل ماذا كلها اسم استفهام مبتدأ ، وجملة أحل لهم خبره ، وإما أن نجعل ما اسم استفهام مبتدأ وذا اسم موصول خبر ، وجملة أحل لهم صلة الموصول . والجملة الاستفهامية في موضع المفعول الثاني ليسألونك ، وقد نصوا على أن فعل السؤال يعلّق عن العمل وإن لم يكن من أفعال القلوب ، لأنه سبب العلم ، فكما يعلق العلم فكذلك يعلق سببه (قل : أحل لكم

الطيبات) جملة قل استئنافية ، وجملة أحل لكم الطيبات في محل نصب مقول القول ، ولكم متعلقان بأحل والطيبات نائب فاعل (وما علمتم من الجوارح مكلّبين) الواو عاطفة ، وما اسم موصول معطوف على الطيبات ، وجملة علمتم صلة الموصول ، ومن الجوارح متعلقان بمحذوف حال ، وفي صاحبها وجهان : أحدهما اسم الموصول وهو « ما » ، والثاني أنه العائد المحذوف على اسم الموصول ، أي : علمتموه. ومكلبين حال من علمتم ، أفادت أن التعليم يحتاج الى الخبرة التامة والمقدرة المتناهية ، وأن على المتعلم أن يأخذ العلم عن أربابه الأكفياء . وأجاز بعضهم أن تكون الواو استئنافية وما شرطية في محل رفع على الابتداء ، وجواب الشرط هو فكلوا ، وهو اعراب سائغ (تعلمونهن مما علمكم الله) جملة تعلمونهن حال ثانية أو استئنافية ، ومما متعلقان بتعلمونهن ، وجملة علمكم الله صلة الموصول . ومفعولا علمتم وتعلمونهن الثانيين محذوفان ، والتقدير : وما علمتموه طلب الصيد لكم لا لأنفسهن ، تعلمونهن ذلك (فكلوا مما أمسكن عليكم) الفاء الفصيحة أو رابطة لجواب الشرط على الاعراب الثاني ، ومما متعلقان بكلوا ، وجملة أمسكن صلة « ما » وعليكم متعلقان بأمسكن (واذكروا اسم الله عليه) الواو عاطفة ، والجملة عطف على جملة فكلوا ، وجملة فكلوا لا محل لها ، أو في محل جزم جواب الشرط (واتقوا الله إن الله سريع الحساب) عطف على ما تقدم ، وإن واسمها وخبرها .

﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ

وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾

اللغــة :

(حل) : مصدر بمعنى حلال ، فلا يثنى ولا يجمع .

(محصنين) : أعفاء ، أحصنوا أنفسهم بالزواج ، ولم يتطلعوا الى الزنا فعلاً ولا قصداً .

(أخدان) : جمع خِدْن بكسر الخاء ، وهو يقع على المذكر والمؤنث .

الاعراب :

(اليوم أحل لكم الطيبات) كلام مستأنف مسوق لتكرير ذكر الطيبات التي أحلت لكم يوم السؤال عنها ، أو اليوم الذي أكملت لكم دينكم . وقيل : ليس يوماً معيناً . واليوم ظرف زمان متعلق بأحل، وأحل فعل ماض مبني للمجهول ، ولكم متعلقان بأحل ، والطيبات نائب فاعل (وطعام الذين أوتوا الكتاب حلٌّ لكم وطعامكم حلٌّ لهم) الواو استئنافية ، وطعام مبتدأ ، والذين مضاف اليه ، وأوتوا فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعل ، والكتاب مفعول به ثان ، والجملة صلة

الموصول ، وحل خبر طعام ، ولكم متعلقان بحل ، وطعامكم حل لهم عطف على ما تقدم (والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) الواو استئنافية أو عاطفة ، والمحصنات مبتدأ خبره محـذوف دل عليه ما قبله ، أي : حـلٌ لكم ، ومن المؤمنات متعلقان بمحذوف حال من المحصنات ، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم عطف على ما تقدم ، ومن قبلكم متعلقان بمحذوف حال (إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غـير مسافحين ولا متخذي أخدان) الظرف إذا متعلق « بحل » المحذوفة ، آتيتموهن فعل ماض وفاعل ومفعول به أول ، والجملة في محل جر بالإضافة ، وأجورهن مفعول به ثان ، ومحصنين حال وغير مسافحين حال ثانية ، ولا متخذي أخدان عطف على مسافحين (ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله) الواو استئنافية ، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ، ويكفر فعل الشرط ، وبالايمان متعلقان بيكفر ، والفاء رابطة لجواب الشرط ، وقد حرف تحقيق ، وحبط عمله فعل وفاعل ، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » (وهو في الآخرة من الخاسرين) الواو حرف عطف وهو مبتـدأ وفي الآخرة متعلقان بمحذوف حال ومن الخاسرين متعلقان بمحذوف خبر « هو » .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ

صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾

اللغـة :

(المرافق) : جمع مرفق بكسر الميم وفتح الفاء ، وبفتح الميم وكسر الفاء ، وهو الموصل بين الساعد والعضد . وجمعه وثنّى الكعبين لأن للانسان مرفقاً واحداً في كل يد ، فناسب أن يذكر بالنسبة للجميع بالجمع ، بعكس الكعبين فان الكعبين هما العظمان الناشزان من جانبي القدم ، فناسب أن يذكر الاثنان من كل رجل . وسبب آخر وهو أن جمع المرفق لفظ مأنوس في الكلام ، أما جمع الكعب فهو لفظ لا يحلو ذكره في الكلام ، إذ يجمع على كعاب وكعوب وأكعب ، وهذا أمر مردّه الى الذوق وحده .

(الغائط) : المطمئن من الأرض والمنخفض منها ، ويقصد به هنا قضاء الحاجة كما سيأتي في باب البلاغة .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدم اعرابها (إذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم) كلام مستأنف مسوق لبيان أحكام الوضوء لأداء فريضة الصلاة ، وهي أعظم الطاعات بعد الايمان . وإذا ظرف مستقبل

متضمن معنى الشرط متعلق بقوله فاغسلوا، وجملة قمتم في محل جر بالإضافة، والى الصلاة متعلقان بقمتم، والفاء رابطة، وجملة اغسلوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، ووجوهكم مفعول به (وأيديكم الى المرافق) وأيديكم عطف على وجوهكم ، والى حرف جر يدل على معنى الغاية والانتهاء مطلقاً ، ودخولها في الحكم وخروجها منه أمر يدور مع الدليل . فمما فيه دليل على الخروج قوله تعالى : « فنظرة الى ميسرة » لأن الإعسار علة الإنظار ، وبوجود الميسرة تزول العلة ، ولو دخلت الميسرة فيه لكان منتظراً في كلتا الحالين معسراً وموسراً . وكذلك « ثم أتموا الصيام الى الليل » ولو دخل الليل لوجب الوصال . ومما فيه دليل على الدخول قولك : حفظت القرآن من أوله الى آخره ، لأن الكلام مسوق لحفظ القرآن كله . ومنه في القرآن : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى » ومعلوم أنه لا يسري به الى بيت المقدس من غير أن يدخله . وقوله تعالى : « إلى المرافق » و « إلى الكعبين » لا دليل فيه على أحد الأمرين ، فأخذ العلماء بالأحوط ، فحكموا بدخولها في الغسل . والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (وامسحوا برءوسكم) عطف على ما تقدم . وقد كثر الاختلاف حول هذه الباء ، فقال بعضهم هي زائدة ، وقال بعضهم : هي للتبعيض ، كقول عمر بن أبي ربيعة :

فلثمت فاها آخذاً بقرونها شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

وقال بدر الدين بن مالك : وفيه تأييد لمذهب الشافعي في مسح بعض الرأس . وأنكر ذلك محب الدين أبو البقاء العكبري ، وقال الشيخ شهاب الدين القرافي : اذا قلت : مسحت بالمنديل ، وكتبت

بالقلم ، وطفت بالبيت ، فمن المعلوم أنك ما مسحت بكل المنديل ، ولا كتبت بكل القلم ، ولا طفت بكل البيت ، علواً وسفلاً ، وظهراً وبطناً ، وإنما مسحت ببعض ذا وكتبت ببعض ذا وطفت بظاهر ذا ، واختار ابن هشام والزمخشري أن تكون الباء للإلصاق ، وما مسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه . وقد أخذ مالك وأحمد بالاحتياط فأوجبا الاستيعاب ، وأخذ الشافعي باليقين فأوجب أقل ما يقع عليه اسم المسح ، وأخذ أبو حنيفة ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ما روي أنه مسح على ناصيته ، وقدّر الناصية بربع الرأس . وإنما أطلنا في هذا البحث لطرافته ، ورياضته للذهن . والجار والمجرور متعلقان بامسحوا ، وسيأتي مزيد بحث عنه . (وأرجلكم الى الكعبين) قرأ نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب : وأرجلكم ، بالفتح ، أي : واغسلوا أرجلكم الى الكعبين ، وهما العظمان الناتئان عند مفصل الساق من الجانبين . وقرأها الباقون : ابن كثير وحمزة وأبو عمرو بالجر ، والظاهر أنه عطف على الرأس ، أي : وامسحوا بأرجلكم الى الكعبين . ومن هنا اختلف المسلمون في غسل الرجلين ومسحهما ، فجماهير أهل السنة على أن الواجب هو الغسل وحده ، والشيعة والإمامية أنه المسح . وقال داود بن علي والناصر للحق من الزيدية : يجب الجمع بينهما . وقد رأى ابن جرير الجمع بين القولين للاحتياط . وقد عللوا تأخيره في قراءة النصب بأن صب الماء مظنة للإسراف المذموم المنهي عنه ، فعطفت على الثالث الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها . وقد أطالوا في التخريج والتأويل إطالة لا يتسع لها صدر هذا الكتاب ، وهي ناشئة عن الولع بالتحقيق والوصول الى ما هو أجدى وأسلم ، ولهذا جنح ابن جرير الى الجمع ، وفيه من حسن النية ، وسلامة الطوية

الشيء الكثير • (وإن كنتم جنباً فاطّهّروا) الواو عاطفة ، وإن شرطية، وكنتم كان واسمها ، وهي فعل الشرط ، وجنباً خبر كنتم ، وجملة اطهروا جواب الشرط (وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء) الواو عاطفة وإن شرطية وكنتم فعل الشرط والتاء اسمها ومرضى خبرها ، أو حرف عطف ، وعلى سفر متعلقان بمحذوف خبر ثان لكنتم ، وجاء عطف على كنتم ، وأحد فاعل جاء منكم متعلقان بمحذوف صفة لأحد ، ومن الغائط متعلقان بجاء ، وأو حرف عطف ، ولامستم النساء عطف على ما تقدم (فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً) الفاء حرف عطف ولم تجدوا عطف أيضاً ، وماء مفعول به ، والفاء رابطة لجواب الشرط وجملة فتيمموا صعيداً في محل جزم جواب الشرط ، وطيباً صفة (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) عطف على ما تقدم ، ومنه متعلقان بامسحوا (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان الحكمة من شرائع الدين • وما نافية ، يريد الله فعل وفاعل ، واللام للتعليل ، ويجعل فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ، وأن المضمرة والفعل المضارع مصدر مؤول مفعول يريد والجعل إما بمعنى الايجاد والخلق فيتعدى لمفعول به واحد ، وعليكم متعلقان به ، ومن حرف جر زائد ، وحرج مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول بجعل ، وإما من الجعل ، أي : التصيير ، فيكون عليكم هو المفعول الثاني (ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) الواو عاطفة ولكن حرف استدراك وهي هنا مهملة لأنها مخففة ويريد فعل مضارع ، وفاعله هو واللام للتعليل ، ويطهركم منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ، والجار والمجرور متعلقان بيريد • وليتم نعمته عليكم عطف عليه ، ولعل واسمها ، وجملة تشكرون في محل رفع خبرها ، وجملة الرجاء حالية •

البلاغــة :

الكناية في قوله تعالى : « أو جاء أحد منكم من الغائط » فالمجيء من الغائط ــ وهو المطمئن أو المنخفض من الأرض ــ كناية عن الحدث، جرياً على عادة العرب ، وهي أن الانسان منهم إذا أراد قضاء حاجة قصد مكاناً منخفضاً من الأرض وقضى حاجته فيه .

الفوائــد :

اشتملت آية الوضوء على فوائد هامة لا يجوز إغفالها ، ونشير اليها فيما يلي :

١ ــ استغنى ببناء القلة في قوله : « وأرجلكم » عن بناء الكثرة لأنها لم يستعمل لها بناء كثرة ، وقد يستغني ببعض أبنية القلة عن بناء الكثرة وضعاً واستعمالاً اتكالاً على القرينة . وقد وضع الشاطبي قاعدة جميلة نلخصها فيما يلي : « وحقيقة الوضع أن تكون العرب لم تضع أحد البناءين استغناء عنه بالآخر ، والاستعمال أن تكون وضعتهما معاً ، ولكنها استغنت في بعض المواضع عن أحدهما بالآخر ، فالأول : كأرجل جمع رجل ، وأعناق جمع عنق ، وأفئدة جمع فؤاد ، قال تعالى : « وأرجلكم الى الكعبين » ، « فاضربوا فوق الأعناق » ، « وأفئدتهم هواء » ، فاستغنى فيها ببناء القلة عن بناء الكثرة ، لأنها لم يوضع لها بناء كثرة . والثاني : كأقلام .

٢ ــ لا شك في أن من أمر غيره بأن يمسح رأسه كان ممتثلاً بعمل ما يصدق عليه مسح ، وليس في اللغة ما يقتضي أنه لا بد في مثل

هذا الفعل من مسح جميع الرأس ، وهكذا سائر الأفعال المتعدية ، نحو : اضرب زيداً أو اطعنه ، أو ارجمه . فإنه يوجد المعنى بوقوع الضرب أو الطعن أو الرجم على عضو من أعضائه ، ولا يقول قائل من أهل اللغة أو من هو عالم بها : إنه لا يكون ضارباً إلا بإيقاع الضرب على كل جزء من أجزاء زيد ، وكذلك الطعن والرجم وسائر الافعال .

٣ ــ قال تعالى : « إذا قمتم الى الصلاة » ، وفي الجنابة « وإن كنتم مرضى » لأن « إذا » تدخل على كائن أو منتظر لا محالة ، «وإنْ» تدخل على أمر ربما كان وربما لا يكون . والقيام الى الصلاة ملازم والجنابة ليست بملازمة ، فإنها قد توجد وقد لا توجد . ولهذا درج المفسرون على تفسير « إذا قمتم » أي : إذا أردتم القيام ، من إقامة المسبب مقام السبب ، والقيام متسبب عن الإرادة ، والارادة سببه .

٤ ــ من طريف الأبحاث اختــلاف العلماء في دخول المرفق في الغسل ، فقال قوم : إن المرفق داخل في مسمى اليد ، لأن اليد من رأس الأنامل الى الإبط . وهذا ينتقض بقولك : نمت البارحة الى نصفها ، ولا يجوز أن يقال : إنه نام البارحــة كلها . وقال الجمهور بغسل المرفقين مع اليدين ، وقال مالك وزفر لا يجب غسل المرفقين . وهذا الخلاف أيضاً في الكعبين ، حجة زفر أن « إلى » لانتهاء الغاية ، والمنتهى غير النهاية ، فلا يتعين غسل النهاية . والجواب من وجهين :

آ ــ الأول مذهب الزجاج : قال : سلمنا أن المرفق لا يجب غسله ، لكن المرفق اسم لما جاوز طرف العظم ، فإنه هو المكان الذي يرتفق به ، أي يتكأ عليه . ولا نزاع في أن ما وراء أطراف العظم لا يجب غسله .

ب ــ الثاني : أن حد الشيء قد يكون منفصلاً عن المحدود ،

كقوله تعالى : « ثم أتموا الصيام الى الليل » فإن النهار منفصل عن الليل في الحس ، وقد لا يكون منفصلاً ، كقولك : بعتك هذا الثوب من هنا الى هنا . فهذا الحد غير منفصل ، ولا شك في أن امتياز المرفق عن الساعد ليس منفصلاً معيناً ، واذا كان كذلك فليس إيجاب الغسل الى حيز أولى من ايجابه الى حيز آخر ، فوجب القول بغسل كل المرفق . وقال بعضهم : النهاية غير المتناهي ، وغسل المرافق لم يفهم من الآية الكريمة ، وإنما فهم من فعله صلى الله عليه وسلم . فعلى هذا لو قلت : بعتك من هذه الشجرة الى هذه الشجرة ، لم تدخل الغاية ها هنا . واذا قلت : بعتك من هذا الحائط الى هذا الحائط ، دخل الحائطان في المبيع . والفرق بينهما أن الغاية في الأولى من جنس ما دخلت فيه فهي خارجة عنه ، وكذلك المرفق من جنس اليد فهو خارج عن الغسل . وفي الثانية أن الغاية خارجة ، لأن الحائط ليس من جنس البستان ، فلهذا دخل الحائطان في المبيع . ألا ترى أن قوله تعالى : « ثم أتموا الصيام الى الليل » لما كان الليل من غير جنس النهار اعتبر دخول أول الليل ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « إذا أدبر النهار من ها هنا ، وأقبل الليل من ها هنا ، فقد أفطر الصائم » فاعتبر دخول الليل لأنه خارج عن النهار .

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ

قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

الاعراب :

(واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به) الواو الواو استئنافية ، والكلام مستأنف مسوق لتذكير المؤمنين بنعمه عليهم وميثاقه الذي واثقهم به . واذكروا نعمة الله فعل أمر وفاعل ومفعول به ، وعليكم جار ومجرور متعلقان بنعمة وميثاقه عطف على نعمة الله ، والذي صفة لميثاق وجملة واثقكم به صلة الموصول (إذ قلتم سمعنا وأطعنا) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بواثقكم ، وجملة قلتم في محل جر بالاضافة ، وجملة سمعنا مقول القول ، وجملة وأطعنا عطف عليها (واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور) كلام مستأنف ، واتقوا الله فعل أمر وفاعل ومفعول به ، وجملة إن وما في حيزها تعليلية ، وذات الصدور الأمور المكنونة في الصدور (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط) كلام مستأنف مسوق للشروع في بيان الأمور المتعلقة بما يجري بينهم وبين غيرهم . وكونوا فعل أمر ناقص ، والواو اسمها ، وقوامين خبرها ، ولله متعلقان بقوامين ، وشهداء خبر ثان لكونوا ، وبالقسط متعلقان بشهداء (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا) الواو عاطفة ، ولا ناهية ، ويجرمنكم فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بلا ، والكاف مفعول به ، وشنآن قوم فاعل ، وعلى حرف جر ، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مجرور بعلى ، والجار والمجرور متعلقان بيجرمنكم ، لأنه تضمن معنى لايحملنكم (اعدلوا هو أقرب للتقوى) جملة اعدلوا مفسرة ، وهو ضمير منفصل

مبتدأ يعود على المصدر المفهوم من قوله : « اعدلوا » وأقرب خبر ، والجملة مستأنفة ، وللتقوى متعلقان بأقرب (واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) تقدم إعراب مثيلها قريباً .

البلاغـة :

التكرير في طلب المعدلة ، والسر فيه التأكيد على العدل والتشويق اليه . وخلاصة المعنى : لا يحملنكم بغضكم للمشركين على ترك المعدلة فتعتدوا عليهم . وهـذا منتهى ما تصل اليه المثـل العليا ، والقيم الانسانية السامية .

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾

الاعراب :

(وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) كلام مستأنف مسوق لبيان وعـده سبحانه ، فإن النفس الانسانية مفطورة عـلى التوجه

بالسؤال عن بيان هذا الوعد . ووعد الله فعل وفاعل ، والذين مفعول به . وجملة آمنوا صلة الموصول ، وعملوا الصالحات عطف على الصلة (لهم مغفرة وأجر عظيم) لهم الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، ومغفرة مبتدأ مؤخر ، والجملة يجوز أن تكون مفسرة للمفعول به الثاني المحذوف للفعل « وعد » ، وتقديره « الجنة » ، ويجوز أن تكون استئنافاً بيانياً ، كأنه قال : قوم لهم وعد ، فقيل : أي شيء وعده ؟ فقال : لهم مغفرة وأجر عظيم . وعلى هذا لا محل لها أيضاً . ولك أن تجعلها مقولاً لقول محذوف تتضمن زيادة التقرير الموعود به والتأكيد لوقوعه . وقيل : هي جملة في محل نصب على أنها المفعول الثاني لقوله « وعد » على معنى : وعدهم أن لهم مغفرة ، أو وعدهم مغفرة . فوقعت الجملة موقع المفرد ، فأغنت عنه (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) الواو استئنافية ، والذين مبتدأ ، وجملة كفروا صلة ، وجملة كذبوا بآياتنا عطف على الصلة ، وأولئك مبتدأ ثان ، وأصحاب الجحيم خبر أولئك ، والجملة الاسمية خبر الذين (يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعرابها كثيراً (اذكروا نعمة الله عليكم) تقدم اعرابها قريباً والجملة مستأنفة (إذ همّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم) إذ ظرف للنعمة متعلق بها ، ويجوز أن يتعلق باذكروا ، وجملة همّ قوم في محل جر بالاضافة ، وأن يبسطوا مصدر مؤول منصوب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بـ « همّ » ، واليكم متعلقان بيبسطوا ، وأيديهم مفعول به (فكف أيديهم عنكم) عطف على ما تقدم (واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) الواو استئنافية واتقوا الله فعل وفاعل ومفعول ، وعلى الله متعلقان بتوكل ، والفاء استئنافية واللام لام الأمر ، ويتوكل فعل مضارع مجزوم بلام الأمر ، والمؤمنون فاعل .

البلاغــة :

بسط اليد : عبارة مجازية مرسلة بعلاقة السببية ، لأن اليد سبب الإيذاء ، كما أن بسط اللسان عبارة مجازية ، علاقتها السببية •

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ ﴾

اللغــة :

(نقيباً) : النقيب في القوم من ينقب عن أحوالهم ، ويبحث عن شئونهم ، وهو « فعيل » بمعنى فاعل مشتق من التنقيب، وهو التفتيش. ومنه قوله تعالى : « فنقّبوا في البلاد » ، وسمي بذلك لأنه يفتش عن أحوال القوم وأسرارهم وقيل : هو بمعنى « مفعول » كأن القوم اختاروه على علم منهم • وقيل : هو للمبالغة كعليم وخبير •

(عزرتموهم) نصرتموهم • وفي المختار : التعزير : التوقير والتعظيم •

الاعراب :

(ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل) كلام مستأنف مسوق لذكر بعض ما صدر عن بني إسرائيل ، وفيه تحريض للمؤمنين على ذكر نعمة الله ، ومراعاة حق الميثاق ، وتحذير من نقضه . واللام جواب قسم محذوف ، وقد حرف تحقيق ، وأخذ الله فعل وفاعل ، وميثاق مفعول به ، وبني إسرائيل مضاف اليه (وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً) وبعثنا عطف على أخذ ، ومنهم متعلقان بـ « نقيباً » أو حال من « اثني عشر » ، واثني عشر مفعول به لبعثنا ، ونقيباً تمييز (وقال الله إني معكم) الواو عاطفة، على طريق الالتفات، وقال الله فعل وفاعل، وإني إن واسمها، ومعكم ظرف متعلق بمحذوف خبرها ، وإن ومافي حيزها مقول القول (لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة) اللام موطئة للقسم المحذوف ، وإن شرطية ، وأقمتم فعل وفاعل ، وهو في محل جزم فعل الشرط ، والصلاة مفعول به،وآتيتم الزكاة عطف على أقمتم الصلاة والجملة القسمية مستأنفة(وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً)عطف على ماتقدم،وبرسلي متعلقان بآمنتم،وعزرتموهم عطف أيضاً، وهو فعل وفاعل والواو لإشباع الضمة ، والهاء مفعول به ، وأقرضتم الله فعل وفاعل ومفعول به ، وقرضاً مفعول مطلق ، وحسناً صفة (لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار) اللام واقعة في جواب القسم ، والجملة لا محل لها لأنها جواب للقسم ، وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم المتقدم عليه ، وعنكم متعلقان بأكفرن ، وسيئاتكم مفعول به ، ولأدخلنكم عطف على « لأكفرن » ، وجنات مفعول به ثان على السعة أو منصوب بنزع الخافض ، وجملة تجري من تحتها الأنهار صفة لجنات (فمن كفر بعد ذلك منكم فقد

ضل سواء السبيل) الفاء استئنافية . ومن شرطية مبتدأ ، وكفر فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، وبعد ذلك ظرف متعلق بكفر ، ومنكم متعلقان بمحذوف حال ، فقد الفاء رابطة لجواب الشرط ، والجملة في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » ، وسواء السبيل مفعول ضل •

البلاغـة :

في قوله تعالى : « وأقرضتم الله قرضاً حسناً » استعارة تصريحية • فقد شبه الإنفاق في سبيل الله لوجهه بالقرض ، على سبيل المجاز ؛ لأنه باعطاء المستحق ماله لوجه الله ، فكأنه أقرضه إياه •

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

اللغـة :

(لعناهم) : طردناهم وأبعدناهم عن رحمتنا •

(خائنة) : الخائنة هنا : الخيانة • والعرب تعبر بصيغة اسم الفاعل عن المصدر أحياناً وبالعكس ، فاستعملت القائلة بمعنى القيلولة ،

والخاطئة بمعنى الخطيئة . أو هي وصف لمحذوف ، إما مذكر والهاء للبالغة ، كما قالوا : راوية للشعر ، لكثير الرواية ، قال :

حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر خائنةً مُغِلَّ الإصبع

وداعية لمن جرد نفسه للدعوة الى الشيء . وإما مؤنث بتقدير : أو فرقة .

الاعراب :

(فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم) كلام مستأنف مسوق لبيان أن ما أصابهم من طرد وإبعاد عن الرحمة ناشىء عن نقضهم الميثاق . والباء حرف جر ، وما زائدة لتوكيد الكلام ، ونقضهم مجرور بالباء والجار والمجرور متعلقان بلعناهم ، وميثاقهم مفعول به للمصدر وهو النقض ، ولعناهم فعل وفاعل ومفعول به ، (وجعلنا قلوبهم قاسية) وجعلنا عطف على لعناهم ، وقلوبهم مفعول به أول ، وقاسية مفعول ثان (يحرفون الكلم عن مواضعه) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان مدى قسوة قلوبهم ، والكلم مفعول يحرفون ، وعن مواضعه جار ومجرور متعلقان بيحرفون (ونسوا حظاً مما ذكروا به) عطف على ما تقدم ، ونسوا حظاً فعل وفاعل ومفعول به ، ومما جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لـ «حظاً» وجملة ذكروا به لا محل لها لأنها صلة الموصول (ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم) الواو عاطفة ، ولا تزال فعل مضارع ناقص، والاسم مستتر تقديره أنت ، وجملة تطلع خبر لا تزال ، وعلى خائنة متعلقان بتطلع ، ومنهم متعلقان بمحذوف صفة لخائنة ، وإلا أداة استثناء وقليلاً مستثنى من الضمير المجرور في « منهم » ، ومنهم

متعلقان بمحذوف صفة لـ « قليلاً » ، وأراد بالقليل منهم من أسلم كعبد الله بن سلام وأصحابه (فاعف عنهم واصفح) الفاء الفصيحة ، أي : إذا عرفت هذا فاعف عمن جاءك معلناً توبته وانضواءه تحت لواء الدين القويم ، واعف فعل أمر وعنهم متعلقان بـ « اعف » واصفح عطف على فاعف (ان الله يحب المحسنين) إن واسمها ، وجملة يحب المحسنين خبر إن ، وجملة إن وما في حيزها تعليلية لا محل لها .

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤ ﴾

اللغــة :

(نصارى) : في مختار الصحاح : النصير : الناصر وجمعه أنصار، كشريف وأشراف ، وجمع الناصر نصر كصاحب وصحب . والنصارى جمع نصران ونصرانة ، كالندامى جمع ندمان وندمانة . ولم يستعمل نصران إلا بياء النسب . وفي المصباح : ورجل نصراني بفتح النون ، وامرأة نصرانية . ويقال : إنه نسبة الى قرية اسمها نصرى ، ولهذا يقال في الواحد : نصري ، على القياس ، ثم أطلق النصراني على كل من تعبد بهذا الدين . وقال في المنجد : النصراني نسبة الى مدينة الناصرة على غير القياس : من يتبع دين السيد المسيح ، والجمع نصارى ، والمؤنث نصرانية . وقال في اللسان : ونصرى بفتحتين ، ونصرى بفتح فسكون ،

وناصرة ونَصُورية : قرية بالشام ، والنصاري منسوبون اليها ، قال ابن سيده : هذا قول أهل اللغة ، قال : وهو ضعيف ، إلا أن نادر النسب يسمعه . قال : وأما سيبويه فقال : أما نصارى فذهب الخليل الى أن جمع نَصْري ونَصْران ، كما قالوا : ندمان وندامى ، ولكنهم حذفوا إحدى الياءين ، كما حذفوا من أُثْفِيَّة ، وأبدلوا مكانها ألفاً ، كما قالوا : صحارى . قال : وأما الذين نوجهه نحن عليه فإنه جاء على نَصْران لأنه قد تكلم به ، فكأنك جمعت نصراً كما جمعت مَسْمَعاً وقلت نصارى كما قلت ندامى .

(أغرينا): ألصقنا وألزمنا،وهي من غري بالشيء إذا لزمه ولصق به، ومعنى الغراء الذي يلصق به،والغراء مثل كتاب،وفي المصباح:غري بالشيء غرياً من باب تعب أولع به من حيث لايحمله عليه حامل، وأغريته به إغراء فأغري به بالبناء للمفعول ، والاسم الغَراء بالفتح والمد والغِراء مثل كتاب : ما يلصق به ، معمول من الجلود ، وقد يعمل من السمك . والغَرا مثل العصا : لغة فيه ، وغروت الجلد أغروه من باب عدا : ألصقته بالغراء ، وأغريت بين القوم : مثـل أفسدت وزناً ومعنى ، وغروت غرواً من باب قتل : عجبت ، ولا غرو : ولا عجب .

الاعراب :

(ومن الذين قالوا : إنا نصارى أخذنا ميثاقهم) كلام مستأنف مسوق للحديث عن النصارى . والجار والمجـرور متعلقان بأخذنا ، وجملة قالوا لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وإن واسمها ، ونصارى خبرها ، وجملة أخذنا مستأنفة كما تقدم ، وميثاقهم مفعول به ، وجملة إنا نصارى مقول القول . وهناك أوجه أخرى تراها في باب الفوائد . (فنسوا حظاً مما ذكروا به) الفاء عاطفة ، ونسوا عطف على أخذنا ، والواو فاعل ، وحظاً مفعول به ، ومما متعلقان بمحذوف صفة لـ «حظاً»،

وجملة ذكروا صلة الموصول ، وبه جار ومجرور متعلقان بذكروا ، والواو نائب فاعل (فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) عطف على ما تقدم ، وأغرينا فعل وفاعل ، والظرف متعلق بأغرينا ، والعداوة مفعول به ، والى يوم القيامة متعلقان بمحذوف حال ، أي : ممتدة الى يوم القيامة (وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) الواو عاطفة ، وسوف حرف استقبال ، وينبئهم فعل وفاعل ومفعول به ، وبما متعلقان بينبئهم ، وجملة كانوا صلة الموصول ، وجملة يصنعون خبر كانوا •

الفوائد :

أنهى بعض المعربين الأوجه التي أجازوها في هذه الآية الى وجوه منها ما اخترناه ، وهو ما ذهب اليه الزمخشري ، ولكنه جعل الضمير في ميثاقهم عائداً على بني اسرائيل ، والتقدير : وأخذنا من النصارى ميثاقاً مثل ميثاق بني إسرائيل ، وهناك وجه جدير بالذكر وهو أن يتعلق قوله : « ومن الذين » بمحذوف على أنه خبر لمبتدأ محذوف قامت صفته مقامه ، والتقدير : ومن الذين قالوا إنا نصارى قوم أخذنا ميثاقهم •

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ

وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾

الإعراب :

(يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا) كلام مستأنف مسوق لخطاب أهل الكتاب عامة على طريق الالتفات، ويا حرف نداء للمتوسط، وأهل الكتاب منادى مضاف منصوب ، وقد حرف تحقيق ، وجاءكم فعل ماض ومفعول به مقدم ، ورسولنا فاعل مؤخر (يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب) الجملة حالية من « رسولنا » ولكم متعلقان بيبيّن ، وكثير مفعول به ، ومما جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لـ « كثيراً » وما اسم موصول وكنتم كان واسمها ، والجملة صلة ، وجملة تخفون في محل نصب خبر كنتم ، ومن الكتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من العائد المحذوف (ويعفو عن كثير) الجملة معطوفة على جملة « يبين » الحالية داخلة في حكمها (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) جملة مستأنفة مسوقة لبيان الفائدة من مجيء الرسول . ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، لأنه كان في الأصل صفة لنور ، وتقدم عليه . ونور فاعل « جاءكم » ، وكتاب عطف على « نور » ، ومبين صفة (يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) الجملة صفة لكتاب ، وبه متعلقان بيهدي ، والله فاعل ، ومن اسم موصول مفعول به ، وجملة اتبع رضوانه صلة الموصول ، وسبل السلام مفعول به ثان على السعة ليهدي، أو منصوب بنزع الخافض ، والجار والمجرور متعلقان بيهدي (ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه) الواو عاطفة ، ويخرجهم معطوف على

يهدي ، والهاء مفعول به ، ومن الظلمات متعلقان بيخرجهم ، وكذلك الى النور ، وبإذنه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (ويهديهم الى صراط مستقيم) عطف على ما تقدم ، وقد تقدم اعرابه كثيراً .

البلاغـة :

في قوله تعالى : « من الظلمات الى النور » استعارتان تصريحيتان أصليتان ، يقصد بالأولى الضلال وبالثانية الهدى والايمان ، والعلاقة المشابهـة ، وقد لفظ المشبه واستعـير بدله لفظ المشبه به ، ليقوم مقامه ، بادعاء أن المشبه به هو عين المشبه ، وهذا أبعد مدى في البلاغة وأدخل في بابها ، ولما كان المشبه به مصرحاً به في هذا المجاز سميت الاستعارة تصريحية ، وسميت أصلية لأنها جارية في الاسم . ومن الاستعارة التصريحية قول أبي الطيب :

وأقبـل يمشي في البساط فما درى

إلى البحر يسعى أم الى البدر يرتقي

فقد شبه سيف الدولة بالبحر ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو البحـر للمشبه وهو سيف الـدولة ، على سبيل الاستعارة التصريحية ، والقرينة : فأقبل يمشي في البساط ، وكذلك يقال في تشبيه سيف الدولة بالبدر .

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن

فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ
مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

اللغــة :

(يملك) : تقول العرب : ملك فلان على فلان أمره إذا استولى عليه فصار لا يستطيع أن ينفذ أمراً ولا أن يفعل شيئاً إلا به وبإذنه . قال ابن دريد في وصف الخمر التي لم يكسر المزاج حدتها ولم تبطل النار تأثيرها :

لم يملك المــــاء عليها أمرها ولم يدنّسها الضّرم المحتَضى

وقوله تعالى : « فمن يملك من الله شيئاً » أبلــغ من مثل هذا القول ، لأنه نفى أن يملك أحد بعض أمره تعالى ، فضلاً عن ملك أمره كله ، فصار المعنى أنه لا يوجد أحد يستطيع أن يردّ أمره ويحوّله عن إرادته بوجه ما .

الاعراب :

(لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح بن مريم) اللام واقعة في جواب قسم محذوف ، وقد حرف تحقيق ، وكفر فعل ماض والذين فاعله ، وجملة قالوا صلة الموصول ، وجملة القسم مستأنفة ، وجملة

قد كفر لا محل لها لأنها جواب القسم ، وإن واسمها وخبرها مقول القول وهو ضمير فصل يفيد الحصر لا عمل له والمسيح خبر إن ، أو « هو » مبتدأ والمسيح خبر ، والجملة خبر إن ، وابن مريم بدل أو نعت (قل فمن يملك من الله شيئاً) الجملة مستأنفة ، وقل فعل أمر وفاعله أنت ، والفاء عاطفة على جملة محذوفة هي مقول « قل » ، أي : قل تبكّيتاً وإظهاراً لبطلان قولهم . ومن اسم استفهام انكاري مبتدأ ، وجملة يملك خبر ، ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أو بيملك ، وشيئاً مفعول به (إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه) الجملة الشرطية مفسرة لا محل لها ، وإن شرطية ، وأراد فعل الشرط ، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مفعول أراد ، والمسيح مفعول به ، وابن مريم بدل أو نعت ، وأمه عطف على المسيح ، وجواب الشرط محـذوف دل عليه ما قبله ، أي : فمن يملك من الله شيئاً (ومن في الأرض جميعاً) الواو عاطفة ، ومن اسم موصول معطوف على المسيح وأمه ، وفي الأرض متعلقان بمحذوف صلة الموصول ، وجميعاً حال (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما) الواو حالية ، ولله جـار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وملك السموات والأرض مبتدأ مؤخر ، وما بينهما : الواو عاطفة على ملك وما اسم موصول ، والظرف متعلق بمحـذوف صلة الموصول (يخلق ما يشاء) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان أنه سبحانه خالق الخلق حسب مشيئته (والله على كل شيء قدير) الكلام مستأنف مسوق لبيان قدرته تعالى على كل شيء ، فكل ما تعلقت به مشيئته ينفذ بقدرته ، وإنما يعد بعض خلقه غريباً بالنسبة الى علم البشر الناقص ، لا بالنسبة اليه تعالى . وقد تقدم اعرابها .

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ

يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ
وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ
الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ
مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ
وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾

اللغــة :

(فترة) من فتر الشيء اذا سكن أو زالت حدته ، وقال الراغب : الفتور : سكون بعد حدة ، ولين بعد شدة ، وضعف بعد قوة • وذكر الآية • والمراد بها هنا انقطاع الوحي وظهور الرسل عدّة قرون •

الاعراب :

(وقالت اليهود والنصارى) الواو استئنافية ، وقالت اليهود فعل وفاعل ، والنصارى عطف على اليهود (نحن أبناء الله وأحبّاؤه) الجملة مقول قولهم ، ونحن مبتدأ وأبناء الله خبر ، وأحباؤه عطف على أبناء الله (قل : فلمَ يعذبكم بذنوبكم ؟) الكلام مستأنف مسوق للرد على هذه الأقوال • وقل فعل أمر ، والفاعل أنت والفاء هي الفصيحة ، أي :

إذا كنتم كما تزعمون فما باله يعذبكم بما تقترفونه من الـذنوب ! ولم اللام حرف جر ، وما اسم استفهام حذفت ألفه لدخول حرف الجر عليه . والجار والمجرور متعلقـان بيعذبكـم ، ويعذبكـم فعـل مضارع ومفعوله ، والفاعـل هو ، وبذنوبكم جار ومجرور متعلقان بيعذبكم أيضاً ، والجملة كلها مقول قولهم ، وجملة لم يعذبكم لا محل لها لأنها واقعة جواب شرط غـير جازم (بل أنتم بشر ممن خلق) بل حرف إضراب وعطف عـلى محذوف متصيّد من مفهوم الكلام السابق . أي : فلستم حينئذ بهذه المثابة من القرب اليه سبحانه • وأنتم مبتدأ وبشر خبر ، وممن جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لبشر ، وجملة خلق صلة الموصول « مَنْ » (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) الجملة مستأنفة ، ولمن جار ومجرور متعلقان بيغفر ، وجملة يشاء صلة ، وجملة يعذب من يشاء عطف على الجملة الآنفة (ولله ملك السموات والأرض وما بينهمـا واليه المصير) الجملة مستأنفـة ، ولله متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وملك السموات مبتدأ مؤخر ، والأرض عطف عـلى السموات ، وما عطف أيضاً ، والظـرف متعلق بمحذوف صلة الموصول ، واليه المصير الواو عاطفـة واليه جار ومجرور متعلقـان بمحذوف خبر مقدم ، والمصير مبتدأ مؤخر ، والجملة معطوفة عـلى جملة ولله ملك السموات والأرض (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا) يا حرف نداء ، وأهل الكتاب منادى مضاف ، وقد حرف تحقيق ، وجاءكم رسولنا فعل ومفعول به وفاعل ، والجملة مستأنفة (يبين لكم على فترة من الرسل) جملة يبين في محل نصب على الحال من «رسولنا» ، أي : مبيّناً لكم ولكم متعلقـان بيبين ، وعـلى فترة جار ومجرور متعلقان بجاءكم ، أي : جاءكم على حين فتور من إرسال الرسل وانقطاع

الوحي ، أو بمحذوف وقع حالاً من ضمير يبين ، أو من ضمير لكم . أي : يبين لكم ما ذكر حال كونه على فترة من الرسل ، أو حال كونكم عليها أحوج ما كنتم الى البيان . ومن الرسل جار ومجرور متعلقان بمحذوف وقع صفة لفترة ، أي : كائنة من الرسل (أن تقولوا : ما جاءنا من بشير ولا نذير) أن تقولوا المصدر المنسبك من أن والفعل بعدها مفعول لأجله على حذف مضاف ، أي : كراهة قولكم ، أو منصوب بنزع الخافض ، مع تقدير النفي ، أي : لئلا تقولوا ، وجملة ما جاءنا في محل نصب مقول القول ، ومن حرف جر زائد ، وبشير فاعل محلاً لجاءنا ، ولا نذير عطف على من بشير (فقد جاءكم بشير ونذير) الفاء هي الفصيحة ، أي : إذا اعتذرتم بذلك فقد جاءكم بشير ونذير . وجاءكم بشير فعل ومفعول به وفاعل ، ونذير عطف على بشير ، والجملة لا محل لها من الاعراب لأنها واقعة في جواب شرط غير جازم (والله على كل شيء قدير) الواو استئنافية ، والله مبتدأ ، وقدير خبره . والجار والمجرور متعلقان بقدير .

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴾

الاعراب :

(وإذ قال موسى لقومه) : كلام مستأنف مسوق لبيان ما فعلوه وما صدر عن بعضهم بعد أخذ الميثاق . وإذ ظرف لما مضى متعلق باذكر محذوفاً ، والخطاب للنبي ليعدّد عليه ما صدر عنهم ، وجملة قال موسى من الفعل والفاعل في محل جر بالإضافة ، ولقومه متعلقان بقال (يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم) الجملة في محل نصب مقول القول ، ويا حرف نداء ، وقوم منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة ، واذكروا نعمة الله فعل أمر وفاعل ومفعول به ، وعليكم متعلقان بنعمة (إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً) إذ ظرف لما مضى متعلق بالنعمة ، وجملة جعل في محل جر بالاضافة ، وفيكم متعلقان بجعل على أنه مفعول به أول لجعل ، وأنبياء مفعوله الثاني ، وجعلكم ملوكاً عطف على ما تقدم ، وملوكاً مفعول به ثان (وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين) الواو عاطفة ، وآتاكم فعل ومفعول به أول ، والفاعل هو ، وما اسم موصول مفعول به ثان ، وجملة لم يؤت أحداً صلة الموصول « ما » ، ومن العالمين متعلقان بمحذوف صلة الموصول ، والمراد بالعالمين الأمم الخالية الى زمانهم وعالم زمانهم ، من خلق البحر ، وتظليل الغمام ، والمن والسلوى ، وغير ذلك من الامور العظيمة (يا قوم ادخلوا الارض المقدسة) الجملة استئنافية وادخلوا فعل أمر وفاعل ، والأرض مفعول به على السعة ، أو منصوب بنزع الخافض ، والجار والمجرور متعلقان بادخلوا ، والمقدسة صفة للأرض (التي كتب الله لكم) التي صفة ثانية للأرض ، وجملة كتب الله صلة ، ولكم جار ومجرور متعلقان بكتب (ولا ترتدوا على أدباركم) الواو عاطفة ، ولا ناهية وترتدوا فعل مضارع مجزوم بلا ، والواو فاعل ، وعلى أدباركم متعلقان بمحذوف

حال من فاعل ترتدوا (فتنقلبوا خاسرين) الفاء عاطفة ، وتنقلبوا معطوف على ترتدوا فهو مجزوم مثله ، ويجوز أن تكون الفاء هي السببية لتقدم النهي عليها ، فهو منصوب بأن مضمرة بعدها ، وخاسرين حال .

الفوائد :

المنادى المضاف الى ياء المتكلم أربعة أقسام :

١ ـ ما فيه لغة واحدة ، وهو المعتل بالياء أو بالألف ، فإن ياءه المضاف اليها واجبة الثبوت والفتح نحو : يا قاضيَّ ويا فتايَ .

٢ ـ ما فيه لغتان : وهو الوصف المشبه للفعل المضارع ، ونعني به اسمي الفاعل والمفعول ومبالغة اسم الفاعل ، فان ياءه ثابتة دائماً ، وهي إما مفتوحة وإما مكسورة ، نحو : يا مكرمي ويا ضاربي .

٣ ـ ما فيه ست لغات : وهو ما عدا ذلك ، وليس أباً ولا أُمّاً ، نحو : يا غلامي ، فالأكثر فيه حذف الياء والاكتفاء بالكسرة ، نحو : يا غلامِ ، ثم ثبوتها ساكنة على الأصل ، نحو يا غلامي ، أو مفتوحة ، نحو : يا غلاميَ . ثم قلب الكسرة فتحة والياء ألفاً ، نحو : يا حسرتا . ثم حذف الألف المنقلبة والاجتزاء بالفتح ، فتقول : يا حسرةَ ، ثم حذف الياء والاكتفاء بنيتها وضم الاسم المضاف للياء ، مثل : يا غلامُ .

٤ ـ ما فيه عشر لغات : وهو الأب والأم ، ففيهما مع اللغات الست المتقدمة أربع لغات أخر ، وهي أن تعوض تاء التأنيث من ياء

المتكلم وتكسرها وهو الأكثر ، أو تفتحها أو تضمها وهو قليل ، وربما جمع بين التاء والألف ، فقيل : يا أبتا ويا أمتا .

﴿ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾

اللغة :

(جبارين) : الجبار : العاتي المتمرد ، فعّال ، من جبره على الأمر بمعنى أجبره عليه ، وهو الذي يجبر الناس على ما يريد . والمراد هنا أنهم ذوو قوّة .

الاعراب :

(قالوا : يا موسى إن فيها قوماً جبارين) الجملة مستأنفة ، وقالوا فعل وفاعل ، وجملة النداء وما بعدها مقول قولهم ، وفيها متعلقان بمحذوف خبر إن المقدم ، وقوماً اسمها المؤخر ، وجبارين : صفة لـ « قوماً » (وإنّا لن ندخلها حتى يخرجوا منها) الواو عاطفة على ما تقدم ، وإن واسمها ، وجملة لن ندخلها خبرها ، وحتى حرف

غاية وجر ، ويخرجوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعدها والجار والمجرور متعلقان بندخلها ، ومنها متعلقان بيخرجوا (فإن يخرجوا منها فإنا داخلون) الفاء استئنافية ، وإن شرطية ، ويخرجوا فعل الشرط، والفاء رابطة لأن الجملة بعدها اسمية لا تصلح جواباً ، وإن واسمها وداخلون خبرها ، والجملة في محل جزم جواب الشرط (قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما) الجملة استئنافية ، وقال رجلان : فعل وفاعل ، ومن الذين جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ، وجملة يخافون لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وجملة أنعم الله صفة ثانية أو معترضة فتكون لا محل لها ، ولابن هشام قول فيها نورده في باب الفوائد ، وعليهما متعلقان بأنعم (ادخلوا عليهم الباب) الجملة في محل نصب مقول قول الرجلين (فإذا دخلتموه فإنكم غالبون) الفاء استئنافية ، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وهو متعلق بـ « غالبون » وجملة دخلتموه في محل جر بالاضافة ، والفاء رابطة لجواب إذا ، وإن واسمها ، وغالبون : خبرها (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة لتوصيتهم بالاتكال على الله أولاً ، والأخذ بأسباب الحيطة والحذر ثانياً، والفاء في قوله : «فتوكلوا»جواب أمر محذوف لا بد من تقديره : تنبّهوا فتوكلوا على الله ، وعلى الله متعلقان بتوكلوا ، كما قالت العرب : زيداً فاضرب ، تقديره : تنبه فاضرب زيداً ، وكثيراً ما يأتي معمول ما بعد الفاء متقدماً عليها . وإن شرطية ، وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط ، والتاء اسمها ومؤمنين خبرها ، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله ، أي : فتوكلوا .

الفوائـد :

١ ـ قال ابن هشام في صدر حديثه عن هذه الآية : قوله تعالى : « قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما » فإن جملة : « أنعم الله عليهما » تحتمل الدعاء فتكون معترضة والإخبار فتكون صفة ثانيـة ، ويضعف من حيث المعنى أن تكون حـالاً ، ولا يضعف في الصناعة لوصفها » . هذا ما قاله ابن هشام ، ولم يبين ابن هشام رحمه الله وجه الضعف من حيث المعنى ، فإن جعلها حالاً يقتضي أن قولهم في وقت إنعامه فقط ، مع أن قولهم لا يتقيد بذلك . والحاصل أن الحالية تقتضي تقييد العامل مع أن المعنى ليس على التقييـد .

٢ ـ عبارة السمين : وقال الشهاب الحلبي المعروف بالسمين : في هذه الجملة خمسة أوجه ، أظهرها أنها صفة ثانية فمحلها الرفع ، وجيء هنا بأفصح الاستعمالين من كونه قـدّم الوصف بالجار على الوصف بالجملة لقربه من المفرد . الثاني أنها متعرضة ، وهو أيضاً ظاهر . الثالث : أنها حال من الضمير في « يخافون » ، قاله مكيّ . الرابع : أنها حال من « رجلان » ، وجاءت الحال من النكرة لتخصصها بالوصف . الخامس : أنها حال من الضمير المستتر في الجار والمجرور ، وهو « من الذين » لوقوعه صفة لموصوف ، واذا جعلتها حالاً فلا بد من إضمار « قد » مع الماضي ، على خلاف في المسألة .

٣ ـ الرجلان اللذان أنعم الله عليهما هما يوشع بن نون ، وهو الذي نبيء بعد موسى . وكالب بن يوقنا ، وكالب بفتح اللام وكسرها .

﴿ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ

أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾

اللغة :

(أبداً) : ظرف زمان ، وهو هنا تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول .

(يتيهون) : يسيرون في الارض متحيرين لا يهتدون طريقاً . والتيه : المفازة التي يتاه فيها .

(تأس) : تندم وتحزن والأسى : الحزن . ولامه يحتمل أن تكون من واو لقولهم : رجل أسوات ، أي : كثير الحزن ، ويحتمل أن تكون من ياء ، فقد حكي : رجل أسيان ، وفي مختار الصحاح : « وأسيَ على مصيبته من باب « صديَ » أي : حزن ، وقد أسي له أي حزن له .

الاعراب :

(قالوا : يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها) كلام مستأنف

مسوق للدلالة على تماديهم في العصيان • وقالوا : فعل وفاعل ، وجملة النداء وما بعدها في محل نصب مقول قولهم ، وإن واسمها ، وجملة لن ندخلها خبر ، وأبداً ظرف زمان متعلق بندخلها ، وما داموا ما : مصدرية ظرفية ، وداموا هي دام الناقصة ، والواو اسمها ، وفيها متعلقان بمحذوف خبرها ، وهذا الظرف بدل من « أبداً » لأنه بمثابة البيان له ، فهو بدل مطابق أو كل من كل ، وقيل : هو بدل بعض من كل ، لأن الأبد يعم الزمن المستقبل كله ، وديمومة الجبارين فيها بعضه (فاذهب أنت وربك فقاتلا) الفاء الفصيحة ، كأنهم قد أضمروا كلاماً ينطوي على الاستهانة والسخرية بالله ورسوله • واذهب فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ، وأنت تأكيد للفاعل المستتر ، وربك عطف على الفاعل المستتر في « اذهب » ، وجاز للتأكيد بالضمير ، كما نصّ على ذلك ابن مالك في الخلاصة :

وإن على ضمير رفع متصل عطفت فافصل بالضمير المنفصل

فقاتلا عطف على « اذهب » ، والألف فاعل قاتل (إنا ها هنا قاعدون) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان إصرارهم على أنهم لن يتقدموا • وإن واسمها ، والهاء للتنبيه وهنا اسم اشارة في محل نصب على الظرفية المكانية ، والظرف متعلق بـ « قاعدون » ، وقاعدون خبر إن (قال : ربّ إني لا أملك إلا نفسي وأخي) الجملة مستأنفة مسوقة للبثّ والشكوى الى الله ، والحسرة ورقة القلب ، وهي من الوسائل التي تستمطر فيها الرحمة ويستنزل النصر • وقال فعل ماض والفاعل هو ، ورب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة ، وقد تقدم القول مسهباً في المنادى المضاف الى ياء المتكلم ، وإن واسمها ، والجملة مقول القول ،

وجملة لا أملك خبر إن ، وإلا أداة حصر ، ونفسي مفعول به ، وأخي من طريف الإعراب وهو يحتمل الرفع والنصب والجر ، وكلها متساوية.

أوجه الرفع :

فالرفع من ثلاثة أوجة هي :

١ ـ أن يكون عطفاً على الضمير المستتر في « أملك » .

٢ ـ أن يكون عطفاً على محل إن واسمها .

٣ ـ أن يكون مبتدأ حذف خبره ، والتقدير : وأخي لا يملك إلا نفسه .

وجها النصب :

والنصب من وجهين :

١ ـ أن يكون معطوفاً على اسم إنّ .

٢ ـ أن يكون معطوفاً على نفسي .

وجه الجر :

والجر من وجه واحد :

أن يكون معطوفاً على الياء المجرور باضافة نفس اليها .

(فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) الفاء استئنافية ، وافرق فعل

دعاء بمعنى : احكم لنا بما نستحقه ، واحكم عليهم بما يستحقونه • وبيننا ظرف متعلق بـ « افرق » ، وبين القوم الفاسقين عطف على « بيننا » (قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض) الجملة مستأنفة ، وفاعل « قال » مستتر تقديره : الله تعالى ، والفاء زائدة في الاعراب لتمكين التأكيد ، وإن واسمها ، ومحرمة خبرها ، وعليهم متعلقان بمحرمة ، وأربعين ظرف زمان متعلق بيتيهون ، فيكون التحريم على هذا غير مؤقت بهذه المدة ، أو متعلقان بمحرمة ، فيكون التحريم مقيداً بهذه المدة ، وسنة تمييز ، وجملة فانها محرمة مقول القول ، وجملة يتيهون في الأرض حالية ، أي : حالة كونهم تائهين ضاربين في متاهات الارض ومناكب الصحاري تتخبطهم الحسرة ، وتتعاورهم الحيرة • (فلا تأس على القوم الفاسقين) الفاء الفصيحة ، أي : إذا عرفت هذا فلا تحزن ، ولا ناهية ، وتأس فعل مضارع مجزوم بلا الناهية ، وعلامة جزمه حذف حرف العلة ، وعلى القوم متعلقان بـ « تأس » ، والفاسقين صفة لقوم •

الفوائد :

قد يتساءل متسائل فيقول : كيف قال موسى : إني لا أملك إلا نفسي وأخي ، مع أنه كا نمعهما الرجلان المذكوران ، وهما يوشع وكالب ؟ فالجواب أنه لم يطمئن الى ثباتهما بعد أن رأى الأكثرية الساحقة مصرة على التعنت ، ولم تكن النبوة قد هبطت على يوشع بن نون ، فلم يذكر معه إلا النبي المعصوم ، وهو أخوه هارون • وهنا أقاصيص مطولة ، يرجع اليها القارىء في المطولات من التفاسير •

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ

مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ
مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ
إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوأَ
بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ
الظَّالِمِينَ (٢٩) ﴾

اللغـة :

(قُرباناً) : القربان : بضم القاف ، وفيه وجهان :

١ ـ إنه اسم لما يتقرب به الى الله عز وجل ، من صدقة أو نسك أو غير ذلك ، كالحُلوان بضم الحاء أيضاً : اسم ما يحلى ، أي : يعطى . يقال : قرب صدقة ، وتقرب بها ، لأن « تقرّب » مطاوع « قرَّب » .

٢ ـ أن يكون مصدراً في الأصل ، ثم أطلق على الشيء المتقرّب به كقولهم : نسج اليمن ، ويدلّ على ذلك أنه لم يثن ، والموضع موضع تثنية ، لأن كلاً من قابيل وهابيل له قربان يخصّه ، والأصل أن يقول : قربانين . وقال أصحاب الرأي الأول : لا حجة في هذا ، لأن المعنى : إذ قرَّب كل واحد منهما قرباناً ، كقوله تعالى : « فاجلدوهم ثمانين جلدة » ، أي كل واحد منهم ثمانين جلدة .

(تبوء) : ترجع •

الاعراب :

(واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحقّ) الجملة معطوفة على الفعل المقدر في قوله : « وإذ قال موسى لقومه » ، يعني : اذكر يا محمد لقومك وأخبرهم خبر ابني آدم ، وهما : هابيل وقابيل ، وقصة القربان وسببه • وقصة قتل قابيل لهابيل طفحت بها المطوّلات من التفاسير • واتل فعل أمر مبني على حذف حرف العلة ، وعليهم متعلقان بـ « اتل »، ونبأ مفعول به ، وابني مضاف الى « نبأ » وحذفت النون للاضافة ، وآدم مضاف الى « ابني » ، وبالحق متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف ، أي : تلاوة ملتبسة بالحق ، أو حال من الفاعل ، فيكون التقدير : حال كونك ملتبساً بالحق ، أي : بالصدق ، أو من المفعول به ، أي : اتل نبأهما ملتبساً بالحق والصدق (إذ قرّبا قرباناً فتقبّل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بنبأ ، أي : اتل قصتهما وخبرهما الواقع في ذلك الوقت ، أو هو بدل منه ، أي : واتل عليهم النبأ ، نبأ ذلك الوقت ، على تقدير حذف المضاف وجملة قربا في محل جر بالاضافة ، وقربا فعل وفاعل ، وقرباناً مفعول به ، فتقبل : الفاء عاطفة وتقبل فعل ماض مبني للمجهول ، ونائب الفاعل مستتر تقديره هو يعود على « قرباناً » ، ومن أحدهما جار ومجرور متعلقان بتقبل ، ولم يتقبل من الآخر عطف على تقبل (قال : لأقتلنك قال : إنما يتقبّل الله من المتقين) جملة لأقتلنك في محل نصب مقول القول ، واللام موطئة للقسم ، وأقتلنك فعل مضارع مبني على الفتح لوجوب توكيده بالنون الثقيلة ، والكاف مفعول به ، وإنما كافة ومكفوفة ، وجملة إنما يتقبل

الله من المتقين مقول القول . (لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا باسط يدي إليك لأقتلك) اللام موطئة للقسم ، وان شرطية ، وبسطت فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، والتاء فاعل ، وإلي متعلقان ببسطت ، ويدك مفعول به ، والجملة مستأنفة مبينة لما أراد قوله ، ولتقتلني اللام لام التعليل ، وتقتلني فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ، والنون للوقاية ، والياء مفعول به ، والجار والمجرور متعلقان ببسطت، وما نافية حجازية تعمل عمل ليس ، وأنا اسمها ، والباء حرف جر زائد ، وباسط اسم مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبرها ، ويدي مفعول به لباسط لأنه اسم فاعل ، واليك متعلقان بباسط ، ولأقتلك اللام لام التعليل ، وأقتلك فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل،والجملة جواب القسم لتقدمه على الشرط،وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه(إني أخاف الله رب العالمين)الجملة تعليلية ، وإن واسمها ، وجملة أخاف الله خبرها ، ورب العالمين بدل من الله أو صفة (إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار) الجملة تعليل ثان لامتناعه عن المقاتلة بعد التعليل الأول ، وإن واسمها ، وجملة أريد خبرها ، والفاعل مستتر تقديره أنا ، وأن تبوء مصدر مؤوّل في محل نصب مفعول به لأريد ، وبإثمي جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل نصب على الحال من فاعل تبوء ، أي : ترجع حاملاً له ، أو ملابساً له . فتكون الفاء عاطفة ، وتكون فعل مضارع ناقص معطوف على تبوء تبعه في النصب واسمها أنت ، ومن أصحاب النار متعلقان بمحذوف خبر تكون (وذلك جزاء الظالمين) الواو استئنافية وذلك اسم اشارة في محل رفع مبتدأ ، وجزاء الظالمين خبر .

البلاغـة :

١ ـ في قوله : « إنما يتقبل الله من المتقين » الكلام الجامع المانع، فقد جمعت هذه الجملة الكثير من المعاني بكلام مختصر ، فقد اشتملت على فحوى القصة من أولها الى آخرها ، والقصة مطولة يجدها القارىء في المطوّلات . وخلاصة المعنى أن الله تعالى لا يقبل طاعة إلا من مؤمن متّقٍ ، وعن عامر بن عبد الله أنه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له : ما يبكيك ؟ فقد كنت وكنت . قال : إني أسمع الله يقول : إنما يتقبل الله من المتقين .

٢ ـ في قوله : « إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك » فن الاتساع . وهو أن يأتي المتكلم بكلام يتسع فيه التأويل بحسب ما تحتمله ألفاظه ، فيتّسع التأويل فيه على قدر عقول الناس وتفاوت أفهامهم . وهو في الآية في إرادته إثم أخيه ، لأن معناه : إني لا أريد أن أقتلك فأعاقب . ولما لم يكن بدّ من إرادة أحد الأمرين : وهما إما إثمه بتقدير أن يدفع عن نفسه فيقتل أخاه ، وإما إثم أخيه بتقدير أن يستسلم وكان غير مريد للأول فاضطر الى الثاني ، فلم يرد إذن إثم أخيه لعينه ، وإنما أراد أن الإثم هو بالمدافعة المؤدية الى القتل ، ولم تكن حينئذ مشروعة ، فلزم من ذلك إرادة إثم أخيه . وهذا كما يتمنى الانسان الشهادة . ومعناها أن يبوء الكافر بقتله وبما عليه في ذلك من الإثم ، ولكن لم يقصد هو إثم الكافر لعينه وإنما أراد أن يبذل نفسه في سبيل الله رجاء إثم الكافر بقتل الكافر ضمناً وتبعاً . والذي يدل على ذلك أنه لا فرق في حصول درجة الشهادة وفضيلتها بين أن يموت القاتل على الكفر وبين أن يختم له بالإيمان ، فيحبط عنه إثم القتل الذي كان به الشهيد

شهيداً ، أعني بقي الإثم على قاتله وأحبط عنه ، إذ ذلك لا ينقص من فضيلة شهادته ولا يزيدها ، ولو كان إثم الكافر بالقتل مقصوداً لاختلف التمني باعتبار بقائه وإحباطه ، فدلّ على أنه أمر لازم تبع لا مقصود .

أقوال للعلماء :

هذا وقد أفاض علماء التفسير والنحو والبلاغة في هذه الآية ، ويتلخص مما أوردوه أن هناك ثلاثة تأويلات :

أ ـــ إنه على حذف همزة الاستفهام أي : إني أريد أأن تبوء ؟ وهو استفهام استنكاري لأن إرادة المعصية معصية .

ب ـــ أن « لا » محذوفة ، تقديره : إني أريد أن لا تبوء بإثمي ، كقوله تعالى : « يبين الله لكم أن تضلوا » أي : أن لا تضلوا .

جـ ـــ إن الإرادة على حالها ، وهي إما ارداة مجازية أو حقيقية ، وجازت إرداة ذلك به لمعان ذكرها المفسرون ، ومن جملتها أنه ظهرت له قرائن تدل على قرب أجله ، وأن أخاه كافر ، وأن ارادة العقوبة بالكافر حسنة .

٣ ـــ جاء الشرط بلفظ الفعل ، وهو قوله : بسطت ، والجواب بلفظ اسم الفاعل ، وهو قوله : « ما أنا بباسط » لإفادة أنه لا يفعل ما يكتسب به هـــذا العمـــل المنكر ، ولذلك أكـــده بالباء الزائدة المؤكدة للنفي .

المتنبي والاتساع :

وعلى كل حال تبدو هذه الآية والاتساع فيها مما يدق على الأفهام ، ولكنها دقة لازمة تنطوي على الكثير من المعاني المتصيّدة من الكلام . وقد رمق المتنبي سماءها فكثيراً ما كان يجنح الى هذا الضرب من البلاغة فيدق كلامه . فمن اتساعه قوله :

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت لها المنايا الى أرواحنا سبلا

فظاهر الكلام يوحي بالبداهة الأولى أن « لها » جار ومجرور متعلقان بوجدت ، ولكن فيه تعدّي فعل الفعل الظاهر الى ضميره المتصل ، وذلك ممتنع ، فيجب أن يقدر صفة في الأصل لـ « سبلاً » فلما تقدم عليه صار حالاً ، كما أن قوله : « الى أرواحنا » ، كذلك إذ المعنى : سبلاً مسلوكة الى أرواحنا . ولك في « لها » وجه غريب ، وهو أن تقدر « لها » جمعاً للهاة ، كحصى وحصاة ، وتكون « المنايا » مضافة اليها ، ويكون إثبات اللهوات للمنايا استعارة ، شبهت بشيء يبتلع الناس ، ويكون أقام اللها مقام الأفواه لمجاورة اللهوات للنعم ، فاللهاة بالفتح هي اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم . ومن ذلك قوله في الغزل .

كشفت ثلاث ذوائب من شعرها في ليلة فأرت ليالي أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها فأرتني القمرين في وقت معا

فليس المعنى كما يظنه الناس من أنه رأى قمرين في وقت واحد القمر ووجهها ، وإنما التحقيق أنها لما استقبلت قمر السماء ارتسم خياله في وجهها فرآهما في وقت واحد ، كما تقابل الأشكال المرآة ، فتنطبع

الصورة فيها ، فترى المرآة والأشكال المنطبقة فيها في وقت واحد معاً . وقد أخطأ التبريزي حين شرح البيت وقد قال : يجوز أنه أراد قمراً وقمراً ، لأنه لا يجتمع قمران حقيقيان في ليلة ، كما لا تجتمع الشمس والقمر . وقد تشبث أحد الشعراء بأهداب المتنبي فنظم بيتين أشبه ما يكونان بالشعوذة والألاعيب وهما :

رأت قمر السماء فذكرتني ليالي وصلها بالرقمتين
كلانا ناظر قمراً ولكن رأيت بعينها ورأت بعيني

وأحسن ما يمكن أن يقال فيهما : إن معنى قمرين : قمر حقيقي وهو قمر السماء ، وقمر مجازي وهو وجه المحبوبة ، فهو يقول : هي رأت القمر المجازي وهو قمر السماء ، وأنا رايت وجهها وهو القمر الحقيقي ، لأنها هي نظرت الى قمر السماء وهو نظر الى وجهها ، فصحّ أنه رأى بعينها وهي رأت بعينه . وهذه مبالغة وإفراط في الوصف ، ولكن الشعراء درجوا على أن يجعلوا المحبوب هو القمر الحقيقي ، والذي في السماء هو القمر المجازي . وقال آخرون في شرحهما : يشير هذا الشاعر الى أن قمر السماء من عشاق محبوبته ، وأن محبوبته رأته ذات ليلة فكسته برؤيتها له نور جمالها ومحاسن صفاتها ، وألقت عليه شبهها ، وأعارته اسمها . فأذكرت هذا العاشق بتلك الليالي التي وصلت بالرقمتين وأنها بوصالها له أفنته وغلبت عليه بصفاتها ، حتى صارت معه كالقمر الواحد ، وكلاهما ينظره . ولهذا قال كلانا ناظر قمراً أي : قمر واحد تعدّد مظهره ، ولكنها تنظره بعينه ، وهي عين المحبة ، لأن المحب صار محبوباً وهو ينظر بعينها ، لأنها أعارته عيناً رآها بها ، فكأن المبصر لها نفسها . والكلام في الاتساع طويل نجتزىء منه هنا بما تقدم .

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

اللغــة :

(طوّعت) : وسّعت وزيّنت ، من طاع المرعى له : إذا اتسع .

(سوءة) : السَّوْءة : بفتح السين : العورة ، وما لا يجوز أن ينكشف من الجسد . والسوءة : الفضيحة . وخص السوءة بالذكر لأن الاهتمام بسترها آكد .

الاعراب :

(فطوعت له نفسه قتــل أخيه فقتله فأصبــح من الخاسرين) الفاء عاطفة ، وطوعت فعل ماض ، وله متعلقان بطوعت ، ونفسه فاعل ، وقتل أخيه مفعول به،فقتله عطف أيضاً،فأصبح عطف أيضاً، واسمها ضمير مستتر تقديره هو،ومن الخاسرين:جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها (فبعث الله غراباً يبحث في الأرض) الفاء عاطفة،وبعث فعل ماض والله فاعل وغراباً مفعول به ، وجمــلة يبحث في الارض في محــل نصب صفة

لـ « غراباً » ، وفي الارض جـار ومجرور متعلقـان ببحث (ليريـه كيف يواري سوءة أخيه) اللام للتعليل ويريه فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والهاء مفعول به ، وكيف : اسم استفهام في محل نصب على الحال ، وللجار والمجرور متعلقان ببعث ، فالضمير المستتر في الفعل يعود لله ، ويجوز أن يتعلقا ببحث ، أي : ينبش ويثير التراب للإراءة ، فالضمير المستتر يعود للغراب . وجملة الاستفهـام معلقة للرؤية البصرية ، فهي في محل نصب مفعول به ثان سادّة مسده ، لأن رأي البصرية قبل تعديتها بالهمزة متعدية لواحد ، فاكتسبت بالهمزة مفعولا آخر هو المفعول الأول ، وقد تقدم نظـيرها في قوله تعالى : « رب أرني كيف تحيي الموتى » (قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب) الجملة مستأنفة ، كأنها قيلت لتكون جواباً على سؤال مقدر ، كأنه قيل : فماذا قال عندما شاهد الغراب يفعل ذلك ؟ ويا حرف نداء ، وويلتا كلمة جزع وتحسر ، وقد ناداها كأن الويل غير حاضر عنده ، فناداه ليحضر ، أي : أيها الويل احضر ، فهذا أوان حضورك . ويجوز أن تجعل المنادى محذوفاً وتنصب الويل على أنه مفعول مطلق لفعل محذوف أماته العرب ، والألف بدل من ياء المتكلم ، والجملة مقول القول ، والهمزة للاستفهام والتعجب كأنه يتعجب من نفسه : كيف لم يهتد الى ما اهتدى اليه الغراب ؟ وعجزت فعل وفاعل ، والجملة مندرجة في مقول القول ، وأن حرف مصدري ونصب ، وأكون فعل مضارع ناقص منصوب بأن ، والمصدر المؤول منصوب بنزع الخافض ، والجار والمجرور متعلقان بعجزت ، أي : أعجزت ، واسم أكون ضمير مستتر تقديره أنا ، ومثل خبر أكون ، وهذا اسم إشارة مضاف اليه ، والغراب بـدل من اسم الاشارة (فأواري سوءة أخي فأصبـح من النادمين) الفاء عاطفة ، وأواري فعل مضارع معطوف على أن أكون ،

وهذا أولى من جعلها سببية ، لأنها مسبوقة بالاستفهام ، وأواري فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية ، لأن الفاء الواقعة جواباً للاستفهام تنعقد من الجملة الاستفهامية والجواب شرط وجزاء ، وهنا لا تنعقد ، تقول : أتزورني فأكرمكْ ، والمعنى : إن تزرني أكرمك ، ولو قلت هنا : إنْ أعجز عن أن أكون مثل هذا الغراب أوارِ سوءة أخي ، لم يصحّ ، لأن المواراة لا تترتب على عجزه عن كونه مثل الغراب ، ولهذا اعتبرنا العطف أولى . وسوءة أخي مفعول به ، فأصبح الفاء عاطفة ، وأصبح فعل ماض ناقص ، واسمها ضمير مستتر تقديره هو ، ومن النادمين خبرها .

البلاغــة :

المجاز في قوله : « يا ويلتا » ، لأنه نادى مالا يعقل . وأصل النداء أن يكون لمن يعقل .

الفوائــد :

هذه القصة التي أوردها القرآن تصلح نواة لقصة عظيمة ، وهي بحاجة الى القلم المبدع ، ليعد منها قصة فنية رائعة . روي أن آدم مكث بعد مقتل هابيل مائة سنة لا يضحك ، وأنه رثاه بشعر ، وهو كذب منحول ، فقد صح أن الأنبياء لا يقولون الشعر . وروى ميمون ابن مهران عن ابن عباس أنه قال : من قال إن آدم قال شعراً فهو كذب ، ولكنه كان ينوح عليه ، ويصف حزنه نثراً من الكلام ، شبه المرثية ، فتناسخته القرون ، فلما وصل الى يعرب بن قحطان وهو أول من خط بالعربية نظمه شعراً فقال :

تغــيّرت البــلاد ومن عليها فوجــه الأرض مغــبر قبيحُ

وقد ذكروا بعد هذا البيت ستة أبيات ، ولم يكتفوا بذلك بل لفقوا حديثاً فحواه أن إبليس أجابه في الوزن والقافية بخمسة أبيات ، قال الزمخشري : « وكــل ذلك كذب بحت ، وما الشعر إلا منحول ملحون » . يشير الزمخشري الى البيت الثاني وهو :

تغــيّر كل ذي لون وطعــم وقل بشاشة الوجــه المليــحِ

ورووه على الإقواء ، أي : بجر المليح . ويرويه بعضهم «بشاشةً» بالنصب من غير تنوين ، ورفع « الوجهُ المليحُ » فليس بلحن . وقد خرجوه على حذف التنوين من « بشاشة » ، ونصبه على التمييز . وقد أشار شاعرنا الفيلسوف أبو العلاء المعري الى هذه القصة في رسالة الغفران ، فارجــع اليها إن شئت ، والله يعصمك . وإنمــا خص بني إسرائيــل بهــذه القصة كما سيأتي ، لأن القتــل ديدنهــم ، حتى تناول الانبياء .

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

اللغــة :

(أجل) : الأجْل بسكون الجيم مصدر • يقال : أَجَل عليهم شراً أي جناه وهيجه ، ثم استعمل في الجنايات ، كما في قولهم : « من جراك فعلتــه » أي : من أن جررته ، أي : جنيتــه ، ثم اتسع فيه ، فاستعمل في كل تعليل •

الاعراب :

(من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل) الجملة مستأنفة ، والجار والمجرور متعلقان بكتبنا ، وعلى بني إسرائيل جار ومجرور متعلقان بكتبنا أيضاً ، أي : شرّعنا القصاص عــلى القاتــل لتكون شرعية القصاص حكماً ثابتاً في جميــع الأمم • وإنما خص بني إسرائيل كما ذكرنا آنفاً لأن بني إسرائيل كان دأبهم وديدنهم القتل ، حتى أقدموا على قتل الأنبياء والرسل • لأن الغرض هو تسلية النبي صلى الله عليه وسلم والتسرية عنه لمحاولتهم الفتك به وبأصحابه • (أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض) أن وما في حيزها في تأويل مصدر مفعول به لكتبنا ، والهاء اسم أنّ ، وهي ضمير الشأن ، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ، قتل فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، ونفساً مفعول به ، وبغير نفس جار ومجرور متعلقان بقتل ، أو بمحذوف حال من ضمير الفاعل في « قتــل » ، أي : قتلها ظالماً ، وأو حرف عطف ، وفساد معطوف على نفس المجرورة بإضافة غــير اليها ، وفي الارض متعلقان بمحذوف صفة لفساد (فكأنما قتل الناس جميعاً) الفاء رابطة لجواب الشرط ، وكأنما كافة ومكفوفة وقتل الناس فعل ماض وفاعل

مستتر ومفعول به ، وجميعاً حال ، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » ، والجملة الشرطية في محل رفع خبر « أنه » (ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) تقدم اعراب نظيره (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات) الواو عاطفة ، واللام واقعة في جواب قسم محذوف ، وقد حرف تحقيق ، وجملة قد جاءتهم: لا محل لها لأنها جواب القسم ، ورسلنا فاعل ، وبالبينات متعلقان بجاءتهم (ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي ، وإن واسمها ، ومنهم متعلقان بمحذوف صفة لـ « كثيراً » والظرف متعلق بمحذوف حال ، وذلك اسم اشارة في محل جر بالإضافة ، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بـ «مسرفون» واللام المزحلقة ، ومسرفون خبر « إن » .

البلاغة :

التشبيه التمثيلي : ومناط التشبيه اشتراك فعلي القتل في هتك حرمة الدماء والتجرؤ على الله وتشجيع الناس على القتل . ووجه التشبيه هو تهويل أمر القتل ، وتفخيم شأن الاحياء ، بتصوير كل منهما بصورة لائقة به .

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾

إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾

الاعراب :

(إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) كلام مستأنف مسوق لبيان حكم الله في كل قاطع طريق ، كافراً كان أو مسلماً ، لأن محاربة المسلمين في حكم محاربة الله ورسوله . وقد نزلت في الأصل في العرنيين . وإنما كافة ومكفوفة ، وجزاء مبتدأ والـذين مضاف اليه ، وجملة يحاربون صلة الموصول ، والله مفعوله ، ورسولـه عطف عـلى الله (ويسعون في الأرض فساداً) ويسعون عطف عـلى يحاربون ، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بيسعون ، وفساداً يصح أن يكون مفعولاً من أجله ، أي يحاربون ويسعون لأجـل الفساد ، وشروط النصب متوفرة . ويصح أن يكون مصدراً واقعاً موقع الحال ، أي : ويسعون في الأرض مفسدين ، أو ذوي فساد ، وجعلوا نفس الفساد مبالغة . ويصح أن يكون منصوباً على المصدر ، أي أنه نوع من العامل قبله ، لأن يسعون في الأرض معنـاه في الحقيقـة يفسدون ، ففساداً اسم مصدر قائم مقام الإفساد ، والتقـدير يفسدون في الأرض بسعيهـم إفساداً (أن يقتّلوا أو يصلّبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض) المصدر المؤول من أن وما في حيزها خبر جزاء ، وأو حرف عطف ، ويصلبوا عطف على يقتلوا ، أو حرف عطف ، وتقطع عطف على يقتلوا أيضاً . وأيديهم نائب فاعل لتقطع ، وأرجلهم عطف

على أيديهم ، ومن خلاف متعلقان بمحذوف حال من أيديهم وأرجلهم ، أي : تقطع مختلفة ، بمعنى أن تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى • وينفوا عطف أيضاً ، ومن الأرض متعلقان بينفوا (ذلك لهم خزيٌ في الدنيا) الجملة مستأنفة ، مبينة للغاية من هذه العقوبات • واسم الاشارة في محل رفع مبتدأ ، ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وخزي مبتدأ مؤخر ، وفي الدنيا متعلقان بمحذوف صفة لخزي ، والجملة الاسمية خبر اسم الاشارة ، ويجوز أن يعرب « خزي » خبراً لـ « ذلك » ، ولهم متعلقان بمحذوف في محل نصب على الحال من خزي ، لأنه كان في الأصل صفة له ، فلما تقدم عليه صار حالاً (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) الواو عاطفة ، ولهم متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وفي الآخرة متعلقان بمحذوف حال ، وعذاب مبتدأ مؤخر ، وعظيم صفة (إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم) جملة الاستثناء نصب على الحال من المعاقبين ، وإلا حرف استثناء ، والذين مستثنى ، وجملة تابوا صلة الموصول ، ومن قبل متعلقان بتابوا ، وجرّت «قبل» بالكسرة للاضافة وأن تقدروا مصدر مؤول في محل جر بالاضافة ، وعليهم جار ومجرور متعلقان بتقدروا (فاعلموا أن الله غفور رحيم) الفاء استئنافية ، واعلموا فعل أمر مبني على حذف النون ، والواو فاعل ، وأن واسمها وخبراها سدت مسدّ مفعولي « اعلموا » •

الفوائد :

أو: حرف عطف،ولها معان أنهاها صاحب المغني الى اثني‌عشر معنى، نكتفي منها بالمعاني الرئيسية التالية :

١ ـ الشك : لتشكيك السامع بأمر قصده ، فأبهم عليه ، وهو عالم به . ومنه قوله تعالى : « وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون » .

٢ ـ التخيير : نحو خذ ثوباً أو عشرة دراهم ، قال الله تعالى : « فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة » فأوجب أحد هذه الثلاثة ، وزمام الخيرة بيد المكلف ، فأيها فعل فقد كفّر وخرج عن العهدة ولا يلزمه الجمع بينها .

٣ ـ الإباحة : جالس فلاناً أو فلاناً ، وقوله تعالى : « ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً » .

٤ ـ التقسيم والتنويع كما في الآية ، أي : تقسيم عقوبتهم تقسيماً موزعاً على حالاتهم وجناياتهم . قال الشافعي : « أو » في جميع القرآن للتخيير ، إلا في هذه الآية .

٢ ـ اختلف أهل التأويل في معنى النفي الذي ذكره الله تعالى في هذا الموضع فقال بعضهم : معنى النفي أي نفيه من بلد الى آخر ، وحبسه في السجن في البلد الذي نفي اليه . وأصل معنى النفي في كلام العرب الطرد ، قال أوس بن حجر :

تنفون عن طرق الكرام كما تنفي المطارق ما يلي القرد

والقَرَد بفتحتين : ما تمعّط من الوبر والصوف وتلبّد وانعقدت أطرافه ، وهو نفاية الصوف . ومنه قيل للدراهم الرديئة وغيرها : النفاية .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ

وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ
لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ
ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ
مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٣٧﴾

اللغة :

(الوسيلة) : كل ما يتوسل به أي يتقرّب من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك ، فاستعيرت لما يتوسل به الى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصي . قال لبيد بن ربيعة :

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم
ألا كل ذي لب الى الله واسل

وفي المصباح وسلت الى الله أسل من باب وعد : رغبت وتقربت ، ومنه اشتقاق الوسيلة وهي ما يتقرب به الى الشيء ، والجمع الوسائل ، والوسيل ، قيل : جمع وسيلة ، وقيل : لغة فيها . ومنه قول عنترة لامرأة لامته في فرس كان يؤثره على سائر خيله ، ويسقيه ألبان إبله :

لا تذكري مهري وما أطعمته فيكون جلدك مثل جلد الأجرب
إنّ الغبوق له وأنت مسوءة إن كنت سائلتي غبوقاً فاذهبي
إن الرجال لهـم إليك وسيلة إن يأخذوك تكحلي وتخضبي
ويكون مركبك العقود وحدجه وابن النعامة يوم ذلك مركبي

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقـدم إعراب نظائره كثيراً (اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) كلام مستأنف مسوق لبيان التقوى وابتغاء الوسيلة الى الله بعد ما بين عظم القتل والفساد في الارض ، وأشار الى الذين غفر لهم بعد توبتهم . واتقوا الله فعل أمر وفاعل ومفعول به ، وابتغوا عطف على اتقوا ، واليه متعلقان بابتغوا أو بالوسيلة ، لأنها فعيلة بمعنى مفعول ، أي : المتوسل به ، وليست بمصدر حتى يمتنع أن يتقدم معمولها عليها ، والوسيلة مفعول به (وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون) عطف على ما تقدم ، ولعل واسمها ، وجملة تفلحون خبرها ، وجملة الرجاء حالية . (إن الـذين كفروا لو أن لهم ما في الارض جميعاً) كلام مستأنف مسوق لتأكيد وجوب الامتثال للأوامر السابقة ، وترغيب المؤمنين في المسارعة الى اتخاذ الوسيلة إليه . وإن واسمها ، ولو شرطية ، وأن حرف مشبه بالفعل ، ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر « أن المقدم » ، وما اسم موصول اسمها المؤخر ، وأن وما في حيزها مصدر مرفوع على الفاعلية بفعل محذوف تقديره : ثبت ، أو في محل رفع مبتدأ ، وقد تقـدم بحث ذلك مفصلاً . وفي الأرض متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول ، والشرط

وجوابه خبر « إن » ، وجميعاً حال (ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة) لك أن تجعل الواو عاطفة ، ومثله عطف على اسم أن وهو « ما » الموصولية . ولك أن تجعل الواو للمعية ، ومثله مفعول معه ، وناصبه الفعل الذي حذف قبل الفاعل ، أو بفعل مماثل إن أعربت أن وما بعدها جملة ابتدائية . ومعه ظرف مكان متعلق بمحذوف حال ، واللام لام التعليل ، ويفتدوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ، والجار والمجرور متعلقان بالاستقرار الذي تعلق به الخبر وهو « لهم » ، وبه متعلقان بيفتدوا ، ومن عذاب يوم القيامة متعلقان بيفتدوا أيضاً ، لاختلاف معناهما ، ووحد الضمير مع أن الراجع اليه شيئان ، لأن الضمير بمعنى اسم الاشارة ، أي بذلك ، أو بمعنى « مع » فيتوحد المرجوع اليه ، أو هو من باب قول عمير بن ضابىء البرجمي :

فمن يك أمسى بالمدينة رحله فإني وقيّار بهـا لغريب

وسيأتي شرح هذا البيت في باب الفوائد . (ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم) ما تقبل منهم الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وجاء الجواب على الأكثر بغير لام لأنه منفي ، والواو استئنافية أو عاطفة ، ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وعذاب مبتدأ مؤخر ، وأليم صفة (يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها) الجملة ابتدائية ، ويريدون فعل مضارع وفاعل ، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مفعول به ليريدون ، ومن النار متعلقان بيخرجون ، والواو حالية ، وما نافية حجازية تعمل عمل ليس ، وهم ضمير منفصل في محل رفع اسمها ، والباء حرف جر زائد ، وخارجين مجرور لفظاً بالباء منصوب محلاً لأنه خبر « ما » الحجازية ، والجملة في محل نصب على الحال (ولهم عذاب مقيم) الواو استئنافة أو

عاطفة ، ولهم متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وعــذاب مبتدأ مؤخر ، ومقيم : صفة .

البلاغــة :

في قوله : ليفتــدوا به استعارة تمثيلية ، للزوم العــذاب بهم وديمومته عليهم ، وأنه لا سبيل لهم الى النجــاة منه . وفي الحديث الشريف : « يقال للكافر يوم القيامة : أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدي به ؟ فيقول : نعــم . فيقال له : قــد سئلت أيسر من ذلك » .

الفوائــد :

قول عمير بن ضابىء البرجمي في البيت : « وقيار » : قيار اسم فرسه ، وقيل جمله ، وقيل غلامه . وهو مبتدأ أو معطوف على محل إن واسمها ، وإذا أعرب مبتدأ فيكون خبره محذوفاً اختصاراً لدلالة المذكور عليه بالعطف وفيه العطف قبل تمام المعطوف عليه، وهو سماعي، ولا يجوز القياس عليه ، ولا يجوز جعل «غريب» خبراً عنهما لئلا يتوارد عاملان على معمول واحد،ولايجوز جعله خبراً عن «قيار»لأن لام الابتداء لا تدخل على الخبر . وقد جئنا به شاهداً عــلى أنه حذف من الثاني لدلالة مافي الأول عليه .

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ

ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾

اللغــة :

(نكالا) : قال في المصباح : نكل به ينكل من باب قتل نكلة قبيحة : أصابه بنازلة . ونكّل به بالتشديد : مبالغة ، والاسم : النكال.

الاعراب :

(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) كلام مستأنف مسوق للشروع في بيان حكم السرقة . والسارق مبتدأ خبره محذوف تقديره : فيما يتلى عليكم ، أو فيما فرض عليكــم السارق والسارقة . أي : حكمهما . فحذف المضاف الذي هو « حكم » ، وأقيم المضاف اليه مقامه ، وهو السارق والسارقة ، وحذف الخبر وهو الجار والمجرور ، لأن الفاء بعده تمنع من نصبه عــلى الاشتغال ، كما هي القاعدة ، إذ يترجح النصب قبل الطلب ، وهي أي : الفاء التي جاءت لشبهه بالشرط تمنع أن يكون ما بعدها الخبر ، لأنها لا تدخل عليه أبداً ، فلم يبق إلا الرفع . وهذا باب أفرده سيبويه في كتابه ، ويرى القارىء خلاصته في باب الفوائد . وهي قراءة الجمهــور . وارتأى الأخفش والمبرد وجماعة أن الخبر هو الجملة الأمرية ، وهي قوله : « فاقطعوا » ، وإنما دخلت الفاء في الخبر لأنه يشبه الشرط ، إذ الألف واللام فيه موصولة بمعنى : الذي والتي ، والصفة صلتها ، فهي في قوة قولك : « والذي يسرق والتي تسرق فاقطعوا » ، وأجاز الزمخشري ذلك ، وإن رجح

ما ارتآه سيبويه . والسارقة عطف على السارق ، والفاء واقعة في جواب « ال » الموصولية ، واقطعوا فعل أمر والواو فاعل ، وأيديهما مفعول به (جزاء بما كسبا نكالاً من الله) جزاء مفعول لأجله ، أي : لأجل الجزاء ، وشروط النصب متوفرة . ويجوز أن ينصب على المصدر بفعل مقدّر ، أي : جازوهما جزاء . ويجوز أن يعرب حالاً من الفاعل ، أي : مجازين لهما بالقطع . وبما الباء حرف جر معناها السببية ، أي : بسبب كسبهما ، وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مجرور بالباء، والجار والمجرور متعلقـان بجزاء . ويجوز أن تكون ما موصولة ، أي : بسبب الـذي كسباه من السرقة التي تباشر بالأيدي ، والجملة صلة الموصول . ونكالاً منصوب كما نصب جزاء ، أو هو بدل منه ، ومن الله متعلقان بمحذوف صفة لـ « نكالاً » (والله عزيز حكيم) الواو استئنافية ، والله مبتدأ ، وعزيز خبر أوّل ، وحكيم ثان . وسترد قصة طريفة لأحد الأعراب يراها القارىء في باب الفوائد (فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه) الفاء استئنافية ، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ، وتاب فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، والفاء رابطة للجواب ، وإن واسمها ، وجملة يتوب خبرها ، وفعـل الشرط وجوابه خبر من (إن الله غفور رحيم) الجملة استئنافية ، وإن واسمها وخبراها .

الفوائد :

١ ـ نورد فيما يلي خلاصة الفصل الممتع الذي أورده سيبويه في كتابه لطرافته وفائدته وتوثّب الذهن فيه . قال في باب ترجمته : « باب الأمر والنهي » ، بعد أن ذكر المواضع التي يختار فيها النصب ، وملخصها : أنه متى بني الاسم على فعل الأمر فذاك موضع اختيار

النصب • ثم قال كالموضح لامتياز هذه الآية عما اختار فيها النصب : وأما قوله عز وجل : « والسارق والسارقة فاقطعوا » الآية ، وقوله : « الزانية والزاني فاجلدوا » الآية ، فإن هذا لم يبن على الفعل ، ولكنه جاء على مثال قوله تعالى : « مَثَلُ الجنةِ التي وُعِد المتقون » • ثم قال بعد : « فيها أنهار » • كذا يريد سيبويه تمييز هذه الآي عن المواضع التي بيّن فيها اختيار النصب • ووجه التمييز بأن الكلام حيث يختار النصب يكون الاسم فيه مبنياً على الفعل ، وأما في هذه الآي فليس بمبني عليه ، فلا يلزم فيه اختيار النصب • ثم قال : وإنما وضع المثل للحديث الذي بعده ، فذكر أخباراً وقصصاً ، فكأنه قال : ومن القصص مثل الجنة ، فهو محمول هذا على الإضمار ، والله أعلم • وكذلك « الزانية والزاني » كما قال جل ثناؤه : « سورةٌ أنزلناها وفرضناها » ، قال : في جملة الفرائض الزانيةُ والزاني ، ثم جاء : « فاجلدوا » بعد أن مضى فيهما الرفع • يريد سيبويه : لم يكن الاسم مبنياً على الفعل المذكور بعد ، بل بني على محذوف متقدّم وجاء الفعل طارئاً • وعاد كلامه فقال : كما جاء : وقائلة « خَوْلانُ فانكِحْ فتاتَهُمْ » فجاء بالفعل بعد أن عمل فيه المضمر ، وكذلك قوله : « والسارقُ والسارقة » : وفيما فرض عليكم السارق والسارقة ، فإنما دخلت هذه الاسماء بعد قصص وأحاديث • وقد قرأ ناس : والسارقَ والسارقةَ بالنصب ، وهو في العربية على ما ذكرت لك من القوة ، ولكن أبت العامة إلا الرفع • يريد سيبويه أن قراءة النصب جاء الاسم فيها مبنياً على الفعل غير معتمد على ما تقدم ، فكان النصب قوياً بالنسبة الى الرفع ، حيث يعتمد الاسم على المحذوف المتقدم ، فإنه قد بين أن ذلك يخرجه من الباب الذي يختار فيه النصب ، فكيف يفهم عنه ترجيحه عليه ؟ والباب مع القراءتين مختلف ، وإنما

يقع الترجيح بعد التساوي في الباب . فالنصب أرجح من الرفع حيث ينبني الاسم على الفعل ، والرفع متعين لا تقول : حيث بني الاسم على كلام متقدم ثم حقق سيبويه هذا المقدر بأن الكلام واقع بعد قصص وأخبار ، ولو كان كما ظنه الزمخشري لم يحتج سيبويه الى تقدير ، بل كان يرفعه على الابتداء ، ويجعل الأمر خبره ، كما أعربه الزمخشري . وإنما لخصنا هذا الفصل مع التعليق عليه ، لأن بعض المفسرين ظن أن سيبويه يرجح قراءة النصب من دون هذا التقييد . والملخص من هذا كله ; أن النصب على وجه واحد ، وهو بناء الاسم على فعل الأمر والرفع على وجهين ، أحدهما : ضعيف ، وهو الابتداء ، وبناء الكلام على الفعل . والآخر قوي كوجه النصب ، وهو رفعه على خبر ابتداء محذوف دل عليه السياق . وحيثما تعارض لنا وجهان في الرفع وأحدهما قوي والآخر ضعيف ، تعين حمل القراءة على القوي ، كما أعربه سيبويه .

الفخر الرازي يرد :

هذا وقد انبرى الفخر الرازي للرد على سيبويه فقال : « والذي ذهب اليه سيبويه ليس بشيء ، فيدل على فساده وجوه » وأورد بعد كلام طويل خمسة وجوه ، يضيق عن استيعابها صدر هذا الكتاب .

أبو حيان يرد على الرازي :

وقد تصدى أبو حيان للرد على الرازي ، ففند بتطويل زائد في تفسيره « البحر المحيط » الوجوه الخمسة التي أوردها ، وقال في نهاية المناقشة : « والعجب من هذا الرجل وتجاسره على العلوم حتى صنّف

كتاباً في النحو سماه « المحرر » ، وسلك فيه طريقة غريبة بعيدة عن مصطلح أهل النحو وعن مقاصدهم » . فليرجع القارىء الى هذه المناقشة ، فإنها لطيفة جداً .

رأي لابن جرير الطبري :

ورأينا لابن جرير الطبري تعليلاً طريفاً في اختيار الرفع ندرجه فيما يلي : يقول جل ثناؤه ما معناه : ومن سرق من رجل أو امرأة فاقطعوا أيها الناس يده . ولذلك رفع السارق والسارقة لأنهما غير معينين ، ولو أريد بذلك سارق وسارقة بأعيانهما لكان وجه الكلام النصب .

٢ ـ جمع الأيدي من حيث كان لكل سارق يمين واحدة ، وهي المعرضة للقطع في السرقة ، وللسراق أيدٍ ، وللسارقات أيدٍ ، كأنه قال : اقطعوا أيمان النوعين . فالتثنية للضمير إنما هي للنوعين .

٣ ـ روي أن أعرابياً سمع الأصمعي يتلو هذه الآية ، فقرأ في آخرها : « والله غفور رحيم » فأنكر الأعرابي أن يكون هذا قرآناً . قال الأصمعي : فرجعت الى المصحف فاذا هو : « والله عزيز حكيم » فلما قلت ذلك للأعرابي قال : نعم ، عز فحكم فقطع ، ولو غفر ورحم لما قطع . وهذه وثبة من وثبات الذهن العالية .

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ

لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

الاعراب :

(ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض) كلام مستأنف مسوق لخطاب الرسول ، والمقصود به كل أحد ، وأنه هو المتصرف الوحيد في شئون التعذيب والغفران لمن يشاء . والهمزة للاستفهام التقريري لما بعد النفي ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ، وتعلم فعل مضارع مجزوم بلم ، وأن وما في حيزها سدت مسدّ مفعولي تعلم ، وأن واسمها ، وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدّم ، وملك السموات مبتدأ مؤخر ، والأرض معطوف على المضاف اليه السموات ، والجملة الاسمية خبر أن (يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير) الجملة الفعلية خبر ثان لأن أو حالية ، وإنما قدم التعـذيب لأن السياق للوعيد ، فيناسب ذلك تقديم ما يليق به من

الزواجر • ومن اسم موصول مفعول يعـذب ، وجملة يشاء صلة ، ويغفر عطف على يعذب ، ولمن يشاء متعلقان بيغفر ، والواو استئنافية ، والله مبتدأ ، وعلى كل شيء متعلقان بقدير ، وقدير خبر الله (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) كلام مستأنف مسوق لخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، تحذيراً له من التأثر بما يعمله الكافرون ليحزنوه • ويا أيها الرسول تقدم إعرابها كثيراً ، ولا ناهية ، ويحزنك فعل مضارع مجزوم بلا ، والكاف مفعول به ، والذين اسم موصول في محل رفع فاعل ، وجملة يسارعون لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وفي الكفر جار ومجرور متعلقان بيسارعون (من الذين قالوا : آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهـم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، وجملة قالوا لا محل لها لأنها صلة ، وجملة آمنا مقول القول ، وبأفواههم متعلقان بقالوا ، أي : إن قولهم لا يتجاوز أفواههم ، والواو حالية ، ولـم حرف نفي وقلب وجزم ، وتؤمن فعـل مضارع مجزوم بلم ، وقلوبهم فاعل ، والجملة في محل نصب حال (ومن الذين هادوا سمّاعون للكذب سمّاعون لقوم آخرين) الواو عاطفة ، ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا، فيكون حالاً مبينة لشيء واحد، وقيل : الواو استئنافية ، ومن الذين خبر مقـدم ، وسماعون مبتدأ مؤخر ، فيكون البيان بشيئين ، وعلى الوجه الأول تكون «سماعون» خبر لمبتدأ محذوف ، أي : هم سماعون ، وللكذب متعلقان بسماعون ، و « سماعون » الثانية بدل من « سماعون » الأولى أو تأكيد لها ، ولقوم متعلقان بـ « سماعون » ، وآخرين صفة (لم يأتوك) الجملة صفة ثانية لقوم ولم حرف نفي وقلب وجزم ، ويأتوك فعل مضارع مجزوم وفاعل ومفعول به (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) الجملة صفة ثالثة ، ولا بد من حذف مضاف ، أي : حكم الكلم ، ومن بعد

مواضعه متعلقان بمحذوف حال ، أي : حال كونها من بعد وضع الله الكلم مواضعه ، وقد يحتمل أن يكون معناه : يحرفون الكلم عن مواضعه ، فتكون « بعد » وضعت موضع « عن » ، كما يقال : جئتك عن فراغي من الشغل ، يريد : بعد فراغي من الشغل ، والمراد بهم اليهود (يقولون : إن أُوتيتم هذا فخذوه) الجملة صفة رابعة ، ويقولون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون ، والواو فاعل ، وإن شرطية ، وأوتيتم فعل ماض مبني للمجهول في محل جزم فعل الشرط ، وهذا مفعول به ثان ، والأول التاء التي هي نائب فاعل ، والفاء رابطة لجواب الشرط ، وجملة خذوه في محل جزم جواب الشرط، ولم يصلح أن يكون جواباً لأنه طلب والجملة الشرطية في محل نصب مقول القول • (وإن لم تؤتوه فاحذروا) الواو حرف عطف ، وإن شرطية ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ، وتؤتوه فعل مضارع مجزوم بلم ، وهو في الوقت نفسه فعل الشرط ، والواو نائب فاعل ، والهاء مفعول به ثان ، فاحذروا الفاء رابطة لجواب الشرط ، وجملة احذروا في محل جزم جواب الشرط (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً) الواو استئنافية ، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ، ويرد فعل الشرط ، والله فاعل ، وفتنة مفعول به ، والفاء رابطة لجواب الشرط ، ولن حرف نفي ونصب واستقبال ، وتملك فعل مضارع منصوب بلن ، والجملة في محل جزم جواب الشرط ، وله متعلقان بتملك ، ومن الله متعلقان بمحذوف حال من « شيئاً » لأنه في الأصل صفة ، وتقدم عليه ، وشيئاً مفعول به أو مفعول مطلق ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) الجملة مستأنفة مسوقة للإيذان ببعد منزلة المنافقين في الفساد ، وإيغالهم في الضلالة • واسم الإشارة مبتدأ ، والذين خبر ، وجملة لم

يرد الله صلة الموصول ، وأن وما في حيزها في موضع نصب على أنه مفعول يرد ، وقلوبهم مفعول به ليطهر (لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم) لهم متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وفي الدنيا متعلقان بمحذوف حال ، وخزي مبتدأ مؤخر ، والجملة خبر ثان لاسم الإشارة ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم عطف على ما تقدم .

﴿ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾

اللغة :

(السحت) بضم الحاء وسكونها : الحرام ، وما خبث وقبح من المكاسب ، فلزم عنه العار ، كالرشوة ، والجمع أسحات . وكان اليهود يأخذون الرشا على الأحكام . وترى في باب الفوائد نبذة عنه . ومن عجيب أمر السين والحاء إذا كانتا فاء للكلمة وعيناً لها أنها تدل على السحب والتأثير البعيد ، فسحب ذيله فانسحب هي أمّ هذا الباب . ومن مجاز الكلام سحبت الريح أذيالها . وانسحبت فيها ذَلاذِلُ الريح ، واسحب ذيلك على ما كان مني . ويقولون : ما استبقى الرجل ودّ صاحبه بمثل سحب الذيل على معايبه . ومادة السحت تقدمت ، ويقال : سحت الشحم من اللحم قشره ، وفلان مسحوت المعدة شَرِهٌ ،

عاميّ فصيح ، وسحجت الرياح الأرض أزالت ما على أديمها ، وسحّ الماءَ صبّه ، وسحّ المطرُ والدمع انثالا ، ولا يخفى ما في ذلك من معنى السحب والانزلاق ، وسحره معروف ، وإنه لمسَحَّر : سُحر مرة بعد أخرى حتى تخبّل عقله . ولقيته سحَراً وسُحْرَةً . وجاء فلان بالسحر من القول : أي خلب العقول ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لسحراً » . وعلى هذا النحو تطّرد هذه المادة ، ولا تختلّ عن هذا المعنى ، وهذا من الأعاجيب .

الاعراب :

(سمّاعون للكذب أكّالون للسحت) سماعون خبر لمبتدأ محذوف أي : هم سماعون ، والجملة مستأنفة مسوقة لتأكيد ما قبله ، أو التمهيد لما بعده . وللكذب متعلقان بـ « سماعون » ، ومثلها : أكالون للسحت (فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) الفاء استئنافية ، والكلام مستأنف مسوق لسرد بعض ما يترتب على هذه الأحكام . وإن شرطية ، وجاءوك فعل ماض وفاعل ومفعول به ، وهو في محل جزم فعل الشرط ، والفاء رابطة لجواب الشرط لأنه جملة طلبية ، واحكم فعل أمر ، وبينهم ظرف متعلق بـ « احكم » وأو حرف عطف للتخيير ، وأعرض معطوف على « احكم » ، وعنهم متعلقان بـ « أعرض » ، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط (وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً) الواو عاطفة ، وإن شرطية ، وتعرض فعل الشرط مبني للمجهول ، وعنهم متعلقان بتعرض ، والفاء رابطة لجواب الشرط ، ولن حرف نفي ونصب واستقبال ، ويضروك فعل مضارع منصوب بلن ، والواو فاعل ، والكاف مفعول به ، وشيئاً مفعول مطلق والجملة في محل جزم جواب الشرط ، (وإن حكمت

فاحكم بينهم بالقسط) الواو عاطفة ، وإن شرطية ، وحكمت فعل ماض وفاعل ، في محل جزم فعل الشرط ، والفاء رابطة للجواب ، واحكم فعل أمر ، وبينهم ظرف متعلق به ، والجملة في محل جزم جواب الشرط، وبالقسط متعلقان بمحذوف حال ، أي : عادلاً (إن الله يحب المقسطين) إن واسمها ، وجملة يحب المقسطين خبرها ، والجملة مستأنفة للتعليل .

الفوائـد :

روى الحسن قال : كان الحاكم في بني إسرائيل إذا أتاه أحدهم برشوة جعلها في كمه ، فأراها إياه ، فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه ، فيأكل الرشوة ، ويسمع الكذب . وحكي أن عاملاً قدم من عمله ، فجاءه قومه ، فقدم اليهم العراضة ، وجعل يحدثهم بما جرى له . فقال أعرابي من القوم : نحن كما قال تعالى : « سمّاعون للكذب أكّالون للسحت » . وفي الحديث : « كل لحم أنبته السحت فالنار أولى به » .

﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟

ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾

اللغـة :

(الربانيون) نسبة الى الرب ، على خلاف القياس . ويقال أيضاً : رِبّيّ بكسر الراء ، ورَبّوبيّ بفتح الراء ، وسنورد أشهر الأسماء التي أتت منسوبة على خلاف القياس في باب الفوائد . والرّبانيّ : هو المتألّه المتعبد .

(الأحبار) : الفقهاء ، واحده حبر ، بالفتح والكسر . قال الفرّاء: الكسر أفصح . وهو مأخوذ من التحبير والتحسين ، فإنهم يحبرونه ويزينونه . والحبر الأعظم عند المسيحيين : خلف السيد المسيح على الأرض ؛ وعند اليهود رئيس الكهنة .

الاعراب :

(وكيف يحكمونك وعندهم التوراة) كلام مستأنف مسوق للتعجب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه ، مع أنه الحق ، كما نص على ذلك كتابهم الذي يدعون الإيمان به . وكيف استفهام تعجّبي في محل نصب على الحال ، ويحكمونك فعل مضارع مرفوع والواو فاعل والكاف مفعول به ، والواو للحال ، وعندهم ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم ، والتوراة مبتدأ مؤخر ، والجملة في محل نصب على الحال من الواو في يحكمونك (فيها حكم الله ثم يتولون من بعد

ذلك وما أولئك بالمؤمنين) فيها جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وحكم الله مبتدأ مؤخر ، والجملة في محل نصب على الحال من التوراة ، ثم حرف عطف ، للترتيب مع التراخي ، ويتولون عطف على يحكمونك ، وفائدة العطف بثم الدالة على التراخي للدلالة على رسوخ تولّيهم وإعراضهم وإصرارهم على الإعراض عن الحكم الطويل ، بعد التأمل الطويل ، وظهور الآيات الدالة على صدق التحكيم . ومن بعد ذلك جار ومجرور متعلقان بيتولون أو حال،والواو عاطفة أو استئنافية، وما نافية حجازية ، واسم الاشارة مبني على الكسر في محل رفع اسمها ، والباء حرف جر زائد ، والمؤمنين مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر « ما » (إنا أنزلنا التوراة) كلام مستأنف مسوق لبيان رفعة التوراة ، وسمو مرتبتها ، ووجوب مراعاة أحكامها . وإن واسمها ، وجملة أنزلنا خبرها ، والتوراة مفعول به (فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا)الجملة في محل نصب حال من التوراة، وفيها متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وهدى مبتدأ مؤخر ، ونور عطف على هدى ، وجملة يحكم بها النبيون مستأنفة مبينة لعلو شأن التوراة ، ولك أن تجعلها حالاً ثانية من التوراة ، وبها متعلقان بيحكم ، والنبيون فاعل يحكم ، والذين صفة ، وجملة أسلموا صلة الموصول (للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله) الجار والمجرور متعلقان بيحكم ، وجملة هادوا صلة الموصول ، والمعنى : يحكمون بها فيما بينهم . ويجوز أن يتعلقا بأنزلنا ، أو بمحذوف صفة لهدى ونور ، والربانيون والأحبار معطوفان على « النبيون » ، و « بما استحفظوا » متعلقان بيحكم ، ومن كتاب الله متعلقان باستحفظوا ، واستحفظوا فعل ماض مبني للمجهول ، والواو نائب فاعل ، ويجوز في « ما » أن تكون مصدرية أو موصولية ، ويجوز أن يتعلق قوله : « من كتاب الله »

بمحذوف حال (وكانوا عليه شهداء) عطف على « استحفظوا » ، والواو اسم كان ، وعليه متعلقان بشهداء ، وشهداء خبر كانوا (فلا تخشوا الناس واخشون) الفاء الفصيحة ، أي : إذا عرفتم هذا فلا تخشوا الناس ، ولا ناهية ، وتخشوا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية ، والواو فاعل ، والناس مفعول به ، واخشون الواو عاطفة ، واخشون فعل أمر مبني على حذف النون ، والواو فاعل ، والنون للوقاية ، وياء المتكلم المحذوفة مفعول به (ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً) عطف على ماتقدم ، ولا ناهية ، وتشتروا فعل مضارع مجزوم بلا ، وبآياتي متعلقان بتشتروا ، والباء داخلة على المتروك كما تقرر ، وثمناً مفعول به ، وقليلا صفة (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) الواو استئنافية ليكون الحكم عاماً ، فكل من ارتشى وحكم بغير حكم الله فقد كفر ، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ، ويحكم فعل مضارع مجزوم بلم ، وهو فعل الشرط ، وبما متعلقان بيحكم ، وجملة أنزل الله صلة الموصول ، فأولئك الفاء رابطة لجواب الشرط ، واسم الإشارة مبتدأ ، وهم مبتدأ ثان ، والكافرون خبر ، والجملة الاسمية خبر اسم الاشارة ، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر « من » .

البلاغة :

في هذه الآية فن من فنون البلاغة دقيق المسلك ، قلّ من يتفطن اليه لأنه عميق الدلالة ، لا يسبر غوره إلا الملهمون الذين أشرقت نفوسهم بضياء اليقين والإلهام ، ولم يبوّب له أحدٌ من علماء البلاغة من قبل ولكنه مندرج في سلك الإطناب من علم المعاني ، وذلك في

سياق قوله في صفة النبيين : « الذين أسلموا » . ومعلوم أن الاسلام من البدائه التي يفترض وجودها في الأنبياء ، وهم يتساوون فيها مع أقل أتباعهم من الآحـاد ، ولكن كما يراد إعظـام الموصوف بالصفة العظيمة يراد إعظام الصفة بموصوفها العظيم ، فاذا قلت : قرأت قصيدة للمتنبي الشاعر فليس المراد أن تمدح المتنبي بالشاعرية ، لأن هذه الصفة ، على عظمتها ، لا يتميز بها ، فإن أقل شاعر يوصف بها ، ولكنك تمدح الشاعرية بأن يندرج في عداد المتسمين بها هذا الشاعر العظيم ، ولهـذا كان القائـل في مديح النبي صلى الله عليـه وسلم محسناً غاية الإحسان :

فلئن مدحت محمداً بقصيدتي فلقـد مدحت قصيدتي بمحمد

وإلا فلو اقتصرنا على جعلها للمدح كما قرر الزمخشري وغيره لخرجنا على قانون البلاغة المألوف ، وهو الترقي من الأدنى الى الأعلى . فكيف يتفق هذا مع ما ورد في القرآن لو لم يكن الغرض مدح الصفة بالموصوف ، ألا ترى أن أبا الطيب المتنبي نفسه تزحزح عن مقـام البلاغة الأسمى في قوله :

شمسٌ ضحاها هلالٌ ليلتِها درٌّ تقاصـيرِها زبرجدُها

فقد نزل عن الشمس الى الهلال وعن الدرّ الى الزبرجد ، ومن ثم أخذ عليه النقاد القدامى هذه الهنة اليسيرة .

الفوائـد :

قواعد النسبة مبسوطة في كتب النحو ، ولكن هناك أسماء كثيرة

الاستعمال خالفت قواعد النسبة ، فأحببنا أن نورد أكثرها استعمالاً ليستظهرها الأديب ، فوضعنا جدولاً لبعض هذه الأسماء مرتبة على حروف الهجاء :

أنافي : نسبة الى أنف كبير •

أموي : نسبة الى أمية •

بهرانيّ : نسبة الى بهراء ، وهي قبيلة من بني قضاعة ، كانت مساكنها في سهل حمص ، وكانت تدين بالنصرانية شأن جاراتها تنوخ وتغلب •

بدوي : نسبة الى بادية •

بحراني : نسبة الى البحرين •

تهامي وتهام : نسبة الى تهامة •

ثقفي : نسبة الى ثقيف •

جُذَميّ : نسبة الى جذيمة •

جلولي : نسبة الى جلولاء ، وهي مدينة في العراق على طريق خراسان ، عندما انتصر العرب على جيش ملك ساسان •

حروري : نسبة الى حروراء ، وهو موضع في العراق ، غير بعيد عن الكوفة ، اجتمع فيه الخوارج الأولون عندما جهروا بالخروج على علي بن أبي طالب ، فقاتلهم وأبادهم في وقعة النهروان •

حرميّ : بكسر الحاء ، نسبة الى الحرمين ، أي : مسجدي مكة والمدينة •

حضرميّ : نسبة الى حضرموت •

دهريّ بضم الدال : نسبة الى دهر •

ديرانيّ : نسبة الى دير •

روحانيّ : نسبة الى روح •

رباني : نسبة الى رب •

رقباني : نسبة الى عظيم الرقبة •

رديني : نسبة الى ردينة ، وهو الرمح وردينة وهي امرأة اشتهرت بتقويم الرماح •

سليقي : نسبة الى سليقة •

شآم : نسبة الى الشام •

شعراني : نسبة الى كثير الشعر •

صدراني : نسبة الى كبير الصّدر •

صنعاني : نسبة الى صنعاء •

طائيّ : نسبة الى طيّء •

عبديّ : نسبة الى بني عبيدة •

عبشمي : نسبة الى عبد شمس •

عبدريّ : نسبة الى عبد الدار •

يمان : نسبة الى اليمن •

عبدلي : نسبة الى عبد الله •

فرهودي : نسبة الى فراهيد •

قرشي : نسبة الى قريش •

كنتي : نسبة الى كنت •

لحياني : نسبة الى كبير اللحية •

مروزي : نسبة الى مرو •

نباطي : نسبة الى الأنباط •

ناصري : نسبة الى الناصرة •

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٤٥) ﴾

الاعراب :

(وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن) الواو عاطفة وكتبنا فعل وفاعل ، والفعل معطوف على « أنزلنا » ، وعليهم متعلقان بكتبنا ، والضمير في « عليهم » يعود للذين هادوا ، وفيها متعلقان بمحذوف حال ، والضمير

يعود للتوراة ، وأن واسمها ، وبالنفس متعلقان بمحذوف خبرها ، وأن ومابعدها في تأويل مصدر محذوف في محل نصب مفعول به لكتبنا ، لأن الكتابة تقع عليه ، أي : قتل النفس بالنفس ، أي : مقتولة بالنفس ، والعين بالعين عطف ، أي : وفقء العين بفقء العين ، وجدع الأنف بجدع الأنف ، وصلم الأذن بصلم الأذن ، وقلع السنّ بقلع السنّ . وفي قراءة برفع هذه الأربعة على الابتداء والخبر (والجروح قصاص) عطف أيضاً . وقرىء بالرفع أيضاً . والمراد بالجروح مالا يمكن البتّ في الحكم فيه وأرى أن الأولى في الجروح الرفع ليكون « قصاص » خبره ، والتفاصيل في المطولات (فمن تصدق به فهو كفارة له) الفاء استئنافية ، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ، وتصدق فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، وبه متعلقان بتصدق ، والفاء رابطة للجواب ، وهو مبتدأ ، وكفارة خبر ، والجملة الاسمية المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) الواو عاطفة ، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ، ويحكم فعل مضارع مجزوم بلم ، وهو فعل الشرط ، وبما جار ومجرور متعلقان بيحكم ، وجملة أنزل الله صلة الموصول ، فأولئك الفاء رابطة للجواب ، واسم الاشارة مبتدأ ، وهم مبتدأ ثان ، والظالمون خبره ، والجملة الاسمية « هم الظالمون » خبر أولئك ، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » .

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ

مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾

اللغـة :

(قفينا) قفّى : أتى ، وقفى فلان زيداً وبزيد : أتبعه إياه ، ويقال : قفّيت على أثره بفلان : أي أتبعته إياه .

بين أبي حيان والزمخشري :

وقد ثارت مناقشة لطيفة بين الزمخشري وأبي حيان ، وهذه خلاصتها : قال أبو حيّان على تضمين قفينا معنى جئنا ، أي : ثم جئنا على آثارهم بعيسى بن مريم قافياً لهم . وليس التضعيف في « قفينا » للتعدية ، وذلك لأن « قفا » يتعدّى لواحد ، قال تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم » . وتقول : قفا فلان الأثر إذا اتبعه ، فلو كان التضعيف للتعدي لتعدى الى اثنين منصوبين ، وكان يكون التركيب ، ثم قفينا على آثارهم عيسى بن مريم ، وكان يكون عيسى هو المفعول الأول ، وآثارهم المفعول الثاني . لكنه ضُمّن معنى « جاء » وعُدّي بالباء ، وتعدى « الى آثارهم » بعلى . هذه خلاصة ما قاله أبو حيان ، وأطال في هذه المسألة ليرد على الزمخشري ما أعربه إذ قال ما نصه :

ما يقوله الزمخشري :

« قفيته مثل عقبته إذا أتبعته ، ثم يقال : قفيته بفلان وعقبته به ، فتعديه الى الثاني بزيادة الباء ، فإن قلت : فأين المفعول الأول في الآية ؟ قلت : هو محذوف ، والظرف الذي هو « على آثارهم » كالساد مسدّه ، لأنه إذا قفى به على أثره فقد قفى به إياه » .

استطراد أبي حيّان :

واستطرد أبو حيان في الرد على الزمخشري فقال : وكلامه يحتاج الى تأويل ، وذلك أنه جعل « قفّيته » المضعف بمعنى « قفوته » ، فيكون « فعّل » بمعنى « فعَل » ، نحو : قدّر الله وقدَر الله ، وهو أحد المعاني التي جاءت لها « فعل » ، ثم عداه بالباء ، وتعدية المتعدي لمفعول بالباء لثانٍ قلّ أن يوجد ، حتى زعم بعضهم أنه لا يوجد ، ولا يجوز . فلا يقال في : طعم زيد اللحم : أطعمت زيداً باللحم ، والصحيح أنه جاء على قلة ، تقول : دفع زيد عمراً ، ثم تعديه بالباء فتقول : دفعت زيداً بعمرو ، أي جعلت زيداً يدفع عمراً . وكذلك صكّ الحجر الحجر ، ثم تقول : صككت الحجر بالحجر ، أي جعلته يصكّه . وأما قوله : المفعول الأول محذوف والظرف كالسّاد مسدّه ، فلا يتجه . لأن المفعول هو مفعول به صريح ولا يسد الظرف مسده . الى أن يقول : وقول الزمخشري : « فقد قفى به إياه » فصل الضمير ، وحقه أن يكون متصلاً .

الاعراب :

(وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة)

كلام مستأنف مسوق للشروع في بيان أحكام الإنجيل بعد بيان حكم التوراة . وقفينا فعل وفاعل ، وعلى آثارهم وبعيسى متعلقان بقفينا ، وابن مريم بدل أو صفة ، ومصدقاً حال ، ولما متعلقان بـ « مصدقاً » ، وبين يديه ظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول وهو « ما » ، ومن التوراة متعلقان بمحذوف حال (وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور) الواو عاطفة ، وآتيناه فعل ماض وفاعل ومفعول به ، والإنجيل مفعول به ثان ، وفيه جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وهدى مبتدأ مؤخر ، ونور عطف على هدى ، والجملة الاسمية في محل نصب على الحال (ومصدقاً لما بين يديه من التوراة) ومصدقاً عطف على محل الجملة ، فهو في حكم المنصوب على الحال ، ولما متعلقان بـ « مصدقاً »، وبين يديه ظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول ، ومن التوراة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (وهدى وموعظة للمتقين) الواو عاطفة وهدى عطف منتظم في سلك « مصدقاً » فهما نصب على الحال . وأجاز بعضهم أن يكونا مفعولين لأجلهما ، وفيه بعد ، لوجود الواو وموعظة عطف على هدى ، وللمتقين متعلقان بمحذوف صفة (وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه) الواو عاطفة واللام لام الأمر ، ويحكم فعل مضارع مجزوم بلام الأمر ، وأهل الإنجيل فاعل يحكم ، وبما متعلقان بيحكم ، وفي قراءة سبعية : « وليحكم » ، بجعل اللام للتعليل ، ويحكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ، والجار والمجرور متعلقان بآتينا أو بقفينا ، فيه جار ومجرور متعلقان بيحكم (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) تكرر إعراب هذه الجملة ، وأفاد التكرار معنى التوكيد .

البلاغــة :

١ ــ التشبيه البليــغ ، وهو تشبيه الإنجيــل بالنور والهدى ، وحذف الأداة ليكونا نفس الإنجيل للمبالغة •

٢ ــ التكرار : في الجمل زيادة في التوكيد كما تقدم •

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

اللغــة :

(مهيناً) أي : شاهداً ورقيباً على سائر الكتب ، لأنه يشهد لها بالصّحة والثبات • قال حسان بن ثابت :

إنّ الكتــاب مُهيمنٌ لنبيّنا والحقّ يعرفــه ذوو الألبــاب

وقد اختلف في أصل فعله ، هل هو أصل بنفسه ؟ أي : إنه ليس

مبدلاً من شيء . يقال : هيمن يهيمن ، واسم الفاعل مهيمن . كبيطر يبيطر ، فهو مبيطر . أو أن هاءه مبدلة من همزة ، وأنه اسم فاعل من آمن غيره من الخوف ، والأصل مؤأيمن بهمزتين ، أبدلت الثانية ياء كراهية اجتماع همزتين ، ثم أبدلت الأولى هاء .

(شرعة) : الشرعة بكسر الشين : الدين ، والشرع مثله ، مأخوذ من الشريعة ، وهي مورد الناس للاستسقاء . وسميت بذلك لوضوحها وظهورها . وجمعها شرائع . وشرّع الله لنا كذا يشرعه : أظهره وأوضحه . والمشرعة بفتح الميم والراء : شريعة الماء ، قال الأزهري : ولا تسميها العرب مشرعة حتى يكون الماء عدّاً لا انقطاع له ، كماء الأنهار ، ويكون ظاهراً أيضاً ، ولا يستسقى منه برشاء . فإن كان من مياه الأمطار فهو الكزع بفتحتين والناس في هذا الأمر شرع بفتحتين ، وتسكن الراء للتخفيف : أي سواء .

(منهاجاً) : في المختار : النهج بوزن الفَلْس : المنهج ، أي المذهب . والمنهاج : الطريق الواضح ، ونهج الطريق : أبانه ، ونهجه أيضاً : سلكه ، وبابهما قطع . والنهج بفتحتين : تتابع النفس . وفي المصباح : « ونهج الطريق ينهج بفتحتين وضح واستبان ، وأنهج بالألف مثله ، ونهجته وانتهجته : أوضحته ، يستعملان لازمين ومتعديين » .

الاعراب :

(وأنزلنا اليك الكتاب بالحق) الواو عاطفة وأنزلنا فعل وفاعل ، واليك متعلقان بأنزلنا ، وبالحق متعلقان بمحذوف حال من الكتاب (مصدقاً لما بين يديه من الكتاب) مصدقاً حال من الكتاب ، ولما متعلقان بـ « مصدقاً » وبين ظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول ، ويديه مضاف اليه ، ومن الكتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال.

وعنى بالكتاب الجنس ، أي : جنس الكتب المنزلة من السماء (ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله) ومهيمناً عطف على « مصدقاً » وعليه متعلقان بـ « مهيمناً » ، فاحكم : الفاء الفصيحة ، أي : إذا كان شأن القرآن هذا فاحكم بين أهل الكتاب عند تحاكمهم اليك بما أنزل الله ، واحكم فعل أمر وبينهم ظرف متعلق بـ « فاحكم » وبما متعلقان باحكم، وجملة أنزل الله صلة الموصول (ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) الواو عاطفة ، ولا ناهية ، وتتبع فعل مضارع مجزوم بلا الناهية ؛ وأهواءهم مفعول به ، وعما جاءك متعلقان بمحذوف حال ، أي : منحرفاً ، وجملة جاءك صلة ، وقيل : تضمن « تتبع » معنى « تنحرف » أو « تتزحزح » ، فيتعلق الجار والمجرور به ، ومن الحق متعلقان بمحذوف حال من فاعل جاءك ، أو من نفس « ما » الموصولة (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) كلام مستأنف مسوق لحمل أهل الكتابين من معاصريه على الانصياع لما جاء به • ولكل متعلقان بـ « جعلنا » ، أو أنه مفعول أول لجعلنا ، ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة للاسم المحذوف الذي ناب عنه تنوين العوض اللاحق بـ « لكل »، أي لكل أمة منكم ، وشرعة مفعول جعلنا ، ومنهاجاً عطف على شرعة (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) الواو استئنافية ، ولو شرطية ، وشاء الله فعل وفاعل ، واللام واقعة في جواب لو ، وجملة جعلكم لا محل لها لأنها واقعة جواب شرط غير جازم ، وأمة مفعول جعلكم الثاني ، وواحدة صفة (ولكن ليبلوكم فيما آتاكم) الواو حالية ، ولكنْ حرف استدراك مهمل لأنه مخفف ، وليبلوكم اللام للتعليل ، ويبلوكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف تقديره : أراد ، وفيما متعلقان بيبلوكم ، وجملة آتاكم صلة الموصول (فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعاً) الفاء الفصيحة ، أي : إذا تبينتم وجه الحكمة في هذا

فاستبقوا ، واستبقوا : فعل وفاعل ، والخيرات مفعول به ، أو منصوب بنزع الخافض ، ولعله أولى ، لأن الأصل في « استبق » أن يعدّى الفعل بـ « إلى » إلا اذا ضمنت « استبق » معنى « ابتدر » ، فيتعدى بنفسه . والى الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، ومرجعكم مبتدأ مؤخر ، والجملة مستأنفة مسوقة سياق التعليل لاستباق الخيرات ، وجميعاً حال من الكاف لأنها فاعل في المعنى ، أي : ترجعون جميعاً (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) الفاء عاطفة على معنى مرجعكم ، أي : ترجعون فينبئكم ، والكاف مفعول به ، وبما متعلقان بينبئكم ، وجملة كنتم صلة الموصول ، والتاء اسم كان ، وجملة تختلفون خبرها .

البلاغة :

في إظهار الضمير بقوله : « الكتاب » بيان لأهميته ، وأنه المرجع والملاذ والمعتصم إذا حزب الأمر ، وهو داخل في نطاق علم المعاني . ومنه في الشعر قول البحتري في مطلع سينيته :

صنت نفسي عما يدنس نفسي ... وترفعت عن جدا كلّ جبس

﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ (٤٩) ﴾

الاعراب :

(وأن احكم بينهم بما أنزل الله) الواو مستأنفة ، والكلام مستأنف لبيان كيفية الحكم بينهم ، وجعلها الزمخشري عاطفة على الكتاب ، ولا يخفى ما فيه من بعد ، وأن وما بعدها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض ، ومتعلق الجار والمجرور محذوف ، أي: ووصّيناك بأن احكم ، واختار أبو حيّان أن يكون المصدر المؤول مبتدأ محذوف الخبر ، والتقدير : وحكمك بما أنزل الله أمرنا وقولنا ، أو تقدره بقولك : ومن الواجب حكمك بما أنزل الله ، ولا بأس بقوله. وبينهم ظرف متعلق بمحذوف حال ، وبما متعلقان بـ « احكم » ، وجملة أنزل الله صلة الموصول (ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك) الجملة معطوفة على « احكم » ، ولا ناهية ، وتتبع فعل مضارع مجزوم بـ « لا » ، وأهواءهم مفعول به ، واحذرهم عطف أيضاً ، وأن يفتنوك مصدر مؤول منصوب بنزع الخافض ، أي : من أن يفتنوك . ولك أن تجعل المصدر المؤول بدل اشتمال من الهاء في « واحذرهم » لأنهم اشتملوا على الفتنة ، وأجازوا أن يكون المصدر مفعولاً لأجله ، على تقدير لام العلة ، ولا النافية ، وأرى فيه تكلفاً ، ولكن كثيراً من المعربين أعربوه كذلك (عن بعض ما أنزل الله إليك) الجار والمجرور متعلقان بيفتنوك ، وما اسم موصول في محل جر بالاضافة ، وجملة أنزل الله صلة ، واليك متعلقان بأنزل (فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) الفاء استئنافية ، وإن شرطية ، وتولوا فعل ماض وفاعل ، وهو في محل جزم فعل الشرط ، والفاء رابطة للجواب ، وجملة اعلم في محل جزم جواب الشرط ، وأنما كافة ومكفوفة ، وهي وما في حيزها سدت مسد مفعولي اعلم ، ويريد فعل مضارع ، والله فاعل ، والمصدر المؤول مفعول يريد ، وببعض متعلقان بيصيبهم

(وإن كثيراً من الناس لفاسقون) الواو الستئنافية ، وإن واسمها ، ومن الناس متعلقان بمحذوف صفة لكثير ، واللام المزحلقة ، وفاسقون خبر « إن » .

البلاغـة :

الإبهام في قوله : « ببعض ذنوبهم » . والتولّي – على عظمه وجسامته وفداحة التطاول به – واحد منها . والمراد أن لهم ذنوباً كثيرة العدد ، والتولي من جملتها وواحد منها . فما أخسر صفقتهم وما أبشع ما اقترفوه . واستعمال « بعض » في الإبهام وارد كثيراً في كلامهم ، ومن ذلك قول لبيد بن ربيعة في معلقته :

ترّاكُ أمكنةٍ إذا لم أرضها   أو يعتلق بعض النفوس حمامها

أراد نفسه ، وإنما قصد تفخيم شأنها بهذا الإبهام ، يقول : إني تراك أماكن إذا لم أرضها إلا أن يعتلق بنفسي حمامها فـلا يتسنى لها البراح . ومن جعل « بعض النفوس » بمعنى كل النفوس فقد أخطأه ، لأن بعضاً لا يفيد العموم والاستيعاب ، فكأنه قال : نفساً كبيرة .

﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾

الاعراب :

(أفحكم الجاهلية يبغون) الكلام معطوف على ما تقدم ، مسوق لبيان نسط من تعنّتهم ، وجريهم على سبيل الباطل . والهمزة للاستفهام الإنكاري ، والفاء عاطفة على مقدّر يقتضيه المقام ، أي : أيتولون عن حكمك فيبغون حكم الجاهلية ؟ وحكم مفعول به مقدم لقوله : « يبغون » ، والجاهلية مضاف اليه ، ويبغون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون ، والواو فاعل (ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) الواو استئنافية ، ومن اسم استفهام في محل رفع مبتدأ ، وأحسن خبره ، ومن الله متعلقان بأحسن ، وحكماً تمييز . ولقوم متعلقان بمحذوف حال ، وقال الجلال وغيره : اللام بمعنى عند ، متعلقة بأحسن ، أي : عند قوم يوقنون ، وجملة يوقنون صفة لقوم (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) تقدم إعراب النداء ، ولا ناهية ، وتتخذوا فعل مضارع مجزوم بـ « لا » ، والواو فاعل ، واليهود مفعول به ، والنصارى عطف على اليهود ، وأولياء مفعول به ثان ، والجملة مستأنفة (بعضهم أولياء بعض) بعضهم مبتدأ ، وأولياء بعض خبر ، والجملة الاسمية صفة لأولياء أو ابتدائية ، ذكرت بمثابة التعليل للنهي (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) الواو استئنافية ، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ، ويتولهم فعل الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة ، ومنكم متعلقان بمحذوف حال ، فإنه : الفاء رابطة ، وان واسمها ، ومنهم خبرها ، والجملة الاسمية المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) إن واسمها ، ولا نافية ، ويهدي فعل مضارع ، والقوم مفعول به ، والظالمين صفة ، والجملة تعليلية لا محل لها .

البلاغـة :

في قوله : « أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون » فنّ طريف ، وهو فن الإيغال ، وفحواه أن يستكمل المتكلم كلامه قبل أن يأتي بمقطعه ، فإذا أراد الإتيان بذلك أتى بما يفيد معنى زائداً على معنى ذلك الكلام • وهو ضربان :

١ ــ إيغال تخيير : كما في هذه الآية ، فإن المعنى قد تمّ بقوله : « ومن أحسن من الله حكماً » ، ولما احتاج الكلام الى فاصلة تناسب ما قبلها وما بعدها ، أتت تفيد معنى زائداً ، لولاها لم يحصل ، وذلك أنه لا يعلم أن حكم الله أحسن من كل حكم إلا من أيقن أنه واحد حكيم عادل ليبقى توحيده الشريك في الحكم الذي انفرد به ، ولم يكن له معارض فيه ولا مناقض له ، ويحصل من حكمته وضع الشيء في موضعه فيؤمَنُ منه وضع الحق في غير موضعه ، وينفي العدل عنه الجور في الحكم ، ثم عدل عن قوله : « يعلمون » الى قوله : « يوقنون » ليكون علمهم بربهم علم قطع ويقين •

الايغال الاحتياطي في الشعر :

أما الإيغال الاحتياطي في الشعر فهو في القوافي خاصة لا يعدوها ، ويسميه بعضهم التبليغ ، حكى الحاتميّ عن عبد الله بن جعفر عن محمد ابن يزيد المبرّد قال : حدثني التوزيّ قال : قلت للأصمعي : من أشعر الناس ؟ قال : الذي يجعل المعنى الخسيس بلفظه كبيراً ، أو يأتي الى المعنى الكبير فيجعله خسيساً ، أو ينقض كلامه قبل القافية ، فاذا احتاج اليها أفاد بها معنى • قلت : نحو من ؟ قال : نحو الأعشى إذ يقول :

كناطحٍ صخرةً يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

فقد تم المثل بقوله : وأوهى قرنه ، فلما احتاج الى القافية قال : « الوعل » . قلت : وكيف صار الوعل مفضلاً على كل ما ينطح ؟ قال : لأنه ينحطّ من قنّة الجبل على قرنه فلا يضيره . قلت : ثمّ نحو من ؟ قال : نحو ذي الرمة بقوله :

قف العيس في أطـلال ميّة واسأل

رسوماً كأخـــلاق الرّداء المسلسل

فتسم كلامـه ، ثم احتاج الى القافية فقــال : المسلسل ، فزاد شيئاً . وقوله :

أظن الذي يجدي عليك سؤالها دموعاً كتبديد الجمان المفصّل

فتمّم كلامه ، ثم احتاج الى القافية ، فقال : « المفصل » ، فزاد شيئاً أيضاً . وليس بين الناس اختلاف في أن امرأ القيس أول من ابتكر هذا المعنى بقوله يصف الفرس :

إذا ماجرى شأوين وابتل عطفه تقول : هزيز الريح مرت بأثاب

فبالغ في صفته وجعله على هذه الصفة بعد أن يجري شأوين ، ويبتل عطفه بالعرق ، ثم زاد « الأثأب » إيغالاً في صفته ، وهو شجر للريح في أضعاف غصونه حفيف عظيم وشدّة صوت . وأتبعه زهير ابن أبي سلمى فقال :

كأن فتّاتَ العهن في كل منزلٍ نزلن به حبّ الفنا لم يحطّم

فأوغل في التشبيه إيغالاً بتشبيه ما يتناثر من فتات الأرجوان بحب الفنا الذي لم يحطم ، لأنه أحمر الظاهر أبيض الباطن ، فإذا لم يحطم لم يظهر فيه بياض البتة ، وكان خالص الحمرة . وتبعهما الأعشى فقال يصف امرأة :

غرّاء فرعاء مصقول عوارضها
تمشي الهوينى كما يمشي الوجي الوحل

فأوغل بقوله : « الوحل » بعد أن قال : « الوجي » وكان الرشيد كثير العجب بقول صريع الغواني :

إذا ما علت منّا ذؤابة شارب تمشّت به مشي المقيّد في الوحل

ويقول : قاتله الله ما كفاه أن جعله مقيداً حتى جعله في وحل .

٢ ـ إيغال احتياط :

وهو أن يستكمل المتكلم معنى كلامه قبل أن يقطعه ، فإذا أراد الإتيان بذلك أتى بما يفيد معنى زائداً تتمة للمبالغة ، كقوله تعالى : « ولا تسمع الصم الدعاء » ، ثم علم عز وجل أن الكلام يحتاج الى فاصلة تماثل مقاطع ما قبلها وما بعدها فأتى بها تفيد معنى زائداً على معنى الكلام حيث قال : « إذا ولّوا مدبرين » . فإن قيل : ما معنى مدبرين ؟ وقد أغنى عنها ذكر التولي ؟ قلنا : ذلك لا يغني عنها ، إذ التولي قد يكون بجانب دون جانب ، كما يكون الإعراض . وسيأتي المزيد منها عند الكلام على سورة النمل إن شاء الله تعالى .

﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

اللغــة :

(دائرة) : الدائرة من الصفــات الغالبة التي لا يذكــر معها موصوفها • وفرق الراغب في مفرداته : بين الدائرة والدولة بأن الدائرة هي الخط المحيط ، ثم عبّر بها عن الحادثة ، وإنما تقال في المكروه ، والدولة في المحبوب • وعن عبادة بن الصامت أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ لي موالي من يهود ، كثيراً عددهم ، وإني أبرأ الى الله ورسوله من ولايتهم ، وأوالي الله ورسوله • فقال عبد الله بن أُبيّ : إني رجــل أخاف الدوائر ، لا أبرأ من ولايــة مواليّ • وهم يهود بني قينقاع •

(حبطت) أي بطلت التي كانوا يتكلفونها في رأي الناس •

الاعراب :

(فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم) يجوز أن تكون الفاء استئنافية ، والكلام مستأنفاً مسوقاً لبيان كيفية ولائهم ولسببه

ولما يئول اليه أمرهم ومصيرهم • ويجوز أن تكون عاطفة والكلام معطوفاً على قوله : « إن الله لا يهدي القوم الظالمين » • وعلى كل حال لا محل لها ، وترى فعل مضارع ، والرؤية إما بصرية أو علمية ، والذين مفعول به ، وفي قلوبهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، ومرض مبتدأ مؤخر ، والجملة الاسمية صلة الموصول ، وجملة يسارعون إما حال إذا كانت الرؤية بصرية ، وإما مفعول به ثان إذا كانت الرؤية علمية ، وفيهم جار ومجرور متعلقان بيسارعون • (يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة) الجملة في محل نصب على الحال من ضمير « يسارعون » وجملة نخشى في محل نصب مقول القول ، والمصدر المؤول من أن وما في حيزها مفعول نخشى ، ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول به ، ودائرة فاعل (فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده) الفاء استئنافية ، وعسى من أفعال الرجاء وتعمل عمل « كان » ، والله اسمها ، وأن يأتي مصدر مؤول خبرها ، وقد تقدم أن الأكثر في خبر عسى أن يكون فعلاً مضارعاً مقترناً بأنْ ، وبالفتح متعلقان بيأتي ، أو أمر معطوف على الفتح ، ومن عنده متعلقان بمحذوف صفة لأمر (فيصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين) الفاء عاطفة أو سببية ، ويصبحوا معطوفة على يأتي ، أو منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية ، لأنها سبقت بعسى ، وهي للرجاء ، ويصبحوا فعل مضارع ناقص ، الواو اسمها ، وعلى ما متعلقان بنادمين ، وجملة أسروا لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وفي أنفسهم متعلقان بأسروا ، ونادمين خبر « أصبح » (ويقول الذين آمنوا : أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم) الواو استئنافية ، والكلام مستأنف مسوق لبيان ما يقوله المؤمنون • ويقول الذين فعل مضارع وفاعل ، وجملة آمنوا صلة الموصول ، وقرىء بنصب « يقولَ » عطفاً على « أن يأتي » ، وقرىء من دون واو ، فهي

مستأنفة أيضاً . والهمزة للاستفهام التعجبي ، واسم الاشارة مبتدأ ، والذين خبر ، والجملة في محل نصب مقول القول ، وجملة أقسموا صلة الموصول ، وبالله متعلقان بأقسموا ، وجهد أيمانهم مفعول مطلق أو حال (إنهم لمعكم) الجملة لا محل لها لأنها جواب القسم ، وإن واسمها ، واللام المزحلقة ، ومعكم ظرف متعلق بمحذوف خبر إن (حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين) جملة مستأنفة ، قيل : هي من كلام الله ، وعليه أكثر المعربين . وقيل : هي من قول المؤمنين ، وعليه الزمخشري وأبو حيّان . وأعمالهم فاعل حبطت ، والفاء عاطفة ، وأصبحوا فعل ماض ناقص ، والواو اسمها ، وخاسرين خبرها .

البلاغة :

في قوله تعالى : « حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين » فن سماه قدامة الإغراب والطرفة . وهو على ثلاثة أقسام :

١ ـ قسم يكون الإغراب منه في اللفظ ، وهو كثير .

٢ ـ قسم يكون الإغراب منه في المعنى ، كقول المتنبي :

يُطَمِّعُ الطيرَ فيهم طولُ أكلهم
حتى تكاد على أحيائهم تقعُ

فإنه عمد الى المعنى المعروف من كون الطير إنما تقع على القتلى وتتبع الجيوش ، ثقة بالشبع ، فتجاوزه بزيادة المبالغة المستحسنة لاقترانها بـ « تكاد » الى ما قال ، فحصل في بيته من الإغراب والطرفة ، ما لا يحصل لغيره .

٣ ـ وقسم لا يكون الإغراب في معناه ولا في ظاهر لفظه ، بل في تأويله ، وهو الذي إذا حمل على ظاهره كان الكلام معيباً وإذا تؤو ّل رده التأويل الى نمط من الكلام الفصيح ، فأماط عن ظاهره العيب • والآية الكريمة منه ، فإن لقائلٍ أن يقول : إن لفظة « أصبحوا » في الظاهر حشو لا فائدة فيه ، فإن هؤلاء المخبر عنهم بالخسر ان قد أمسوا في مثل ما أصبحوا ، ومتى قلت : أصبح العسل حلواً ، كانت لفظة « أصبح » زائدة من الحشو الذي لا فائدة فيه ، لأنه أمسى كذلك • وقد تخيل الرماني ّ لهذه اللفظة في تأويل تحصل به الفائدة الجليلة التي لولا مجيئها لم تحصل ، وهي أنه لما قال : لما كان العليل الذي قد بات مكابداً آلاماً شديدة تعتبر حاله عند الصباح ، فاذا أصبح مفيقاً مستريحاً من تلك الآلام رجي له الخير ، وغلب على الظن ّ برؤه وإفاقته من ذلك المرض ، واذا أصبح كما أمسى تعيّن هلاكه ، بجريان العادة بهيجان الإعلال في الليل وسكونه عند الصباح • وشبهت حال الأشقياء بالعليل الذي أصبح من الألم على ما أمسى ، فهو ممن ييئس من اصلاحه، وعلى هذا تكون لفظة « فأصبحوا » قد أفادت معنى حسناً جميلاً ، وخرجت عن كونها حشواً غير مفيد • ولما أخبر الله سبحانه بأنه حبطت أعمالهم علم بالقطع أنهم أصبحوا خاسرين ، فلفظة « أصبحوا » لا يصلح غيرها في موضعها ، ولا يتم المعنى إلا بها • وما مثّل به الرماني من قوله : « أصبح العسل حلواً وقد أمسى كذلك » إنما يقال هذا في الأمور الواقعة في دار الدنيا ، لأن زمانها فيه صباح ومساء ، فلما أصبح فيه على الحال التي يمسي عليها فذكر الصباح فيه والمساء حشو لا فائدة فيه ، وأما يوم القيامة الذي لا مساء فيه فإن تمثيله بما أصبح في الزمن الذي يصاحبه مساء تمثيل غير مطابق له •

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي

ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) ﴾

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) الكلام مستأنف مسوق لبيان حال المرتدين على الإطلاق . وقد تقدم اعراب النداء كثيراً . ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ، ويرتد فعل الشرط مجزوم وعلامة جزمه السكون وحرك بالفتحة لخفتها كما تقدم في قاعدة المضعّف ، ومنكم متعلقان بمحذوف حال ، وقرىء « يرتدد » بفكّ الإدغام . وعن دينه متعلقان بيرتد ، والفاء رابطة لجواب الشرط ، وجملة سوف يأتي الله في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » ، ويأتي الله فعل وفاعل ، وبقوم متعلقان بيأتي ، وجملة يحبهم صفة لقوم ، وجملة يحبونه عطف على جملة يحبهم . وفي محبة الله للعبد ، وحب العبد لله ، أبحاث شيقة اشتجر حولها الخلاف ، وليس هذا مقام بحثها ، فليرجع اليها القارىء في المطوّلات (أذلّة على المؤمنين أعزة على الكافرين) أذلة صفة ثانية لقوم ، وعلى المؤمنين متعلقان بأذلة ، وهو صفة مشبهة ، وأعزة صفة ثالثة ، وعلى الكافرين متعلقان بأعزّة (يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) جملة يجاهدون صفة رابعة لقوم ، وجملة ولا يخافون عطف على جملة يجاهدون ، فهي بمثابة صفة خامسة (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) الجملة مستأنفة ،

واسم الاشارة مبتدأ ، وفضل الله خبره ، و « ذلك » قد يشار به الى المفرد والمثنى والمجموع ، وهو هنا يشير به الى الأوصاف التي أولها : يحبهم ويحبونه ، وجملة يؤتيه خبر ثان ، ولك أن تجعلها مستأنفة ، والهاء مفعول به أول ومن اسم موصول في محل نصب مفعول به ثان ليؤتيه ، والواو استئنافية ، والله مبتدأ ، وواسع خبر أول ، وعليم خبر ثان •

البلاغة :

١ ــ محبة العبد لله بطاعته له ، وهو من المجاز الذي يسمى فيه المسبّب بالسبب •

٢ ــ الطباق بين أذلة وأعزّة •

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

الاعراب :

(إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) كلام مستأنف مسوق لتقرير الحكم فيمن يوالي الله ورسوله والمؤمنين • وإنما كافة ومكفوفة ، ووليكم خبر مقدم ، والله مبتدأ مرفوع ويجوز العكس ، ورسوله

عطف على الله ، وكذلك الذين آمنوا ، وجملة آمنوا صلة الموصول (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) اسم الموصول بدل من الذين ، وجملة يقيمون صلة ، والصلاة مفعول به ، ويؤتون الزكاة عطف على ما قبله (وهم راكعون) الواو حالية ، وهم مبتدأ ، وراكعون خبر ، والجملة في محل نصب على الحال ، ويجوز أن تكون الواو عاطفة ، والجملة معطوفة على ما سبقها ، فتكون مندرجة في خبر الصلة لاسم الموصول (ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا) الواو استئنافية ، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ، ويتولّ فعل الشرط ، والله مفعوله ، ورسوله عطف على الله ، والذين آمنوا عطف أيضاً (فإن حزب الله هم الغالبون) الفاء رابطة لجواب الشرط ، وإن واسمها ، وهم ضمير فصل لا محل له ، والغالبون خبر إن ، أو « هم » مبتدأ ، والغالبون خبر « هم » ، وجملة « هم الغالبون » خبر « إن » ، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » ، ويجوز أن يكون جواب الشرط محذوفاً لدلالة الكلام عليه ، أي : يغلب ، ويكون قوله « فإن حزب الله هم الغالبون » دالاً عليه ، وقد رجح هذا القول ابن هشام في المغني .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ

بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً) كلام مستأنف مسوق لخطاب بعض المؤمنين وتحذيرهم من المنافقين . وقد تقدم إعراب كلمة النداء ، ولا ناهية ، وتتخذوا فعل مضارع مجزوم بلا ، والواو فاعل ، والذين مفعول به ، وجملة اتخذوا صلة الموصول ، ودينكم مفعول به أول ، وهزواً مفعول به ثان ، ولعباً عطف على « هزواً » (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء) من الذين الجار والمجرور حال من الموصول الأول ، أو من فاعل اتخذوا ، وجملة أوتوا صلة ، وأتوا فعل مضارع مبني للمجهول ، والواو نائب فاعل ، والكتاب مفعول به ثان ، ومن قبلكم متعلقان بأتوا ، والكفار معطوف على الذين أوتوا ، وقرىء بالجر عطفاً على الموصول المجرور بمن . قال مكيّ : لولا اتفاق الجماعة على النصب لاخترت الخفض لقوته في الإعراب وفي المعنى . وأولياء مفعول به ثان لتتخذوا (واتقوا الله إن كنتم مؤمنين) الواو عاطفة ، واتقوا الله فعل أمر وفاعل ومفعول به ، وإن شرطية ، وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط ، والتاء اسمها ،ومؤمنين خبر كنتم ، وجواب الشرط محذوف دلّ عليه ما قبله ، أي فاتقوا الله (وإذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً) الواو عاطفة ، على صلة الذين الواقع مفعولاً به ، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ، وجملة ناديتم في محل جر بالإضافة ، والى الصلاة متعلقان بناديتم ، وجملة اتخذوها لا محل

لها لأنها جواب شرط غير جازم ، والواو فاعل ، والهاء مفعول به أول ، وهزواً مفعول به ثان ، ولعباً عطف عليه (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) اسم الاشارة مبتدأ والباء حرف جر ، وأن واسمها وخبرها في تأويل مصدر مجرور بالباء ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ، ولا نافية ، ويعقلون فعل مضارع ، والواو فاعل ، والجملة صفة لقوم .

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ (٥٩) ﴾

اللغـة :

(ينتقمون) : مضارع نقم ، وفيه لغتان : الفصحى حكاها ثعلب في فصيحه : نقَم بفتح القاف ينقِم بكسرها ، والأخرى : نقِم بكسر القاف ينقَم بفتح القاف ، حكاها الكسائي . ومعناه تسخطون وتكرهون ، وقيل : تنكرون . قال عبيد الله بن قيس الرّقيّات :

ما نقموا من بني أمية إلا ... أنّهم يحلمون إن غضبوا

الاعراب :

(قل : يا أهل الكتاب) كلام مستأنف مسوق لمخاطبة أهل الكتاب من بني إسرائيل . وقل : فعل أمر ، ويا حرف نداء ، وأهل الكتاب منادى مضاف (هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله) الجملة مقول القول ،

وهل حرف استفهام إنكاري وتنقمون فعل مضارع والواو فاعل ، ومنا متعلقانْ بتنقمون ، وإلا أداة حصر ، وأنْ وما بعدها في تأويل مصدر مفعول تنقمون ، وقيل المصدر منصوب على أنه مفعول لأجله ، والمفعول به محذوف ، والأول أرجح ، وبالله متعلقان بآمنا ، والمعنى ما تكرهون منا إلا الإيمان أو لا تسخطون علينا إلا لأجل إيماننا (وما أنزل الينا وما أنزل من قبل) عطف على المصدر المؤول ، وجملة أنزل صلة الموصول ، وإلينا متعلقان بأنزل ، و « ما » الثانية عطف على « ما » الأولى ، وجملة أنزل صلة الموصول ، ومن قبل جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (وأن أكثركم فاسقون) الواو عاطفة ، وقرأ الجمهور بفتح « أن » فهي في تأويل مصدر محله الرفع على الابتداء ، والخبر محذوف ، والتقدير : وفسقكم ثابت معلوم عندكم ، لأنكم علمتم أننا على الحق ، وأنكم على الباطل ، فإن عنصريتكم وحبكم للرئاسة وجمع الأموال أهاب بكم الى ركوب هذا المركب الخشن . ويحتمل أن يكون محل المصدر النصب عطفاً على « أن آمنا » ، والمعنى : وما تنقمون منا إلا الجمع بين إيماننا وبين تمردكم وخروجكم عن الإيمان . أو تكون الواو للمعية ، ويكون المصدر المؤول مفعول معه ، والتقدير : وما تنقمون منا إلا الإيمان مع أن أكثركم فاسقون . ويحتمل أن يكون محله الجر عطفاً على الله ، أي : وما تنقمون منا إلا الإيمان بالله ، وبما أنزل ، وبأن أكثركم فاسقون .

البلاغة :

في هذه الآية فن طريف ، وهو توكيد المدح بما يشبه الذم . وهو فنّ ذائع الشهرة ، ولكنه قليل الأمثلة . ولم أجد منه في القرآن إلا هذه الآية ، فإن الاستثناء بعد الاستفهام الجاري مجرى التوبيخ

على ما عابوا به المؤمنين من الإيمان يوهم بأن يأتي بعد الاستفهام ما يجب أن ينقم على فاعله بما يذم به ، فلما أتى بعد الاستفهام ما يوجب مدح فاعله كان الكلام متضمناً تأكيد المدح بما يشبه الذم . وقد عرف علماء البلاغة هذا الفنّ بأنه استثناء صفة مدح من صفة ذم ، منفية عن الشيء ، بتقدير دخولها في صفة الذم المنفية . ومنه قول النابغة الذبياني :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

والتأكيد فيه واضح ، فذكر أداة الاستثناء وهي « غير » قبل ذكر ما بعدها يوهم إخراج شيء مما قبلها ، فاذا وليتها صفة مدح جاء التأكيد . وفلول السيوف من كثرة الضراب في الحروب من مجال الفخر ودواعي الشجاعة . ومن هذا النوع أن تثبت لشيء صفة مدح ، وتعقب ذلك بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى لذلك الشيء ، كقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أنا أفصح العرب بيد أني من قريش » . فذكر أداة الاستثناء ، وهي « بيد » الموازنة لـ « غير » وزناً ومعنى قبل ذكر ما بعدها ، ثم التعقيب بصفة مدح أخرى وهي كونه من قريش التي هي أفصح العرب ، تزيد تأكيد المعنى حسناً . وقال النابغة منه :

فتى كملت أوصافه غير أنه ... جواد فما يبقي على المال باقيا

﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ ﴾

الاعراب :

(قل : هل أنبئكم بشرٍّ من ذلك مثوبةً عند الله) كلام مستأنف مسوق لمخاطبة اليهود بما يليق بتحديهمْ وتعنتهم وإيغالهم في الكفر . وقل فعل أمر ، والجملة الاستفهامية مقول القول ، وهل حرف استفهام، وأنبئكم فعل مضارع في محل نصب ، والكاف مفعوله الأول ، وبشرٍّ جار ومجرور متعلقان بمحذوف هو المفعول الثاني ، ومن ذلك جار ومجرور متعلقان بـ « شرّ » ، لأنه اسم تفضيل ، ومثوبة تمييز لشر ، وهو تمييز نسبة ، لأن الشر واقع على الأشخاص ، وسيأتي مزيد من التفصيل في باب البلاغة . وعند ذلك متعلقان بحذوف حال (من لعنه الله وغضب عليه) من اسم موصول في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف ، فإنه لما قال : هل أنبئكم بشر مِن ذلك ؟ فكأن قائلاً قال : مَنْ ذلك ؟ فقيل : هو من لعنه الله ، والجملة لا محل لها لأنها مفسرة ويجوز أن يكون محل « مَنْ » الجر على البدلية من « شر » ، وجملة لعنه الله لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وجملة غضب عليه عطف على الصلة (وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت) الواو عاطفة ، وجعل عطف على لعنه الله ، ومنهم متعلقان بمحذوف مفعول به أول ، والقردة هو المفعول الثاني ، والخنازير عطف على القردة ، وعبد فعل ماض وهو عطف على صلة « ما » ، كأنه قيل : ومن عبد الطاغوت ، حذف الموصول وأقيمت الصفة مقامه (أولئك شر مكاناً وأضلّ عن سواء السبيل) الجملة مفسرة لا محل لها ، واسم الإشارة مبتدأ ، وشر خبر ، ومكاناً تمييز ، وأضل عطف على شر ، وعن سواء السبيل متعلقان بأضلّ .

البلاغـة :

اشتملت هذه الآية على ضروب من أنواع البلاغة ندرجها فيما يلي:

١ ــ المجاز المرسل في قوله : « مثوبة » ، والعلاقة الضدية ، مثل : « فبشرهم بعذاب أليم » . والمراد بهذا المجاز التهكم . ومجمل المعنى : قل يا محمد لهؤلاء الذين اتخذوا دينكم لعباً ولهواً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار : هل أنبئكم بشرٍّ من أهل ذلك الذي تنقمونه منا ، وشر من مثوبته ؟ أي : عقابه . وقد أخرج الكلام على حسب قولهم واعتقادهم ، وإلا فلا شركة بين المؤمنين وبينهم في أصل العقوبة ، حتى يقال : إن عقوبة أحـد الفريقين شرّ من عقوبة الآخر ، ولكنهم حكموا بأن دين الاسلام شرّ فقيل لهم : هبوا الأمر كذلك ، ولكن لعنة الله تعالى وغضبه ، والإبعاد عن رحمته ، والطرد من ساحة رضاه ، ومسخ الصورة الى أقبح أنواع الحيوان وأرذله شرّ من ذلك الذي تزعمون أنه شر ، وأنت تعرف ما لنوعي القردة والخنازير من الخسة والحقارة ، وما لهما في صدور الدهماء والخاصة من القبح والتشويه وشناعة المنظر ، ونذالة النفس ، وحقارة القدر ، ووضاعة الطبـع ، وسماجة الشكل والخلق ، وقبح الصوت ودناءة الهمة ، مما ليس لغيرهما من سائر أنواع الحيوان .

٢ ــ التهكم ــ وقد انطوى في المجاز المرسل . وتقدم الكلام على التهكم مفصلاً .

٣ ــ المجاز المرسل : في قوله : « شر مكاناً » ، وعلاقته المحلية . فقد ذكر المكان وأراد أهله ، وقد تقدم أيضاً .

الفوائـد :

قد تقول : إنه لا بد في اسم التفضيل من مفضّل ومفضل عليه ، فكيف يقال : إنهم شر من المؤمنين ، والمؤمنون لا شر عندهم البتة ؟ والجواب أنه جاء على سبيل التنزيل والتسليم للخصم عـلى زعمه ، تبكيتاً له ومناداة عليه بالحجة الدامغة ، أو أنه خاص بالكفار ، وهم طبقات متفاوتة في نسبة الشر اليها .

﴿ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

الاعراب :

(وإذا جاءوكم قالوا آمنا) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة لخطاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه ، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ، وجملة جاءوكم في محل جر بالإضافة ، وجاءوكم فعل وفاعل ومفعول به ، وجملة قالوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وجملة آمنا في محل نصب مقول القول (وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) الواو حالية ، وقد حرف تحقيق ، وجملة دخلوا في محـل نصب حال من الواو في « قالوا » ، وبالكفر جار ومجرور

متعلقان بمحذوف حال من فاعل دخلوا ، والواو الثانية حالية أيضاً ، والجملة في محل نصب حال من الواو في « قالوا » أيضاً ، وبه متعلقان بمحذوف حال من فاعــل خرجوا ، أي : قد دخلوا كافرين وخرجوا كافرين (والله أعلم بما كانوا يكتمون) الواو استئنافية ، والله مبتدأ ، وأعلم خبر،وبما جار ومجرور متعلقان بأعلم وجملة كانوا لامحل لها لأنها صلة الموصول،وجملة يكتمون فيمحل نصب خبر كانوا (وترى كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان) الواو عاطفة أو استئنافية،وترى فعل مضارع، وكثيراً مفعول به ، ومنهم متعلقان بمحذوف صفة ، وجملة يسارعون حال من « كثــيراً » ، أو نعت له ، وفي الإثــم متعلقان بيسارعون ، والعدوان عطف على الإثم (وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون) وأكلهم عطف على الإثم والعدوان ، والسحت مفعول به للمصدر وهو « أكل » ، والبــلام جواب قسم محذوف ، وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم ، وما نكرة تامة في محل نصب على التمييز ، أو موصولة فهي فاعل ، وجملة كانوا لا محل لها على الحالين ، وجملة يعملون في محل نصب خبر كانوا .

﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا

بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

الاعراب :

(لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت) كلام مستأنف مسوق للتحضيض والتخويف للعلماء والأحبار منهم لصدوفهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفيها تعميم لتوبيخ العلماء من كل أمة وملة لهذه الخلة الشائنة ، ولذلك قال ابن عباس : هذه أشد آية في القرآن ، يعني في حقّ العلماء لتهاونهم في النهي عن المنكرات . وقال الضحاك : مافي القرآن آية أخوف عندي منها . ولولا أداة للتحضيض بمعنى « هلاّ » ، وينهاهم الربانيون فعل مضارع ومفعول به وفاعل ، والأحبار عطف على قوله : « الربانيون » ، وعن قولهم متعلقان بينهاهم ، والإثم مفعول به لـ « قول » ، وأكلهم معطوف على قولهم ، والسحت مفعول به لأكل (لبئس ما كانوا يصنعون) تقدم إعرابها قريباً ، والعمل لا يقال فيه : صنع ، إلا إذا صار عادة وديدناً (وقالت اليهود : يد الله مغلولة) الواو استئنافية ، وقالت اليهود فعل وفاعل ، ويد الله مبتدأ ، ومغلولة خبر ، والجملة في محل نصب مقول القول (غلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا) الجملة دعائية معترضة ، وغلت فعل ماض مبني للمجهول ، وأيديهم نائب فاعل ، ولعنوا عطف على غلت أيديهم (بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) بل حرف إضراب وعطف ، ويداه مبتدأ ، ومبسوطتان خبر ، والجملة

عطف على جملة يد الله مغلولة ، وجملة ينفق يجوز أن تكون مستأنفة سيقت تأكيداً لكمال جوده سبحانه ، والمعنى : إنفاقه على ما تقتضيه مشيئته ، فهو القابض الباسط . ولا أعلم كيف أجازوا أن تكون خبراً ثانياً لـ « يداه » تبعاً لأبي حيّان ؟ وكيف هنا شرطية في محل نصب حال (وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً) الواو واو القسم المحذوف والقسم المحذوف مجرور بالواو ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف تقديره : أقسم ، واللام واقعة في جواب القسم ، ويزيدن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة ، والجملة لا محل لها لأنها جواب القسم ، وكثيراً مفعول به ، ومنهم متعلقان بمحذوف صفة ، وما اسم موصول فاعل يزيدن ، والمراد أنهم يزدادون حقداً وتمادياً في الجحود ، وجملة أنزل لا محل لها لأنها صلة الموصول ، واليك متعلقان بأنزل ، ومن ربك متعلقان بمحذوف حال ، وطغياناً تمييز أو مفعول به ثان ليزيدن ، وكفراً عطف على « طغياناً » (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) الواو استئنافية وألقينا فعل وفاعل ، وبينهم ظرف متعلق بألقينا ، والعداوة مفعول به ، والبغضاء عطف على العداوة ، والى يوم القيامة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله) كلما نصب على الظرفية الزمانية ، والجملة في محل جر بالاضافة ، وناراً مفعول به ، وللحرب جار ومجرور متعلقان بأوقدوا ، وجملة أطفأها الله لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، والجملة كلها مستأنفة أيضاً (ويسعون في الأرض فساداً) الواو استئنافية ، ويسعون فعل مضارع وفاعل ، وفي الأرض متعلقان بيسعون ، وفساداً يجوز أن يكون مفعولاً مطلقاً ، ويجوز أن يكون حالاً بمعنى مفسدين ، وأن يكون مفعولاً لأجله ، أي : يسعون لأجل الفساد . والأوجه الثلاثة متساوية الرجحان

(والله لا يحب المفسدين) الواو استئنافية ، والله مبتدأ ، وجملة لا يحب خبر ؛ والمفسدين مفعول به •

البلاغـة :

حفلت هذه الآية بضروب من البلاغة نوجزها فيما يلي :

١ ـ المجاز المرسل في غلّ اليد وبسطها عن البخل والجود ، وعلاقة هذا المجاز السببية ، لأن اليد هي سبب الإنفاق ، والفائدة من هذا المجاز تصوير الحقيقة بصورة حسية تلازمها غالباً • وجعل بعضهم قوله : « بل يداه مبسوطتان » استعارة ، فالمستعار البسط ، والمستعار منه يد المنفق ، والمستعار له يد الحق ، وذلك ليتخيّل السامع أن ثم يدين مبسوطتين بالإنفاق ، ولايدان في الحقيقة ولابسط •

أثر حاسة البصر : وذلك لأن التصوير الحسي يجعلها أرسخ في الذهن ، وأكثر تأثيراً • وحاسة البصر هي في مقدمة الحواسّ المقدرة للجمال ، والتي تدركه وتنقله الى النفس ، وبهذا الصدد يقول « جوير » الناقد العصري المعروف : إن الإحساسات التي يصح نعتها بالجمال على أتمّ وجه هي الإحساسات البصرية • حتى لقد ذهب « ديكارت » الفيلسوف الفرنسي الى أبعد من ذلك ، فعرّف الجمال بقوله : هو ما يروق في العين • ولما كان الجود والبخل معنويين لا يدركان بالحسّ وتلازمهما صورتان تدركان بالحس ، وهما بسط اليد للجود ، وغلها للبخل ، عبّر عنهما بلازمهما ، لفائدة الإيضاح والانتقال الى المحسوسات من المعنويات •

٢ ـ المشاكلة : بقوله : « غلت أيديهم » فقد دعا عليهم بما

افتاتوا به ، وأرجفوا فيه . ومن ثم كان اليهود أبخل خلق الله على الاطلاق ، وأكثرهم جمعاً للمال من أي وجه أتى . وقد كان العرب يتفادون هذا الوصف الذميم ، ويتورعون عنه ، قال الأشتر :

بقّيت وفري وانحرفت عن العلا ولقيت أضيافي بوجه عبوس

ومعظم أهل السنة ذهبوا الى أن يد الله صفة من صفات ذاته سبحانه ، كالسمع والبصر والوجه ، فيجب علينا الايمان بها وإثباتها له بلا كيف ولا تشبيه .

٣ ــ التنكيت : بقوله : « بل يداه مبسوطتان » . وكان السياق يقتضي أن يقول : يده مبسوطة ، فإنهم عبروا عنها بالمفرد بقولهم : « يد الله مغلولة » ولكنه عدل عن المطابقة لنكتة تدق على الأفهام البدائية ، وهي نفي الجسمية عنه سبحانه ، لأنهم أرادوا أنه يعطي بيده ، والمرء لا يعطي بكلتا يديه ، فردّ عليهم مثلاً أن يكون له شيء مما هو جسم معروف ، له يد يمنى ويد يسرى . فلما أثبت أن كلتيهما يد نفى الجسمية ، لأن كلتيهما متساوية في الكرم والعطاء .

٤ ــ الكناية : في إيقاد الحرب عن الحرب واشتعالها .

٥ ــ الطباق : بين الإيقاد والإطفاء .

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ ﴾

الاعراب :

(ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق لبيان حالهم في الآخرة . ولو شرطية غير جازمة ، وأن واسمها وخبرها في محل رفع فاعل لفعل محذوف ، وقد تقدم الحديث عن ذلك . وجملة آمنوا خبر « أن » وجملة اتقوا عطف على جملة آمنوا (لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم) اللام واقعة في جواب « لو » وكفرنا فعل وفاعل ، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وعنهم متعلقان بكفرنا ، وسيئاتهم مفعول به ، وجملة ولأدخلناهم عطف على جملة لكفرنا . وجنات مفعول به ثان على السعة ، أو منصوب بنزع الخافض ، والجار والمجرور متعلقان بأدخلناهم ، والنعيم مضاف اليه .

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾

الاعراب :

(ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم) الواو استئنافية ، وأنهم أقاموا التوراة والانجيل : تقدم إعرابها قريباً ، وما عطف على التوراة والانجيل ، وجملة أنزل صلة الموصول ، وأراد بالموصول غيرهما من الكتب ، ككتاب أشعيا وكتاب دانيال وزبور

داود ، واليهم متعلقان بأنزل ، ومن ربهم متعلقان بمحذوف حال (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) اللام واقعة في جواب لو ، وجملة أكلوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، ومن فوقهم متعلقان بأكلوا ، ومن تحت أرجلهم عطف على « من فوقهم » ، وسيأتي سر حذف المفعول في باب البلاغة (منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون) الجملة في محل نصب على الحال ، ومنهم متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وأمة مبتدأ مؤخر ، ومقتصدة صفة ، كثير الواو عاطفة . وكثير مبتدأ ، وساغ الابتداء به لوصفه بالجار والمجرور ، وجملة ساء ما يعملون خبر كثير ، وجملة يعملون صلة « ما » .

البلاغة :

في هذه الآية حذفان بليغان ، داخلان في نطاق المجاز الذي هو عنصر البلاغة وإكسيرها ، وهما :

١ ــ حذف المضاف في قوله : « أقاموا التوراة والإنجيل » والمراد أحكام التوراة والإنجيل وحدودهما ، وما انطوى تحتهما من أحكام بالغة ، وعبر شائعة .

٢ ــ حذف المفعول به ، واللطائف فيه تتجدد دائماً . وقوله تعالى : « لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم » بالغ أبعد آماد البلاغة ، فمفعول « أكلوا » محذوف لقصد التعميم أو للقصد الى نفس الفعل ، كما في قولهم : « فلان يحل ويعقد ، ويبرم وينقض ، ويضر وينفع » ، والأصل في ذلك كله على إثبات المعنى المقصود في نفسك للشيء على الإطلاق . وفي الحذف الذي بصدده ثلاثة أوجه :

آ ــ أن يفيض عليهم بركات السماء وبركات الأرض .

ب ــ وأن يكثر الأشجار المثمرة والزروع المغلة .

جـ ــ وأن يرزقهم الجنان اليانعة الثمار ، يجنون ما تهدّل من رؤوس الشجر ، ويلتقطون ما تساقط على الأرض من تحت أرجلهم .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾

الاعراب :

(يا أيها الرسول) تقدم إعرابها (بلّغ ما أنزل اليك من ربك) كلام مستأنف مسوق للتسرية عن النبي صلى الله عليه وسلم لما ضاق ذرعه بالدعوة . وبلغ فعل أمر ، وفاعله أنت ، وما مفعول به ، وجملة أنزل صلة الموصول ، وإليك متعلقان بأنزل ، ومن ربك متعلقان بمحذوف حال (وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته) الواو استئنافية ، وإن شرطية ، ولم تفعل فعل الشرط ، والفاء رابطة للجواب ، وما نافية ، وجملة بلغت في محل جزم جواب الشرط ، وفي اتحاد الشرط والجواب سرّ بديع ، سوف نبسطه في باب البلاغة ، ورسالته مفعول به (والله يعصمك من الناس) الواو استئنافية ، والله مبتدأ ، وجملة يعصمك خبره ، ومن الناس متعلقان بيعصمك (إن الله لا يهدي القوم الكافرين) إن واسمها ، وجملة لا يهدي خبرها ، والقوم مفعول به، والظالمين صفة.

البلاغـة :

في اتحاد الشرط والجواب سرّ منقطع النظير ، وذلك أنه لا بدّ أن يكون الجزاء مغايراً للشرط لتحصل الفائدة . ومتى اتحدا اختل الكلام لأنه يئول ظاهراً الى : وان لم تفعل فما فعلت ، ولكنه أراد هنا أن يتحدا ، لأن عدم تبليغ الرسالة أمرٌ معلوم عند الناس ، مستقرّ في الأفهام أنه عظيم شنيع ينقم على مرتكبه ، ولأن عدم نشر العلم من العالم أمر يستوجب المذمة ، فما بالك بالرسالة ؟ فجعل الجزاء عين الشرط ليتضح مدى الاهتمام بالتبليغ . وقيل أيضاً في هذا الصدد : أي إن تركت شيئاً فقد تركت الكل ، وصار ما بلغته غير معتدّ به ، فصار المعنى : وإن لم تستوف ما أُمرت بتبليغه فحكمك في العصيان وعدم الامتثال حكم من لم يبلغ شيئاً أصلاً .

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾

الاعراب :

(قل يا أهل الكتاب لستم على شيء) كلام مستأنف مسوق لنفي تخرّصاتهم بأنهم يتبعون التوراة . وقل فعل أمر ، ويا أهل الكتاب منادى مضاف ، ولستم : فعل ماض ناقص ، والتاء اسمها ، وعلى شيء

جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها ، وسيأتي مزيد عن ليس في باب الفوائد (حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل اليكم من ربكم) حتى حرف غاية وجر ، وتقيموا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى ، والجار والمجرور متعلقان بـ « لستم » والتوراة مفعول تقيموا ، ولا بد من تقدير مضاف ، أي : أحكامهما وما ينطويان عليه من مثل عليا (وليزيدن كثيراً منهم ما أُنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً) الواو استئنافية واللام جواب قسم محذوف ، ويزيدن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة ، والجملة لا محل لها لأنها جواب القسم ، وكثيراً مفعول به ، ومنهم متعلقان بمحذوف صفة لـ « كثيراً » وما اسم موصول فاعل يزيدن ، ومن ربك متعلقان بمحذوف حال ، وطغياناً مفعول به ثان أو تمييز ، وكفراً عطف على طغياناً (فلا تأس على القوم الكافرين) الفاء الفصيحة ، أي : إذا علمت هذا فلا تأس ، ولا ناهية ، وتأس فعل مضارع مجزوم بلا ، وعلامة جزمه حذف حرف العلة ، وعلى القوم متعلقان بتأس ، والكافرين صفة .

البلاغة :

التنوين في « شيء » يفيد التقليل والتحقير ، أي : لستم على شيء يعتدّ به حتى تقيموا أحكام التوراة والإنجيل .

الفوائد :

(لستم) حذفت عين « ليس » وهي الياء ، لالتقاء الساكنين ، أي : الياء والسين ، إذ أصله : ليِس بكسر الياء ، ثم سكنت الياء

للتخفيف ولم تقلب الفاء على القياس ، لأن التخفيف بالتسكين في الجامد أسهل من القلب ، فلما اتصلت بضمير رفع متحرّك سكنت العين ، فالتقى ساكنان : الياء والسين ، فحذفت الياء لالتقاء الساكنين .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

اللغـة :

(الصابئون) من صبأ ، أي : خرج عن دينه ، وهم قوم كانوا يعبدون الكواكب ، مقرهم في حرّان بين النهرين ، خرج منهم علماء وفلاسفة ومنجمون ، ومنهم الكاتب الشاعر أبو إسحق الصابيء .

الاعراب :

(إن الذين آمنوا والذين هادوا) كلام مستأنف مسوق لبيان المؤمنين بالله والعاملين عملاً صالحاً . وإن واسمها ، وجملة آمنوا صلة الموصول ، والذين هادوا عطف على الذين آمنوا (والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً) الواو استئنافية ، والصابئون رفع على الابتداء ، وخبره محذوف ، والنية به التأخير عما في « إنّ » من اسمها وخبرها ، كأنه قيل : إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا ، والصابئون كذلك . هذا ما رجّحه سيبويه في مخالفة الاعراب ، وأنشد شاهداً له :

وإلاّ فاعلموا أنّا وأنتم بغاة ما بقينا على شقاق

أي : فاعلموا أنّا بغاة وأنتم كذلك • ويكون العطف من باب عطف الجمل ، فالصابئون وخبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله : إن الذين آمنوا ، ولا محل لها ، كما لا محل للجملة التي عطفت عليها ، وإنما قدّم « الصابئون » تنبيهاً على أن هؤلاء أشد إيغالاً في الضلالة واسترسالاً في الغواية ، لأنهم جردوا من كل عقيدة • وسترد في باب الفوائد أوجه أخرى في هذه المخالفة الإعرابية • والنصارى عطف على الذين ، ومن اسم موصول بدل من الذين ، ولك أن تعرب النصارى مبتدأ خبره : « فلا خوف عليهم » ، والجملة خبر « إن » ، وجملة آمن بالله صلة الموصول ، واليوم الآخر عطف على الله ، وعمل عطف على آمن ، وصالحاً مفعول به أو صفة لمفعول مطلق محذوف ، أي : عملاً صالحاً (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) الجملة خبر إن ، ودخلت الفاء لما في الموصول من رائحة الشرط ، وخوف مبتدأ ساغ الابتداء به لتقدم النفي ، وعليهم متعلقان بمحذوف خبره ، ولا هم يحزنون : عطف على ما تقدم •

الفوائد :

قدّمنا الوجه المختار الذي ذهب إليه الخليل وسيبويه ونحاة البصرة في إعراب « والصابئون » ، وهناك أوجه أخرى نوردها فيما يلي باقتضاب :

آ ــ إن الواو عاطفة ، والصابئون معطوف على موضع اسم إن لأنه قبل دخول « إن » كان في موضع رفع ، وهذا مذهب الكسائي والفراء •

ب ــ إنه مرفوع عطفاً على الضمير المرفوع في « هادوا » وروي هذا عن الكسائي .

جـ ــ أن تكون « إن » بمعنى نعم ، أي : حرف جواب ، وما بعده مرفوع بالابتداء ، فيكون « والصابئون » معطوفاً على ما قبله .

ما يقوله ابن هشام :

وتخريج ابن هشام للآية يتلخص بأمرين :

آ ــ إن خبر « إن » محذوف ، أي : مأجورون أو آمنون أو فرحون ، والصابئون مبتدأ وما بعده الخبر ، ويشهد له قوله :

خليليّ هل طبّ فإني وأنتما وإن لم تبوحا بالهوى دنفان

ويضعفه أنه حذف من الأول لدلالة الثاني عليه ، وإنما الكثير العكس .

ب ــ الخبر المذكور لـ « إن » ، وخبر « الصابئون » محذوف ، ويشهد له قوله :

فمن يك أمسى بالمدينة رحله فإني وقيارٌ بها لغريب

إذ لا تدخل اللام في خبر المبتدأ حتى يقدم نحو : القائم لزيد ، ويضعفه تقديم الجملة المعطوفة على بعض الجملة المعطوف عليها .

﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ

رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾
وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟
كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾

الاعراب :

(لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل) كلام مستأنف مسوق لبيان نماذج أخرى من جناياتهم التي تنادي باستبعاد الإيمان منهم . واللام جواب قسم محذوف ، وقد حرف تحقيق ، وأخذنا فعل وفاعل ، وميثاق مفعول به ، وبني إسرائيل مضاف اليه ، (وأرسلنا إليهم رسلاً) الواو حرف عطف ، وأرسلنا فعل وفاعل ، وإليهم متعلقان بأرسلنا ، ورسلاً مفعول به (كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم) كلما ظرف زمان متضمن معنى الشرط متعلق بجوابه المحذوف ، أي : عصوه ، وجاءهم فعل ومفعول به مقدم ، ورسول فاعل مؤخر ، وبما متعلقان بجاءهم ، وجملة لا تهوى أنفسهم صلة الموصول (فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون) فريقاً مفعول مقدم لكذبوا ، وفريقاً الثانية مفعول مقدم ليقتلون ، والجملة مستأنفة نشأت عن جواب سؤال ناشيء عن الجواب الأول ، كأنه قيل : كيف فعلوا بهم ؟ فقيل : فريقاً منهم كذبوهم ولم يتعرضوا لهم بضرر ، وفريقاً آخر منهم قتلوهم (وحسبوا أن لا تكون فتنة) الواو عاطفة ، وحسبوا فعل وفاعل ، وأن حرف مصدري ونصب ، ولا نافية ، فتكون فعل مضارع تام منصوب بأن ، وفتنة فاعل ، وأنْ وما بعدها سدت مسد مفعولي حسبوا . وقرىء برفع « تكونُ »

فتكون « أنْ » مخففة من الثقيلة ، واسمها ضمير الشأن تقديره : أنه (فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم) الفاء : عاطفة ، وعموا معطوف على حسبوا ، وصموا عطف على قوله : فعموا ، وثم حرف عطف للترتيب مع التراخي ، وتاب الله فعل وفاعل ، والجملة عطف على قوله : فعموا وصموا ، وعليهم متعلقان بتاب (ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون) ثم عموا وصموا عطف على ما تقدم ، كثير بدل من الضمير في عموا أو صموا ، ومنهم متعلقان بمحذوف صفة لكثير ، والواو استئنافية ، والله مبتدأ وبصير خبره ، وبما جار ومجرور متعلقان ببصير ، وجملة يعملون صلة الموصول .

البلاغة :

في الآية نوع من الالتفات البليغ بقوله: «فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون»، وهو التفات من الإخبار بالفعل الماضي الى الإخبار بالفعل المضارع، وهذا من أدقّ الأمور، ولا يتاح في الاستعمال إلا للعارف برموز الفصاحة والبلاغة. وقد طفح القرآن الكريم به ، فقد جاء بالفعل الماضي أولاً فقرر أمراً وقع ثم جاء يقتلون على حكاية الحال الماضية استفظاعاً للقتل واستحضاراً لتلك الصورة الشنيعة للتعجب منها واستخلاص العبرة من مطاويها . وسيرد منه في القرآن الشيء العجيب ، وعلى هذا ورد قول تأبط شراً :

بأنّي قد لقيت الغول تهوي ... بسهب كالصحيفة صحصحان
فأضربها بلا دهش فخرّت ... صريعاً لليدين وللجران

فإنه قصد أن يصور لقومه الحال التي تهيأت له حتى تشجّع على ضرب الغول ، كأنه يجسّدها لهم ليثير إعجابهم بجراءته على ذلك

الهول . والأمثال على ذلك أكثر من أن تحصى . وعلى هذا الأسلوب ما ورد من حديث الزبير بن العوّام في غزوة بدر ، فإنه قال : لقيت عبيدة بن سعيد بن العاص ، وهو على فرس ، وعليه لأمة كاملة لا يرى منه إلا عيناه ، وهو يقول : أنا أبو ذات الكؤوس ، وفي يدي عَنَزَة ـ وهي مثل نصف الرمح ـ فأطعن بها في عينه ، فوقع ، وأطأ برجلي على خدّه ، خرجت العنزة متعقّفة . فقوله : « فأطعن بها في عينه ، وأطأ برجلي » معدول به عن لفظة الماضي الى المستقبل ليمثّل للسامع الصورة التي فعل فيها ما فعل من الإقدام والجراءة على قتل ذلك الفارس المستلئم .

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾

الاعراب :

(لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم) اللام جواب قسم محذوف ، وقد حرف تحقيق ، وجملة القسم مستأنفة . وكفر الذين فعل وفاعل ، والجملة لا محلّ لها لأنها جواب قسم محذوف ، وجملة قالوا لا محل لها لأنها صلة الذين ، وجملة إن الله في محل نصب مقول القول ، وإن واسمها ، وهو مبتدأ ، والمسيح خبر هو ، والجملة

الاسمية خبر إن ، وابن بدل من المسيح ، ومريم مضاف إليه (وقال المسيح : يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم) الواو حالية ، وقال المسيح فعل وفاعل ، والجملة في محل نصب على الحال من الواو في « قالوا » ، ويابني إسرائيل منادى مضاف ، وجملة اعبدوا الله في محل نصب مقول قول المسيح ، وربي بدل من الله ، وربكم عطف على ربي (إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة) الجملة مستأنفة ، وإن واسمها ، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ، ويشرك فعل الشرط ، وبالله متعلقان بيشرك ، والفاء رابطة لجواب الشرط ، وجملة فقد حرم في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » ، والجملة الشرطية كلها في محل رفع خبر إنّ ، وحرم الله فعل وفاعل ، وعليه متعلقان بحرّم ، والجنة مفعول به (ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) الواو استئنافية ، ومأواه خبر مقدم ، والنار مبتدأ مؤخر ، ويجوز العكس ، والواو عاطفة ، وما نافية ، وللظالمين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، ومن حرف جر زائد ، وأنصار مجرور لفظاً مرفوع محلاً لأنه مبتدأ مؤخر .

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا

﴿يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾

اللغـة :

(يؤفكون) : يصرفون .

الاعراب :

(لقد كفر الـذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة) الجملة مستأنفة ، واللام جواب قسم محذوف ، وجملة كفر الذين قالوا : لا محل لها لأنها جواب القسم ، وجملة قالوا صلة الموصول ، وإن واسمها ، وثالث ثلاثة خبرها ، والجمـلة المصدّرة بأن في محـل نصب مقول القول (وما من إله إلا إله واحد) الواو حالية ، وما نافية ، ومن حرف جر زائد ، وإله مجرور لفظاً مرفوع على الابتداء محلاً ، والخبر محذوف ، أي موجود ، وإله بدل من الضمير فيه ، وإلا أداة حصر . وقد مرّ هـذا الإعراب مفصلاً في كلمـة الشهادة ، والمعنى : والحال ما إله كائن أو موجود إلا إله واحـد (وإن لم ينتهـوا عما يقولون) الواو استئنافية ، وإن شرطية ، ولـم ينتهوا فعـل الشرط ، وعما متعلقان بينتهوا ، وجملة يقولون صلة الموصول (ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم) اللام واقعة في جواب قسم محذوف ويمسّن فعل مضارع مبني على الفتح ، والجملة لا محل لها لأنها جواب القسم ، والذين مفعول به ، وجملة كفروا صلة الموصول ، ومنهم متعلقان بمحذوف حال،وعذاب أليم فاعل،وجواب الشرط محذوف سد مسده جواب القسم لأن التقدير : ولئن لم ينتهوا ، والقاعدة أنه إذا اجتمع شرط وقسم

فالجواب للسابق ، وإنما لجأنا الى هذا لوجود اللام الموطئة للقسم (أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) الجملة مستأنفة مسوقة للتعجب من إصرارهم • والهمزة للاستفهام التعجبي الإنكاري ، والفاء عاطفة على مقدر ، أي : ألا ينتهون فلا يتوبون ، والى الله متعلقان بيتوبون ، ويستغفرونه عطف على يتوبون ، والواو حالية ، والله مبتدأ ، وغفور رحيم خبران له ، والجملة في محل نصب على الحال (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) كلام مستأنف مسوق لتحقيق الحق • وما نافية ، ولم تعمل عمل ليس لانتقاض النفي بإلا ، والمسيح مبتدأ وابن مريم بدل أو نعت ، وإلا أداة حصر ، ورسول خبر المبتدأ ، وجملت قد خلت صفة ، ومن قبله متعلقان بخلت ، أي : مضت وفنيت ، والرسل فاعل (وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام) الواو عاطفة ، وأمه مبتدأ ، وصديقة خبر ، وجملة كانا مفسرة لا محل لها . وألف الاثنين اسم كان ، وجملة يأكلان خبر كانا ، والطعام مفعول به (انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنّى يؤفكون) الجملة استئنافية ، وكيف اسم استفهام في محل نصب حال ، والجملة الاستفهامية في محل نصب مفعول انظر ، وقد علقت « كيف » « انظر » عن العمل لفظاً فيما بعدها ، ونبين لهم الآيات فعل وفاعل مضمر ومفعول به ، وثم حرف عطف للترتيب والتراخي ، والمعنى أن بيان هذه الآيات كان عجباً وإعراضهم عنها وصدوفهم عن التأمل فيها كان أعجب ، وأنى اسم استفهام بمعنى كيف ، في محل نصب على الحال ، ويؤفكون فعل مضارع والواو نائب فاعل •

البلاغة :

في قوله : « كانا يأكلان الطعام » كناية عن أنهما ، صلوات الله

عليهما ، بشر ، لأن أكل الطعام يستتبعه الهضم والنفض ، فاكتفى بذكر أكل الطعام عن كل هذا تهذيباً وتصوّناً ، وهذا من غريب الكنايات في اللغة العربية . وقد قدمنا عن الكناية كثيراً ، ولا بد هنا من لفت النظر الى أن الكناية ــ حيث وردت ــ يتعاورها جانبا حقيقة ومجاز ، وجاز حملها عليهما معاً ، كقوله تعالى : « أو لامستم النساء » فإنه يجوز حمل الكناية على الحقيقة والمجاز ، وكلٌّ منهما يصح به المعنى ، ولا تختل العبارة ، فمن حمل على الحقيقة كالشافعي اعتبر أن اللمس هو مصافحة الجسد للجسد ، فأوجب الوضوء ، وتلك هي الحقيقة في اللمس ، ومن حمل على المجاز كأبي حنيفة اعتبر أن اللمس هو الجماع فذلك هو المجاز . وسيرد معنى المزيد من الكناية وطرائفها في هذا الكتاب .

٢ ــ التكرير في قوله : « انظر » أولاً ، ثم قال : « ثم انظر » ثانياً . وفي ذلك دليل على الاهتمام بالنظر والتدبر ، وإن اختلفت النظرتان ، فالأولى متعلقة بكيفية إيضاح الله لخلقه الآيات ، والثانية متعلقة بانصرافهم عنها ، وصدوفهم عن التأمل في مراميها وأهدافها .

﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٧٦) قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ (٧٧) ﴾

اللغـة :

(لا تغلوا) : لا تتجاوزوا الحدّ ، والغلاء هو الارتفاع . قال الحارث بن حلزة اليشكري في معلقته :

أو منعتم ما تسألون فمن حدّ   تتمـوه لـه علينـا الغـلاء

(الأهواء) : جمع هوى ، وهو ما تدعو اليه شهوة النفس ، قال أبو عبيدة : « لم نجد الهوى يوضع إلا موضع الشرّ ، لأنه لا يقال: فلان يهوى ، إلا أنه يقال : يحب الخير » . والهاء مع الواو إذا كانتا فاء للكلمة وعيناً لها دلتا عـلى معنى السقوط والانحدار الى جانب ، يقال : هوى من الجبل ، وهوت الدلو من البئر هوياً بفتح الهاء ، وطاح في المهواة والهاوية ، وهي مابين الجبلين ، وتهاووا فيها : تساقطوا، وهذه هوة عميقة ، « وأمه هاوية » وجلست عنده هوياً ، أي : ملياً ، ومضى هوي من الليل ، و « استهوته الشياطين » . ومن المجاز قولهم للجبان: إنه الهواء ، أي : خالي القلب من الجرأة ، وقد تشبث شوقي بهذه الطرافة اللغوية فقال :

فاتقوا الله في قلوب العذارى   فالعـذارى قلوبهنّ هواء

ويقال : رجل أهوج : شجاع يرمي نفسه في المهالك والمتالف ، وناقة هوجاء كأن بها هوجاً ، لسرعتها لا تتعهـد موضع المناسم من الأرض ، وريح هوجاء ورياح هوج ، وهاد الرجل وتهوّد وهودّ ابنه جعله يهودياً ، وهوّر البناء فتهوّر أي : تهدّم ، إلى آخر هذه المادة .

وهذا كله من خصائص لغتنا الشريفة .

الاعراب :

(قــل : أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضراً ولا نفعاً) كلام مستأنف مسوق لأمر النبي صلى الله عليه وسلم بتبكيتهم وإلزامهم بالحجة . وقل فعل أمر ، والهمزة حرف استفهام توبيخي تعجبي ، وجملة أتعبدون في محل نصب مقول القول ، ومن دون الله متعلقان بمحذوف حال ، وما اسم موصول في محل نصب مفعول به . واختار بعضهم أن تكون نكرة موصوفة ، وجملة لا يملك صلة عـلى الأول لا محل لها أو في محل نصب صفة ، ولعل هذا أولى . ولكم متعلقان بيملك ، وضراً مفعول به ليملك ، ولا نفعاً عطف على « ضراً » (والله هو السميع العليم) الواو حالية ، والرابط بين الحال وصاحبها هو الواو ، ومجيء الحال بعد هذا الكلام مناسب لمقتضى الحال ، والله مبتدأ ، وهو ضمير فصل لا محل له ، أو ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ ، والسميع العليم خبران لـ « الله » أو لـ « هو » ، وقد تقدمت نظائره (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق) جملة القول استئنافية ، وما بعدها في محل نصب مقول القول ، ولا ناهية ، وتغلوا فعل مضارع مجزوم بلا ، وفي دينكم متعلقان بتغلوا ، وغير الحق صفة لمفعول مطلق ، أي : غلواً غير الحق ، ويصح كونه حالاً من ضمير الفاعل ، وهو الواو ، أي : مجاوزين الحق ، وقيل : إن النصب على الاستثناء المتصل ، وقيل : على المنقطع (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً) الواو عاطفة ، ولا ناهية ، تتبعوا فعل مضارع مجزوم بـ « لا » وأهواء مفعول به ، وقوم مضاف اليه ، وجملة قد ضلوا صفة لقوم ، ومن قبل جار ومجرور متعلقان بضلوا ، وبنيت قبل على الضم لانقطاع الظرف عن الإضافة لفظاً لا معنى ، وأضلوا

عطف على قد ضلوا ، وكثيراً مفعول به (وضلوا عن سواء السبيل) عطف على ما تقدم .

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) ﴾

الاعراب :

(لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم) الكلام مستأنف ، ولعن فعل ماض مبني للمجهول ، والذين نائب فاعل ، وجملة كفروا صلة الموصول ، ومن بني إسرائيل جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، وعلى لسان متعلقان بلعن ، وفي إفراد اللسان بحث شيق سيأتي في باب الفوائد ، وداود مضاف إليه ، وعيسى عطف على داود ، وابن بدل أو نعت ، ومريم مضاف اليه (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) اسم الإشارة مبتدأ ، وبما جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ، وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر ، أي : بسبب عصيانهم ، والجملة استئنافية ، ويجوز في « ما » أن تكون موصولة ، وعلى كل حال جملة عصوا لا محل لها من الإعراب ، وجملة كانوا عطف على عصوا ، منتظمة في حكمها ، والواو اسم كان ، وجملة يعتدون خبرها (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) الجملة لا محل لها لأنها مفسرة للمعصية والاعتداء ، وكان واسمها ، وجملة لا يتناهون خبرها ، وعن منكر متعلقان بيتناهون ، وجملة فعلوه صفة لمنكر

(لبئس ما كانوا يفعلون) اللام جواب قسم محـذوف ، وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم ، وما نكرة تامة في محل نصب تمييز ، أو موصولة فهي في محل رفع فاعل ، أي : الذي فعلوه ، وجملة كانوا صفة لما ، أو لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وجملة يفعلون في محل نصب خبر كانوا ٠

البلاغـة :

انطوى توبيخ اليهود على الإخبار بأمرين غاية في القبح والسماجة، أولهما : ما كانوا يجترحونه من المناكر ، والثاني صدوفهم عن التناهي عن هذه المناكر ، وعدم الجنوح اليها في المستقبل ، وقد دل على ذلك قوله تعالى : « فعلوه » ، فلولا ذكرها لتوهّم متوهم أن النهي عن المنكر عند استحقاق النهي عنه والإشراف على تعاطيه ، فانتظم ذكرها الأمرين معاً بوجه بليغ وأسلوب رفيع ، هو الذروة في البلاغة ٠ وليس المراد بالتناهي أن ينهى كل واحد منهم الآخر عما يجترحه من المنكر ، كما هو المتبادر والمشهور لصيغة التفاعـل ، بل المراد مجرد صدور النهي عن أشخاص متعددة ، من غير اعتبار أن يكون كل واحد ناهياً ومنهيّاً ، فكان الإخلال بالتناهي بعد الأمر به معصية ٠

الفوائـد :

القاعدة تقول : إن كل جزأين مفردين من صاحبيهما إذا أضيفا الى كليهما من غير تفريق جاز فيهما ثلاثة أوجه :

١ ـ لفظ الجمع تقول : قطعت رؤوس الكبشين ٠

٢ ـ لفظ التثنية تقول : قطعت رأسي الكبشين .

٣ ـ لفظ الإفراد تقول : قطعت رأس الكبشين .

وقوله في الآية على لسان داود وعيسى بالإفراد دون التثنية والجمع .

﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَـٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

الاعراب :

(ترى كثيراً منهم يتولّون الذين كفروا) كلام مستأنف مسوق لمخاطبة النبي بشأن بني إسرائيل الذين يوالون الكفار من أهل مكة . وترى فعل مضارع ، وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت ، وكثيراً مفعول به ، ومنهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لـ « كثيراً » ، وجملة يتولون في محل نصب على الحال ، لأن الرؤية هنا بصرية ، والذين مفعول به ، وجملة كفروا صلة الموصول (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم) اللام واقعة في جواب قسم محذوف ، وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم ، وفاعله مضمر فسرته كلمة « ما » و « ما » نكرة تامة في محل نصب على التمييز ، ويجوز أن تكون « ما » موصولة في محل رفع فاعل ، وجملة الذم لا محل لها لأنها جواب

القسم ، وجملة قدمت صفة على الأول ، وصلة على الثاني . ولهم متعلقان بقدمت ، وأنفسهم فاعل ، وأن سخط : أن وما في حيزها في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر ، خبره جملة القسم ، كأنه قيل : بئس زادهم في الآخرة سخط الله عليهم . وقال بعضهم : ليس المصدر هو المخصوص بالذم ، لأن نفس السخط المضاف الى البارىء عزّ وجلّ لا يقال فيه هو المخصوص بالذم ، وإنما هو سبب السخط ، وعلى هذا أعربوه خبراً لمبتدأ محذوف (وفي العذاب هم خالدون) الواو عاطفة ، وفي العذاب متعلقان بـ « خالدون » ، وهم مبتدأ ، وخالدون خبر (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه) الواو استئنافية ، ولو شرطية ، وكان واسمها ، وجملة يؤمنون خبرها ، وبالله متعلقان بيؤمنون ، والنبي عطف على الله ، وما أنزل اليه عطف أيضاً (ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون) الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وأولياء مفعول اتخذ الثاني ، ولكن واسمها وخبرها .

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

اللغة :

(قسّيسين) : جمع قسّيس ، بكسر القاف وتشديد السين ، المكسورة ، بمعنى القسّ بفتح القاف وتشديد السين ، وهو من كان

بين الأسقف والشمّاس ، وهو أيضاً الكاهن ، ويجمع على قسوس ، والقسّيس يجمع أيضاً على قسّان ، بضم القاف ، وأقسّة وقساوسة ، قال الفرّاء : هو مثل مهالبة ، كثرت السينات فأبدلوا إحداهن واواً . وقال الراغب : قسيسين جمع قسيس ، على فعّيل ، وهو مثال مبالغة كصدّيق ، وهو هنا رئيس النصارى وعالمهم . وأصله من تقسّس الشيء إذا اتبعه وتطلّبه بالليل ، يقال تقسّست أصواتهم أي :تتبّعتها بالليل . وقال غيره : القَسّ بفتح القاف : تتبّع الشيء ، ومنه سمي عالم النصارى قسيساً لتتبعه العلم ، ويقال : قسّ الأثر وقصّه بالصاد أيضاً ، ويقال : قَس وقِس بفتح القاف وكسرها وقسيس . فأما قُسّ بن ساعدة الإيادي بضم القاف فهو علم ، ويجوز أن يكون مما غـيّر عن طريق العلمية ، ويكون أصله قَس أو قِس بفتح القاف وكسرها ، وكان أعلم أهل زمانه .

(رهباناً) يكون واحداً وجمعاً ، فأما إذا كان جمعاً فإن واحدهم يكون راهباً ، ويكون الراهب حينئذ فاعلاً من قول القائل : رهب اللهَ فلان بمعنى خافه يرهبه رَهَباً بفتحتين ورَهْباً بفتح الراء وسكون الهاء ، ومن الدليل على أنه قد يكون عند العرب جمعاً قول كثير عزّة :

رهبان مدين والـذين عهدتهم   يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت كلامها   خرّوا لعزّة ركّعاً وسجودا

وقد يكون الرهبان واحداً ، وإذا كان واحداً كان جمعه رهابين ، مثل قربان وقرابين، ويجوز جمعه أيضاً على رهابنة إذا كان كذلك . ومن الدليل على انه قد يكون عند العرب جمعاً قول الراجز :

لو عاينت رهبان دير في القلل   لانحدر الرهبان يمشي ونزل

الاعراب :

(لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) كلام مستأنف مسوق لتصنيف أهل الكتاب بالنسبة الى مودة المؤمنين ، وتكرير قبائح اليهود ، ولين عريكة النصارى ، وسهولة انصياعهم للحق . واللام جواب لقسم محذوف ، وتجدن فعل مضارع مبني على الفتح والجملة لا محل لها لأنها جواب للقسم ، وأشد الناس مفعول أول لتجد ، وعداوة تمييز ، وللذين متعلقان بأشد ، واليهود مفعول به ثان ويجوز العكس ، والذين عطف على اليهود وجملة أشركوا صلة. (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا : إنا نصارى) الواو عاطفة ، والجملة معطوفة على ما تقدم ، وقد تقدم إعرابها ، وجملة إنا نصارى في محل نصب مقول القول (ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً) الجملة مستأنفة مبينة ، واسم الاشارة مبتدأ ، والباء حرف جر ، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مجرور بالباء ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ذلك ، ومنهم متعلقان بمحذوف خبر أن المقدم ، وقسيسين اسم أن ، ورهباناً عطف على قسيسين (وأنهم لا يستكبرون) عطف على « بأن منهم » ، وجملة لا يستكبرون خبر أن .

فهـرس المجلد الثاني

انتهى المجلد الثاني ويليه المجلد الثالث
بدءاً من الآية «٨٣» من سورة المائدة